بستان الفقراء ونزهة القراء

تأليف

الإمام صالح بن عبد الله بن حميد الكتامي الشافعي

المعروف بالعماد

المتوفى ٩٩١ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

الجزء الأول

Title: **Bustān al-fuqarā' wanuzhat al-qurrā'**

Author: Ṣaliḥ ben ʿAbdullah al-Katāmi

Editor: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 1512 (3 volumes)

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: بستان الفقراء ونزهة القراء

المؤلف: الإمام صالح بن عبدالله الكتامي

المحقق: السيد يوسف أحمد

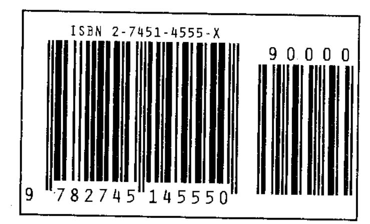
الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 1512 (3 أجزاء)

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى





جميع الحقـوق محفوظـة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لـدار الكتب العلميـة بيروت ـ لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

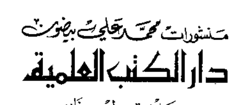
Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف:١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ — ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس:٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ — رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ﷺ المرسل رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين وعلى آل بيته الأطهار، وأصحابه السادة الأعلام وأزواجه الطاهرات الطيبات، وعلى من تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين.

فعلى مدار القرون منذ انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى جوار ربه عكف العلماء من الصحابة والتابعين على بذل الجهد في بيان الدين ونشره في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمة التوحيد، فأخذوا يعلمون الناس كتاب ربهم العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك سنة نبيه ﷺ .

فقد حفظ أصحاب رسول الله ﷺ سنته القولية والفعلية وبلغوها من بعدهم من التابعين ثم بلغها التابعون من بعدهم، وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلاً بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، وجمعوها في كتبهم، وأوضحوا صحيحها من سقيمها، ووضعوا لمعرفة ذلك قوانين وضوابط معلومة بينهم يعلم بها صحيح السنة من ضعيفها.

وقد تداول أهل العلم كتب السنة في الصحيحين وغيرهما وحفظوها حفظًا تامًا كما حفظ الله كتابه العزيز من عبث العابثين وإلحاد الملحدين، وتحريف المبطلين، تحقيقًا لما دل عليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٦].

ولا شك أن سنة رسول الله ﷺ وحي منزل، فقد حفظها الله كما حفظ كتابه، وقيض الله لها علماءً نقاداً، ينفون عنها تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين ويذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذّابون والملحدون، لأن الله سبحانه جعلها تفسيراً لكتابه الكريم وبيانًا لما أجمل فيه من الأحكام، وضمّنها أحكامًا أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز، كتفصيل أحكام الرضاع، وبعض أحكام المواريث، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز.

وقد ورد الكثير عن الصحابة والتابعين من أهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها.

وقال السيوطي رحمه الله في رسالته المسماة: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» : ما نصه: «اعلموا رحمكم الله أن من أنكر أن كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر، وخرج عن دائرة الإسلام وحُشر مع اليهود والنصارى أو مع منْ شاء من فرق الكفرة ».

وقد قام السلف الصالح بجهد كبير في إخراج الكتب العديدة في جميع فروع العلم، وذلك لبيان الدين وتوضيح ما اختلف فيه الناس.

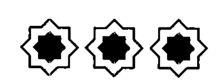
وما زال إلى وقتنا هذا من العلماء الذين يقومون بإخراج المصنفات العديدة في جميع فروع الدين وذلك ليسهل على الناس معرفة دينهم دون عناء ومشقة، وعدم الحاجة إلى الكثير من الكتب حيث قاموا بتجميع فروع شتى من علوم مختلفة في كتاب واحد ليسهل على الغالبية العظمى من المسلمين الوصول إلى بغيتهم.

وكان ممن قام بذلك الأمر هذا العلم الجليل صاحب كتابنا هذا، فقد قام بتجميع فروع شتى من علوم مختلفة وسماه: «بستان الفقراء ونزهة القراء» .

جمع فيه من أصناف العلوم المختلفة في مائه باب وخمسة أبواب، وقد استعان في عمله بالكثير من الكتب على رأسها كتب الصحاح بداية من البخاري ومسلم ثم الكثير من غيرها ذكر بعضها في مقدمته.

وقد بدأ بالباب الأول من كتابه في فضل العلم والعلماء، ثم انتقل إلى أبواب فضل البسملة والقرآن ، ثم أركان الإسلام من الطهارة والغسل والوضوء والأذان والإقامة والصلاة، وهكذا إلى الصوم والحج، وفضل الشهور والإسراء والمعراج والزكاة، وهكذا في أبواب متعددة من فضائل الأعمال من بر الوالدين والإحسان لليتيم والزهد والقناعة وغيرها إلى أن انتهى بآخر الأبواب فيمن يجري له أجره بعد موته.

وهذا الكتاب جامع شامل في الوعظ كما قال المصنف، وهو مجموع من كتب عديدة كما قدمنا وذكر بعضها المصنف، وهذا الكتاب مشهور به صاحبه ولم تذكر كتب الرجال أنه صنف غيره حتى أنهم أرّخو لوفاته بتاريخ انتهائه من هذا الكتاب عام (٩٩١هـ).



ترجمة المصنف

هو الإمام العالم العامل العلامة صالح بن عبدالله بن حيدر الكتامي الشافعي الأزهري، المعروف بالعماد [1].

قال في الاعلام (٣/ ١٩٢): صالح بن عبدالله بن حيدر الكتامي الشافعي الأزهري واعظ متصوف، تخرج بالأزهر. له بستان الفقراء ونزهة القراء، ثلاث مجلدات في المواعظ أنجزه سنة (٩٩١هـ).

وقال في معجم المؤلفين (٥/ ٨): صالح بن عبدالله الأزهري له بستان الفقراء ونزهة القراء.

وقال في هدية العارفين: الكتامي صالح بن عبدالله بن حيدر الشافعي الأزهري، توفي سنة (٩٩١هـ)، من تصانيفه: بستان الفقراء ونزهة القراء، رتبه على مائة وخمسة أبواب.

خطة العمل بالمخطوط

اعتمدنا على مخطوط بدار الكتب المصرية في نسختين، الأولى تحت رمز (٨٧٨) تصوف، وهي الجزء الأول فقط، واعتمدنا عليها في نقل الجزء الأول نظراً لوجود الكثير من الإضافات بها عن النسخة الثانية، وانتهت عند الباب الحادي والخمسون، ولم نجد لها تكملة فرجعنا في بداية الجزء الثاني إلى النسخة الثانية وهي تحت رمز (٨٧٧)، تصوف، وبها المخطوط كاملاً من أوله إلى آخره فنقلنا الجزء الثاني منها حتى نهاية المخطوط وقد بدأنا فيها من الباب الثاني والخمسون حتى نهاية المخطوط بنهاية الباب المائة وخمسة.

● **واعتمدنا في عملنا على:**

١-تفسير بعض الآيات التي وردت من كتب التفاسير وخاصة تفسير ابن كثير.

٢- تخريج الأحاديث من كتب الصحاح وغيرها.

٣- ترجمة بعض أسماء الرجال الواردة في الكتاب.

٤- الحكم على ما ورد من الآراء نقلاً من كتب التفاسير وشرح مسلم للإمام النووي والترمذي.

---

(١) ترجمته: إيضاح المكنون (١/ ١٨١)، الإعلام للزركلي (٣/ ١٩٢)، معجم المؤلفين (٥/ ٨)، نور عثمانية كتبخانه (٤٢، ٤٣)، الأزهرية (٣/ ٦٦٧).

٥- اعتمدنا في نقل بعض مسائل الفقه من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

٦- توضيح وبيان اتجاهات بعض الفرق والجماعات الواردة من موسوعة الفرق والجماعات وغيرها من الكتب.

خاتمة المقدمة

وبعد فهذا ما قمنا به في هذا الكتاب سائلاً المولى ﷻ أن ينفعنا بعلم هذا السلف الصالح، وأن نكون له طائعين ولسنة نبيه ﷺ متبعين، راجيًا من الإخوة القراء تبليغي عن أي نقص أو تقصير، فمازلت من طلاب العلم، وكلنا معرض للخطأ، فكل ابن آدم خطّاء، وكلنا لا نبتغي إلا رضا الله سبحانه وتعالى، داعيًا المولى ﷻ أن يتقبل مني صالح الأعمال ويتجاوز عما وقعتُ فيه من الخطأ والنسيان، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وحبي لكل من قدم لي العون والمساعدة في إخراج هذا العمل وأخص بذلك شريكة العمر الزوجة الصالحة أم الأولاد داعيًا الله أن يجعله في ميزان حسناتها.

وأهدي عملي هذا إلى روح أبي وأمي رحمهما الله راجيًا من الله تعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته وعظيم عفوه وأن يسكنهم فسيح جناته وأدعو لهما كما أمرنا سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٤].

كما أهدي عملي لفلذات الأكباد أولادي الأحباء، ابنتي الكبرى رنا، وأخويها أحمد ومحمد ، سائلاً المولى أن يكونوا له طائعين ولسنة الحبيب المصطفى ﷺ متبعين، آمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

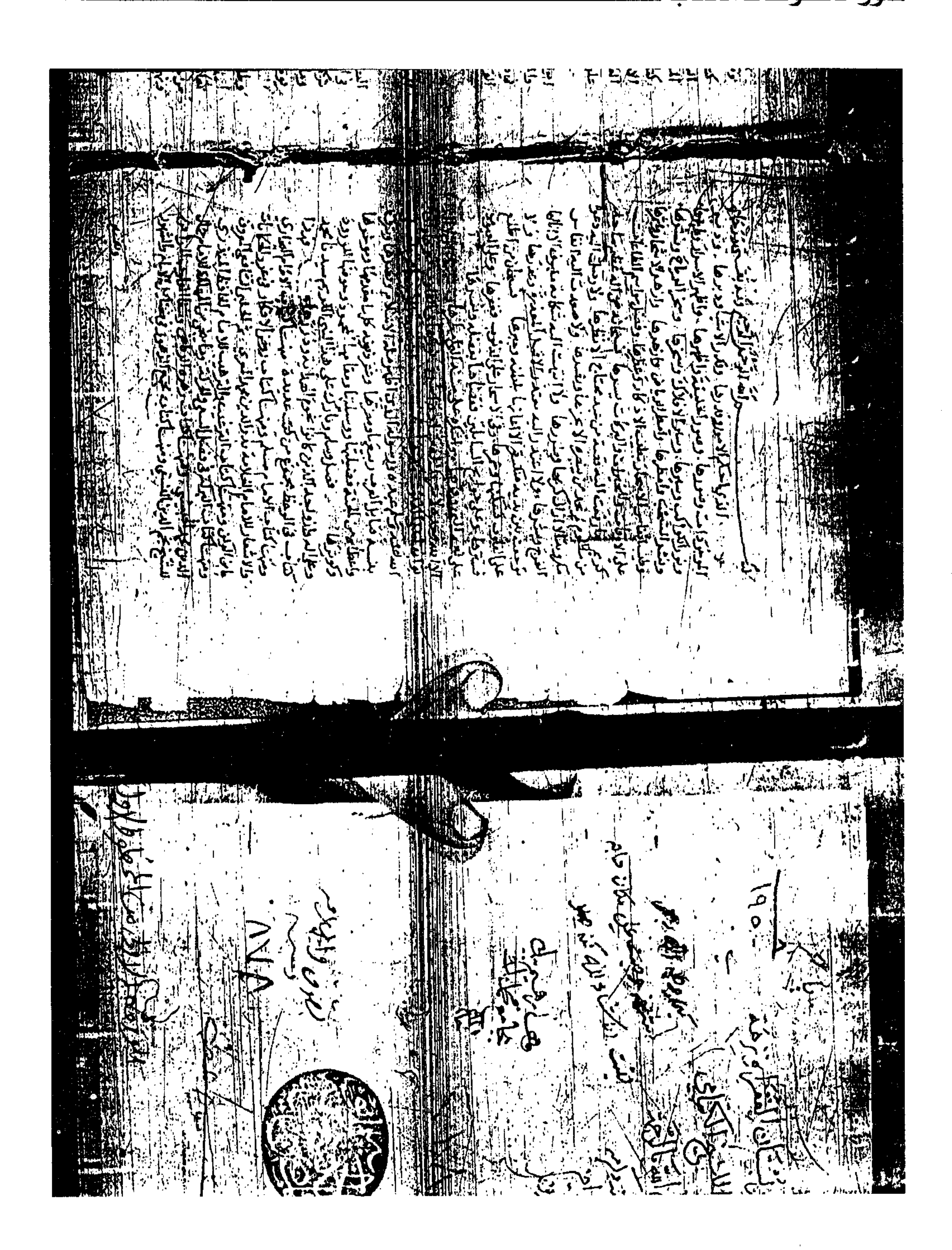
المحقق

السيد يوسف أحمد

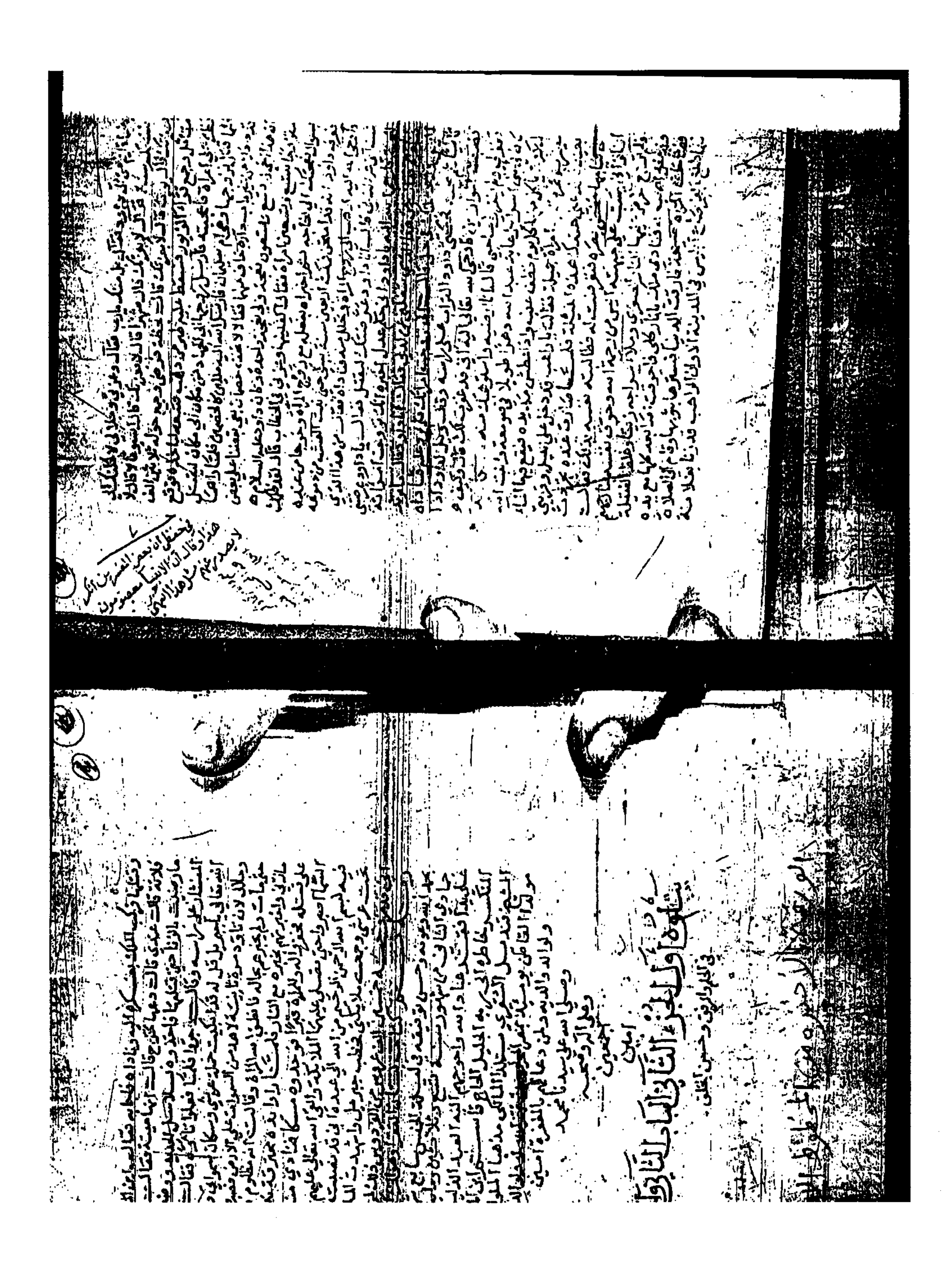
عزبة النخل الغربية – المطرية – القاهرة

في يوم الاثنين الموافق السابع من ذي الحجة عام ١٤٢٥هـ.

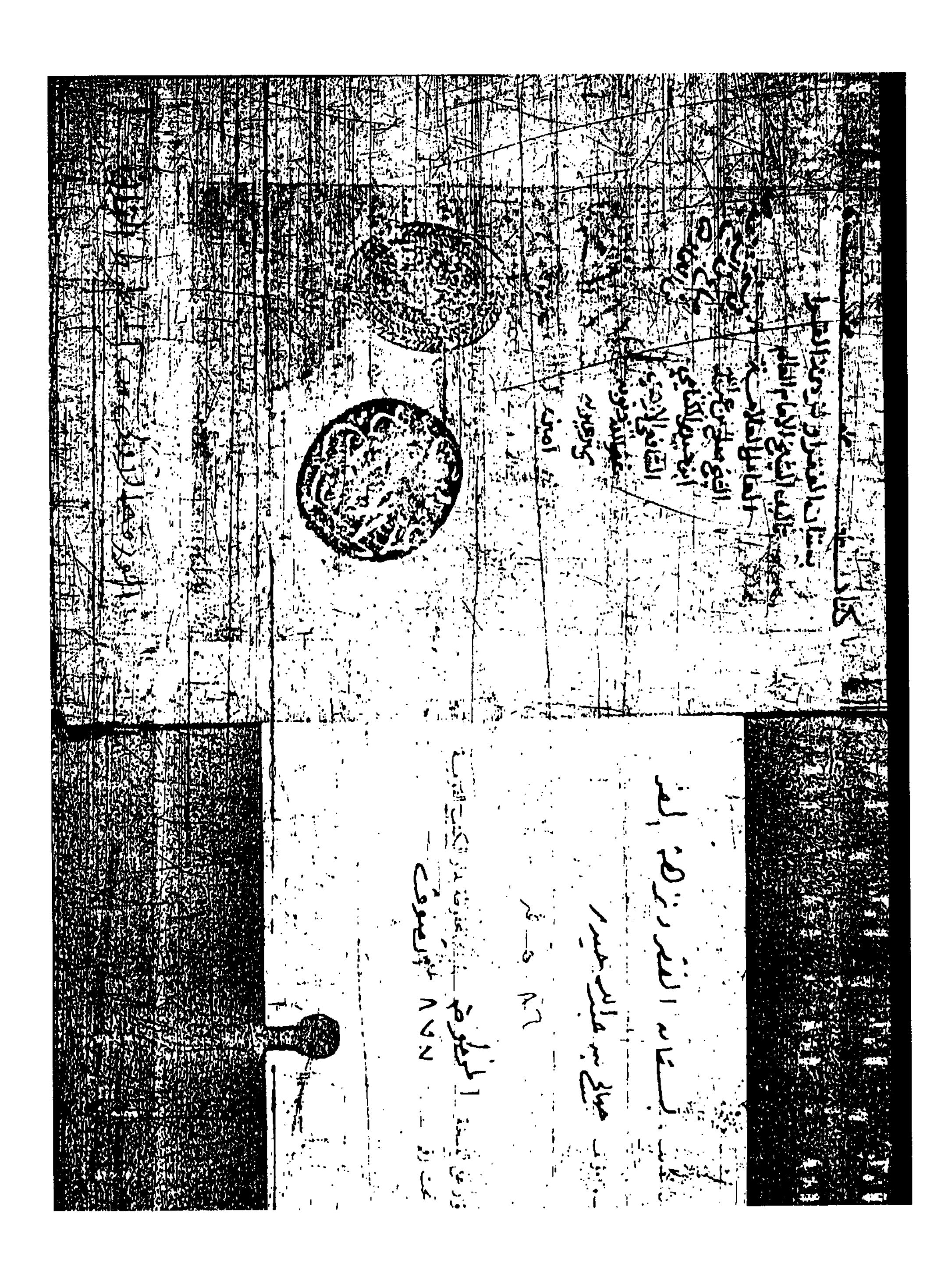
السابع عشر من يناير عام ٢٠٠٥م



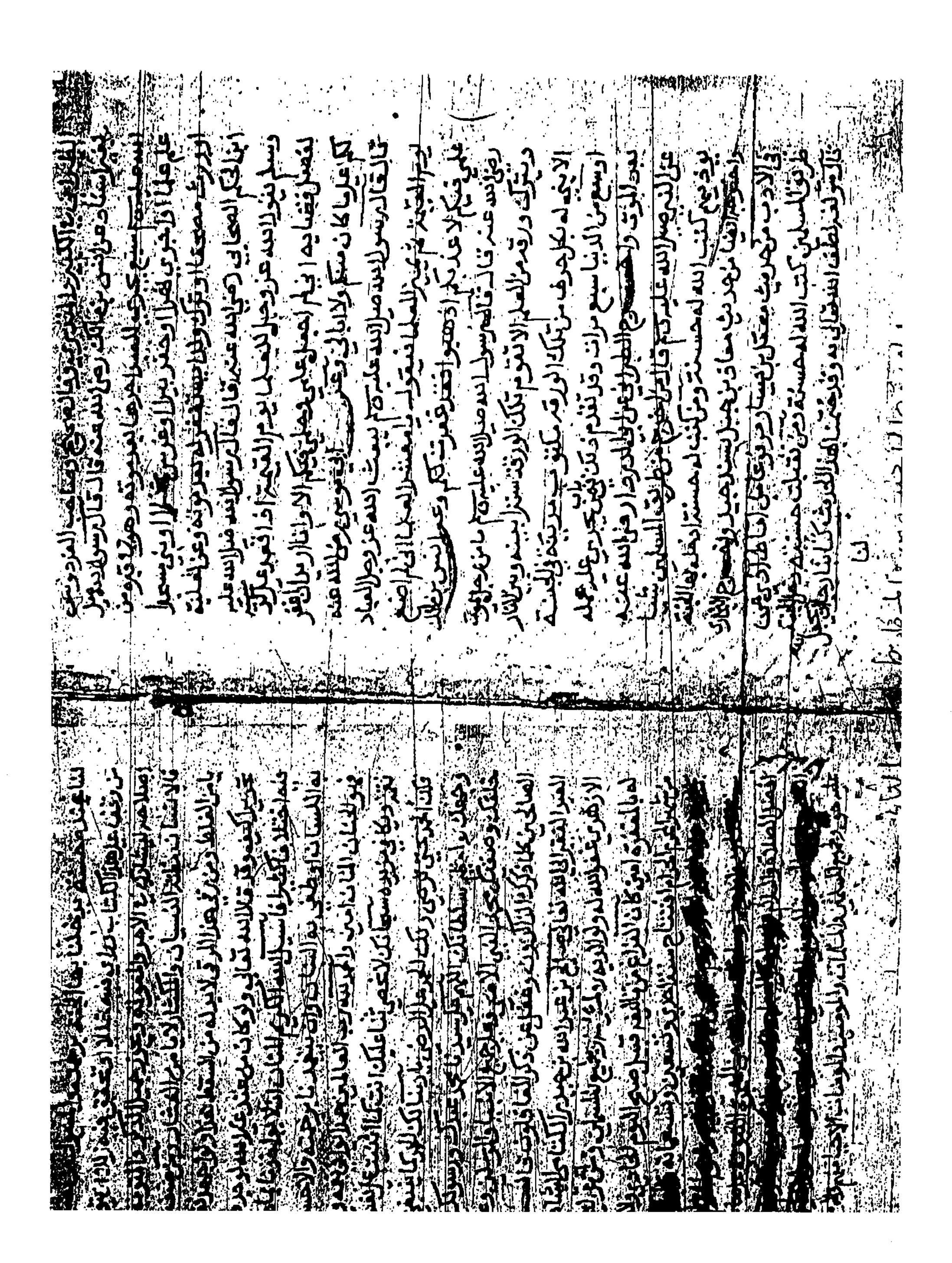
الورقة الأولى من المخطوط الأول



الورقة الأخيرة من المخطوط الأول



الورقة الأولى من المخطوط الثاني



الورقة الأخيرة من المخطوط الثاني



تأليف

الإمام صالح بن عبد الله بن حميد الكنامي الشافعي
المعروف بالعماد
المتوفى ٩٩١ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ورجائي

الحمد لله الذي أحكم الأمور وقدرها، وقدر الأشياء ودبرها، ودبر الموجودات وصورها، وصور الخليقة وأظهرها، وأظهر الأسرار وطهرها، ونور الكواكب وسيرها، وسير الأفلاك وسخرها، وسخر الرياح ونشرها، ونشر السحب وأمطرها، وأمطر الرياض وأزهرها، وأزهر الأشجار وأثمرها، وطيب أنفاس الأسحار بطيب الأذكار وعطرها، وفضل مواسم الطاعات على الأوقات للخيرات والبركات يسرها، فسبحانه من إله عظيم، ماجد كريم، ما رفعت إليه قصة من عبد محتاج إلا نظرها، ولا وصلت إليه دعوة من مظلوم لم يجد من ينصره إلا نجزها ونصرها، ولا صعدت إليه أنفاس مكروبة إلا أزال كربها وضررها، ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أتى لها الفرج وبشرها، ولا اعتذر إليه معتذر إلا قبل المعذرة وعذرها، ولا توجعت بين يديه منكسرة، إلا أعانها بلطفه وجبرها، فسبحان من اطلع على القلوب فسكنها وعمرها، وفي الأسحار على الذنوب فغفرها، وعلى العيوب فسترها، وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله، ويسرها.

أحمده على نعمه التي وفرها ، وأشكره على مننه التي أمطرها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أشرق نورها في القلوب فعمرها، وأتى ثوابها على الذنوب فكفرها.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عبده ورسوله، الذي أظهر ملة الإسلام ونصرها، وشرف بنسبه قبائل العرب ، ربيعها ومضرها، وغفر ذنوبه كلها مقدمها ومؤخرها، وأعطاه من الجنة فضيلتها ووسيلتها، ومقامها المحمود وحوضها المورود، وكوثرها.

اللهم فصل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه الذين كانوا نجوم الهداية ودررها.

وبعد: فهذا كتاب في الوعظ مجموع من كتب عديدة، منها: كتاب الإمام البخاري.

ومنها: كتاب الإمام مسلم.

ومنها: كتاب روض الأفكار في غرر الحكايات والأشعار، للإمام بدر الدين محمد المعري ثم الحلبي الشافعي المعروف بابن الركن.

ومنها: كتاب الترغيب والترهيب للإمام الحافظ المنذري.

ومنها: كتاب البركة في فضل السعي والحركة وما ينجي من الهلكة للإمام جمال الدين محمد الجيشي.

ومنها: كتاب زهرة الرياض وشفا القلوب المراض للشيخ نجم الدين النسفي.

ومنها: كتاب مجمع الزهور في فضائل الأيام والشهور وتفسير بعض الآيات والسور، للإمام شمس الدين ابن رجب.

ومنها: كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شمس الدين محمد الخطيب الإبشيمي الشافعي.

ومنها: كتاب تذكرة القرطبي. وكتاب تذكرة المتذكر وتبصرة المتبصر للزندستي.

ومنها: كتاب العقائق والحقائق والدقائق.

ومنها: كتاب شرح الصدور في أحوال الموت والقبور. والبدور السافرة في أحوال الآخرة، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي.

ومنها: كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندي الحنفي.

ومنها: كتاب عيون المجالس.

ومنها: كتاب إحياء علوم الدين للشيخ الإمام العلامة أبي حامد الغزالي.

وغير ذلك من الكتب النفيسة وسميته: «**بستان الفقراء ونزهة القراء**».

ورتبته على مائة باب وخمسة أبواب:

الباب الأول: في فضل العلم وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين.

الباب الثاني: في آفة العلماء وما يبدو لأهل العلم.

الباب الثالث: في فضل البسملة وما فيها من الثواب والحمد بعدها.

الباب الرابع: في فضل القرآن العظيم وخدمته وما أعد الله لقارئه ومعلمه ومتعلمه من الثواب.

الباب الخامس: في فضل الطهارة.

الباب السادس: في فضائل الغسل وتأخيره بغير عذر.

الباب السابع: في فضل الوضوء وفضل إسباغه والصور التي يستحب فيها.

الباب الثامن: فيما جاء في السواك.

الباب التاسع: في فضل الأذان والإقامة.

الباب العاشر: في الدعاء بين الأذان والإقامة.

الباب الحادي عشر: في فضائل بناء المساجد وتنظيفها وحرمة البصاق فيها.

الباب الثاني عشر: في فضل المشي إلى المساجد سيما في الظلم.

الباب الثالث عشر: في فضل الصلاة المكتوبة ووزر من تركها.

الباب الرابع عشر: في فضل صلاة التطوع وفضل التهجد وما يتعلق بذلك.

الباب الخامس عشر: في فضل صلاة الجمعة وفضل يومها.

الباب السادس عشر: في فضل الزكاة وحرمة منعها.

الباب السابع عشر: في تحريم السؤال مع الغنى، وما جاء في ذم الطمع، وطلب التعفف والقناعة والأكل من كسب اليد، وتفضيل الصنائع والحرف.

الباب الثامن عشر: في من نزلت به فاقة أو حاجة فأنزلها بالله تعالى لا بغيره، وفيمن أخذ ما دفع إليه من غير طيب نفس الدافع، وفي قبول ما جاءه شيء بغير مسألة ولا إشراف نفس، والنهي عن رده وإن كان غنيًا عنه، ونهي السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة، ونهي المسئول بوجه الله أن يمنع سائله من المسئول فيه.

الباب التاسع عشر: في فضل الصوم مطلقًا وما جاء في فضل دعاء الصائم.

الباب العشرون: في فضل شهر الله الحرام رجب والبكاء من خشية الله.

الباب الحادي والعشرون: في النصف الثاني من شهر رجب.

الباب الثاني والعشرون: في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ..﴾ الآية.

الباب الثالث والعشرون: في فضل المعراج.

الباب الرابع والعشرون: في فضل أول شعبان المكرم.

الباب الخامس والعشرون: في فضل ليلة نصف شعبان وقيامها.

الباب السادس والعشرون: في فضائل شهر رمضان المعظم قدره وحرمته.

الباب السابع والعشرون: في فضائل ليلة القدر.

الباب الثامن والعشرون: في فضل صدقة الفطر والتكبير وصلاة العيد.

الباب التاسع والعشرون: في صوم يوم عرفة لمن لم يكن بها وما جاء في النهي عنه لمن كان بها حاجًا، وفي صوم شهر الله المحرم، وفي صوم يوم عاشوراء، والتوسع فيه على العيال وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، سيما الأيام البيض، وصوم الاثنين والخميس والجمعة والسبت والأحد ، وما جاء في تخصيص الجمعة أو السبت أو الأحد بالصوم، وفي صوم يوم وإفطار يوم وهو صوم داود عليه السلام ، ونهي المرأة أن تصوم تطوعًا وزوجها حاضراً إلا بإذنه، ونهي المسافر عن الصوم إذا كان يشق عليه وجواز الإفطار له، وإن لم يشق عليه الصوم.

الباب الثلاثون: في فضل الاعتكاف وأحكامه.

الباب الحادي والثلاثون: في تشويق الحاج وفضله وما يتعلق به وذكر مراحل الحجاج وزيارة قبر النبي ﷺ.

الباب الثاني والثلاثون: في فضل ذكر الله تعالى.

الباب الثالث والثلاثون: يذكر فيه ابتداء خلق النبي ﷺ ومولده.

الباب الرابع والثلاثون: في ذكر رضاعته ﷺ وفصاله وما ظهر من كراماته وبركاته.

الباب الخامس والثلاثون: في ذكر بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

الباب السادس والثلاثون: يذكر فيه طرف من معجزات النبي ﷺ .

الباب السابع والثلاثون: في فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ .

الباب الثامن والثلاثون: في صفة التسليم والصلاة على رسول الله ﷺ .

الباب التاسع والثلاثون: في خصائصه ﷺ ، وفيه ثمانية فصول، أربعة اختص بها عن جميع الأنبياء، وأربعة اختص بها عن أمته.

الباب الأربعون: في وفاة النبي ﷺ وبشارته عند موته من ربه لأمته وذكر فضائل هذه الأمة المرحومة زادها الله شرفًا، وذكر بعض ما فيها من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم، وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس عليهم الصلاة والسلام.

الباب الحادي والأربعون: فيما يتعلق بالإيمان والإسلام ويحتاج إلى معرفته كل مسلم ويستضيء به في كل طريق مظلم ويقتدي به كل جاهل ويتذكر به كل عالم وفاضل، ودليله من الكتاب والسنة وفيه عشر مسائل.

الباب الثاني والأربعون: في بر الوالدين ومراعاة حقهما والوصية بهما.

الباب الثالث والأربعون: في التحذير من عقوق الوالدين.

الباب الرابع والأربعون: في فضل الإحسان إلى اليتيم والبنات.

الباب الخامس والأربعون: في اصطناع المعروف والشفقة على خلق الله تعالى.

الباب السادس والأربعون: في فضل الصدقة خصوصًا مع القريب والجار والصديق.

الباب السابع والأربعون: في قري الضيف وإكرام الغريب والجار والإحسان إليهما.

الباب الثامن والأربعون: في الزهد والقناعة والتوكل على الله ﷻ .

الباب التاسع والأربعون: في حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من اللواط وفضل الزراعة وبيان قوله ﷺ : «**خلقتم من سبع ورزقتم من سبع**» .

الباب الخمسون: في التحذير من الظلم وما فيه من الإثم.

الباب الحادي والخمسون: في العدل والرفق.

الباب الثاني والخمسون: في الحلم والرفق وحسن الخلق.

الباب الثالث والخمسون: في الشفقة على خلق الله وإكرام المشايخ.

الباب الرابع والخمسون: في فضل العقل.

الباب الخامس والخمسون: في الصمت وحفظ اللسان.

الباب السادس والخمسون: في ذم الكذب.

الباب السابع والخمسون: في التحذير من الغيبة.

الباب الثامن والخمسون: في التحذير من النميمة.

الباب التاسع والخمسون: في التوبة.

الباب الستون: في فضل الاستغفار.

الباب الحادي والستون: في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله.

الباب الثاني والستون: في فضل الدعاء مطلقًا.

الباب الثالث والستون: في فضل أدعية خاصة وفي آخر دعاء الاستخارة.

الباب الرابع والستون: في الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر.

الباب الخامس والستون: في الخوف من الله ﷻ .

الباب السادس والستون: في الرجاء من الله تعالى وحسن الظن فيه.

الباب السابع والستون: في التحذير من كيد الشيطان ومكره.

الباب الثامن والستون: فيمن يجري عليه عمله بعد الموت وما جاء في أول ما يجازى به المؤمن بعد موته.

الباب التاسع والستون: في ذكر أشياء من فعلها أو وجدت فيه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحرمه الله على النار وأعتقه منها.

الباب السبعون: في هول الموت.

الباب الحادي والسبعون: في ذكر القبر وهوله.

الباب الثاني والسبعون: في النفخ في الصور.

الباب الثالث والسبعون: في ذكر الحشر وأين المحشر، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾. وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾، الآية، وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾، الآية، وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ وقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾، الآية وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾، الآية، وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، وقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

الباب الرابع والسبعون: في خروج النبي ﷺ من قبره كل أحد، وكيف يبعث وما يقول عند القيام من القبور، وبعث الناس على نياتهم وهواهم وأعمالهم وحشر كل أحد مع أهل عمله، وحشر الناس حفاة عراةً غرلاً، وفيما ورد أن الموتى يبعثون في أكفانهم وحشر المتقي راكبًا والعاصي ماشيًا والكافر مسحوبًا، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، وفي أنه لكل طائفة إمام يقدمهم.

الباب الخامس والسبعون: في حشر أناس على صور مختلفة، وحشر أناس حاملين على أعناقهم ما أخذوه بغير حق، وفيمن يحشر مغلولاً أو ملجمًا، وحشر الإسلام والقرآن والأعمال والأمانة والرحم والأيام والدنيا في صور أشخاص، وفي أسماء يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾.

الباب السادس والسبعون: في طول يوم القيامة على الكافر وخفته على المؤمن. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وما يلقونه في الموقف من الأهوال والعرق، وما يعاقب به من يعاقب فيه، والأعمال الموجبة لظل العرش والجلوس على المنابر والكراسي والكثبان في الموقف، وما ينجي من أهواله يوم القيامة، ومن يكسى في الموقف ومن يحيي قلبه يوم تحي القلوب، وفضائل إحياء ليلتي العيدين، وشيء من فضل الجهاد والصوم والاعتكاف، زيادة على ما تقدم في أبوابها.

الباب السابع والسبعون: في الشفاعة العظمى في فصل القضاء ، والإراحة من طول الوقوف وهو المقام المحمود، والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي من استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها. وفي رفع درجات ناس في الجنة، وفي من خلد من الكفار أن يخفف عنه العذاب، وفي أطفال المشركين لا يعذبوا، وفي من يبدأ به فيدخل الجنة بغير حساب، وفي الأعمال الموجبة لذلك، وفي أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وفي ترتيب أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال، وفي الابتداء ببعث النار، ومن يلتقطه عنق النار، وحكم تجليه تعالى في الموقف وفي كثرة هذه الأمة.

الباب الثامن والسبعون: في الحوض، وفي أن لكل نبي حوض، وفي الأعمال الموجبة للشرب من الحوض، وفي من يأكل بالموقف زيادة على ما تقدم، وفي تبديل الأرض، وفي نظائر الكتب وإتيانها بالأيمان والشمائل ووراء الظهر، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾، الآية، وفي أن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وفي صف الناس للحساب، وفي القضاء بين البهائم قبل كل أحد، وبينها وبين الناس، ثم يصيرها ترابًا، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، وفي السؤال وما يسأل عنه العبد، وفي

سؤال الولاة والحكام والرعاة، وفي قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، وفي قوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، وفي شهادة الأعضاء والأمكنة والأزمان وغير ذلك، وفي من يبدل الله سيئاته حسنات، وفي قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾، الآية. وفي ما لا حساب فيه، وفي ما يخفف الحساب، وفي أن الله تعالى يكلم المؤمن بلا حجاب ولا ترجمان، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾، وفي من نوقش الحساب هلك.

الباب التاسع والسبعون: في الميزان وفي الأعمال الموجبة لثقل الميزان، وفي هل يختص الميزان بالمؤمنين، أو توزن أعمال الكفار أيضًا. وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، الآية، وفي الأعمال الموجبة للنور والظلمة.

الباب الثمانون: في الصراط على ما تقدم في ضمن الأحاديث السابقة, وفي الأعمال الموجبة للجواز على الصراط، وفي الثبات عليه، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾.

الباب الواحد والثمانون: في الشفاعة في من يستحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفي من دخل النار أن يخرج منها، وفي الأعمال الموجبة لشفاعته ﷺ، وفي شفاعة غير النبي ﷺ من الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد، وفي شفاعة الإسلام والقرآن والحجر الأسود والكعبة والأعمال، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾.

الباب الثاني والثمانون: في سعة رحمة الله وفيما يرجى للفقراء والعلماء من تجاوز الله عنهم، وفي الخصام والقصاص بين الناس، وذلك بعد المرور على الصراط، وفي من يتكفل الله عنهم لغرمائهم، وفي أصحاب الأعراف، وفي حال أطفال المشركين وفي ما يصنع بأهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة من الأمم والمعتوه، وفي حكم الجن.

الباب الثالث والثمانون: في صفة جهنم نعوذ بالله منها، وفي أين الجنة والنار، وفي أبواب جهنم وخزنتها، وفي سرادقها، وفي أوديتها، وفي حيّاتها وعقاربها وجبالها وبعد قعرها وموقوفها وشدة حرّها وزمهريرها ولونها وشررها، وقوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ﴾.

الباب الرابع والثمانون: في لباس أهل النار وفراشهم وحليهم والسلاسل والقيود والأغلال وفي المقامع وظلال جهنم وطعامهم وشرابهم وحيات جهنم وعقاربها وذبابها، وفيما ورد أن الشمس والقمر في النار، وفي دركات جهنم، وفي عظم الكافر وغلظ جلده، وفي بكاء أهل النار وزفيرهم وشهيقهم ونفسهم وقبحهم ودعائهم بالويل والثبور، واستغاثتهم بأهل الجنة وبخزنة النار، وبمالك وبربهم وخرسهم بعد ذلك وصممهم وتسويد وجوههم.

الباب الخامس والثمانون: في من دخل النار من الموحدين يموت فيها، وفي تفاوت أهل النار في العذاب، وفي أكثر أهل النار، وفي أشياء جامعة من أحوال عصاة المسلمين في النار، وفي أشد الناس عذابًا، وفي الأعمال الموجبة لبناء بيت في النار، وفي خلود الكفار في النار والمؤمنين في الجنة، وفي قوله تعالى في الفريقين: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، وفي لا يخلد في النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾، وفي أطول مدة يمكثها الموحد في النار، وفي آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

الباب السادس والثمانون: في صفة الجنة، وفي عدد الجنان وأسمائها ودرجاتها، وفي عدد أبوابها وفي أسماء أبوابها وفي سعة أبوابها.

الباب السابع والثمانون: في حائط الجنة وأرضها وترابها وحصبائها وغرفها وبيوتها ومساكنها، وفي الأعمال الموجبة لبناء البيوت فيها.

الباب الثامن والثمانون: في ظل الجنة وأنها لا حر فيها ولا قر ولا شمس ولا قمر، وفي رائحتها، وفي شجرها وفي الأعمال الموجبة لذلك.

الباب التاسع والثمانون: في ثمر الجنة وأكل أهلها وأول طعام يأكله أهلها.

الباب التسعون: في أنهار الجنة وعيونها وشراب أهلها.

الباب الواحد والتسعون: في لباس أهل الجنة، وفي الأعمال الموجبة لذلك وفي حليهم وفرشهم وأرائكهم وسررهم وخيامهم وقيامهم.

الباب الثاني والتسعون: في أزواج أهل الجنة، وفي عدد الأزواج، وفي الأعمال الموجبة للأزواج.

الباب الثالث والتسعون: في جماع أهل الجنة وأن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي.

الباب الرابع والتسعون: في سماع أهل الجنة وغنائهم.

الباب الخامس والتسعون: في آنية الجنة وريحانها، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾، وقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾.

الباب السادس والتسعون: في خدم الجنة والولدان وجبل الجنة ودوابها وظئرها.

الباب السابع والتسعون: في سوق الجنة وزرع أهلها.

الباب الثامن والتسعون: في الوسيلة وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، وفي أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بكتاب.

الباب التاسع والتسعون: فيما يقوله أهل الجنة بعد دخولها وما يقال لهم، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الباب الموفي للمائة: في صفة أهل الجنة وأسنانهم وألوانهم وطولهم وعرضهم وأسمائهم ولسانهم.

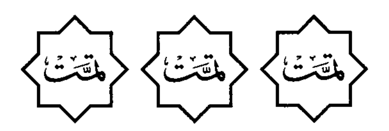
الباب الحادي بعد المائة: في أكثر أهل الجنة وصفوفهم وذكرهم وقواتهم، وفتوى العلماء في الجنة، واحتياج الناس إليهم فيها، وتحسر أهل الجنة على ترك الذكر في الدنيا، وفي لا نوم في الجنة.

الباب الثاني بعد المائة: في زيارة أهل الجنة إخوانهم ومذاكرتهم ما كان منهم في الدنيا، وزيارة الأنبياء وأصحاب الدرجات العلا.

الباب الثالث بعد المائة: في زيارة أهل الجنة ربهم وفي رؤيتهم له.

الباب الرابع بعد المائة: في رؤية الملائكة ربهم ﷻ .

الباب الخامس بعد المائة: فيمن يجرى له أجره بعد موته في قبره. وهو خاتمة الكتاب.



الباب الأول

في العلم وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، [طه: ١١٤].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾، [المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾، [البقرة: ٢٠١]، وهي الجنة؛ قاله الحسن رضي الله عنه.

وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾، [الشعراء: ٨١]، أي بالجهل، ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، أي بالعلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾، [فاطر: ٢٨]، وقال ابن عيينة: ما أعطى الله أحداً بعد النبوة أفضل من العلم.

وقال سهل بن عبدالله رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، [فاطر: ٣٢].

الظالم: الجاهل، والمقتصد: المتعلم، والسابق: العالم.

وقال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين، وألهمه رشده**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧)، ومسلم في الزكاة (٩٨، ١٠٠)، والترمذي (٢٦٤٥)، وابن ماجه (٢٢٠، ٢٢١)، وأحمد بن حنبل (١/ ٣٠٦)، والحاكم (٣/ ١٢٨)، والدارمي (١/ ٧٤).

(٢) انظر ما تقدم قبل هذا، وبلفظه في أحمد بن حنبل (٤/ ٩٣، ٩٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ١٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٠).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهًا إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أُعجب برأيه» (١) .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله مدينة تحت العرش من مسك أزفر، على بابها ملك ينادي كل يوم: ألا من قد زار عالمًا فقد زار الأنبياء، ومن زار الأنبياء فقد زار الرب، ومن زار الرب فله الجنة». ذكره في الفردوس وفي تنبيه الغافلين.

وعن النبي ﷺ : «من زار عالمًا فكأنما زارني، ومن صافح عالمًا فكأنما صافحني، ومن جالس عالمًا فكأنما جالسني، ومن جالسني في الدنيا أجلسه معي يوم القيامة في الجنة» (٢) .

وفي طبقات ابن السبكي: أن أبا محمد الجويني ﷺ كان يقول في قنوت الصبح: اللهم لا تعقنا عن العلم بعائق، ولا تمنعنا عنه بمانع.

ثم قال في الطبقات: لو جاز أن يبعث الله نبيًا لكان الجويني، واسمه عبدالله بن يوسف، توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.

قال الحافظ أبو صالح: لما غسلته وكفنته رأيت يده اليمنى إلى الإبط كلون القمر.

قال الجويني: رأيت إبراهيم ﷺ في المنام فأردت تقبيل رجليه فمنعني من ذلك، فقبلت عقبه، فأولت ذلك أن البركة تكون في عقبي.

قال ابن السبكي: فأي بركة مثل ولده إمام الحرمين، إمام الأئمة على الإطلاق عجمًا وعربًا.

وعن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (٣) .

ثم قال رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير» .

رواه الترمذي (٤) وقال: حديث حسن.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٨)، تاريخ أصبهان لأبي نعيم (٢/ ٣٦٤)، وفي الأسرار المرفوعة (٣٤٥)، وفي تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٢)، وفي تاريخ جرجان للسهمي (١٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب العلم، ما جاء في فضل الفقه على العبادة، والدارمي في سننه (١/ ٧٧)، والشجري في أماليه (١/ ٥٣، ٥٧)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٠١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٦٩).

(٤) قال: حديث غريب، كذا في الأصل الذي بين أيدينا.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (١) . رواه أبو داود والترمذي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة، وطلب العلم يومًا خير من قيام شهر، وطلب العلم -لعله قال:- أسبوعًا خير من قيام ثلاثة أشهر» (٢) .

وعنه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «طلب العلم أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله» .

وعن عبدالرحمن بن عوف ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» (٣) .

وروي أن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط، قيل للعابد: ادخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم: قف ههنا واشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت، فقام مقام الأنبياء» (٤) .

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «رحم الله خلفائي»، قيل: يا رسول الله، وما خلفاؤك؟ قال: «قوم يأتون من بعدي ويروون آثاري وسنتي ويعلمونها للناس».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من زار عالمًا فكأنما زار بيت المقدس محتسبًا ، وحرم الله لحمه وجسده على النار، ومن أدرك مجلس عالم فليس عليه في القيامة شدة ولا حساب» (٥) .

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة يقول الله ﷻ للعابد: ادخل الجنة، فإنما كان منفعتك لنفسك، ويقول للعالم: اشفع تشفع، فإنما كان منفعتك للناس» (٦) .

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء رقم (٣٨)، وأبو داود في سننه (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٤٦)، في العلم، باب فضل العلم، وابن ماجه (٢٢٣، ٢٢٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٨).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٠٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٤٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١١٢)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١١٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٨٣).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٨٦٨٨).

(٥) أخرجه بنحوه في تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٢).

(٦) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٠٧).

وعن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أذل عالمًا بغير حق أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق والمرسلين، ومن أكرم عالمًا أكرمه الله يوم القيامة بكرامة الأنبياء)) (١).

وعن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((من رفع صوته فوق صوت عالم عاقبه الله في الدنيا والآخرة، إلا أن يتوب ويرجع)).

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((نظرة إلى عالم أحب إليّ من عبادة ستين سنة صيام نهارها وقيام ليلها)) (٢). ثم قال: ((لولا العلماء لهلكت أمتي)).

وعن حسان بن عطية ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من خدم عالمًا سبعة أيام فقد خدم الله سبعة آلاف سنة، وأعطاه الله تعالى كل يوم ثواب مائة شهيد)).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء فيقول: إني لم أجمع العلم والحكمة في أجوافكم إلا وأنا أريد بكم خير، يا ملائكتي اشهدوا أني قد قبلت حسناتهم وغفرت ذنوبهم)) (٣).

وعن أحمد بن شعيب (٤) رحمه الله قال: كنت عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا حديث النبي ﷺ: ((إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم)). وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله لأُقطرن غدًا نعلي فأطأ بها أجنحة الملائكة.

قال: ففعل ومشى في النعلين، فجفت رجلاه ووقعت في رجليه جميع الأكلة.

● حكاية:

قال في بستان العارفين للإمام النووي ﷺ: إن رجلاً سمع هذا الحديث فجعل في نعليه مسامير من حديد، وقال: أريد أن أطأ بها أجنحة الملائكة فوقعت الأكلة في رجليه.

وذكر أيضًا عن بعضهم أنه قال: كنا نمشي إلى بعض المحدثين فقال رجل: ارفعوا أقدامكم على أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى يبست رجلاه.

---

(١) أخرجه في تذكرة الموضوعات (٢٣)، وفي الأسرار المرفوعة (٣٢٦).

(٢) أخرجه في الأسرار المرفوعة (٣٧١).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ١٠٧)، وذكره الهندي في كنز العمال (٢٩٣٧٠).

(٤) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبدالرحمن النسائي، ثقة حافظ، مصنف السنن أخرج له مسلم، توفي (٣٠٣). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٣٦)، تقريب التهذيب (١/ ١٦).

وفي شرح العقائد للتفتازاني عن النبي ﷺ : «إذا مر العالم والمتعلم على قرية رفع الله العذاب عن مقبرها أربعين يومًا» .

وقال في ربيع الأبرار عن النبي ﷺ: «زين الله السماء بثلاث: الشمس والقمر والكواكب، وزين الأرض بثلاث: بالعلماء والمطر وسلطان عادل» .

وقال في زهرة الرياض للنسفي: إن أهل الطاعة يأخذون الأكواب من حوض النبي ﷺ إلا أهل العلم فإنه ﷺ يغرف لهم بيديه.

وقال النبي ﷺ[١]: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلام على الأعداء، والدين عند الأخلاء، يرفع به أقوامًا فيجعلهم للخير قادة وأئمة، يقتفى آثارهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتهم تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر، وهوامه، وسباع البر وأنعامه. لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، ويبلغ العبد من العلم منازل الأخيار، والدرجات العليا في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته يعدل القيام ، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام العمل وتابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء» .

وفي بعض نسخ الحدائق لابن القيم، وفي تفسير الرازي أيضًا عن النبي ﷺ : «كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامسة فتهلك»[٢] .

وعن النبي ﷺ: «حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة، وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة».

قيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن؟

قال: «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» .

وعن النبي ﷺ : «من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة، ومن قبل رأس عالم فله بكل شعرة حسنة» .

---

(١) انظر المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٤)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٦٧)، وفي تنزيه الشريعة (١/ ٢٨١).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩١).

وعن النبي ﷺ : «تنزل كل يوم وليلة ألف رحمة تسعمائة وتسعة وتسعون رحمة للعلماء، وطالبي العلم، والرحمة الواحدة لسائر الناس» .

وقال ﷺ : «من جاءه أجله وهو يطلب العلم، لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة» [١] رواه الطبراني.

وفي عيون المجالس: سأل النبي ﷺ جبريل عن صاحب العلم، فقال: «هو سراج أمتك في الدنيا والآخرة، وطوبى لمن عرفهم فأحبهم، والويل لمن أنكر معرفتهم وأبغضهم» .

وفي كتاب الذريعة لابن العماد: وتكفل الله تعالى برزق طالب العلم، والعالم إذا خرج من الدنيا كالقنديل إذا خرج من بيت مظلم.

وقال نجم الدين النسفي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم الله تعالى بالعالم إذا مات.

وحكى في عيون المجالس عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال: سألت أبي[٢]: أي العلم أتعلمه؟ أي على أحد الأقوال.

فقال: أما الشعر فإنه يضع الرفيع ويرفع الخسيس، وأما النحو إذا بلغ صاحبه الغاية فيه صار مؤدبًا، وأما القرآن إذا بلغ فيه صاحبه الغاية صار معلمًا، وأما الفقه فهو سيد العلوم.

● **لطيفة:**

قال في عيون المجالس: العلم ثلاثة أحرف: عين، ولام، وميم.

العين من العلوم، واللام من اللطافة، والميم من الملك، فالعين تجر صاحبها إلى عليين، واللام تصيره لطيفًا، والميم تصيره ملكًا على العباد، ويعطي الله العالم ببركة العين العز، وببركة اللام اللطافة، وببركة الميم المحبة والمهابة.

---

(١) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٨٥)، والمنذري في الترغيب (١/ ٩٦)، والشجري في أماليه (١/ ٥٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٣٦)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ٩٥)، والدارمي في سننه (١/ ١٠٠)، بلفظ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحمي به الإسلام...» .

(٢) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف بن قصي ، الإمام العلم ، أبو عبدالله الشافعي المكي المطلبي الفقيه ، توفي سنة (٢٠٤) ، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٢٠١ – ٢١٠).

● **فائدة:**

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطاه الله المال والملك [١].

وكان ابن عباس يأخذ بركاب زيد بن ثابت [٢] رضي الله عنه ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فيأخذ زيد بيده فيقبلها ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت.

● **موعظة:**

قال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل الذي يعلم ولا يعمل كمثل امرأة زنت سراً فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة.

وقال مالك بن دينار: إذا لم يعمل العالم بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

وقال الأوزاعي [٣] رضي الله عنه: اشتكت النواويس ما تجده من نتن جيف الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه.

● **حكاية في روض الأفكار:**

أن رجلاً سافر سبعمائة فرسخ ليسأل عن سبع كلمات:

الأول: ما ثقل عن السموات، قال: البهتان على البريء.

الثانية: ما أوسع من الأرض؟ قال: الحق.

الثالثة: ما أغنى من البحر؟ قال: القلب الغني بالقناعة.

الرابعة: ما أبرد من الثلج؟ قال: طالب الحاجة من الصديق إذا لم يقضها.

الخامسة: ما أحر من النار؟ قال: الحسد.

السادسة: ما أقسى من الحجر؟ قال: قلب الكافر.

السابعة: ما أذل من اليتيم؟ قال: النمام عند المقابلة.

---

(١) أخرجه ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٦٥)، وذكره الهندي في كنز العمال (٢٨٧٨٣، ٢٨٩١٠).

(٢) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: وقال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن ابن عباس: إنه قدم إلى زيد بن ثابت فأخذ له بركابه فقال: تنح يا ابن عم رسول الله، قال: إنا هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٥١-٦٠).

(٣) هو عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمر الشامي الأوزاعي الفقيه الدمشقي، الهمذاني، ثقة، جليل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٥٧، ١٥٨، ١٥٩)، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، تقريب التهذيب (١/ ٤٩٣)، الكاشف (٢/ ١٧٩)، التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٦).

● **فائدة:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم أبدانهم وأطل أعمارهم»[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون على الذين يعلمون الناس الخير»[٢].

وروى الترمذي مثله، وزاد: «حتى النملة في جحرها». وقال: حديث حسن صحيح.

وقال النبي ﷺ: «أخبرني جبريل أن فضل المتعلم على سائر الناس كفضل أبي بكر على سائر أمتي، وكفضل جبريل على سائر الملائكة».

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفس محمد بيده، ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى له مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض، والأرض تستغفر له»[٣].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من خاض في العلم يوم الجمعة فكأنما أعتق ألف رقبة، وكأنما تصدق بألف دينار، وكأنما حج أربعين حجة، وهو في رضوان الله وعفوه ومغفرته»[٤].

وقال النبي ﷺ: «من أغبرت قدماه في طلب العلم حرم الله جسده على النار واستغفر له ملكاه، وإن مات في طلبه مات شهيدًا، وكان في قبره روضة من رياض الجنة، ويوسع له في قبره مد بصره، وينور على جيرانه أربعين قبرًا عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين خلفه وأربعين أمامه»[٥].

● **فائدة:**

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله ونفعنا به في الدنيا والآخرة: رأيت رب العزة في المنام تسعة وتسعين مرة، فقلت: لئن رأيته تمام المائة لأسألنه عما ينجو به الخلائق منه يوم القيامة، فرأيته فجلست بين يديه فقلت: أي رب عز سلطانك وعظم شانك سألتك بك إلا

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، عن أبي أمامة.

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٠), وقال: قال ابن حجر نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع، وانظر الحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/ ٩٥).

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٤)، والسيوطي في الحاوي للفتاوى (٢/ ٩٥).

(٥) السيوطي في الحاوي للفتاوى (٢/ ٩٥).

علمتني ما ينجو به الخلائق منك يوم القيامة؟ قال: يا أبا حنيفة: من كان قائلاً حين يأوي إلى فراشه وحين يقوم منه: سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان رافع السماء بلا عمد، سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم علمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم»(١).

وعن أبي سلمة الحمصي ﷺ قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «العلم»، ثلاث مرات. قال: سألتك عن العمل ولم أسألك عن العلم. فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل»(٢).

وقال أبو الليث رحمه الله: سمعت الفقيه أبا جعفر يذكر بإسناده أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين، أحد المجلسين يذكرون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه. فقال رسول الله ﷺ(٣): «كلا المجلسين في خير، وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلمًا، فهؤلاء أفضل»، ثم جلس معهم.

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله، ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله، وإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبو قبيس ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله تعالى»(٤).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من تفقه في دين الله كفاه الله، ورزقه من حيث لا يحتسب»(٥). وعن النبي ﷺ أنه قال: «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أتى عليّ يومًا لم أزدد فيه علمًا يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم»(٦).

---

(١) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٦٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٤٦)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ١٩٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٨٥)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٠٣).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٥٦٨)، والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٢٧).

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٠)، والشجري في أماليه (١/ ٤٣)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٠٧٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥٨)، والقرطبي في تفسيره (١/ ١٨).

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ٤٥)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٧)، وفي تنزيه الشريعة (١/ ٢٧١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٧).

(٦) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٥٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٠٩).

وفي روض الأفكار: عن النبي ﷺ أنه قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء، ثم الشهداء» .

وذكر الإمام العالم العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله : أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يوم القيامة على المنابر، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم صغار دونهم، ومنبر كل رسول على قدره، والعلماء العاملون على كراسي من نور، والشهداء الصالحون كقراء القرآن والمؤذنين على كثبان من مسك.

وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح صلوات الله وسلامه عليهما حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قال القرطبي رحمه الله في تذكرته: وفي الحديث الصحيح: «إن أول ما يقضي الله تبارك وتعالى فيه الدماء[(١)]».

وإن أول ما يعطي الله أجورهم الذين ذهبت أبصارهم، ينادى يوم القيامة بالمكفوفين فيقال لهم: أنتم أحرى -أي أحق- من ينظر إلينا، ثم يستحي الله تعالى منهم ويقول لهم: اذهبوا إلى ذات اليمين، ويعقد لهم راية، وتجعل بين يدي نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام، ويسير أمامهم ومعهم ملائكة النور ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، يزفونهم كما تزف العروس، فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف. وصفة أحدهم: الصبر والعلم والحلم، كابن عباس رضي الله عنهما ومن ضاهاه من هذه الأمة.

ثم ينادى أهل البلاء يريدون المجذومين، فيؤتى بهم فيحييهم الله بتحية طيبة بالغة فيأمر بهم إلى ذات اليمين، وتعقد لهم راية خضراء، وتجعل بيد أيوب نبي الله عليه الصلاة والسلام، ويسير أمامهم إلى ذات اليمين.

وصفة المبتلى: صبر وحلم، كعقيل بن أبي طالب[(٢)] رضي الله عنه ، ومن ضاهاه من هذه الأمة.

ثم ينادى: أين الشباب المفتون، فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيرحب بهم ويقول: ما شاء الله أن يقول، ثم يأمر إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء، ثم تجعل في يد يوسف عليه السلام ، ويسير أمامهم إلى ذات اليمين.

---

(١) أخرجه البخاري في الديات في فاتحته، ومسلم في القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة ، والترمذي في سننه (١٣٩٦، ١٣٩٧)، كتاب الديات، باب الحكم في الدماء، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

(٢) عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي، أبو يزيد، ويقال: أبو عيسى، كان أكبر من جعفر وعلي، أسلم وشهد مؤتة، توفي في خلافة معاوية، وله أحاديث عن النبي ﷺ، وكان علاّمة بالنسب وأيام العرب. انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٤١- ٥٠).

وصفة الشباب: صبر وعلم وحكم، كراشد بن سليمان رحمه الله، ومن ضاهاه من هذه الأمة.

ثم يخرج النداء: أين المتحابون في الله، فيؤتى بهم إلى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ما شاء الله أن يقول، ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين.

وصفة المتحاب في الله: صبر وعلم وحلم، فلا يسخط ولا يسيئ كأبي تراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، ومن ضاهاه من هذه الأمة.

ثم يخرج النداء: أين البكاءون؟ فيؤتى بهم إلى الله تعالى، فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء، فيرجح الدمع فيؤمر بهم إلى ذات اليمين، وتعقد لهم راية ملونة لأنهم بكوا في ألوان مختلفة، هذا بكاء خوفًا ، وهذا بكاء طمعًا، وهذا بكاء ندمًا، وتجعل بيد نوح عليه الصلاة والسلام.

فيهمُّ العلماء بالتقدم عليهم ويقولون: علمنا أبكاهم، فإذا النداء على رسلك يا نوح، فتقف الزمرة، ثم يوزن مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح دم الشهداء، فيأمر بهم إلى ذات اليمين، وتعقد لهم راية من عفرة وتجعل في يد يحيى عليه الصلاة والسلام، ثم ينطلق أمامهم.

فيهمُّ العلماء بالتقدم عليهم ويقولون: بعلمنا قاتلوا فنحن أحق بالتقدم، فيضحك لهم الجليل جل جلاله ويقول لهم: أنتم عندي كأنبياء بني إسرائيل، اشفعوا فيما تشاءون، فيشفع العالم في جيرانه وإخوانه، ويوكل بكل واحد منهم ملكًا ينادي في النار: ألا إن فلانًا العالم قد أمر أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة حين جاع أو سقاه شربة ماء حين عطش، فليقم إليه فإنه يشفع له.

قال القرطبي أيضًا: وفي الصحيح: ((أول ما يشفع المرسلون، ثم النبيون[1]، ثم العلماء، وتعقد لهم راية بيضاء، وتجعل بيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فإنه أشد المرسلين مكاشفة، ثم ينادى: أين الفقراء؟، فيؤتى بهم إلى الله ﷻ، فيقول لهم : مرحبًا بمن كانت الدنيا سجنهم، ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين، وتعقد لهم راية صفراء، وتجعل في يد عيسى عليه الصلاة والسلام، ويسير بهم أمامهم إلى ذات اليمين. ثم ينادى: أين الأغنياء، فيؤتى بهم إلى الله ﷻ فيعد عليهم، يعني النعم خمسمائة عام، ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ويسير أمامهم في ذات اليمين)).

---

(١) روى الشجري في أماليه (١/ ٥٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٨١)، بلفظ: ((أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم الشهداء ....)) الحديث.

وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «امرئ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»[١].

وقال القرطبي: فعلى هذا من كان إمامًا ورأسًا في أمر فله لواء يعرف به خيرًا كان أو شرًا، وقد يجوز أن يكون للصالحين ألوية يعرفون بها إكرامًا لهم، والله أعلم.

وروي عن القاسم رحمه الله أنه قال: قال ابن مسعود ﷺ: «**منهومان لا يشبعان: طالب العلم، وطالب الدنيا، وهما لا يستويان، أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان**» ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[٢].

ثم قرأ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.

وعن ابن المبارك رحمه الله أنه قيل له: لو أن الله تبارك وتعالى أوفى إليك أنك ميت العشية، ما أنت صانع اليوم؟ قال: أطلب فيه العلم.

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال: لا يزال الفقيه في صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا تلقاه إلا وذكر الله على لسانه، يحلل حلالاً ويحرم حرامًا.

وروى المسيب، عن أبي بكر، عن عون بن عبدالله[٣] رحمه الله قال: جاء رجل إلى أبي ذر الغفاري ﷺ فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به، قال: إنك إن تتوسد بالعلم خير من أن تتوسد بالجهل. ثم ذهب إلى أبي الدرداء ﷺ فقال له مثل ذلك، ثم قال أبو الدرداء ﷺ: إن الناس يبعثون على ما ماتوا عليه، يبعث العالم عالمًا، ويبعث الجاهل جاهلاً.

● لطيفة:

قال رجل: يا رسول الله أريد منك ناقة أركبها وشاة أحلبها، فقال له[٤]: «**عجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل**» فقال: «**إن موسى لما خرج ببني إسرائيل أظلم عليهم القمر، فقال: ما**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٣٠، ١٣١)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٥٨)، (٢/ ٣١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٨٦، ٨٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٩٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٢٣)، والشجري في أماليه (٢/ ١٦٦)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٧١١)، العراقي في المغني (٣/ ٢٣٢).

(٣) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أبو عبدالله الهذلي الكوفي النهدي، ثقة عابد، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٢٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ١٧١)، تقريب التهذيب (٢/ ٩٠)، الكاشف (٢/ ٣٥٨)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٣)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢٧٢)، ثقات (٥/ ٢٦٣)، الحلية (٤/ ٢٤٠)، سير الأعلام (٥/ ١٠٣)، تراجم الأحبار (٣/ ١٣٦).

(٤) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٣/ ١٠٨).

هذا. فقال العلماء: إن يوسف أخذ علينا العهد أن لا نخرج من مصر إلا بجسده، فقال موسى: أيكم يعلم قبره؟ قالوا: عجوز نسألها عن ذلك. فقالت: لا أفعل حتى تعطيني حكمي. قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة)) .

● قال مؤلفه رحمه الله تعالى:

آدم عليه السلام علّم الأسماء، فحصل له الشرف عند الملائكة، وسليمان عليه السلام علّم منطق الطير والفهم، فوجد المملكة. والهدهد كان يعلم موضع الماء، فحصل له الشرف عند الطيور، فكان يقول لسليمان: يا نبي الله، الماء هاهنا فينزل في ذلك المكان، فإذا حفروا وجدوا الماء. ويوسف عليه السلام علم الرؤيا فوجد النجاة من السجن. وهذه العجوز أفادها علمها بقبر يوسف أن تكون في الجنة مع موسى ﷺ ، فكان الله تعالى يقول: وأنت يا مؤمن علمت التوحيد أفلا تجد الجنة، وكذلك المؤمن إذا استفاد علمًا ظهر شرفه على غيره. قال النبي ﷺ : ((من صلى خلف عالم فكأنما صلى خلف نبي)) .

وفي رواية: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: صلاة المصلي يصليها خلف العالم تكون له أربعة آلاف صلاة، وأربعمائة صلاة، وأربعة وأربعون صلاة [١] .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((رحمة الله على خلفائي))، قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟، قال: ((الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله، ومن حضره الموت، وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، فبينه وبين الأنبياء درجة، وجلوس ساعة عند عالم أحب إلى الله وأفضل عنده من عبادة سبعين سنة، لا يعصى فيها طرفة عين)) [٢]. نقل ذلك عن أنس المنقطعين.

وعنه ﷺ : ((من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله، ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره والقائم ليله، فإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهبًا له ينفقه في سبيل الله))[٣].

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط. ذكره كله الرازي في تفسيره.

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٧)، وقال العجلوني: قال في المقاصد: هو باطل كما قال شيخنا، وروى الديلمي عن البزار رفعه بلفظ: ((الصلاة خلف رجل ورع مقبولة)) , وقال النجم: وتمامه : ((والهداية إلى رجل ورع مقبولة، والجلوس مع رجل ورع من العبادة، والمذاكرة معه صدقة)) ، وقال القاري: هو باطل على ما في المختصر. ورواه القاري في الأسرار المرفوعة (٢٣٣)، وهو في تذكرة الموضوعات للفتني (٢٠).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥٨)، في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، عن ابن عمر، ولفظه: ((من طلب العلم لغير الله، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)) ، والقرطبي في تفسيره (١/ ١٨).

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال لعلي ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»(١). رواه البخاري ومسلم.

وروى أبو القاسم بإسناده عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع**»(٢)، ثم جمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام هكذا، ثم قال: «**العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد**».

قال أبو زكريا رحمه الله: فالعالم والمتعلم شريكان في الأجر، كما أن الداعي والمؤمن في الدعاء شريكان.

وبإسناده عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلم علمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم**»(٣).

وروى أبو الفرج البرجي بإسناده عن أبي سلمة الحمصي قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟

قال: «**العلم**»، ثلاث مرات.

قال: سألتك عن العمل، ولم أسألك عن العلم.

فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل**»(٤).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ(٥): «**يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة، ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء، إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، انطلقوا فقد غفرت لكم**».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٨، ٧٣)، ومسلم في صحيحه (٣٤، ٢٤٠٦)، كتاب فضائل الصحابة، ٤-باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، وفي رقم (٣٥-٢٤٠٧) أيضًا. وقال النووي: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٨)، في المقدمة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢١٢)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٥٦٨)، بلفظ: «عمل قليل في سنة خير...»، والقاضي عياض في الشفا: (٢/ ٢٧).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٠).

له بكل قدم عبادة ألف سنة، ويبنى له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض، والأرض تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفور له، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار»[١].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الناس: المؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه نفع، وإذا استغني عنه أغنى نفسه -يعني عن الناس»[٢].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من تفقه في دين الله تعالى كفاه الله تعالى، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣].

وعن النبي ﷺ قال: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم». وعن النبي ﷺ أنه قال: «العالم أمين الله في الأرض»[٤]. ويروى عنه ﷺ أنه قال: «إذا أتى علي يوم لم أزدد فيه علمًا يقربني إلى الله ﷻ، فلا بورك لي من طلوع الشمس ذلك اليوم»[٥].

وفي آخر حديث طويل يقول: «اشفعوا فيمن تشاءون، فيشفع العالم في جيرانه وإخوانه ويأمر لكل واحد منهم ملكًا ينادي في الناس: ألا إن فلانًا العامل قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة حين جاع، أو سقاه شربة ماء حين عطش، فليقم إليه فإنه يشفع له».

● **لطيفة:**

قال رجل لابن سيرين[٦] رحمه الله: رأيت كأن الحمام يأكل الياسمين، فقال: الحمام هو الموت والياسمين هم العلماء. فمات في ذلك اليوم عشرين عالمًا.

● **فائدة:**

اعلم أن شم الياسمين يقوي القلب وينفع الصداع البارد، والنزلات الباردة، وإذا دلك به الكلف قلعه.

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٠)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٥).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٣)، والعراقي في المغني (١/ ٦).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٢٨).

(٤) أخرجه عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٧).

(٥) ذكره الزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٨)، والعراقي في المغني (١/ ٧).

(٦) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري البصري العابد الأنسي، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، أخرج له الستة، توفي سنة (١١٠). انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١٦٩)، الكاشف (٣/ ٥١)، سير الأعلام (٤/ ٦٠٦)، التاريخ الكبير (١/ ٩٠)، الجرح والتعديل (٧/ ١٥١٨).

وقال رجل آخر: رأيت أني أعلق الدر في أعناق الخنازير. فقال ابن سيرين: أنت تعلم العلم لغير أهله.

وروى ابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، ووضعه عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب**»[(١)] .

وقال رجل آخر: رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون. فقال: أنت تنكح أمك، فإذا هو كما قال، وذلك أن الرجل اشترى من الروم امرأة استرقوها، فإذا هي أمه.

وأرسل إليه الإمام أبو حنيفة رحمه الله عمن رأى كأنه يحفر قبر النبي ﷺ . فقال ابن سيرين: من يكون أعلم الناس في زمانه ، وكان أبو حنيفة هو الرائي.

قال العلائي في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾: لم يكن هذا النهي بطريق الوحي من الله، بل باجتهاد من يعقوب عليه السلام ورأي. وفي ذلك رد على من أنكر على أبو حنيفة [(٢)] رحمه الله؛ لأنه من أهل الرأي، وإن الطعن فيه كالطعن في يعقوب عليه السلام .

● حكاية:

تناظر ملكان في السماء فقال أحدهما: السماء خير من الأرض؛ لأن العرش فيها. وقال الآخر: الأرض خير من السماء لأن الكعبة فيها.

فتحاكما إلى جبريل عليه السلام فقال: إن الله لم يخلق الكعبة للبقاء ولا العرش للاتكاء، قد كان الله ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا كعبة.

فجاء ميكائيل عليه السلام فقال: أبشروا قد كتبت أسماؤكم في جملة العلماء من أمة محمد ﷺ، فسجد الملكان إلى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد: ارفعوا رءوسكم فقد قامت الساعة وقد كتب الله سجودكما لعلماء أمة محمد ﷺ ، فرفعوا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، في المقدمة (١٧)، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، عن أنس. وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان، وقال السيوطي: سئل الشيخ محي الدين النووي رحمه الله عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي سنداً وإن كان صحيحًا ، أي معنى، وقال تلميذه المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ درجة الحسن، وهو كما قال، فإني رأيت له خمسين طريقًا وقد جمعتها في جزء، انتهى كلام الإمام السيوطي. وأخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٥)، وابن حجر في المطالب (٣٠٦٥)، والمنذري في الترغيب (١/ ٩٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٦).

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، أبو حنيفة التيمي الكوفي الخزاز، فقيه مشهور، أحد أئمة المذاهب الأربعة، أخرج له الترمذي والنسائي، توفي سنة (١٥٠، ١٥١، ١٥٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٤٩)، التقريب (٢/ ٣٠٣)، الكاشف (٣/ ٢٠٥)، التاريخ الكبير (٨/ ٨١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦٥).

فتقول الملائكة: ربنا ونحن نجعل ثواب طاعتنا لأمة محمد ﷺ، فيقول الله تعالى: يا رضوان اقسم عبادة الملائكة على علماء أمة محمد، واقسم الجنة عليهم كذلك، فيقول رضوان: يا محمد، اجمع العلماء، فيقول: أمتي كلها، فيقول الله : صدق، كل من شهد لي بالوحدانية فهو عالم، ثم قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾، الآية.

● **فائدة:**

فقهاء المدينة سبعة: عبدالله بن مسعود، وعروة بن الزبير[١]، وقاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق[٢]، وسعيد بن المسيب، وخارجة بن زيد بن ثابت الفرضي الصحابي[٣]، وسليمان بن يسار[٤]، والسابع قيل: سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل: أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام. وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

فخذهم عبدالله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

● **فائدة:**

قال بعض العلماء: من كتب أسماء فقهاء المدينة السبعة في رقعة وألقاها في جب لم يسوس.

● **لطيفة:**

حضر الإمام أبو حنيفة رحمه الله في درس الإمام مالك رحمه الله ولم يعرفه. فألقى الإمام مالك سؤالاً على أصحابه، فأجابه أبو حنيفة رحمه الله، فقال: من أين الرجل؟ فقال: من العراق. قال: بلد النفاق والشقاق.

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، أبو عبدالله الأسدي، المدني، ثقة، فقيه مشهور، أخرج له الستة، توفي سنة (٩٤، ٩٥، ٩٩)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١٩)، الكاشف (٢/ ٢٦٢)، التاريخ الكبير (٧/ ٣١)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠٧)، سير الأعلام (٤/ ٤٤١).

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أبو عبدالرحمن التيمي، المدني القرشي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة ، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، أخرج له الستة، توفي سنة (١٠١، ١٠٢، ١٠٦). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٣)، تقريب التهذيب (٢/ ١٢٠)، الكاشف (٢/ ٣٩٣)، سير الأعلام (٥/ ٥٣)، التاريخ الكبير (٧/ ١٥٧)، الثقات (٥/ ٣٠٢).

(٣) خارجة بن زيد بن ثابت، أبو زيد الأنصاري النجاري المدني، ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٩، ١٠٠). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٧٤)، تقريب التهذيب (١/ ٢١٠)، الكاشف (١/ ٢٦٥)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٠٤)، التاريخ الصغير (١/ ٤٢، ٢١٥)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٧٤)، أسد الغابة (٢/ ٨٥)، الإصابة (٢/ ٢٢٣)، سير الأعلام (٤/ ٤٣٧ - ٤٤١)، الأعلام (٢/ ٢٩٣)، الثقات (٤/ ٢١١).

(٤) سليمان بن يسار، أبو أيوب، أبو عبد الرحمن الهلالي المدني، مولى ميمونة، وقيل: أم سلمة، ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة، أخرج له: الستة، توفي (٩٤، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧) . انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٤/٢٢٨)، الكاشف (١/ ٤٠٢)، التاريخ الكبير (٤/ ٤١).

فقال أبو حنيفة: أتأذن لي أن أقرأ شيئًا من القرآن؟ قال: نعم، فقرأ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ [العراق] مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، فقال الإمام مالك: ما قال الله تعالى هكذا.

فقال أبو حنيفة: كيف قال؟

قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ [التوبة: ١٠١].

فقال أبو حنيفة: الحمد لله، حكمت على نفسك، ووثب من مجلسه، فلما عرفه أكرمه رحمهما الله تعالى.

قال الإمام الرازي: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: أي ثبتوا وصبروا عليه، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: بالأمراض في الدنيا، وبالنار في الآخرة.

● **فائدة:**

مرض أبو يوسف[١]، فقال أبو حنيفة: إن مات هذا الرجل ذهب علم كثير، فلما عافاه الله تعالى وبلغه ما قال أبو حنيفة، اعتزل وحده كأنه استغنى عن أبي حنيفة، فعرف أبو حنيفة ذلك فقال لرجل: قل له: ما تقول في رجل رفع ثوبه إلى قصار ليقصره بدرهم مثلاً، ثم جاء ليطلب الثوب فجحده القصار، ثم اعترف به، فهل له أجره؟

إن قال: نعم، أخطأ، وإن قال: لا، أخطأ؛ لأن الصواب: إن كان قصره قبل الجحد فله الأجرة، وإن قصره بعد الجحد فلا.

قلت: والذي يظهر أن الحكم كذلك أنه عند الشافعي، وفي المنهاج للإمام النووي: لو دفع ثوبًا لقصار ليقصره أو لخياط ليخيطه ففعل ولم يذكر أجرة له. وذكر أن أهل البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: العلم أفضل من المال، وقال بعضهم: المال أفضل من العلم، فبعثوا رسولاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن ذلك، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلم أفضل من المال.

فقال الرسول: إن سألوني عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال: قل لهم: إن العلم ميراث الأنبياء[٢] عليهم الصلاة والسلام، والمال ميراث الفراعنة، ولأن العلم يحرسك، وأنت تحرس

---

(١) أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن جيش بن سعد الأنصاري، ولد بالكوفة سنة (١١٣)، وتفقه بالإمام أبي حنيفة حتى صار المقدم في تلامذته، وتفقه به محمد بن الحسن وكان والده فقيراً فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالمائة درهم بعد المائة، يعينه على طلب العلم. وقال محمد بن الحسن: مرض أبو يوسف فعاده أبو حنيفة، فلما خرج قال: إن يمت هذا الفتى فهو أعلم من عليها، وأومأ إلى الأرض، توفي رحمه الله (١٩٨)، انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-٢٠٠).

(٢) وذلك لقوله ﷺ: ((العلماء ورثة الأنبياء)) الذي أخرجه ابن ماجه (٢٢٣)، وابن حجر في: تلخيص الحبير (٣/ ١٦٤).

المال، ولأن العلم لا يعطيه الله سبحانه وتعالى إلا لمن يحبه، والمال يعطيه الله لمن لا يحبه أكثر ممن يعطيه من يحبه؛ ولأن العلم لا ينقص بالبذل والإنفاق، والمال ينقص بالبذل والإنفاق، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، والعالم إذا مات فذكره باق، ولأن صاحب المال يُسئل عن كل درهم من أين اكتسبه، وفي أي شيء أنفقه؟، وصاحب العلم له بكل حديث درجة في الجنة.

وقال الإمام علي كرم الله وجهه:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال أبو الأسود رحمه الله: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: أرفع منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء. وقال الشافعي رحمه الله: من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، وإن رفع عنه حزن.

وقال الزبير بن بكار [١] رحمه الله: كتب إليّ أبي وأنا بالعراق : عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً.

وقد حكي ذلك في وصايا لقمان لابنه، قال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء.

وقال عبدالله بن عبدالحكم [٢] : كنت عند مالك رحمه الله أقرأ عليه العلم فدخل وقت الظهر فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية.

وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس كالبهائم.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: إنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية.

---

(١) الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله، الإمام صاحب النسب، قاضي المدينة، وقيل: مكة، ثقة، أخرج له ابن ماجه ، توفي (٢٥٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٣١٢)، تقريب التهذيب (١/ ٢٥٧)، الكاشف (١/ ٣١٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦)، الوافي بالوفيات (٢/ ٦٦)، سير الأعلام (١٢/ ٣١).

(٢) عبدالله بن الحكم بن أعين بن ليث، أبو محمد المصري، الفقيه، المالكي، صدوق، أنكر عليه ابن معين شيئًا، أخرج له، النسائي، توفي (٢١٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٧)، الكاشف (٢/ ١٠٢)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ١٤٢)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٣٢٨)، الجرح والتعديل (٥/ ٤٨٥)، البداية والنهاية (١/ ٢٦٩)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٣٩).

وقال عمر رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع على ذنوبه، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق على وجه الأرض تكرمة أكرم من مجالس العلماء.

وقيل لبعض الحكماء: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم.

قال: فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء، ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء.

فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال، وجهل الأغنياء لفضل العلم.

وقال بعض علماء السلف: إذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم، والملك في علمائهم.

وقال بعض البلغاء: العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم إلى الحلم، ويصرفهم عن الأذية، ويعطفهم على الرعية، فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستنبطوا أهله.

وأما المال فظل زائل أو عارية مسترجعة.

وليس في كثرته فضيلة، ولو كانت فيه فضيلة لخص الله تعالى به من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله صلوات الله عليهم مع ما خصهم به من كراماته وفضلهم على سائر خلقه فقراء [1] لا يجدون (بلغة) [2] ولا يقدرون على شيء حتى صاروا في الفقر مثلاً. قال الشاعر:

كم كافر بالله أمواله ... تزداد أضعافًا على كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانًا على فقره
(يا لايم) [3] الدرهم وأفعاله ... مشتغلاً يزري على دهره
الدهر مأمور له أمر ... ينصرف الدهر إلى أمره

قوله: يزري، هو بفتح الياء من قوله: زريت عليه إذا عبته.

وقال عبدالله بن المعتز: الجاهل كروض على مزبلة.

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء، فإنك إن لم تعمل بعلمهم أخذت من أخلاقهم، وإن لم تأخذ من أخلاقهم، نزلت الرحمة وأنت فيهم.

---

(١) روى مسلم في صحيحه كتاب الزهد، الترمذي في سننه (٢٣٥٧)، من حديث عائشة قال: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين. وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح. وكذا رواه ابن ماجه في الأطعمة، باب خير البر.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) كذا بالأصل، وأظنها: يا لا ائم.

وحكي: أن أبا العباس بن شريح رحمه الله تعالى رأى في مرضه الذي مات فيه في منامه كأن القيامة قد قامت، والجبار سبحانه وتعالى يقول: ((أين العلماء)) ، فجاءوا ثم قال: ((ماذا عملتم؟)) ، فقالوا: يا رب قصرنا وأسأنا.

فقال أبو العباس رحمه الله: فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب، فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه. فقال: ((اذهبوا فقد غفرت لكم)). ومات أبو العباس رحمه الله بعد هذا المنام بثلاثة أيام.

وقال وهب بن منبه [1] رحمه الله: التزم داود عليه السلام العبادة وفارق الناس، فأوحى الله إليه: يا داود، اخرج إلى الناس وعلمهم العلم، فإن ذلك أفضل من الدنيا وما فيها، وإن الله قد أعطى محمد ﷺ كل شيء، ولم يأمره بطلب الزيادة، وأعطاه العلم وأمره بطلب الزيادة. فقال الله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وقال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله: إذا أردت أن تعذب عاملاً فاقرن به جاهلاً.

ويروى أن العلم والظلم ينبتان بالمدن إلى القرى.

● **مسألة:**

إذا أُسر عالم وجاهل ولم تقدر إلا على خلاص واحد، خلصنا الجاهل لأننا نخاف عليه الافتتان، بخلاف العالم. ولو دخل عامي وعالم الحمام ولم يوجد إلا سترة واحدة، فالعالم أحق بها حتى لا ينظر العامي إلى عورة العالم، ولأن العالم نظره مكفوف بعلمه.

وفي البدور السافرة وروض الأفكار: قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: إن أهل العلم يحتاج إليهم في الجنة كما يحتاج إليهم في الدنيا. قيل: كيف يحتاج إليهم في الجنة؟.

قال: قال تعالى لأهل الجنة: ((تمنوا))، فلا يدرون ما يطلبون، فيقولون: نرجع إلى أهل العلم فنسألهم، فيقولون: تمنوا النظر إلى وجهه الكريم. فيكون ذلك مكرمة من الله عز وجل لأهل العلم.

***

---

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز، أبو عبدالله اليماني، الصنعاني الذماري، ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن، توفي (١١٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٣٩)، الكاشف (٣/ ٢٤٥)،تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١٦٤) ، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٣٥٢) ، الجرح والتعديل (٩/ ١١٠)، لسان الميزان (٧/ ٤٢٨)، سير الأعلام (٤/ ٥٥٤)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٤)، ثقات (٥/ ٤٨٧)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٣).

الباب الثاني

يذكر فيه آفة العلماء وما يبدو لأهل العلم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، [البقرة: ٤٤]. وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، [الصف:٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علمًا لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها[1]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فائدة: قال الثعلبي رحمه الله: العرض بفتح الراء: متاع الحياة الدنيا، والعرض بجزم الراء: ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير.

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم لغير الله فليتبوأ مقعده من النار**»[2].

وروى ابن أبي عاصم رحمه الله بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء وليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار**»[3]. وبإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم فيدور بقصبه**».

قال: قلت: وما القصبة؟

قال: «**أمعاؤه، كما يدور الحمار بالرحى، فيقال له: ويلك بما لقيت هذا، وإنما اهتدينا بك، قال: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٦٤)، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، عن أبي هريرة، وابن ماجه (٢٥٢)، المقدمة، ٢٣-باب الانتفاع بالعلم والعمل به، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٨)، والمنذري في الترغيب (١/ ١١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٨)، في المقدمة، ٢٣-باب الانتفاع بالعلم والعمل به، عن ابن عمر.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥٣)، في المقدمة، ٢٣-باب الانتفاع بالعلم والعمل به، عن ابن عمر، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٦)، وانظر العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٨١)، وفي تنزيه الشريعة لابن عراق (١/ ٢٥٩).

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٥).

وبإسناده عن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» (١) .

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن ابن بنت الهادي: أنها قالت: أخبرني العباس ابن عبدالمطلب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يظهر الدين حتى تخاض البحار بالخيل، ثم يأتي من بعدكم قوم يقرأون القرآن يقولون: من أعلم منا، من أفقه منا» ، ثم التفت إلى أصحابه فقال: «هل في أولئك خير؟» قالوا: لا. قال: «هم وقود النار» (٢) .

وبإسناده عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبرح قدما ابن آدم بين يدي الله تعالى حتى يسأل عن خمس خصال: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وما عمل فيما علم» (٣) .

وروى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برجلاه، فيطيف به أهل النار، فيقول: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وكنت أنهى عن المنكر وأفعله » (٤) .

وأخرج أبو نعيم من حديث مالك بن دينار رحمه الله، عن ثمامة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقارض من نار، كلما أقرضت وفت. قلت: من هؤلاء؟ قيل: خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون».

وقال ابن المبارك رحمه الله : أخبرنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي (٥) رحمه الله، قال: يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله.

وقال بعض السادة رحمهم الله: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل ملك عبداً فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن، وعصى السيد. فإذا كان يوم القيامة أمر بالعبد إلى

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٧٣، ٨٣)، وابن المبارك في الزهد (١٩٢)، والقرطبي في تفسيره (١/ ١٨)، (٤/ ٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤١٦)، كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة، قال الترمذي: غريب، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٤٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٣٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٢٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٣٩٧، ٤٤٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٩٢).

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الحميري الكوفي الهمداني، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل. أخرج له الستة، توفي سنة (١٠٩، ١٠٥، ١٠٤)، انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧)، الكاشف (٢/ ٥٤)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠)، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٠٢)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٧)، سير الأعلام (٤/ ٢٩٤) ، الثقات (٥/ ١٨٥)، الحلية (٤/ ٣١٠).

الجنة وأمر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه، أما هذا عبدي، أما كنت مالكًا لمهجته وماله وقادر على جميع آماله وأعضاءه. فما له سعيد وما لي شقي. فيناديه الملك الموكل به: لأنه تأدب وما تأدبت، وأحسن وأسأت.

ورجل كسب مالاً فعصى الله في جمعه، ومنعه ولم يقدمه بين يديه، حتى صار إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله في إخراجه وقدمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمرنا بالوارث إلى الجنة، وأمرنا بصاحب المال إلى النار. فيقول: واحسرتاه، واعتباه، أما هذا مالي فما حسنت فيه أحوالي وأعمالي. فيناديه الملك الموكل به: لأنه أطاع الله وما أطعت، وأنفق لوجه الله وما أنفقت، فسعد وشقيت.

ورجل قوّم قومًا ووعظهم، فعملوا بقوله ولم يعمل فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة، وأمر به إلى النار، فيقول: واحسرتاه، واعتباه، ما هذا علمي ، ما لهم فازوا به، وما فزت، وسلموا به وما سلمت. فينادي الملك الموكل به: لأنهم عملوا بما قلت وما عملت، فسعدوا وشقيت[1]. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: ((لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملاً))[2].

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((من ازداد علمًا ولم يزداد زهدًا لم يزدد من الله إلا بعدًا))[3].

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((هلاك أمتي عالم فاجر، وعابد جاهل، وشر الشرار شرار العلماء))[4].

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : ((مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به، كمثل امرأة زنت سرًا فظهر حملها فانفضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد)).

وفي الخبر: ((مما أخاف على أمتي: زلة عالم وجدال منافق في القرآن)) .

وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ماذا يغني عن الأعمى حمل السراج، ويستغني به غيره، وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره، وما يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها.

وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: ما أكثر الأشجار وليس كلها مثمرة تطلب. وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

---

(١) انظر إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١/ ٣٧١).

(٢) ذكره الزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٤٨)، والعراقي في المغني (١/ ٥٨).

(٣) انظر الزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٢٣).

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦٠)، والإتحاف للزبيدي (١/ ٣٦٩).

وعن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أيضًا أنه قال: من علم وعمل فذاك الذي يدعى في ملكوت السموات: عظيمًا.

وعن الأوزاعي رحمه الله أنه قال: من علم وعمل بما يعلم وفق لما لا يعلم.

وقال الفضيل [١] رحمه الله: من عمل بما يعلم كفي ما لا يعلم.

وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: إذا لم يعمل العالم بعلمه يستأنف الجاهل أن يتعلم منه.

وقال الإمام أبو الليث رحمه الله: بلغنا أن رجلاً من بني إسرائيل جمع ثمانين تابوتًا من العلم، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبي من الأنبياء: قل لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لم ينتفع به إلا أن تعمل بهذه الأشياء الثلاثة: أولها: أن لا تحب الدنيا فإنها ليست بدار المؤمنين.

والثاني: أن لا تصاحب السلطان فإنه ليس برفيق المؤمنين.

والثالث: أن لا تؤذي المؤمنين فإنه ليس بحرفة المؤمنين، لأن من آذى مؤمنًا فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة. وكان يقال: يغفر للجاهل سبعون ما لا يغفر للعالم واحدة.

وذكر أن الملائكة يتعجبون من ثلاثة: عالم فاسق يحدث الناس، ومن قبر الفاجر يبنى بالجص والآجر، ومن النعش على جنازة الفاسق. وقال وكيع [٢] رحمه الله: استعينوا على العلم بترك المعاصي، وقال بعض الأدباء شعرًا:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

لأن الحفظ في الإنسان فضل ... وفضل الله لا يؤتى لعاصي

وقال العتابي رحمه الله: يا صاحب العلم اجعل العلم سراجًا لظلمة قلبك، ولا يصعد فوق رأسك تضيء به للناس وتحرق به نفسك، ولا تطفئ نور العلم بظلمة الذنوب فيجلس في الظلمات، يوم نور الصالحين بين أيديهم وبأيمانهم.

وقال أبو عثمان النهدي رحمه الله: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ على منبر رسول الله ﷺ يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافق

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي، اليربوعي، التيمي، الخراساني، ثقة، عابد، إمام، أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٧٨). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١١٣)، الكاشف (٢/ ٣٨٦)، التاريخ الكبير (٧/ ١٢٣)، الجرح والتعديل (٧/ ٤١٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٦١)، الثقات (٧/ ٣١٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)، تاريخ أسماء الثقات (١١٢٤)، شذرات الذهب (١/ ٣١٦).

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرؤاسي الأعور الكوفي، أحد الأعلام، كان رأسًا في العلم والعمل. قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه. وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٩٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣)، تقريب التهذب (٢/ ٣٣١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٣٥)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١٧٩)، الجرح والتعديل (٩/ ١٦٨)، سير الأعلام (٩/ ١٤٠).

عليم، قال: عليم اللسان، جاهل القلب والعمل [١] .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: مثل عالم السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الزرع، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى.

وقال الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار، فأوحى الله ﷻ إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنت فيه [٢] .

وقال الإمام الفضيل رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم قبل عبدة الأوثان. وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين.

قلت: لأن السمن يكون من راحة البدن والقلب والعالم العامل بعلمه ليس له راحة، لما جاء في الخبر: «لا راحة للمؤمن من دون لقاء ربه».

وقام إبراهيم بن يوسف يومًا من المسجد ودخل مسكنه فانتصبت امرأته بين يديه. فقال: كلميني بحاجتك فإني جائع حاقن مصدع. فقالت: ألستم تروون أن النظر إلى وجه العالم عبادة، هذه إرادتي ومسألتي.

فبكي إبراهيم رحمه الله حتى خنقته العبرة وقال: غلطت يا هذه، أولئك الذين كان النظر إلى وجوههم عبادة، قد أضحوا بين أطباق الثرى منذ ثلاثين سنة، وأربعين سنة.

فإذا أردت ذلك فصيري إلى المقابر وتأملي قبر خلف بن أيوب[٣]، وشقيق بن إبراهيم.

وكان راشد بن حكيم رحمه الله يومًا قائمًا في مجلسه فقال: خفضوا عن الشيخ فإنه يوم الجمعة، فقال له قائل: يرحمك الله أليس يقال: النظر إلى وجه العالم عبادة، فاقعد لنا ساعة ننظر في وجهك. فقال : يا هذا ، إن لم تكن لك عبادة غير هذا فما أخف ميزانك.

وقيل لإبراهيم بن عيينة [٤] رحمه الله: أي الناس أطول ندامة، فقال: أما عند الموت فالعالم المفرط، وأما في عاجل الحياة، فصانع المعروف إلى من لا يشكره.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٢) ، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٢) ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٣).

(٢) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢١٨)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٨٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٠).

(٣) خلف بن أيوب، أبو سعيد العامري البلخي، فقيه من أهل الرأي ضعفه يحيى بن معين، ورمي بالإرجاء، أخرج له الترمذي، توفي سنة (٢١٥، ٢٠٥)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ١٤٧) ، تقريب التهذيب (١/ ٢٢٥)، الكاشف (١/ ٢٨٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٩٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١٦٨٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٦٥٩)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٣٥٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤١) ، ضعفاء ابن الجوزي (١/ ٢٥٥)، الثقات (٨/ ٢٢٧).

(٤) إبراهيم بن عيينة بن أبي عمران، أبو إسحاق الهلالي الكوفي، أخو سفيان، صدوق يهم، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٩٧، وقيل ١٩٩). انظر ترجمته في التهذيب (١/ ١٤٩)، التقريب (١١/ ٤١)، الكاشف (١/ ٨٩)، التاريخ الكبير (١/ ٣١٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٦٢)، ميزان الاعتدال (١/ ٥١)، الثقات (٨/ ٥٩)، سير الأعلام (٨/ ٤٧٥).

وقيل: اجتمع العالم العلامة الفضيل رحمه الله ومحمد بن سماك فقال الفضيل: العلم طبيب الدين، والمال داء الدين، فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره.

وحكي أن الحسن رحمه الله تعالى أفتى في مسألة فقال إنسان: إن الفقهاء خالفوك.

فقال: ويحك هل رأيت فقيهًا قط، إنما الفقيه من زهد في الدنيا.

وقال الحسن رحمه الله: الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف: العلماء هم ورثة الأنبياء[١]. والزهاد هم الأدلاء، والغزاة هم أسياف الله، والتجار هم أمناء الله، والملوك هم رعاة الحق. فإذا أصبح العالم طامعًا وللمال جامعًا، فبمن يقتدى، وإذا أصبح الزاهد راغبًا، فبمن يستدل ويهتدى، وإذا أصبح الغازي مرائيًا، والمرائي لا عمل له، فبمن يظفر بالعدو، وإذا كان التاجر ذئبًا فمن يحفظ الغنم ويرجى. والله ما هلك الناس إلا العلماء المداهنون، والزهاد الراغبون، والغزاة المراءون، والتجار الخائنون، والملوك الظالمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ويقال: إذا كان يوم القيامة يتعلق الجهال بالعلماء، ويقولون: قد علمتم فلم تدلونا ولم تنهونا حتى وقعنا فيما وقعنا.

وقيل لحاتم الأصم رحمه الله: ما الذي ثبت أمرك عليه من التوكل على الله؟

قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشتغل به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أن لا أخلو من عين الله ﷻ، فأنا مستح منه.

وروي أن شقيقًا البلخي[٢] رحمه الله قال لحاتم الأصم: ما الذي تعلمت مني منذ صحبتني. فقال: ستة أشياء: الأول: رأيت الناس كلهم في شك من أمر الرزق فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾. فقلت: إني من جملة الدواب فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفل لي به، قال: أحسنت يا حاتم[٣].

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه من حديث طويل في سننه في المقدمة، ١٧-باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، عن أبي الدرداء، وفي آخره: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». وقد تقدم تخريجه في غير ذلك من قبل.

(٢) شقيق البلخي هو أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي الزاهد، أحد الأعلام، صاحب إبراهيم بن أدهم، حدث عن إسرائيل وعبّاد بن كثير، وكثير بن عبدالله الأيلي، وعنه حاتم الأصم وعبدالصمد بن يزيد، ومحمد بن أبان والحسين بن داود وغيرهم، وسئل شقيق: ما علامة التوبة؟ قال: إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف المقلق من الوقوع فيها، وهجران إخوان السوء، وملازمة أهل الخير، توفي رحمه الله في سنة (١٩٤)، تاريخ الإسلام وفيات (١٩١-٢٠٠).

(٣) حاتم الأصم، أبو عبدالرحمن البلخي الزاهد، الناطق بالحكمة، له كلام عجيب في الزهد والوعظ، وكان يقال له: لقمان هذه الأمة، صحب شقيق البلخي، وتأدب بآدابه، روى عنه : عبدالله بن سهل الرازي ، وأحمد بن خضرويه البلخي الزاهد، ومحمد ابن فارس البلخي، توفي سنة (٢٣٧)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣١-٢٤٠).

والثاني: رأيت أن كل إنسان له صديقًا يفشي إليه سره، ويشكو إليه أمره، فاتخذت صديقًا يكون لي بعد الموت، وهو فعل الخير فصادقته ليكون لي عونًا عند الحساب، ويجوز معي على الصراط، ويثبتني بين يدي الله تعالى.

قال: أحسنت.

قال حاتم: والثالث: رأيت لكل أحد من الناس عدوًا فقلت: أنظر عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله ﷻ أمرني بمعصيته، فعلمت أن ذلك إبليس وجنوده فاتخذتهم أعداء، ووضعت الحرب بيني وبينهم، وأوترت قوسي، وقومت سهمي فلا أدع أحدًا يقربني.

قال: أحسنت.

قال حاتم رحمه الله : والرابع: رأيت كل أحد من الناس له طالب يطلبه، فرأيت أن ذلك الطالب هو ملك الموت، ففزعت نفسي له حتى إذا فاجئني بادرت معه بلا علاقة.

فقال: أحسنت.

قال حاتم رحمه الله: والخامس: نظرت في هذا الخلق فأحببت واحدًا وأبغضت واحدًا، فالذي أحببته لم يعطني شيئًا، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئًا، فقلت: من أين أتيت؟ فنظرت فإذا هو الحسد، فنفيته عني، وأحببت الناس كلهم، فكل شيء ما رضيته لنفسي لم أرضه لهم.

قال: أحسنت.

قال حاتم رحمه الله: والسادس: رأيت كل أحد من الناس له بيت يسكنه ويأوي إليه، فرأيت مسكني القبر، فكل شيء قدرت عليه قدمته لنفسي حتى أعمر قبري، فإن البيت إذا كان خرابًا لم يمكن المقام فيه.

فقال له شقيق رحمه الله: أحسنت، يكفيك هذا ولست تحتاج إلى غيره.

● **فائدة حسنة:**

قيل: إن حاتمًا رحمه الله لم يكن أصم، وإنما جاءته امرأة فسألته عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح في تلك الخلاء فخجلت. فقال لها حاتم [1] رحمه الله: ارفعي صوتك، وأراها من نفسه أنه أصم.

---

(١) من أقواله : الرياء على ثلاثة أوجه: وجه في الباطن، ووجهان في الظاهر، فأما الظاهر فالإسراف والفساد، فإذا رأيتهما فاحكم بأن هذا رياء، إذ لا يجوز في الدين الإسراف والفساد، وإذا رأيت الرجل يصوم ويتصدق فإنه لا يجوز لك أن تحكم عليه بالرياء، فإنه لا يعلم هذا إلا الله، ولا أدري أيهما أشد على الناس أنفًا العجب أو الرياء، والعجب داخل فيك، والرياء خارج عليك، مثل كلب عقور في البيت، فأيهما أشد عليك؟ تاريخ الإسلام وفيات (٢٣١ – ٢٤٠).

فرحت المرأة بذلك وقالت في نفسها : إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الأصم رحمه الله.

وقيل: أوصى الله تبارك وتعالى إلى داود ﷺ : يا داود عظ نفسك، وإلا فاستحيي من أن تعظ الناس.

وحكي أن محمد بن السماك رحمه الله تعالى وعظ الناس يومًا فأعجبه وعظه، فلما انصرف إلى منزله ونام سمع قائلاً يقول له شعرًا:

يا أيها الرجـل المعلـم غـــيره ... هلا لنفسك كان ذا التعلـــيم
تصف الدواء من السقام لذي الضـنا ... ومن الضنى والداء أنت سقـــيم
وأراك تلقـــح بالرشـاد عقولـــنا ... صفة وأنت من الرشاد عديـــم
ابدأ بنفسك فانههـا عـن غيـــها ... فإذا انتهيت عنه فأنت حكـــيم
لا تنه عـن خلـــق وتأتي مثلـــه ... عار عليك إذا فعلـت عظـــيم

قال: فلما استيقظ حلف أن لا يعظ شهرًا.

وحكي عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحات فكان يخلو في بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم، فبينما هو في البستان رأى رجلاً يتخلل الشجر فقال: من أذن لهذا؟

وجاء الرجل فجلس أمامه وقال: ما ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أنه له مانع يدفع عنه؟ فقال: يتلوم له الحاكم بقدر ما يرى.

فقال السائل: قد ضرب له الحاكم فلم يأت بمنفعة له، ولا أقلع عن اللدد والمدافعة. قال: يقتضى عليه قال: فإن الحاكم يترفق به وأمهله خمسين سنة.

فأطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه، وذهب السائل، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل فقال البواب: ما دخل عليكم ولا خرج من عندكم أحد، فقال لأصحابه: انصرفوا، فما كان يُرى بعد إلا في مجلس يذكر فيه العلم.

وقيل: كان لموسى بن عمران كليم الله عليه الصلاة والسلام رفيق، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب ازرق رفيقي حلاوة معرفتك ليزداد لي حبًا، ومني قربًا. قال: فرزقه الله ذلك فترك موسى وذهب. فقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب سألتك أن تذيقه حلاوة معرفتك ليزداد لي حبًا ومني قربًا، فلما رزقته هرب مني.

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، إني لا أعطي أحد حلاوة معرفتي فيستأنس بشيء دوني.

***

الباب الثالث

في فضل البسملة وما فيها من الثواب العظيم والأجر الجسيم وفي الحمد بعدها

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، [الأنعام: ١١٨، ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾، [الأنعام : ١٢١]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، [هود:٤١].

وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن محمد المقري قال: أجمع علماء كل أمة أن الله تبارك وتعالى افتتح كل كتاب أنزله بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ولما أوحى الله تعالى إلى آدم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: يا جبريل ما هذا الاسم الذي قامت به السموات والأرض، وأجري به الماء وأرسي به الجبال، وثبت في الأرض وقوى به أفئدة المخلوقين.

وأول ما قال الله للقلم: اكتب، فقال: يا رب، ما أكتب؟ قال: اكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1] ، فاهتز القلم لذلك.

وكذلك لما كتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على العرش اهتز العرش.

وقال كعب الأحبار[2] : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في التوراة ثلاثة آلاف موضع.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ : كل ملك في السموات والأرض يفتتح عبادته بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في اليوم والليلة أربعين ألف ألف مرة، وكلما قالها خفف الله عنه ما هو حامله.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٦٨)، والبيهقي (٩/ ٢٢٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (٩٧٢٠)، وفي رواية في السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٨): ((أول ما خلق الله القلم...))، وفي الحلية (٧/ ٣١٨) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٤٠).

(٢) كعب الأحبار هو كعب ماتع ، أبو إسحاق الحميري ، ثقة ، أخرج له الستة ، توفي سنة (٣٤) ، وقيل : (٣٢). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٤٣٨)، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٥)، الكاشف (٣/ ٩)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٦٢)، الجرح والتعديل (٧/ ٩٠٦)، لسان الميزان (٤/ ٤٨٨)، تراجم الأحبار (٣/ ٣٠١)، ثقات (٥/ ٣٣٤)، سير الأعلام (٣/ ٤٨٩)، حلية الأولياء (٥/ ٣٦٤)، نسيم الرياض (١/ ١٠٨)، طبقات ابن سعد (٩/ ١٦٣).

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء لكم، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا أكل ولم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» (١) . رواه مسلم.

وعن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك» (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: بسم الله في أوله وآخره» (٣) . رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن حذيفة ﷺ قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فقال رسول الله ﷺ (٤):«إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها»، ثم ذكر اسم الله عليه وأكل. رواه مسلم.

وعن أمية بن مخشي (٥) الصحابي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه لقمة، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٣ – (٢٠١٨)، كتاب الأشربة، ١٣-باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٩٦)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٨٨)، ومسلم في الأشربة (١٠٨-٢٠٢٢)، كتاب الأشربة، ١٣-باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأبو داود والترمذي (٣٧٦٧)، في الأطعمة والترمذي (١٨٥٧)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول لمن يأكل، وفي الكبرى، الوليمة، باب أكل الإنسان مما يليه إذا كان معه من يأكل، وابن ماجه في الأطعمة، باب التسمية عند الطعام، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام، والترمذي (١٨٥٨)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٢ – ٢٠١٧)، كتاب الأشربة، ١٣-باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأبو داود في الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم الحديث (٣٧٦٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٣٨٣)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٥٤٠)، والمنذري في الترغيب (٣/ ١٢٥).

(٥) أمية بن مخشي أو مجتبى، ﷺ أبو عبدالله الخزاعي المدني الأزدي، صحابي، أخرج له أبو داود والنسائي. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٣٧٢)، تقريب التهذيب (١/ ٨٤)، الكاشف (١/ ١٣٩)، الثقات (٣/ ١٥)، الجرح والتعديل (١١١٣) ، جامع الرواة (١/ ١٠٩)، الوافي بالوفيات (٩/ ٣٩٢)، الإكمال (٧/ ٢٢٨)، أعيان الشيعة (٣/ ٤٩٩)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٩)، أسد الغابة (١/ ١٥٠)، الإصابة (١/ ١١٩)، الاستيعاب (١/ ١٠٧).

النبي ﷺ فقال: ((ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه)). رواه أبو داود والنسائي [(١)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: ((أما إنه لو سمى لكفاكم)) [(٢)]. رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

● **فائدة نفيسة تتعلق بهذه الأحاديث من كلام النووي رحمه الله تعالى:**

قوله: ((كأنها تدفع)) : وفي رواية أخرى رواها مسلم: ((كأنها تطرد)) يعني لشدة سرعتها، والتسمية مستحبة في ابتداء الطعام، وهذا مجموع عليه، وكذا يستحب في آخره حمد الله تعالى كما رواه البخاري عن أبي أمامة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: ((الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكف ولا مستغنى عنه ربنا)) [(٣)] .

وعن معاذ بن (جبل)[(٤)] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر الله ما تقدم من ذنبه)). رواه أبو داود والترمذي [(٥)] ، وقال: حديث حسن صحيح.

وكذا يستحب التسمية في أول الشرب، بل في كل أمر ذي بال.

قال العلماء: يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره، وينبهه على التسمية، ولو ترك التسمية في أول الطعام عامدًا أو ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا أو عاجزًا لعارض آخر، ثم تمكن في أثناء أكله منها استحب أن يسمي ويقول: بسم الله أوله وآخره؛ لقوله ﷺ: ((إذا أكل

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٦٨)، كتاب الأطعمه، باب التسمية على الطعام، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٦)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١٠٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٤)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٥٨)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، ومسلم (١٤٩)، في المساجد، وأبو داود (٣٨٤٩)، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، والترمذي (٣٤٥٦)، في الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، وابن ماجه (٣٢٨٤)، والدارمي (٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٩٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٢٨)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٤٣).

(٤) كذا بالأصل وما وجدناه: معاذ بن أنس.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٨٥٠)، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، عن أبي سعيد الخدري، والترمذي (٣٤٥٨)، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، عن معاذ بن أنس. وابن ماجه في الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٣٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٦).

أحدكم فليذكر اسم الله، فإذا نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: بسم الله في أوله وآخره»، رواية أبو داود والترمذي[١] وغيرهما.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والتسمية في شرب الماء واللبن والعسل والمرق والدواء وسائر المشروبات كالتسمية على الطعام في كل ما ذكرناه.

وتحصل السنة بقوله: بسم الله، فإن قال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كان حسنًا، (وسواء)[٢] في استحباب التسمية الجنب والحائض وغيرها، فإن سمى واحد منهم حصل أصل السنة، نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى.

ويستدل له بأن النبي ﷺ أخبر أن الشيطان إنما يتمكن من الطعام إذا لم يذكر اسم الله عليه، وهذا قد ذكر اسم الله عليه، ولأن المقصود يحصل بواحد.

وقوله ﷺ : «**إن يده في يدي مع يدها**» كذا هو في معظم الأصول، وفي بعضها: «**يدهما**»، فالضمير على الرواية الأولى يعود إلى الجارية، والرواية الأخرى تعود على الجارية والأعرابي:

يا هذه الدنيا كلها سم قاتـــــل   وترياقها بسم الله الرحمن الرحيم

وقال عكرمة مولى ابن عباس[٣]: البسملة حصن لمن قالها، فإذا قالها العبد حماه الله بأربعين حصنًا ، فـ«بسم» ثمن النجاح، وبسم الله سمت الفلاح، و﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قوة الأرواح.

فبسم الله كلمة قصيرة، تحتها معان كثيرة، فمن قال : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في عمره مرة لم يبق من ذنوبه ذرة [٤] ، فالباء من بسم الله هو الباقي، قال تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، والترمذي (١٨٥٨)، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا نسي التسمية ثم ذكر، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤٦، ٢٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٦).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبدالله البربري المدني القرشي الهاشمي، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير ولم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٠)، الكاشف (٢/ ٢٧٦)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩٣) ، الجرح والتعديل (٧/ ٤١) ، لسان الميزان (٧/ ٣٠٨) ، سير الأعلام (٥/ ١٢)، الثقات (٥/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٤) روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: «هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب» . وروى ابن مردويه بسنده عن أبي موسى : أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت عليّ آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري وهي: بسم الله الرحمن الرحيم» تفسير ابن كثير (١/ ١٧).

والسين: هو الساقي، قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

والميم: هو الملاقي، قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

● **إشارة:**

إن الله أعطى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأربعة نفر.

الأولى: أعطى نوح: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾، فجرت سفينته على الماء.

والثاني: أعطاه لسليمان: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [١]، [النمل: ٣٠]، فجرى بساطه في الهواء.

والثالثة: أعطاها لمحمد ﷺ، فجرى البراق: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

والرابعة: أعطاها لهذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة وقال أحدهم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإنه يمر على الصراط كالبرق الخاطف.

إشارة أخرى: قيل: إن أربعة نفر وجدوا ببركة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أربعة أشياء، سليمان وآصف[٢]، والهدهد، وبلقيس.

فسليمان: رد الله عليه ملكه بعد ما ذهب منه.

وآصف: وجد الاسم الأعظم. والهدهد: وجد النجاة من الذبح. وبلقيس: وجدت الإيمان. فإذا قال المؤمن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وجد النجاة من النار.

● **فائدة:**

قال في زهر الرياض: لما أعطى سليمان الهدهد الكتاب وسار به، لاقته الطيور فقالت له: تذهب وحيداً إلى هذا الجند الكثير، وليس معك أحد؟ فقال الهدهد: من كان معه هذا الاسم العظيم المبارك لا يحتاج إلى صاحب ومعين، فلما قال ذلك وضع الله على رأسه تاجًا

---

(١) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه ذلك الهدهد فحمله، قيل: في جناحه كما هي عادة الطير، وقيل: بمنقاره، وجاء إلى بلادهم، فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية، أدبًا وسياسة، فتحيرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته فجمعت أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ثم قالت لهم: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾... إلى آخر الآيات. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٤).

(٢) قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان: أنه آصف بر خياء، وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنًا من الإنس واسمه:آصف، وكذا قال أبو صالح والضحاك وقتادة أنه كان من الإنس، وزاد قتادة من بني إسرائيل، وقال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الزهري: قال: يا إلهنا وإله كل شيء، إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها. قال: فمثل بين يديه. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٦).

أبديًا من قدرته، فإذا قلت أيها العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وضع الله على رأسك تاج المغفرة ، لا يزيله أبدًا.

ولما قصد الهدهد إلى بلقيس كان لها أربعة آلاف رامي، وقيل: اثنان وعشرون رامي يرمون الطيور في الهواء فلا يخطئون.

قال: فمر الهدهد ومعه الكتاب، فلم يقدروا على إصابته ببركة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

واعلم رحمك الله أن سبعة من الأنبياء تكلموا بسبعة فأورثهم الله سبعة:

أولهم : آدم، تكلم بالحمد، فأورثه الله الرحمن لما عطس ، قال: الحمد لله، قال له ربه: يرحمك الله يا آدم.

والثاني: نوح عليه السلام قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، [هود:٤١]، فأورثه الله النجاة من الغرق؛ قال الله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ (١) [هود:٤١].

والثالث: إبراهيم حين ألقي في النار فقال: ((حسبي من سؤالي علمه بحالي، حسبي الله ونعم الوكيل))، فأورثه أن قال الله تعالى: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (٢) [الأنبياء: ٦٩].

والرابع: إسماعيل بقوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، فأورث الفداء: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].

والخامس: موسى، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأورثه الله حفظ التوراة.

والسادس : سليمان قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فأورثه الله تمام الملك.

والسابع: يوسف قال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾، فأورثه الله النجاة من الجب، وملكه مصر بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٣) [يوسف: ٥٦].

---

(١) يقول تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوّها. والسفينة سائرة بهم على وجه الماء الذي قد طبق جميع الأرض حتى طفت على رءوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعًا، وقيل: بثمانين ميلاً. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٦).

(٢) روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: ((حسبي الله ونعم الوكيل))، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. وروى الحافظ أبو يعلى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك)) ، وروي أنه لما جعلوا يوثقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٩).

(٣) قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، اي ارض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾، قال السدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم : يتصرف فيها كيف يشاء، وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلاً حيث يشاء، بعد الضيق والحبس=

فيرجى للمؤمن المواظب على ذلك أن يورثه الله ما ورثهم في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

ويحكى أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أحضر الجن يوماً وسألهم: أي شيء يتحصن به العبد منكم؟ فقالوا: إذا قال حين يصبح وحين يمسى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وأرادت المردة أن تقربه، رأت عن يمينه ناراً، وعن يساره ناراً، ومن بين يديه ناراً، ومن خلفه ناراً.

ونقل أن المأمون [١] ولد هارون الرشيد أرسل إليه ملك الروم جاسوساً ليقتله، وكان المأمون يجلس مرتين بالنهار ولا يحتجب من الناس ويأمرهم بالدخول.

فدخل ذلك الجاسوس مع الناس، ثم اختفى إلى الليل، فلما نام المأمون قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ونام وغط في منامه، فنزل ذلك الجاسوس إليه وأخرج خنجراً مسموماً ودنا منه ليقتله، فرأى أفعى عند رأسه فوثبت عليه وفتحت فاهاً فولى الرجل هارباً.

ثم رجع ثانياً فوجدها على تلك الحالة، فولى هارباً، فرأى المأمون [٢] في منامه قائلاً يقول له: يا مأمون إنك تحصنت باسمنا، ومن تحصن باسمنا حميناه، فاستيقظ المأمون، فقال الجاسوس: إن لهذا الملك لشأناً فلأنظرن في دينه.

فلما جلس المأمون وهو متعجباً مما رأى في منامه خرج إليه الرجل فقال له: من أين أتيت؟ فقال: من الباب دخلت، ثم قص عليه قصته مع الأفعى، وقال له: ما الذي منعك مني؟ فقال المأمون: إني تحصنت باسم واحد من أسماء ربنا سبحانه وتعالى فحصنني ومنعني منك. قال: وما هو؟ قال: إني أقول كل ليلة عند نومي [٣]: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أربعين مرة، ثم أنام.

قال الرجل: أيها الملك، أنبئني عن تأويل هذا الاسم.

=والإسار ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز، فلهذا أعقبه الله ﷻ السلام والنصر والتأييد. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٥).

(١) عبدالله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور، أبو العباس الهاشمي، ولد سنة (١٧٠)، قرأ العلم في صغره، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر عُني بالفلسفة وعلوم الأوائل وشهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة، وله محاسن وسيرة طويلة، توفي سنة (٢١٨)، تاريخ الإسلام للذهبي (٢١١-٢٢٠).

(٢) قال الرشيد عنه: إني لأعرف في عبدالله المأمون حزم المنصور ونسك المهدي وعزة الهادي ولو أشاء أنسبه إلى الرابع، يعني نفسه لنسبته، وقد قدمت محمداً عليه (يقصد الأمين) وإني لأعلم أنه منقاد إلى هواه مبذر لما حوته يده، يشارك في رأيه الإماء والنساء ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقدمت عبدالله عليه. تاريخ الإسلام، وفيات (٢١١-٢٢٠).

(٣) روى البخاري (٦٣١١)، (٦٣١٥)، ومسلم (٢٧١٠)، وأبو داود (٥٠٤٦، ٥٠٤٧)، والترمذي (٣٣٩٤)، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلها آخر ما تتكلم به».

فقال المأمون: إن في دولتي علماء يبينوا لك ذلك.

فقال: مرهم أن يأتوا فإني أظنهم على الحق، وإن يبينوا لي الحق تبعتهم، فلما أصبح أحضر الفقهاء والعلماء فقال: اختاروا منكم عشرون رجلاً, فاختاروا، ثم اختاروا منهم عشرة، ثم اختاروا من العشرة خمسة.

فقال المأمون: أولوا لنا تأويل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فقال أحدهم: لما كان كل شيء محروسًا بحراسة الله وجب أن يكون الله تعالى باقيًا بعد كل شيء [١]، فالباء لبقائه، والسين لدوام سنائه، والميم لدوام ملكه الذي لا انتهاء له، ولا معرفة لابتدائه.

وقال الثاني: لما كان كل مخلوق متقلب في رزقه كانت الباء من بره، ولما كان أولاً في ألوهيته اتخذت السين من سبقه، ولما كان قاهر الخلق نفذت الميم أمره بحكم المشيئة في أهل السماء والأرض.

وقال الثالث: لما انحصرت الأكوان وسائر المخلوقات بالأسماء لم يكن في أسمائهم اسم ينحصر به، لأن كل شيء مضمحل إلا اسمه، وكل شيء ذاهب إلا وصفه، وكل معنى منعوت بالتكليف إلا معنى الخالق، فالباء براءة من الكيفيات، والسين سبق أوليته الكائنات، والميم مهابة جبروته التي لا تعنى بالذهاب، والكفوات فالله رفيع الدرجات الرحمن وصفه، فلا يتصف بالمخلوقات، الرحيم تعلق بحبل رحمته من غرق الزلات.

وقال الرابع: لما كان الله سابقًا للقدم بوجوده وجب أن يكون سابقًا للزمان، لأنه هو الذي أبدع الزمان فاحتاج الزمان أن يكون في جوده.

ووجب أن لا يكون طير في (الوجود)[٢] في وكر، ولا وحش في بر، ولا حوت في بحر، لا يقول: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وتكلم الخامس بما عنده.

فقال الجاسوس: أيها الملك، إن أحدًا منهم لم يبين ما أريد؟

فقيل له : لم يبق غير واعظ واحد يقال له: ابن السماك [٣] .

---

(١) روى الحافظ ابن مردويه من طريقين عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن عيسى ابن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: بسم الله، قال له عيسى: وما بسم ؟ قال المعلم: ما أدري . قال له عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة)) ، تفسير ابن كثير (١/ ١٧).

(٢) أظنها في الهواء.

(٣) محمد بن صبيح بن السماك أبو العباس العجلي مولاهم الكوفي الواعظ الزاهد، أحد الأعيان، سمع هشام بن عروة وسليمان الأعمش ويزيد بن أبي زياد، وعنه: يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن أيوب ومحمد بن عبدالله بن نمير وغيرهم قال=

قال: ائتوني به.

فجلس فقال: عم يسأل أمير المؤمنين؟

فقال: أخبرني عن تأويل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال: فتكلم فيها وأطال الكلام.

ثم قال آخر كلامه: لولا البسملة في الأمور صالحة ولوامع أسرارها لائحة لما حمي أمير المؤمنين من هذا الجاسوس.

قال الجاسوس: امدد يدك، أنا أشهد أن لا إله إلا الله، محمداً رسول الله، لقد أولت فأحسنت.

وقال علي بن الحسين [1] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٦]، معناه: إذا قلت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وقال عطاء بن قيس: وجدت جارية تطوف بالبيت وهي لا تزيد عن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ شيئًا، فقلت لها: أراك لا تزيدين على هذا شيئًا؟ فأنشدت تقول:

إذا كان فيها اسم من قد هويته ... محال بأني يأ أخا الحب أنساهــا

وكل حديث فيه وصف جلاله ... فذاك حديث يمنع النفس أسواها

ثم قالت: يا هذا انظر، ثم وضعت يدها على التراب وأخذت قبضة، فإذا هي ذهب والله. ثم قالت: من كان ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ متجره كان هذا ربحه.

وروي: أن السري السقطي [2] -نفعنا الله ببركاته- رأى رب العزة في المنام فقال له: يا سري، بم تستفتح كتابي إذا قرأته؟ فقال: يا رب بالفاتحة.

فقال: يا سري، إذا افتتحت كتابي فقل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإنه ما قالها عبد إلا جعلته في أربعين حصنًا.

=ابن نمير: كان صدوقًا، وذكره ابن حبان في الثقات، أخرج له أحمد بن حنبل في مسنده ، توفي سنة (١٨٣). انظر ترجمته في تعجيل المنفعة (٩٣٩)، والجرح والتعديل (٧/ ٢٩٠).

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو عبدالله الهاشمي المدني، زين العابدين القرشي الأكبر، ثقة ثبت عابد، فقيه، فاضل، مشهور، أخرج له: الستة، توفي (٩٣، ٩٤، ٩٥)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥)، الكاشف (٢/ ٢٨٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٢٦٦)، الجرح والتعديل (٦/ ٩٧٧)، سير الأعلام (٤/ ٣٨٦)، الثقات (٥/ ١٥٩).

(٢) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه ، صحب معروفًا الكرخي، حدث عن الفضيل بن عياض، وهشيم وأبي بكر بن عباس ويزيد بن هارون وعلي بن غراب، وعنه: أبو العباس بن مسروق والجنيد وأبو الحسن النوري وإبراهيم بن عبدالله المخرمي وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي سنة (٢٥٣، ٢٥١، ٢٥٧)، تاريخ الإسلام، وفيات (٢٥١-٢٦٠).

ودخل عثمان بن سعيد على نافع شيخه فوجده يبكي، فسأله عن ذلك، فسكت ولم يتكلم، فقال: أقسم عليك بالله إلا أخبرتني.

فقال: يا بني، إني رأيت في المنام رب العزة فقال لي: اقرأ يا نافع، لم لا تستفتح القرآن باسمي الذي قامت به السموات والأرض. قلت: وما هو يا رب.

قال: إذا استفتحت كلامي فقل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإن الباء بقائي، والسين ستري الذي أسبله على عبادي، والميم مهابة صمديتي، وأنا الرحمن الرحيم، ولا يشرك بي إلهًا آخر إلا استحييت أن أعذبه.

ودخلوا على حمزة بن حبيب الزيات [1] رحمه الله فوجدوه يصلي وهو يبكي. فقالوا: ما يبكيك؟ قال: بت البارحة فرأيت القيامة قد قامت والناس قد حشروا، وقوم على وجوههم نور. فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء قوم كانوا يستفتحون أعمالهم بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وهذه الرؤية مشهورة لحمزة، وهي طويلة وفيها : فنوديت يا حمزة بن حبيب، فتأخرت القهقري. فنوديت: تقدم يا حمزة [2]. فتقدمت فإذا منابر من نور منصوبة، فقيل لي: ارق يا حمزة، فرقيت، فقيل: اقرأ يا حمزة، فاستفتحت فقرأت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فسمعت النداء: صدقت يا عبدي، أنا الذي سميت نفسي الرحمن الرحيم، وأمرت عبادي أن يقولوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، اقرأ يا حمزة، فقرأت سورة الأنعام، حتى بلغت: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، فسمعت النداء: صدقت يا حمزة، أنا القاهر فوق عبادي لا قاهر يقهرني لما علمت سلطتي وعظم سلطاني، سميت نفسي القاهر. اقرأ يا حمزة، فقرأت إلى آخر سورة الأعراف، فقال: يا حمزة ممن أخذت هذه القراءة [3] ؟ فقلت [4] : من أبي هشام، ثم ساق حكاية طويلة.

---

(١) كان حمزة الزيات عديم النظير في وقته علمًا وعملاً، قيمًا بكتاب الله، راسًا في الورع، وقرأ على حمزة: سليم بن عيسى الحنفي، وهو أنبل أصحابه وأبو الحسن الكسائي أحد السبعة، وعائذ بن أبي عائذ، والحسن بن عطية، وشعيب بن حرب، وعبدالله بن صالح العجلي، وغيرهم كثير. وكان أحد السبعة القراء، إمامًا فيهن قال ابن معين : ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس. تاريخ الإسلام، وفيات (١٥١-١٦٠).

(٢) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات أبو عمارة الزيات القارئ الكوفي التيمي مولاهم، المقرئ، صدوق زاهد ربما وهم، أخرج له: مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٥٦، ١٥٨)، انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب (٣/ ٢٧)، تقريب التهذيب (١/ ١٩٩)، الكاشف (١/ ٢٥٤)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٥٢)، الجرح والتعديل (٣/ ٩١٦)، ميزان الاعتدال (١/ ٦٠٥)، لسان الميزان (٧/ ٢٠٤)، , سير الأعلام (٧/ ٩٠)، الوافي بالوفيات (١٣/ ١٩٦).

(٣) سئل الكسائي عن الهمز والإدغام: ألكم فيه إمام؟ قال: نعم ، حمزة، كان يهمز ويكسر وهو إمام من أئمة المسلمين وسيد القراء والزهاد، لو رأيته لقرت عينك به من نسكه. تاريخ الإسلام، وفيات (١٥١- ١٦٠).

(٤) قال العجلي: قرأ رجل على حمزة، فجعل يمد، فقال : لا تفعل، أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة. وقد كره قراءة حمزة: ابن إدريس الأودي وأحمد بن حنبل وجماعة لفرط المد والإمالة والسكت على الساكن قبل الهمزة وغير ذلك حتى أن بعضهم رأى إعادة الصلاة إذا كانت بقراءة حمزة، وهذا غلو، والذي استقر عليه الاتفاق وانعقد الإجماع على ثبوت قراءته وصحتها، وإن كان غيرها أفصح منها. تاريخ الإسلام، وفيات (١٥١-١٦٠).

فوائد في فضل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

● الفائدة الأولى:

كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ: إن بي صداعًا لا يسكن فابعث إليّ دواء، فبعث إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه، وإذا رفعها عن رأسه عاوده الصداع، فتعجب منه، ففتش القلنسوة، فإذا فيها ورقة كاغد مكتوب فيها: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

● الفائدة الثانية:

قال رسول الله ﷺ : «من توضأ ولم يذكر اسم الله تعالى كان طهورًا لتلك الأعضاء، ومن توضأ وذكر اسم الله تعالى كان طهورًا لجميع بدنه» .

● الفائدة الثالثة:

طلب بعضهم من خالد بن الوليد وهو يدعى إلى الإسلام آية حتى يسلموا.

فقال: جيئوني بالسم القاتل، فأتي بكأس من السم فأخذها بيده وقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وشرب وأكل وقام سالمًا بإذن الله تعالى.

فقالوا: هذا هو الدين القيم ، وأسلموا على يديه[١] .

● الفائدة الرابعة:

مر عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فرأى فيها قبراً يعذب صاحبه، فلما انصرف من حاجته مر على القبر فرأى ملائكة الرحمة، معهم أطباق من نور، فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله، فأوحى الله إليه تعالى: يا عيسى، هذا العبد عاصياً، ومات على ذلك، فكان محبوساً في عذاب، وكان ترك زوجته وهي حامل فوضعت ولداً ذكر.

فلما كبر وانتشأ سلمته أمه إلى المكتب.

فقال له المعلم: قل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فاستحييت من عبدي أن أعذبه بناري في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على وجه الأرض فغفرت له ورحمته[٢] .

---

(١) ذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام ترجمة خالد بن الوليد.

(٢) انظر ما تقدم من قبل بنحوه، عن عيسى ابن مريم.

● **الفائدة الخامسة:**

سُئلت عمرة الفرغانية، وكانت من الصالحات العارفات بالله: ما الحكمة في أن الجنب والحائض محرم عليهما قراءة القرآن دون التسمية؟

فقالت: لأن التسمية اسم الحبيب، والحبيب لا يمنع من ذكر الحبيب.

● **الفائدة السادسة:**

في قوله: «الرحيم»، هو رحيم بهم في ستة مواضع: في القبر وحشراته، والقيامة وظلماته، والنيران ودرجاته، وقراءة الكتاب وفزعاته، والصراط ومخافاته، والنار ودركاته.

● **الفائدة السابعة:**

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، تسعة عشر حرفًا، وزبانية جهنم تسعة عشر ملكًا، فإن الله يدفع عن قائلها بأس هذه التسعة عشر [١].

● **تنبيه:**

قال عبدالله بن المبارك: «الرحمن» الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يُسأل غضب.

وروى أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يسأل الله غضب عليه**»[٢].

وقال الشاعر في هذا المعنى:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يُسأل يغضب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[٣]: «**من قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، صرف الله عنه سبعين بابًا من البلاء، أولها: الهم والغم واللمم**»، وقال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبدالله اليافعي رحمه الله مما نقله بعض العارفين لقضاء الحوائج: من كانت له حاجة مهمة فليكتب على

---

(١) قال وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد». ذكره ابن عطية والقرطبي، ووجهه ابن عطية ونصره بحديث: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها» لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفًا وغير ذلك. تفسير ابن كثير (١/ ١٧، ١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، كتاب الدعوات باب منه، ما جاء في فضل الدعاء، وابن ماجه في الدعاء، باب فضل الدعاء، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، وذكره ابن حجر في الفتح (١١/ ٩٥)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢١٥).

(٣) ذكره ابن تيمية في الكلم الطيب (٥٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٩).

رقعة: ((﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، من عبده الذليل إلى ربه الجليل، رب (....)[١]))، ثم يرمي بالرقعة في ماء جار ويقول: إلهي بمحمد وآله الطيبين، اقضي حاجتي، ويذكرها فإنها تقضى[٢].

ويروى أن أنسًا دخل على الحجاج [٣] فأغلظ أنس للحجاج القول، فغضب منه الحجاج وأراد عقوبته فلم يقدر عليه. فقال له: يا أنس، كلما هممت بعقوبتك لم أقدر عليك، فقال أنس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ علمني دعاء لا يضرني معه السم ولا السحر ولا سلطان ظالم. فقال علمنيه. قال: أنت ظالم ولا أعلمكه، ثم خرج من عنده، فلما حضرته الوفاة قال لخادمه: إن لك حقًا علي، فأعلمك هذا الدعاء، ثم قال: ((﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)).

وحكي: أن بعض العارفين بالله اتهم بذنب باطل فسجنه السلطان، ودخل تلميذ له معه السجن، فقيدوا الشيخ بقيد عظيم، فلما قال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، طار عنه قيده بإذن الله تعالى. فقام يصلي، فلما فرغ من صلاته سأله تلميذه فقال: يا أستاذ، ما حقيقة المعرفة؟ فقال: إذا جاء غد ومدوني على الخشب وقطعوا رجلي ويدي فسلني هذه المسألة. قال: فغشي على التلميذ من كلام أستاذه.

فلما طلع الفجر خرجوا بالشيخ من السجن وجاءت عوانية الظلمة، ونودي عليه. ثم أتوا به متولي الحرب، فأمر الحاكم بقطع يد الشيخ ورجله، فمدوه على الخشب، فقطعت يده ورجله، فلم يقطر منه قطرة على الأرض إلا كتب: الله، الله.

فلما رأى الشيخ تلميذه قال: هات مسألتك. قال له: ما حقيقة المعرفة؟ فقال: حقيقة المعرفة: أن تشكره على البلاء والمحن كما تشكره على النعمة والمنن. ثم قال: الله، الله، فانفك عنه القيد. ثم طار الشيخ في الهواء حتى غاب عن أعين الناس، فلم ير بعد ذلك لا حيًا ولا ميتًا.

وقال جعفر الخالدي: من استيقظ من منامه وقال: بسم الله، رزقه الله رضوانه الأكبر.

---

(١) كلمات غير واضحة.

(٢) هذا النوع من التوسل غير مشروع ، ويراجع في ذلك كتاب: ((قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك كتاب: ((التوسل)) للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(٣) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أمير العراق المشهور، الظالم المبير، ولي إمرة العراق عشرين سنة، قال ابن حجر في التقريب: وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما، وليس بأهل بأن يروى عنه. قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون، توفي سنة (٩٥)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٠)، تقريب التهذيب (١/ ١٥٤)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٣٧٣) ، الجرح والتعديل (٣/ ١٦٨) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٦٦)، الوافي بالوفيات (١١/ ٣٠٧)، تعجيل المنفعة (١٨٧).

وقال محمد بن ظفر: كان منصور بن عمار رحمه الله واعظًا مقبول الموعظة. فقيل: إن السبب الذي فتح عليه باب الموعظة وفتق لسانه حتى نطق بالحكمة أنه وجد ذات يوم قرطاسًا مكتوبًا فيه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فلم تطب نفسه أن يضع القرطاس في موضع فابتلعه. فقيل له في المنام: أبشر، فقد فتح الله عليك بابًا من الحكمة، فكانت موعظته تحرق القلوب.

وحكي: أن يهوديًا امتحن بمحبة يهودية، فكان لا يهنئ بطعام ولا بشراب، وقد صار كالمجنون من حبها، فقصد عطاء (الأكبر)[١] رحمه الله، وقص عليه قصته. فكتب عطاء له على ورقة صغيرة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم أعطاه إياها وقال له: ابلعها حتى ينجيك الله من شرها، فلما ابتلعها قال: يا عطاء ظهر في قلبي نور، ووجدت فيه حلاوة الإيمان وسلوت المرأة، اعرض عليّ الإسلام، فعرض عليه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأسلم ببركة هذا الاسم الشريف، فلما سمعت تلك المرأة بإسلامه، فجاءت مسرعة إلى عطاء. فقالت: يا إمام المسلمين، الرجل الذي أسلم عندك؟ وكان يحب امرأة، أنا تلك المرأة التي كان يحبني.

ثم قالت: إني كنت البارحة بين النائمة واليقظانه، أتاني رجل فقال: أيتها المرأة إن أردتي أن تنظري إلى موضعك في الجنة فاذهبي إلى عطاء فإنه يريك الجنة، وقد جئتك يا عطاء فأين الجنة ؟

فقال عطاء [٢] : إن أردتي الجنة فعليكي أولاً أن تفتحي بابها، ثم تدخلي. قالت: كيف أفتح بابها؟ قال: تقولي: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فقالت: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ثم قالت: يا عطاء، نار قلبي، ورأيت ملكوت الله الأكبر، اعرض عليّ الإسلام، فعرض عليها الإسلام فأسلمت ببركة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم ذهبت إلى بيتها وباتت تلك الليلة فرأت في منامها كأنها دخلت الجنة، ورأت فيها قصوراً، ورأت قبة خلقها الله تعالى من اللؤلؤ مكتوبًا عليها: «﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وسمعت مناديًا يقول: يا قارئة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، إن الإله أعطاك كما رأيت»، فانتبهت المرأة وقالت: كنت دخلت الجنة فأخرجتني منها، اللهم نجني من غم الدنيا ببركة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فما فرغت من قولها حتى شهدت لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة وسقطت ميتة رحمة الله عليها.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) عطاء بن أبي مسلم، أبو أيوب أبو عثمان، أبو محمد ، أبو صالح، الخراساني، البلخي، مولى المهلب بن أبي صفرة صدوق يهم كثيراً، ويرسل ويدلس، لم يصح أن البخاري أخرج له، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٣٥)، انظر التقريب (٥/ ٢٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٧).

وحكي: أن امرأة كانت عابدة ولها زوج فاسق، وكانت تقول عند كل قول وحاجة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فغضب زوجها وأراد أن يخجلها ويوبخها، فدفع إليها صرة وقال: احفظي هذه الصرة. وخرج حتى أتى إلى البحر فركب في زورق وجاء إلى وسط البحر وألقى الصرة فيه، يريد بذلك إيذاء هذه الصالحة، فالتقمتها سمكة.

ولما رجع الزنديق إلى حانوته وجلس، مر عليه صياد ومعه سمكة عظيمة يتعجب الناس من حسنها، فاشتراها منه بدينار، وأرسلها مع خدامه إلى منزله فأخذتها زوجته وقامت تصلح شأنها وتهيئها لزوجها، لأجل أن يأكل منها، فأخذت السكين وشقت بطنها، فخرجت الصرة من بطنها.

فأخذتها المرأة وهي تقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وأتت بها إلى مكانها ووضعتها فيه ، فجاء زوجها فقدمت إليه العشاء فأكل.

فلما فرغ قال: يا فلانة، قالت: لبيك، قال: ائتيني بالصرة، فقامت إلى موضعها وأتت إليه بها. فلما رأى الصرة سجد لله عز وجل وقال: ما يقدر على هذه القدرة إلا من اسمه الرحمن الرحيم، ثم حكى لها ما فعله. فقالت: هذا ببركة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.



الباب الرابع

في فضل القرآن وخدمته
وما أعد الله لقارئه ومعلمه ومتعلمه من الثواب العظيم والأجر الجسيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].
وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].
وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].
والآيات الدالة على فضل القرآن كثيرة معروفة.

وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»[١]. رواه مسلم.

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران يحاجان عن صاحبهما**»[٢]. رواه مسلم أيضًا.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٣]. رواه البخاري.

وكان أبو عبدالرحمن السلمي ﷺ يجلس لإقراء القراءة ويقول: هذا الذي أجلسني هذا المجلس -يريد هذا الحديث الذي ذكرناه-.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٤]، رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٢ – ٨٠٤)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٢-باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٩٥)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٦٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٣ – ٨٠٥)، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٢-باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وأبو داود (١٤٥٢)، في الصلاة باب في ثواب قراءة القرآن، والترمذي (٢٩٠٧، ٢٩٠٨، ٢٩٠٩)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن، وابن ماجه (٢١١)، في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، والنسائي في الكبرى، فضائل القرآن، باب فضل من تعلم القرآن، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب تفسير سورة عبس، ومسلم في صحيحه (٢٤٤-٧٩٨)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٨-باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، وأبو داود (١٤٥٤)، في الصلاة، والترمذي(٢٩٠٤)، كتاب فضائل القرآن=

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحان ريحه طيب وطعمه مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»(١). رواه البخاري ومسلم.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(٢). رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»(٣). رواه البخاري ومسلم.

قال أبو هريرة: وآناء الليل: ساعاته. قال الأخفش: واحدها : إناء.

وعن البراء ﷺ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين فغشيته سحابة ، فجعلت تدنو، وجعلت فرسه تنفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ وذكر له ذلك، قال: «تلك السكينة نزلت للقرآن»(٤). رواه البخاري ومسلم .

=باب ما جاء في فضل قارئ القرآن، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦٠)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٨). وقال النووي: أما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران، أجر القراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته. شرح مسلم للنووي (٦/ ٧٤)، ط/ دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة، باب ذكر الطعام وفي التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، وفي فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام. ومسلم في صحيحه (٢٤٣ – ٧٩٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٧-باب فضيلة حافظ القرآن. والترمذي (٢٨٦٥)، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ. والنسائي (٨/ ١٢٥)، وابن ماجه (٢١٤)، وفي المقدمة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٧، ٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩-٨١٧)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧-باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها. وابن ماجه (٢١٨)، في المقدمة، وأحمد في مسنده (١/ ٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في التوحيد، باب قول النبي ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار» ، ومسلم (٢٦٦ – ٨١٥)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧-باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، والترمذي (١٩٣٦)، في البر والصلة، باب ما جاء في الحسد.

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (٢٤٠-٧٩٥)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٦-باب نزول السكينة لقراءة القرآن، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٨). وقال النووي: في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن ، وقد قيل في معنى السكينة هنا أشياء، المختار منها أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٢).

قال النووي: الشطن بفتح الشين المعجمة، والطاء المهملة: الحبل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب**» (١). رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**» (٢). رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وروى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**» (٣).

وروى يزيد بن أبي حبيب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من استظهر القرآن خفف الله عن أبويه العذاب، وإن كانا كافرين**».

وروى جابر بن بشير، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن في الصلاة وهو قائم فله بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ القرآن في الصلاة قاعدًا فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأ القرآن وهو في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى شيء من كتاب الله تعالى وهو يريد الآخرة كتب الله له بكل حرف حسنة. ومن قرأ القرآن حتى يختمه كان له عند الله دعوة مستجابة، إما معجلة وإما مؤخرة**» (٤).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: إمام مقسط عادل، وذو شيبة في الإسلام، وحامل القرآن**» (٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٣)، ٤٦-كتاب فضائل القرآن، باب ١٨-ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص. والترمذي (٢٩١٤)، كتاب فضائل القرآن، ١٢-باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣٨-٢٦٩٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١١-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، عن أبي هريرة. وأبو داود (١٤٥٥)، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن. وابن ماجه في سننه (٢٢٥)، في المقدمة، قال النووي: المراد بالسكينة هنا: الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار هو أحسن، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا، ومذهب الجمهور. وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما، إن شاء الله تعالى. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٨).

(٤) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٢٩٣)، والهندي في كنز العمال (٢٤٢٧).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٧).

وروى عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة» (١).

قال أبو الليث: يعني إن جهر بقراءته فنعما هي، وإن أسر فهو أفضل.

وعن الوليد بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ قال: «عُرضت عليّ الذنوب فلم أر فيها شيئًا هو أعظم من حامل القرآن وتاركه» (٢).

وفي سنن أبي داود، ومسند الدارمي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة وهو أجذم» (٣).

وعن طلق بن حبيب (٤) رضي الله عنه قال: من تعلم القرآن ثم نسيه من غير عذر يحط بكل آية درجة، وجاء يوم القيامة وهو أجذم (٥).

قوله: من غير عذر، المراد بالعذر: ما كان كالمرض والجنون الذي لا يقدر على قراءته معه، وأما إذا تركه لاشتغاله بالأمور الدنيوية فليس ذلك بعذر.

وروى أبو الليث بإسناده إلى علي بن الحسين الحليمي قال: سمعت الحسن بن زياد يقول: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: «من قرأ القرآن في السنة مرتين فقد أدى حقه؛ لأن النبي ﷺ عرض عليه -يعني قرأ على- جبريل عليه السلام في السنة التي توفي فيها مرتين».

وروى أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «القرآن أفضل من كل شيء، فمن وقر القرآن فقد وقر الله، ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، المعظمون كلام الله، يلبسون نور الله، فمن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، أو قال: فقد استخف بحق الله» (٦).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٣٣)، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، والترمذي (٢٩١٩)، كتاب فضائل القرآن، باب ٢٠، عن عقبة بن عامر، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، باب فضل السر على الجهر، والزكاة، باب السر بالصدقة، وأحمد في مسنده (٤/ ١٥١)، وابن حبان في موارد الظمآن رقم (٦٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٧٩).

(٣) ذكره في الأذكار النووية (٩٩).

(٤) طلق بن حبيب العنزي البصري، صدوق، عابد، رمي بالإرجاء، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، توفي بعد سنة (٩٠). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٣١)، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٠)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٩٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٤٥)، الثقات (٤/ ٣٩٦).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٥٩٨٩)، والربيع بن حبيب في مسنده (١/ ٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٥).

(٦) أخرجه القرطبي في تفسيره (١/ ٢٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٩٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢١٧).

وروى زيد بن أسلم ﷺ: أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «الحال المرتحل»(١)، يريد الذي يختم القرآن، ثم يفتتحه، وبهذا الحديث أخذ عبدالله بن كثير المقرئ أحد القراء السبعة.

فروى عنه ابن أبي بزة المكي بإسناده أنه كان يأمر القارئ إذا ختم عليه القرآن أن يفتتح بعقب ذلك فيقرأ: «الحمد» وخمس آيات من البقرة، ليكون مرتحلاً من ختمة، حالاً في ختمة أخرى، اتباعًا للحديث.

وروى أبو أمامة الباهلي ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ ربع القرآن فقد أوتي ربع النبوة، ومن قرأ ثلث القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أوتى النبوة»(٢).

قال أبو محمد مكي: يريد ﷺ بذلك والله أعلم: الفضل والثواب والدلالة على من أُنزل عليه القرآن.

وروى أبو الدرداء ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين(٣)، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ ألف آية إلى خمسمائة أصبح وله قنطار من الأجر، القيراط منه مثل التل العظيم».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن يتمثل يوم القيامة بأحسن صورة رآها الناس فيقول الناس: من هذا؟ هذا نبي. فإذا جاوز مكان النبيين، قالوا: هذا ملك، فإذا جاوز مكان الملائكة عرفوا من هو، حتى يأتي بين يدي الله ﷻ فيعرض عليه الثقلان، فيشهد على كل مرء كيف كان فيه، فشاهد مصدق وشفيع مطاع».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من جمع القرآن فظن أن أحدًا أغنى منه فقد حقر عظيمًا، وعظم صغيرًا»(٤).

المراد والله أعلم: فظن أن أحدًا أعطي عطاء هو أفضل من القرآن.

ويبين هذا قول ابن مسعود ﷺ: من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغره القرآن فقد خالف القرآن، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، كتاب القراءات باب (١٣)، عن ابن عباس، والدارمي في سننه (٢/ ٤٦٩)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦٠)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٢) ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٧٩).

(٣) أخرجه ابن عدي في الضعفاء الكبير (٢/ ٧٩٥).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٣٣٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٧١)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ١٠١٥).

﴿ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

وقول مجاهد رضي الله عنه: من آتاه الله القرآن فظن أن أحدًا أوتي أفضل منه في الدنيا، فقد عظم ما صغر الله، وصغر ما عظم تعالى[١].

وقال كعب الأحبار[٢] رضي الله عنه: إن في التوراة: أن الغلام إذا تعلم القرآن، وهو حديث السن وحرص عليه وعمل به وتابعه خلطه الله بلحمه ودمه، وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة، وإذا تعلم الرجل القرآن وقد دخل في سن وحرص عليه، وهو في ذلك يتغلب منه كان له أجره مرتين، ويكسى حلة الكرامة ويتوج بتاج الوقار ويقول الله عز وجل للقرآن: هل رضيت هذا لعبدي؟ فيقول القرآن: ما رضيت ما أعطيته، فيعطى النعيم بيمينه، والحلل بشماله. فيقول الله تعالى للقرآن: هل رضيت ما أعطيت لعبدي؟ فيقول: نعم.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يومًا إلى أصحابه فقال: «أبشروا، أبشروا؛ أليس تشهدون أن لا إله إلا الله؟» قالوا: بلى.

قال: «فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فلن تضلوا، ولن هلكوا بعده أبدًا»[٣].

وروى عتبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يعذب الله قلبًا وعى القرآن»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله أهلين من الناس حملة القرآن، فهم أهل الله وخاصته»[٥].

وروت عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تعلم القرآن وحفظه أدخله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته قد استوجبوا النار»[٦].

---

(١) انظر «من جمع القرآن فظن ...»، الحديث تقدم.

(٢) كعب الأحبار، هو أبو إسحاق بن ماتع الحميري اليماني الكتابي، أسلم في خلافة أبي بكر، أو اول خلافة عمر، وروى عن عمر وصهيب وعن كتب أهل الكتاب، وكان في الغالب يعرف حقها من باطلها لسعة علمه، وكثرة اطلاعه، وروى عنه: ابن امرأته تبيع الحميري، وأسلم مولى عمر، وأبو سلام الأسود وآخرون، ومن الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومعاوية ، وسكن الشام وغزا بها، وتوفي بحمص، طالب غزاة، وقد تقدمت ترجمته ومصادرها، تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٨١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٦٥٣).

(٤) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢١)، برقم (٣١٢٢)، وقال: رواه الديلمي عن عقبة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٥)، المقدمة، ١٦-باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، وقال في الزوائد: إسناده صحيح. وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٧)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٥٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٩٣).

(٦) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٨١، ٤٣٠).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه، إلا أنه لم يوح إليه»[(١)].

وقد روي هذا موقوفًا على عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، إلا أنه قال: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، غير أنه لم يوح إليه[(٢)].

وروى سهل بن معاذ، عن أبيه ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والده يوم القيامة تاجًا ضوءه أحسن من ضوء الشمس، فكيف من عمل به»[(٣)].

وقال محمد بن سيرين ﷺ: البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة، وتخرج منه الشياطين، ويتسع بأهله، ويكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه تحضره الشياطين، وتخرج منه الملائكة، ويضيق بأهله، ويقل خيره[(٤)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «من سمع آية من كتاب الله تتلى كانت له نوراً يوم القيامة».

وروى الطبراني عن سالم، عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح أبواب السماء لقراءة القرآن، وللقاء الزحف، ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم، وللأذان»[(٥)].

وروي عن عطاء عن إبراهيم رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن، وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين».

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: «من ختم القرآن نهاراً صلت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختمه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح»[(٦)].

وذكر الترمذي عن عطاء بن يسار[(٧)]، عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة مائة درجة، بين كل درجتين منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩)، والشجري في أماليه (١/ ٩٢)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٧)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٦٦)، وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٤٧٦).

(٢) انظر ما قبله.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٥٣)، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٤٠).

(٤) أخرجه السيوطي في الحبائك في الملائك (١٤٦).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٣).

(٦) أخرجه السيوطي في الحبائك (١٤٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٩٣).

(٧) عطاء بن يسار، أبو محمد، أبو يسار، أبو عبدالله الهلالي، المدني، القاضي، مولى ميمونة، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، أخرج له الستة، توفي سنة (٩٤، ٩٧، ١٠٣). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٣١٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٣)، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٦٧).

الفردوس، وإن العرش على الفردوس، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله اسألوه الفردوس» [١]. وهو حديث متصل صحيح.

وذكر ابن وهب قال: أخبرني عبدالرحمن بن زياد بن آدم أنه سمع عتبة بن عبيد الضبي يذكر عن حديثه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم الجنة من درجة؟ فقال: «مائة درجة، بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومعاليقها من فضة. والدرجة الثانية: دورها وبيوتها وأبوابها وسررها من ذهب. والدرجة الثالثة: دورها وبيوتها وسررها ومعاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد. وسبع وتسعون درجة ما يعلم ما فيها إلا الله» [٢].

وذكر عمر بن عبدالمجيد القرشي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال: «درجات الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وست وعشر آية، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض. فينتهي به إلى أعلى عليين، لها سبعون ألف ركن، وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليال» [٣].

وقال أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ : «يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن إذا أصبحت، وإذا أمسيت؛ فإن القرآن يحيي القلب الميت، وينهى عن الفحشاء والمنكر» [٤].

وكان أبو حنيفة والشعبي [٥] رحمهما الله يختمان في شهر رمضان ستين ختمة.

وعنه ﷺ أنه قال: «للقلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» [٦]. قيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ قال: «قراءة القرآن، وذكر الموت».

وأفضل القراءة: ما كان في الصلاة، وأما في غير الصلاة فأفضلها: قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة. وأما قراءة القرآن في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في وقت من الأوقات ولا في أوقات

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣٠)، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة. قال أبو عيسى: هكذا روي هذا الحديث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت، وعطاء لم يدرك معاذ بن جبل، ومعاذ قديم الموت، مات في خلافة عمر. وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٢)، (٥/ ٣١٦).

(٢) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٣) انظر الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢/ ١٨١)، وذكره الهندي في كنز العمال (٢٤٢٥).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٠٣٢).

(٥) هو عامر بن شراحيل بن عبد أبو عمرو الشعبي الحميري الكوفي الهمداني، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل، أخرج له الستة، توفي (١٠٩، ١٠٥، ١٠٤). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، التقريب (١/ ٣٨٧)، وقد تقدمت ترجمته بأوسع من ذلك.

(٦) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣٤٧)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٩٠٨٥) ، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١/ ٢٥٨)، وابن حجر في لسان الميزان (٦/ ٥٧٦).

النهي عن الصلاة[1]. ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة. وروي في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم والليلة فضل كثير منها: يس، والواقعة، وتبارك الملك، والدخان.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ يس في اليوم والليلة ابتغاء وجه الله غفر له»[2]. وفي رواية: «من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفورًا له»[3].

وفي رواية ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ: من قرأ في الليلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، كانت له كعدد نصف القرآن حسنات، ومن قرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ كانت له كعدد ربع القرآن حسنات، ومن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كان له كعدد ثلث القرآن حسنات[5].

وعن جابر بن عبدالله وعبدالرحمن بن سمرة[6] رضي الله عنهم: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أجر من علم ولده القرآن؟ فقال: «القرآن كلام الله لا غاية له». فنزل جبريل عليه السلام فقال: «يا جبريل ما أجر من علم ولده القرآن؟». فقال جبريل:

---

(١) في الأحاديث نهيه ﷺ عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد طلوعها حتى ترتفع، وعند استوائها حتى تزول، وعند اصفرارها حتى تغرب، وأجمعت الأمة على كراهة صلاة لا سبب لها في هذه الأوقات، واتفقوا على جواز الفرائض المؤداة فيها، واختلفوا في النوافل التي لها سبب كصلاة تحية المسجد وسجود التلاوة والشكر وصلاة العيد والكسوف، وفي صلاة الجنازة وقضاء الفوائت، ومذهب الشافعي وطائفة: جواز ذلك كله بلا كراهة، ومذهب أبي حنيفة وآخرين أنه داخل في النهي لعموم الأحاديث، واحتج الشافعي ومن وافقه بأنه ثبت أن النبي ﷺ قضى سنة الظهر بعد العصر، وهذا صريح في قضاء السنة الفائتة، فالحاضرة أولى، والفريضة المقضية أولى، وكذا الجنازة. النووي في شرح مسلم (٦/ ٩٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن (٦٦٦)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٧٧، ٤٤٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٤٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٧٠٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٥٤)، (٣/ ٢٤١).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٤٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٠٠)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ١٢٥).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٠٥)، والشجري في آماليه (٢/ ٢٨٣)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٧٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٥٤)، والعراقي في المغني على هامش الإتحاف (١/ ٣٤٦).

(٥) أخرج الترمذي في سننه (٢٨٩٣)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدلت له بثلث القرآن». والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢١٥)، باب ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام.

(٦) من رواة هذا الحديث مع جابر بن عبدالله: عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس أبو سعيد العبشمي، القرشي، صحابي من مسلمة الفتح، وافتتح سجستان ثم سكن البصرة ومات بها، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥٠) أو بعدها. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ١٩٠)، تقريب التهذيب (١/ ٤٨٣)، الكاشف (٢/ ١٦٧)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٤٢)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٩٦)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٤١)، الثقات (٣/ ٢٤٩)، أسد الغابة (٣/ ٤٥٤)، سير الأعلام (٢/ ٥٧١)، الاستيعاب (٢/ ٨٣٥).

القرآن كلام الله لا غاية له. فصعد جبريل، فلقي إسرافيل، فقال: يا إسرافيل، ما أجر من علم ولده القرآن؟ فقال إسرافيل: يا جبريل، القرآن كلام الله لا غاية له. فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن قل لمحمد: إن الله يقرئك السلام ويقول: من علم ولده القرآن أو أقرأه بنفسه، فكأنما حج عشرة آلاف حجة، أو اعتمر عشرة آلاف عمرة، وغزا عشرة آلاف غزوة، وأطعم عشرة آلاف مسلم جائع، وكسا عشرة آلاف عريان، وأعتق عشرة آلاف رقبة من ولد إسماعيل، وكان له بكل حرف عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيئات. فقال جبريل لمحمد ﷺ ذلك، وقال: يا محمد، يكون مؤنسًا في القبر، ويجوز على الصراط كالبرق الخاطف، إلى آخر الحديث.



الباب الخامس

في الطهـــــارة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ (1) الآية [المائدة: ٦].

أمر الله تعالى المؤمنين بالتهيؤ للصلاة التي هي أعظم دعائم الدين، وشعار الموحدين، بغسل الأعضاء الأربعة غسلاً ومسحًا(2)، وإضافة السنة إلى ذلك لتكفير الذنوب والخروج عن العيوب، إذ الأعضاء الأربعة محيطة بالعبد.

الرأس أعلاه، ومقابله الرجلان، واليدان كالجناحين للطائر، وبينهما القلب الذي عليه المدار وبصلاحه صلاح الجسد إذ الأعضاء له كالرعية، وهي على دين الملك.

وفيه أوصاف تظهر منه بنقيضها، وتزول بعلاجها، أمر الله المؤمنين أن يتطهروا للصلاة؛ لأن المصلي يناجي الله تعالى، فأمر أن يتأهب لهذه المناجاة ويكون على أكمل الهيئات وأتم الحالات؛ لأنه يريد أن يدخل على الملك، فيتأهب للدخول عليه.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ (3).

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن جرير: وقد قال قوم: إن هذه الآية نزلت إعلامًا من الله أن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال وذلك لأنه ﷺ كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى يتوضأ، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣)، وفي صفة وضوء النبي ﷺ أخرج البخاري ومسلم من حديث عثمان بن عفان: توضأ فأفرغ على يديه ثلاثًا فغسلهما ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثًا ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثًا، ثم اليسرى ثلاثًا مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا... الحديث.

(٢) قال النووي: قال جمهور أهل اللغة: يقال: الوضوء والطهور بضم أولهما إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر، ويقال: الوضوء والطهور بفتح أولهما إذا أريد به الماء الذي يُتطهر به. هكذا نقله ابن الأنباري وجماعات من أهل اللغة وغيرهم، عن أكثر أهل اللغة، وذهب الخليل والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والأزهري وجماعة إلى أنه بالفتح فيهما، قال صاحب المطالع: وحكي بالضم فيهما جميعًا، وأصل الوضوء من الوضاءة وهي الحسن والنظافة، وسمي وضوء الصلاة وضوءاً لأنه ينظف المتوضئ ويحسنه. النووي في شرح مسلم (٣/ ٨٤).

(٣) قال النووي: اختلفوا في أن الوضوء فرض على كل قائم إلى الصلاة، أم على المحدث خاصة؟ فذهب ذاهبون من السلف إلى أن الوضوء لكل صلاة فرض بدليل قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، الآية، وذهب قوم إلى أن ذلك قد كان، ثم نسخ، وقيل: الأمر به لكل صلاة على الندب، وقيل: بل لم يشرع إلا لمن أحدث، ولكن تجديده لكل صلاة مستحب، وعلى هذا أجمع أهل الفتوى بعد ذلك ولم يبق بينهم فيه خلاف، ومعنى الآية عندهم : إذا كنتم محدثين، هذا كلام القاضي رحمه الله. النووي في شرح مسلم (٣/ ٨٨)، ط/ دار الكتب العلمية.

فقيل: معناه : إذا قمتم من النوم إلى الصلاة(١). وهذا يدل على أن النوم حدث بنفسه.
وقيل: معناها: إذا قمتم محدثين إلى الصلاة فاغسلوا.

وقيل: بل خطاب لكل قائم إلى الصلاة، لكن نسخ هذا بفعله ﷺ يوم الفتح. فقد روي أنه ﷺ صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد. فقال له عمر ﷺ: صنعت اليوم شيئًا لم تكن صنعت من قبل. فقال: ((عمدًا صنعته))(٢).

وقيل: بل الأمر في قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ﴾، لكل صلاة على سبيل الندب. وروي مثل هذا عن علي بن أبي طالب ﷺ.

وقيل: لم يشرع الوضوء إلا لمن أحدث، ولكن تجديده لكل صلاة مستحب.

---

(١) قال كثير من السلف في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، يعني : وأنتم محدثون. وقال آخرون: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة، وكلاهما قريب. وقال آخرون: بل المعنى أعم من ذلك، فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة ولكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر ندب، وقد قيل: إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجبًا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ. تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٦ -٢٧٧)، كتاب الطهارة، ٢٥-باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، عن بريدة بن الحصيب. وأبو داود في سننه (١٧٢)، كتاب الطهارة، باب الرجل يصلي الصلوات بوضوء واحد. والترمذي في سننه (٦١)، كتاب الطهارة، باب ما جاء أنه يصلي الصلوات بوضوء واحد، والنسائي (١/ ٨٦)، وابن ماجه (٥١٠)، في الطهارة وسننها، ٧٢-باب الوضوء لكل صلاة والصلوات كلها بوضوء واحد. وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٠، ٣٥١)، والبيهقي في سننه (١/ ١٦٢)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٢٣٧)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ٨٢)، وذكره في الفتح (١/ ٢٣٢، ٣١٦)، والطبري في تفسيره (٦/ ٧٣)، وقال الترمذي : والعمل على هذا عند أهل العلم: أنه يصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم يحدث، وكان بعضهم يتوضأ لكل صلاة استحبابًا وإرادة الفضل. وقال النووي: في هذا الحديث أنواع من العلم: منها: جواز المسح على الخف، وجواز الصلوات المفروضات والنوافل بوضوء واحد ما لم يحدث، وهذا جائز بإجماع من يعتد به. وحكى أبو جعفر الطحاوي وأبو الحسن بن بطال في شرح صحيح البخاري عن طائفة من العلماء أنهم قالوا: يجب الوضوء لكل صلاة، وإن كان متطهرًا، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾، الآية، وما أظن هذا المذهب يصح عن أحد ، ولعلهم أرادوا استحباب تجديد الوضوء عند كل صلاة، ودليل الجمهور الأحاديث الصحيحة، منها هذا الحديث، وحديث أنس في صحيح البخاري: كان رسول الله ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، وكان أحدنا يكفيه الوضوء ما لم يحدث، وحديث سويد بن النعمان في صحيح البخاري أيضًا: أن رسول الله ﷺ صلى العصر ثم أكل سويقًا ثم صلى المغرب ولم يتوضأ، وفي معناه أحاديث كثيرة، كحديث الجمع بين الصلاتين بعرفة والمزدلفة وسائر الأسفار، والجمع بين الصلوات الفائتات يوم الخندق وغير ذلك، وأما الآية الكريمة فالمراد بها والله أعلم إذا قمتم محدثين، وقيل: إنها منسوخة بفعل النبي ﷺ ، وهذا القول ضعيف والله أعلم. قال أصحابنا : ويستحب تجديد الوضوء وهو أن يكون على طهارة ثم يتطهر ثانيًا من غير حدث، وفي شرط استحباب التجديد أوجه:
أحدها: أنه يستحب لمن صلى به صلاة، سواء كانت فريضة أو نافلة.
والثاني: لا يستحب إلا لمن صلى فريضة.
والثالث: يستحب لمن فعل به ما لا يجوز إلا بطهارة كمس المصحف وسجود التلاوة.
والرابع: يستحب وإن لم يفعل به شيئًا أصلاً بشرط أن يتخلل بين التجديد والوضوء زمن يقع بمثله تفريق، ولا يستحب تجديد الغسل على المذهب الصحيح المشهور. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٥٢)، ط/ دار الكتب العلمية.

وفي الحديث: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك» (١) .

والطهارة: مفتاح الصلاة، كما ورد: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم» (٢) ، والوضوء من خصائص هذه الأمة تشريفًا لها وتكريمًا، ألا ترى إلى قوله ﷺ : «تأتي أمتي يوم القيامة غرًا محجلين من أثر الوضوء» (٣) . فلو كان الوضوء لغيرهم لم يكن لتخصيص الغرة بهذه الهيئة وجه، وكذلك التيمم من خصائصها.

وفي الحديث(٤):«أوتيت أربعة» وفي رواية: «خمسًا، حتى انتهت إلى اثنتى عشرة خصلة، لم يؤتهن أحد من قبلي: بعثت إلى الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب، وأمتي خير الأمم، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأوتيت الشفاعة، وبعثت بجوامع الكلم(٥)، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي، وزويت لي الأرض، وأعطيت الكوثر، وهو خير كثير وعدنيه ربي، حوض ترده أمتي، وختم بي النبوة، وأوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش» (٦).

وقوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾، الآية، أمر بالأعضاء الأربعة التي هي: الوجه والذراعان والرأس والرجلان، لشرفها في البدن.

أما الوجه: فقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾، [غافر: ٦٤].

وأما اليدان فلقوله: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، [الإسراء: ٧٠]، قيل: كرمناهم حيث جعلناهم يأكلون بأيديهم، والحيوانات تأكل بأفواهها.

وشرف الرجلين في قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾، [التين: ٤]. قيل: معناه: غير منكوس كالبهائم، بل هو قائم على قدميه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١-٢٢٣)، كتاب الطهارة، ١-باب فضل الوضوء، عن أبي مالك الأشعري، وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وابن ماجه في سننه (٢٨٠)، كتاب الطهارة، ٥-باب الوضوء شطر الإيمان، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠، ٤٤)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٠٣)، (٥/ ١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٦١)، في الطهارة، باب فرض الوضوء والترمذي (٣)، في الطهارة، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور.

(٣) أخرجه الترمذي (٦٠٧)، في الصلاة، باب ما ذكر من سيما هذه الأمة يوم القيامة من آثار السجود والطهور.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٣-٥٢١)، كتاب المساجد في فاتحته عن جابر بن عبدالله.

(٥) أخرج الحديث مسلم في صحيحه (٥-٥٢٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، عن أبي هريرة.

(٦) أخرج أوله بلفظ: «أوتيت خمسًا لم يؤتهن نبي قبلي...» الحديث: أحمد في مسنده (٥/ ١٤٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٣٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٧٣).

والرأس في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، [يوسف: ١١١]، وهو شعاع العقل الذي في الرأس، فشرف الرأس إذا قلنا: أن العقل في الرأس، والصحيح أنه في القلب.

وقيل: أمرنا بغسل الوجه شكراً، إذ لم يجعلها تسجد للأصنام، وبغسل اليدين شكراً، إذ لم يجعلها ممدودة في قضاء حوائج الأزلام. وبمسح الرأس لما جعلها متوجهة للبيت الحرام. وبالرجلين شكراً لما جعلها قائمة في المحراب بخدمة الملك العلام.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ في ملأ من المهاجرين، إذ أقبل عليه عشرة من أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد، إنا أتيناك لنسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي مرسل، أو نبي مقرب. فقال رسول الله ﷺ: «سلوني تفقهًا ولا تسألوني تعنتًا»، فقالوا: يا محمد، أخبرنا لم أمر الله تعالى بغسل هذه الأعضاء الأربعة، وهي أنظف الجسد؟

فقال النبي ﷺ: «إن آدم أبا البشر لما نظر إلى الشجرة وقصدها فواجهها بوجهه، ثم مشى إليها وهي أول قدم مشت إلى المعصية ثم تناول منها بيده وشمها، ثم أكل منها فطار عنه الحلي والحلل[1]، فعند ذلك عرف الخطأ، فوضع يده الخاطئة على رأسه. وأمر بغسل الرجلين[2] لمشيهما إلى الخطيئة، فلما فعل آدم ذلك كفر الله عنه الخطيئة. ثم افترضهن الله تعالى على أمتي ليكفر عنهم الخطايا من الوضوء إلى الوضوء، فبشراكم يا أمة محمد ﷺ فأسبغوا الوضوء تؤجروا». قال: فلما سمعت جماعة اليهود قوله ﷺ قالوا: صدقت يا محمد، صدقت يا رسول الله، ثم أسلموا كلهم جميعًا.

وقال ابن مسعود ﷺ: يا رسول الله، كيف تعرف من لا رأيته من أمتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «أمتي غر محجلون من أثر الوضوء»[3].

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾، [طه: ١٢٠ - ١٢٢].

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٥ - ٢٤٠)، كتاب الطهارة، ٩-باب وجوب غسل الرجلين، عن عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للأعقاب من النار»، فيه استدلال على وجوب غسل الرجلين وأن المسح لا يجزئ، وهذه مسألة اختلف الناس فيها على مذاهب، فذهب جمع من الفقهاء من أهل الفتوى في الأعصار والأمصار إلى أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين، ولا يجزئ مسحهما، ولا يجب المسح مع الغسل ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتد به في الإجماع. شرح مسلم للنووي (٣/ ١١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٦٠٧)، في الصلاة، باب ما ذكر من سيما هذه الأمة يوم القيامة من آثار النبي ﷺ قال: «أمتي يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الشيخ أحمد شاكر: رواه أحمد مطولاً عن أبي المغيرة عن صفوان بن عمرو، وقد ورد هذا المعنى في أحاديث أخر في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، وعند ابن ماجه وابن حبان من حديث ابن مسعود، وعند أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة، وعند أحمد من حديث أبي الدرداء.

وعن عبدالرحمن بن سمرة الأنصاري ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقال: ((لقد رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلا من أمتي قد تسلط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، فيا هنيئًا لمن أسبغ وضوءه، وبلغ الماء، ويا بشرى هذه الأمة المرحومة)) .

قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [1] [المائدة : ٦]، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أقبل عشرة من أحبار اليهود فقالوا: يا محمد، لم أمر الله تعالى بالغسل من الجنابة، ولم يأمر من البول والغائط، وهما أقذر من النطفة؟

فقال رسول الله ﷺ : ((إن آدم لما قارف الخطيئة، وأكل من الشجرة تحولت في عروقه وشعره [2] وسائر جسده. وإذا جامع الإنسان نزل من أصل كل شعرة مع اللذة، فافترض الله تعالى عليَّ وعلى أمتي الغسل تطهيرًا وتكفيرًا وشكرًا لما أنعم من اللذة التي تصيبوها منه)) . قالوا: صدقت يا محمد.

وقد قال ﷺ: ((إن المؤمن إذا أراد الغسل من حلاله، بنى الله له قصرًا في الجنة. والمنافق لا يغتسل من الجنابة، فما من عبد أو أمة من أمتي قائمًا للغسل إلا باهى الله تعالى به الملائكة، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي وأمَتي قائمان يغتسلان من الجنابة، يتقيان ربهما، أشهدكم أني قد غفرت لهما، وكتبت بكل شعرة ألف حسنة، ومحي من سيئاتهما مثل ذلك)) .

قالوا: صدقت يا محمد، نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ﷺ .

وقد أمر الله العباد بطهارة هذه الأعضاء لتكون الطهارة تكفيرًا لمتابعة الشهوات وارتكاب الزلات لأنها أصل الأشياء، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ

(١) قال النووي: قال أصحابنا: كمال غسل الجنابة أن يبدأ المغتسل فيغسل كفيه ثلاثًا قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة بكماله، ثم يدخل أصابعه كلها في الماء يغرف غرفة يخلل بها أصول شعره من رأسه ولحيته، ثم يحثي على رأسه ثلاث حثيات ويتعاهد معاطف بدنه كالإبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الإليتين، وأصابع الرجلين وعكن البطن فيوصل الماء إلى جميع ذلك، ثم يفيض على رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء على سائر جسده ثلاثًا، يدلك في كل مرة ما تصل إليه يداه من بدنه، وإن كان يغتسل في نهر أو بركة انغمس فيها ثلاث مرات ويوصل الماء إلى جميع بشرته والشعور الكثيفة والخفيفة ويعم بالغسل ظاهر الشعر وباطنه وأصول منابته، والمستحب أن يبدأ بميامنه وأعالي بدنه، ويكون مستقبل القبلة ويقول بعد الفراغ منه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. النووي في شرح مسلم (٣/١٩٦).

(٢) روى الترمذي (١٠٦)، في الطهارة، باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة)) ، وقال الشيخ أحمد شاكر: والحديث الصحيح في هذا الباب حديث علي الذي أشار إليه الترمذي، رواه أبو داود (١/١٠٣)، وابن ماجه (١/١٠٧)، عن علي قال: وإن رسول الله ﷺ قال: ((من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فعل بها كذا وكذا من النار)) قال علي: فمن ثم عاديت رأسي، فمن ثم عاديت رأسي، فمن ثم عاديت رأسي، وكان يجز شعره ﷺ.

طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾(١) [عبس: ٢٤ -٢٧]، الآية.

الماء ذكر والتراب أنثى، فأوصى العباد بشكر النعمة تارة بالماء، وتارة بالتراب اللذين كانا سببًا لوجود الرزق، جعلهما سببًا للطهارة.

والعجب كل العجب من عدو الله إبليس حيث قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾(٢) [ص:٧٦]. حجبت عنه حقيقة الأمر، النار سبب للقطيعة، والتراب سبب للوصلة الرفيعة، النار تظهر العيب، والتراب يستره، الذي يدفعه للنار تحرقه، والذي يدفعه للتراب يحفظه (بورقه)(٣)، طبع النار التكبر، وطبع التراب التواضع. انظر إلى آدم قال: «ربنا»، قيل له: نعطيهم قربنا، وإبليس قال: «أنا»، قيل له: لم تصلح لنا. شعر:

حتى متى مهجتي تـــذوب ... وليس لي منكم نصـــيب
وكنت أدعـــو ولا تجيب ... ما هكذا يفعل الحبـــيب
صـــددت لما ظننت أنـــي ... أتوب والله مـــا أتـــوب
مـن لم يكن للوصال أهـــلاً ... فكل إحســـانه ذنـــوب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين»(٤). قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طرق الناس أو في ظلهم»(٥). رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

---

(١) فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية وترابًا متمزقًا: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾، أي أنزلناه من السماء على الأرض ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾، أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٢).

(٢) أعلم الله الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالاً لأمر الله عز وجل، فامتثل الملائكة كلهم ذلك، سوى إبليس، ولم يكن منهم جنسًا، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف من السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه، وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) قال الخطابي: المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن الحاملين الناس عليه والداعين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سببًا لذلك أضيف اللعن إليهما. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٣٩)، ط.دار الكتب العلمية.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٨-٢٦٩)، كتاب الطهارة، ٢٠-باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، عن أبي هريرة. وأبو داود في سننه (٢٥)، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها. قال النووي: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن: مواضع اللعن. قلت: فعلى هذا يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما . شرح مسلم للنووي (٣/ ١٣٩).

قوله: «اللاعنين»: يريد الأمرين الجالبين اللعن، وذلك أن من فعلهما لعن وشتم. فلما كانا سببًا لذلك أضيف الفعل إليهما، فكانا كأنهما اللاعنان.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» (١)، رواه ابن ماجه وأبو داود، وقال أبو داود: وهو مرسل. الملاعن: مواضع اللعن.

قال الحافظ الخطابي: والمراد هنا بالظل هو الظل الذي اتخذه الناس مقيلاً ومنزلاً ينزلونه، وليس كل ظل يحرم قضاء الحاجة فيه؛ فقد قضى النبي ﷺ حاجته تحت حايش النخل، وهو لا محالة ظل (٢). انتهى.

الحايش: المجتمع من الشجر نخلاً كان أو غيره.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا الملاعن الثلاث». قيل: وما الملاعن الثلاث يا رسول الله؟ قال: «أن يقعد في ظل يستظل به، أو في طريق، أو نقع ماء»، رواه أحمد (٣).

وعن حذيفة بن أسيد ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم». رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

وعن محمد بن سيرين: قال رجل لأبي هريرة ﷺ: أفتيتنا في كل شيء، يوشك أن تفتنا في الخراء. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول(٤): «من سل سخيمته على طريق من طرق الناس فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي وغيرهما.

قوله: «يوشك»: بكسر الشين المعجمة وفتحها، معناه: يكاد ويسرع. والسخيمة: الخراء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦)، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، عن معاذ بن جبل. وابن ماجه (٣٢٨)، كتاب الطهارة، ٢١-باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، وأحمد في مسنده (١/ ٢٩٩)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٦٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٠٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٣).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي بلفظ: قال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخًا ينزلونه ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود تحته، فقد قعد النبي ﷺ تحت حايش النخل لحاجته، وله ظل بلا شك والله أعلم. ثم قال النووي: وأما قوله ﷺ: «الذي يتخلى في طريق الناس» فمعناه: يتغوط في موضع يمر به الناس، وما نهى عنه في الظل والطريق لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٣٩).

(٣) انظر أحمد (١/ ٢٩٩)، وما تقدم قبل هذا.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير للطبراني (٢/ ١٨)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٨٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٠٥)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ١٠١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٤).

وعن مكحول[١] رحمه الله قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يبال بأبواب المساجد)). رواه أبو داود في مراسيله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتب له حسنة، ومحي عنه سيئة))[٢]، رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح.

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ((أنه نهى أن يبال في الماء الراكد))[٣]. رواه مسلم وابن ماجه والنسائي.

وعنه قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الماء الجاري)). رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

وعن بكر بن ماعز قال: سمعت عبدالله بن زيد يحدث عن النبي ﷺ قال: ((لا ينقع بول في طشت في البيت فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه بول منتقع، ولا تبولن في مغتسلك))[٤].

رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نهى أن يبول الرجل في مستحمه وقال: ((إن عامة الوسواس منه))[٥].

رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي واللفظ له، وقال: حديث غريب.

---

(١) مكحول، أبو عبدالله، أبو أيوب الشامي الفقيه الدمشقي، الهذلي، ثقة، فقيه، كثير الإرسال، مشهور، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي (١١٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣)، الكاشف (٣/ ١٧٢)، التاريخ الكبير (٨/ ٢١)، التاريخ الصغير (١/ ٢٧، ٢٧٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٨٦٧)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٧)، المغني (٦٤٠٧), سير الأعلام (٥/ ١٥٥)، الأنساب (٨/ ٣٧).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٩)، كتاب الوضوء، ٦٨-باب البول في الماء الدائم، ومسلم (٢٨١)، في الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، والنسائي (١/ ٣٤)، كتاب الطهارة ، ٤٥-باب الماء الدائم، وكتاب الغسل، باب ذكر نهي الجنب عن الاغتسال في الماء الدائم، وابن ماجه (٣٤٣)، في الطهارة وسننها، ٢٥-باب النهي عن البول في الماء الراكد. وأبو داود (٦٩) في الطهارة، ٣٦-باب البول في الماء الراكد، والترمذي (٢١) في الطهارة، باب ما جاء في كراهية البول في المغسل.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ١٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٩٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٤).

(٥) رواه الترمذي (٢١)، في الطهارة، ما جاء في كراهية البول في المغتسل عن عبدالله بن مغفل، وأبو داود (٢٧)، كتاب الطهارة، باب في البول في المستحم ، عن عبدالله بن مغفل. وابن ماجه (٣٠٤)، في الطهارة وسننها، ١٢- باب كراهية البول في المغتسل. وأحمد في مسنده (٥/ ٥٦). وقال الترمذي: وقد كره قوم من أهل العلم البول في المغتسل وقالوا: عامة الوسواس منه، ورخص فيه بعض أهل العلم، منهم ابن سيرين. وقال ابن المبارك: قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى فيه الماء.

وعن قتادة، عن عبدالله بن سرجس ﷺ[1] قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الجحر))[2].

قالوا لقتادة: ما يكره من البول في الجحر؟ قال: يقال: إنها مساكن الجن. رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: ((لا يتناجى اثنان على غائطهما، ينظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه، فإن الله يمقت على ذلك))[3]. رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يخرج اثنان إلى الغائط فيجلسان يتحدثان كاشفان عورهما، فإن الله ﷻ يمقت على ذلك))[4]. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: ((إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بل إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله))[5]. رواه البخاري، وهذا أحد ألفاظه، ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وفي رواية البخاري وابن خزيمة في صحيحه: أن النبي ﷺ مر بحائط من حيطان مكة، أو المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبرهما، فقال النبي ﷺ: ((إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير))، ثم قال: ((بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة))[6] الحديث.

---

(١) عبدالله بن سرجس، المزني المخزومي، صحابي، انظر ترجمته في التهذيب (٥/ ٢٣٢)، التقريب (١/ ٤١٨)، الكاشف (٢/ ٩٠)، الجرح والتعديل (٥/ ٦٣)، ميزان الاعتدال (٥/ ١٧)، التاريخ الكبير (٣/ ١٧، ٩٨)، أسد الغابة (٣/ ٢٥٦)، الإصابة (٤/ ١٠٦)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣١٣)، الثقات (٣/ ٢٣٠)، (٥/ ٢٣)، أسماء الصحابة الرواة (١٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩)، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الجحر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥) كتاب الطهارة، باب كراهية الكلام عند الحاجة، عن أبي سعيد الخدري، وابن ماجه في سننه (٣٤٢)، كتاب الطهارة وسننها، ٢٤-باب النهي عن الاجتماع على الخلاء، والحديث عنده، وابن خزيمة في صحيحه (٧١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٤٦)، وفي مشكاة المصابيح (٣٥٦)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٧٥).

(٤) انظر ما تقدم قبل هذا، وانظر مجمع الزوائد (١/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٨ -فتح)، في الطهارة، ومسلم في صحيحه (١١١-٢٩٢)، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، وأبو داود في سننه (٢٠)، كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول، والترمذي (٧٠) في الطهارة، باب ما جاء في التشديد في البول، والنسائي (٤/ ١٠٦)، وابن ماجه (٣٤٧)، كتاب الطهارة، ٢٦-باب التشديد في البول. والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٨).

(٦) أما قوله ﷺ: ((وما يعذبان في كبير))، فقد جاء في رواية البخاري: ((وما يعذبان في كبير وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول)) ذكره في كتاب الأدب، في باب النميمة من الكبائر، وفي كتاب الوضوء من البخاري أيضًا: ((وما يعذبان في كبير=

قال الخطابي: قوله: ((وما يعذبان في كبير)) معناه: أنهما يعذبان في أمر كان يكبر عليهما أو يشق فعله، لو أرادا أن يفعلاه، وهو التستر من البول وترك النميمة، ولم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين وإن الذنب فيهما هين سهل.

وعن ابن عباس قال أيضًا: قال رسول الله ﷺ: ((عامة عذاب القبر في البول، فاستنزهوا من البول))[1]. رواه البزار في الكبير والطبراني في الكبير والحاكم والدارقطني.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أكثر عذاب القبر من البول))[2]، رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة.

وعن أبي أمامة ﷺ، قال: مر النبي ﷺ في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد، قال: وكان الناس يمشون خلفه. قال: فلما سمع صوت النعال، وقر ذلك في نفسه فجلس حتى قدمهم أمامه، فلما مر ببقيع الغرقد إذا بقبرين قد دفنوا فيهما رجلين. قال: فوقف النبي ﷺ فقال: ((من دفنتم هاهنا اليوم؟)) قالوا: فلان وفلان. قال: ((إنهما يعذبان))[3]. قالوا: يا نبي الله وما ذاك؟ قال: ((أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)). وأخذ جريدة رطبة فشقها[4]،

=بل إنه كبير)) ، فثبت بهاتين الزيادتين الصحيحتين أنه كبير، فيجب تأويل قوله ﷺ : ((وما يعذبان في كبير)) ، وقد ذكر العلماء فيه تأويلين:

أحدهما: أنه ليس بكبير في زعمهما. والثاني : أنه ليس بكبير تركه عليهما.

وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى تأويلاً ثالثًا: أي ليس بأكبر الكبائر. قلت: فعلى هذا يكون المراد بهذا الزجر والتحذير بغيرهما، أي لا يتوهم أحد أن التعذيب لا يكون إلا في أكبر الكبائر الموبقات، فإنه يكون في غيرها والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٧٢).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٨٤)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٧)، والدارقطني في سننه (١/ ١٢٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨)، ١-كتاب الطهارة وسننها ، ٢٦-باب التشديد في البول . والحاكم في مستدركه (١/ ١٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٠١)، والدارقطني في سننه (١/ ١٢٨)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٠٨١).

(٣) ما بين القوسين غير موجود بالأصل، وأما الحديث فأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٢٥)، (٥/ ٢٦٦)، وابن حجر التلخيص (١/ ١٠٦)، والألباني في الإرواء (١/ ٣١٣)، والهيثمي في الجمع (١/ ١٤٠)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/ ٣٢٠، ٣٢١).

(٤) أما وضعه ﷺ الجريدتين على القبر فقال العلماء: محمول على أنه ﷺ سأل الشفاعة لهما فأجيبت شفاعته ﷺ بالتخفيف عنهما إلى أن ييبسا، وقد ذكر مسلم رحمه الله في آخر الكتاب في الحديث الطويل حديث جابر في صاحبي القبر، فأجيبت شفاعتي أن يدفع ذلك عنهما ما دام القضيبان رطبان. وقيل: يحتمل أنه ﷺ كان يدعو لهما تلك المدة . وقيل: لكونهما يسبحان ما داما رطبين وليس لليابس تسبيح، وهذا مذهب كثيرين أو الأكثرين من المفسرين. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٧٢).

ثم جعلها على قبريهما. قالوا: يا نبي الله، لم فعلت هذا؟ قال: «**ليخفض عنهما**». قالوا: يا رسول الله حتى متى هما يعذبان؟ قال: «**غيب لا يعلمه إلا الله، ولولا تمرغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**» . رواه أحمد وابن ماجه [(١)] .

وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام**» [(٢)] . رواه النسائي والترمذي، وحسنه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستفتح عليكم أرض العجم، وستجدون فيها بيوتًا يقال لها : الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بالأزر، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء**» [(٣)] . رواه ابن ماجه وأبو داود.

الحليلة: بفتح الحاء المهملة: هي الزوجة.

وروي عن المقدام بن معدي كرب[(٤)] ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنكم ستفتحون آفاقًا فيها بيوت يقال لها: الحمامات، حرام على أمتي دخولها**» . قالوا: يا رسول الله ، إنها تذهب الوصب، وتنفي الدرن. قال: «**فإنها حلال لذكور أمتي في الأزر، حرام على إناث أمتي**»[(٥)]. رواه الطبراني.

الأفق: بضم الألف، وسكون الفاء، وبضمها أيضًا هي الناحية. والوصب: المرض.

***

---

(١) انظر ما تقدم من التخريجات.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٠١)، كتاب الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث طاووس عن جابر إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٨٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٤٠٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠١١)، كتاب الحمام في فاتحته، عن عبدالله بن عمرو، وابن ماجه في سننه (٣٧٤٨)، ٣٣-كتاب الأدب، ٣٨-باب دخول الحمام، عن عبدالله بن عمرو.

(٤) المقدام بن معدي كرب بن عمرو بن يزيد ﷺ أبو كريمة، أبو يحيى الكندي، الشامي ، صحابي ، مشهور ، نزل الشام، أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، الكاشف (٣/ ١٧٢)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤٢٩)، أسد الغابة (٥/ ٢٥٤)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٠٢)، الثقات (٣/ ٣٩٥)، الإصابة (٦/ ٢٠٤) ، سير الأعلام (٣/ ٤٢٧)، الاستيعاب (٤/ ١٤٨٢).

(٥) بنحوه أخرجه أبو داود (٤٠٠٩)، في الحمام والترمذي (٢٨٠٢)، في الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام، وابن ماجه (٣٧٤٩)، في الأدب، باب دخول الحمام ، كلهم من حديث عائشة: أن النبي ﷺ نهى الرجال والنساء عن الحمامات، ثم رخص للرجال في المبازر. وانظر المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٨).

الباب السادس

في تأخير الغسل بغير عذر

عن عمار بن ياسر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب، إلا أن يتوضأ)) [(١)] ، رواه أبو داود.

وعن عطاء الخراساني، عن يحيى بن يعمر، عن عمار ﷺ قال: قدمت على أهلي ليلاً وقد تشققت يداي، فخلقوني بزعفران، فغدوت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فلم يرد السلام عليّ، ولم يرحب بي، وقال: ((اذهب فاغسل عنك هذا))، فذهبت فغسلته، ثم جئت فسلمت عليه فرد عليّ ورحب بي وقال: ((إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير، ولا المتضمخ بزعفران ، ولا الجنب)). قال: ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ[(٢)].

قال الحافظ: المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، فإنهم لا يفارقونه على حال من الأحوال.

ثم قيل: هذا في حق كل من أخر الغسل لغير عذر، والعذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ. وقيل: هو الذي يؤخره تهاونًا وكسلاً ويتخذ ذلك عادة [(٣)] ، والله أعلم.

***

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٨٠)، كتاب الترجل، باب في الخلوق للرجال، عن عمار بن ياسر. والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٢١٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٦)، في الترجل، باب في الخلوق للرجال، ورقم (٤٦٠١)، كتاب السنة، باب ترك السلام على أهل الأهواء. وأحمد في مسنده (٤/ ٣٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٠٣)، (٥/ ٣٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠٨٧)، وابن عبدالبر في التمهيد (٢/ ١٨٣).

(٣) قال النووي: يجوز للجنب أن ينام ويأكل ويشرب قبل الاغتسال، وهذا مجمع عليه، وأجمعوا على أن بدن الجنب وعرقه طاهران، وفيها أنه يستحب أن يتوضأ ويغسل فرجه لهذه الأمور كلها ولاسيما إذا أراد جماع من لم يجامعها ، فإنه يتأكد استحباب غسل ذكره، وقد نص أصحابنا أنه يكره النوم والأكل والشرب والجماع قبل الوضوء، وهذه الأحاديث تدل عليه، ولا خلاف عندنا أن هذا الوضوء ليس بواجب، وبهذا قال مالك والجمهور، وذهب ابن حبيب من أصحاب مالك إلى وجوبه، وهو مذهب داود الظاهري، والمراد بالوضوء وضوء الصلاة الكامل. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٨٦)، ط.دار الكتب العلمية.

الباب السابع

في فضل الوضوء وإسباغه وفي الصور التي يستحب فيها الوضوء

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[1]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»، رواه مسلم[2].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه، حتى تخرج من تحت أظفاره»[3]، رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان أيضًا قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيته إلى المسجد نافلة»[4]. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء. فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب»[5]. رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦)، كتاب الوضوء، ٣-باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، ومسلم في صحيحه (٣٥-٢٤٦)، كتاب الطهارة، ١٢-باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، والنسائي (١/ ٩٤، ٩٥)، كتاب الطهارة، ١١٠-باب حلية الوضوء، رقم (١٥٠). وأحمد في مسنده (١/ ٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٥٧)، في الطهارة، باب استحباب إمرار الماء على العضد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٠-٢٥٠)، كتاب الطهارة، ١٣-باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٥٧)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٣٣-٢٤٥)، كتاب الطهارة، ١١-باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء. والمنذري في الترغيب (١/ ١٥١٩)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٢٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه : (٣-٢٢٦)، كتاب الطهارة، ٣-باب صفة الوضوء وكماله. وابن ماجه في سننه (٢٨٥)، كتاب الطهارة وسننها، ٦-باب ثواب الطهور، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٢٢٣).

(٥) أخرجه مسلم (٣٢-٢٤٤)، كتاب الطهارة، ١١-باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء. قال النووي: المراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر وكما تقدم بيانه وكما في الحديث الآخر: «ما لم تغش الكبائر»، قال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء: المجاز والاستعارة في غفرانها لأنها ليست بأجسام فتخرج حقيقة والله أعلم. ومعنى قوله ﷺ: «بطشتها يداه ومشتها رجلاه»، معناه: اكتسبتها. النووي في شرح مسلم (٣/ ١١٤).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»[١]. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال: «أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض»، رواه مسلم أيضًا[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»[٣]، رواه مسلم.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»[٤]، رواه مسلم. والمراد بالطهور: بضم الطاء هنا: الوضوء، أو ما قام مقامه، وهو الغسل والتيمم.

والشطر: النصف، والإيمان: الصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾، [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم إلى بيت المقدس. وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا تصح صلاة إلا بطهور. وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[٥]، رواه مسلم.

---

(١) قال العلماء: في هذا الحديث جواز التمني، لا سيما في الخير ولقاء الفضلاء وأهل الصلاح، والمراد بقوله ﷺ: «وددت أنا قد رأينا إخواننا» أي رأيناهم في الحياة الدنيا. قال القاضي عياض: وقيل: المراد تمني لقائهم بعد الموت. قال الإمام الباجي: قوله ﷺ: «بل أنتم أصحابي» ليس نفيًا لإخوتهم، ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة، فهؤلاء إخوة صحابة، والذين لم يأتوا إخوة ليسوا بصحابة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. النووي في شرح مسلم (٣/ ١١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩-٢٤٩)، كتاب الطهارة، ١٢-باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. قال النووي في قوله ﷺ: «لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم»: أما الدهم: فجمع أدهم وهو الأسود، والدهمة: السواد. وأما البهم: فقيل: السواد أيضًا، وقيل: البهم: الذي لا يخالط لونه لونًا سواه، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر، بل يكون لونه خالصًا، وهذا قول ابن السكيت وأبي حاتم السختياني وغيرهما. النووي في شرح مسلم (٣/ ١١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤١-٢٥١)، كتاب الطهارة، ١٤-باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١-٢٢٣)، كتاب الطهارة، ١-باب فضل الوضوء. وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠، ٤٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٢٢٥)، كتاب الطهارة، ٢-باب وجوب الطهارة للصلاة، عن أبي هريرة. قال النووي: أجمعت الأمة على أن الطهارة شرط في صحة الصلاة، قال القاضي عياض: واختلفوا متى فرضت الطهارة، فذهب ابن الجهم إلى أن الوضوء في أول الإسلام كان سنة، ثم نزل فرضه في آية التيمم، قال الجمهور: بل كان قبل ذلك فرضًا، قال: واختلفوا في أن الوضوء فرض على قائم إلى الصلاة أم على المحدث خاصًا، فذهب ذاهبون من السلف إلى أن الوضوء لكل صلاة فرض، وذهب قوم إلى أن ذلك قد كان ثم نسخ. النووي في شرح مسلم (٣/ ٨٧).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أي باب شاء»[١]. رواه مسلم، وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».

وعن أبي عمارة البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فلان، إذا أتيت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا»[٢]. رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية الصحيحين عن البراء بن عازب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل...» وذكر نحوه[٣]. ثم قال: «واجعله من آخر ما تقول». وهذه الرواية هي المقصودة في هذا الباب، فإن الرواية الأولى لم يذكر فيها الوضوء، وخرج الأخرى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أنس، إن استطعت أن تكون أبدًا على وضوء فافعل، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة».

وقال أبو الليث: حدثنا أبي بإسناده عن عبدالله بن سلام[٤] ﷺ قال: وجدت في بعض ما أنزل الله تعالى: أن من توضأ من كل حدث ولم يكن دخالاً على النساء في البيوتات، ولم يكسب مالاً بغير حق، رزق من الدنيا بغير حساب.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧-٢٣٤)، كتاب الطهارة، ٦-باب الذكر المستحب عقب الوضوء. وأبو داود (١٦٩، ١٧٠)، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا توضأ. والترمذي (٥٥)، في الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، والنسائي (١/ ٩٢-٩٣، المجتبى). وابن ماجه (٤٦٩، ٤٧٠)، في كتاب الطهارة وسننها، ٦٠-باب ما يقال بعد الوضوء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥)، ٨٠-كتاب الدعوات، ٦-باب إذا بات طاهرًا، وباب (٧، ٩)، ومسلم (٥٦-٢٧١٠)، كتاب الذكر والدعاء، ١٧-باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. وأبو داود (٥٠٤٦، ٥٠٤٧، ٥٠٤٨)، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم. والترمذي (٣٣٩٤)، ٤٩-كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه. وابن ماجه (٣٨٧٦)، في الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه.

(٣) راوي الحديث هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة، أبو عمارة، ويقال: أبو عمرو، الأنصاري الأوسي المدني، ذو الغرة، الحارثي، صحابي ابن صحابي، أخرج له الستة، توفي سنة (٧٢)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٢٥)، تقريب التهذيب (١/ ٩٤)، الكاشف (١/ ١٥١)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١١٧)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٦، ١٢٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٩)، أسد الغابة (١/ ٢٠٦)، الإصابة (١/ ٢٧٨)، الوافي بالوفيات (١/ ١٠٤)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٧).

(٤) عبدالله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي النسب، حليف الأنصار، أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه: عبدالله، وشهد له بالجنة. شهد فتح بيت المقدس مع عمر، وقيل: إنه مع ذرية يوسف عليه السلام، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٤٣). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٣٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٨)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٧١، ٧٤)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٨٨)، أسد الغابة (٣/ ٥٦٤)، الثقات (٣/ ٢٢٨).

وروي عن أبي هريرة أنه قال: من بات طاهراً في شعار طاهر بات معه ملك في شعاره، فلا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان ، فإنه بات طاهراً [١].

وروي عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: ((استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)) [٢] .

قال أبو الليث: معنى قوله ﷺ : ((ولن تحصوا[٣])) يعني: ولن تقدروا على ذلك إلا بالجهد، ويقال: معناه: ولن تقدروا أن تعدوا ثواب من استقام على الإيمان والطاعة.

ومعنى قوله ﷺ: ((ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن))[٤]. يعني: أن الدوام على الوضوء من أخلاق المؤمنين، فينبغي أن يكون النهار كله على الوضوء وينام بالليل على الوضوء، فإذا فعل ذلك يحبه الله تعالى، ويحبه حفظته، ويكون في أمان الله.

قال أبو الليث: سمعت أبي يقول: بلغني أن عمر بن الخطاب ﷺ وجه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مصر لكسوة الكعبة، فنزل الرجل ببعض أرض الشام إلى جانب حبر من الأحبار، ولم يكن حبر أعلم منه، فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع من علمه. فأتاه يستفتح باب داره فلم يفتح له طويلاً، ثم دخل على الحبر فسأله وسمع منه ، فأعجبه علمه، ثم شكا إليه طول جلوسه على الباب، فقال له الحبر: رأيناك حين عدلت إلينا على هيئة السلطان فتخوفنا منك، وإنما حبسناك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى ﵇ : يا موسى، إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء، فإن من توضأ كان في أماني مما يتخوف، فأغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من في الدار وأمناك، ثم فتحنا لك.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٤٨)، وذكره ابن حجر في الفتح (١١/ ١٠٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٧٧، ٢٧٨)، كتاب الطهارة وسننها، ٤-باب المحافظة على الوضوء، الأول عن ثوبان، وقال في الزوائد: رجال إسناده ثقات أثبات إلا أن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان. والثاني: عن عبدالله بن عمرو، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم.

(٣) استقيموا ولن تحصوا: في النهاية: أي استقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا، ولن تطيقوا الاستقامة من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾، اي لن تطيقوا عده وضبطه.

(٤) واخرجه أيضًا احمد في مسنده (٥/ ٢٧٧، ٢٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٢، ٤٥٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

وروي في الخبر: «إن العبد إذا فرغ من وضوءه فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، يختم له بخاتم، ثم يوضع تحت العرش، فلا يكسر حتى يرفع إليه يوم القيامة»(١).

وفي سنن الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من توضأ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله قبل أن يتكلم غفر له ما بين الوضوء» (٢). قال النووي رحمه الله تعالى: إسناده ضعيف.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن ابن ماجه وكتاب ابن السني من رواية أنس ﷺ، عن النبي ﷺ : «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فتح له ثمانية أبواب الجنة من أيها شاء دخل» (٣). قال النووي: إسناده ضعيف.

قال نصر المقدسي: ويقول مع هذه الأذكار، يعني أذكار الوضوء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ويضم إليه: «وسلم».

قال النووي: قال أصحابنا: ويقول هذه الأذكار مستقبل القبلة، ويكون عقب القراغ.

وروى النسائي وابن السني رحمهما الله تعالى بإسناد صحيح، عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: أتيت رسول الله ﷺ بوضوء فسمعته يقول: «اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي» (٤) . فقلت: يا نبي الله، سمعتك تدعو بكذا وكذا. قال: «وهل تراهن تركن من شيء» .

قال الثوري رحمه الله: ترجم ابن السني لهذا الحديث.

---

(١) أخرجه النسائي (٨١)، في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤)، وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: ووقفه ابن مهدي عن الثوري عن أبي هاشم. وانظر مختصر سلاح المؤمن للذهبي (١٨١)، من تحقيقنا، ط.دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٢٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٦٩)، كتاب الطهارة وسننها، ٦٠-باب ما يقال بعد الوضوء. وقال في الزوائد: في إسناده زيد العمي، وهو ضعيف ، قال السندي: قلت: لكن أصل الحديث صحيح من حديث عمر بن الخطاب. رواه مسلم وأبو داود والترمذي كما رواه المصنف من رواية عمر أيضًا، ولا عبرة بتضعيف الترمذي الحديث في رواية عمر كما نبه عليه، والعجب من صاحب الزوائد أنه اقتصر على كلام الترمذي مع ثبوت الحديث في صحيح مسلم.

(٤) أخرجه النسائي (٨٠) في عمل اليوم والليلة والترمذي من حديث أبي هريرة (٣٥٠٠)، كتاب الدعوات، باب (٧٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، انظر مختصر سلاح المؤمن للذهبي (١٨١)، من تحقيقنا، ط/ دار الكتب العلمية. وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٦٣)، (٥/ ٣٦٧)، والطبراني في الصغير (٢/ ١٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١١٠).

وفي صحيح البخاري ومسلم: عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**» [(١)]، هذا لفظ البخاري، ورواه مسلم بمعناه [(٢)].

قال النووي: وقافية الرأس: آخره.

وروى أبو الليث بإسناده إلى أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من جاء بهن يوم القيامة مع الإيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على مواقيتهن ووضوئهن وركوعهن وسجودهن، ومن أدى الزكاة من ماله طيبة بها نفسه**».

ثم قال: «**وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وصيام شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وأداء الأمانة**».

قال: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟

قال: الغسل من الجنابة، فإن الله تعالى لم يأتمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها.

وروى أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «**يا بلال[(٣)]، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**».

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٢)، كتاب التهجد، ١٢-باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، ومسلم (٢٠٧-٧٧٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٨-باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، وأخرجه أبو داود في سننه (١٣٠٦)، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، ومالك في الموطأ (١/ ١٧٦)، والنسائي في (٣/ ٢٠٤-المجتبى). وانظر مختصر سلاح المؤمن (ص٣٣)، من تحقيقنا، ط.دار الكتب العلمية.

(٢) قال النووي: فيه فوائد، منها: الحث على ذكر الله تعالى عند الاستيقاظ، وجاءت فيه أذكار مخصوصة مشهورة في الصحيح، وقوله: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد »، القافية: آخر الرأس، وقافية كل شيء آخره، ومنه قافية الشعر. وقوله ﷺ: «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» : معناه: لما عليه من عقد الشيطان، وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه. النووي في شرح مسلم (٦/ ٥٩).

(٣) بلال بن رباح، أبو عبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، أبو عمر، التيمي الحبشي المؤذن، ابن حمامة، مولى أبو بكر، من أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٧، ١٨، ٢٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٢)، تقريب التهذيب (١/ ١٠٩)، الثقات (٣/ ٢٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ١٠٦)، التاريخ الصغير (٢/ ٢٧، ٥٣)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٥)، أسد الغابة (١/ ٢٤٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٧٦)، الإصابة (١/ ٣٢٦)، سير الأعلام (١/ ٣٤٧)، أسماء الصحابة الرواة (٧١)، البداية والنهاية (٧/ ١٠٢).

قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أن أتطهر طهراً من ساعة في ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهر ما كتب لي أن أصلي[١]. رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري. قال النووي: الدف، بالفاء: صوت النعل وحركته على الأرض.

وروى السري بن يحيى أنه قال: قرح سليمان التيمي رحمه الله عينه قال: فنهاه الطبيب أن يمس ماء. قال: فمس فرجه، وأراد الوضوء، فنزع القطنة عن عينه وتوضأ، وأعاد القطنة على حالها الأول، فجاء الطبيب فلم ير شيئًا ينكر. قال: انظر هل ترى شيئًا؟ قال: ما أرى شيئًا أنكره. قال: فإني قد توضأت . قال: فإن الله تعالى قد رزقك العافية .

وكان سليمان التيمي رحمه الله صاحب كرامات، منها : أنه استعار من رجل فرواً فلبسه، ثم رده. قال الرجل: فما زلت أجد فيه رائحة المسك.

ومنها : أنه كان بينه وبين رجل شيء، فتنازعا ، فأخذ الرجل فعصر بطن سليمان[٢] بيده، فجفت يد الرجل.

وحكي: أن امرأة كانت تخبز في تنور لها، إذ كان وقت الصلاة فتركت الخبز في التنور وأسرعت إلى الوضوء، فجاءها الشيطان وقال: يا هذه إن خبزك قد احترق في التنور. فقالت: يحترق خبزي ولا يحترق ديني.

فلما دخلت في الصلاة جاءها اللعين وقال: إن ولدك قد وقع في التنور. فقالت: إن الذي أصلي له قادر على حفظ ولدي في التنور وغيره. واستمرت في صلاتها.

فدخل زوجها ودنا من التنور فوجد الخبز فيه يتلألأ، والولد في النار يلعب بالجمر، ولم تضره النار، فقصد زوجته فوجدها قائمة تصلي في المحراب. فخرج إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وقص عليه القصة، فقال له عيسى عليه السلام : سل زوجتك عن سرها ، فإنها لم تبلغ هذا المقام إلا بسر صحيح، فجاء إليها زوجها فسألها عن سرها. فقالت: لا أعرف سوى ثلاثة أشياء؛ أحدها: أني أكون على وضوء أبدًا.

والثاني: أنه ما استقبلني أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة إلا بدأت بأمر الآخرة.

والثالث: إن الله تعالى لا يختار لي أمر إلا رضيت به، ولم أرد غيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧)، ومسلم في صحيحه (١٠٨-٢٤٥٨)، في فضائل الصحابة، ٢١-باب من فضائل بلال رضي الله عنه. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣، ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٢)، وذكره الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٣٣٣).

(٢) سليمان بن طرخان، أبو المعتمر التيمي، البصري، ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٤٣)، انظر ترجمته في التهذيب(٤/ ٢٣٢)، التقريب(١/ ٣٣٢)، الكاشف (١/ ٣٩٦)، التاريخ الكبير(٤/ ٢٠)، التاريخ الصغير (٢/ ٢٧)، الجرح والتعديل(٤/ ٥٣٩)، ميزان الاعتدال(٢/ ٢١٢)، لسان الميزان(٧/ ٢٣٧)، سير الأعلام(٦/ ١٩٥)، الثقات (٤/ ٣٠٠).

فرجع الرجل إلى عيسى عليه السلام وأخبره بذلك، فقال عيسى عليه السلام: لو كانت هذه المرأة رجلاً لكانت من أكرم الأنبياء [(١)].

وعن السيد الجليل سهل بن عبدالله التستري رحمه الله أنه قال: أول ما رأيت من العجائب والكرامات، أني خرجت يومًا إلى موضع خال من الناس فطاب لي المقام فيه ووجدت من قلبي قربًا إلى الله عز وجل.

وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتي في صباي تجديد الوضوء لكل صلاة، فاغتممت لفقد الماء، فبينما أنا كذلك إذا دب يمشي على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء قد أمسك بيده عليها، فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي، حتى دنا مني، وسلم علي، ووضع الجرة بين يدي، فقلت له: هذه الجرة والماء من أين؟

فنطق وقال: يا سهل، إنا قوم من الوحوش، قد انقطعنا إلى الله عز وجل بعزم المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا ألا إن سهلاً يريد ماء ليجدد الوضوء، فوضعت هذه الجرة بيدي، وإذا بجنبي ملكان، فدنوت منهما فصبا هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء.

قال سهل رحمه الله: فغشي عليَّ، فلما أفقت إذا بالجرة موضوعة ولا أعلم بالدب أين ذهب، فتوضأت، فلما فرغت أردت أن أشرب منها، فنوديت من الوادي: يا سهل، لم يأن لك شرب هذا الماء بعد، فبقيت الجرة تضرب وأنا أنظر إليها فلا أدري أين ذهبت.

وعن عبدالله الصنابحي: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد فمضمض، خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه، حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يده خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا غسل رجليه إلا خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**» [(٢)]. رواه مالك والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ولا علة له.

---

(١) كان سليمان التيمي عابد أهل البصرة وأحد العلماء بها وحديثه نحو المائتين، وسمع أنس بن مالك وعثمان النهدي وطاوسًا والحسن ويزيد بن الشخير وأبا نضرة وبكر بن عبدالله وطائفة، وعنه شعبة والسفيانان، وابن المبارك وعلي بن عاصم ويزيد ابن هارون وهوذة بن خليفة وخلق. وقال غسان بن المفضل الغلابي: حدثني ثقة قال: كان بين سليمان التيمي وبين رجل خصام، فتناول الرجل سليمان فغمز بطنه فجفت يد الرجل. تاريخ الإسلام، وفيات (١٤١-١٥٠).

(٢) قال الشوكاني بعد أن أورد بعض الكرامات للصحابة والتابعين: والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه، تاركًا لما نهاه الله عنه، مستكثرًا من طاعاته فهو من أولياء الله سبحانه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينكرها، وما كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه، وليست ولايته رحمانية، بل شيطانية، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس،=

والصنابحي صحابي مشهور واسمه عبدالله [١].

وقال الإمام أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله: ثبت لنا أن النبي ﷺ قال: «لا وضوء لمن لم يسم الله» [٢]، كذا قال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» [٣].

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد [٤].

وقد ذهب الحسن وإسحاق بن راهويه وأهل الظاهر إلى وجوب التسمية في الوضوء حتى إنه إذا تعمد تركها أعاد الوضوء، وهو رواية عن أحمد، ولا شك أن الأحاديث التي وردت فيها وإن كان لا يسلم منها على المقال.

ويستحب الوضوء في أربعين صورة:

الأولى والثانية والثالثة: لقراءة القرآن، وسماع الحديث وروايته، وصرح به الرافعي وغيره.

والرابعة: لدرس العلم، كذا في شرح المهذب، فيحتمل أن يريد به حفظ العلم، وأن يريد به تعليمه للناس، والثاني أقرب، ولا يبعد استحبابه لكل منها، والظاهر أن المراد العلم الشرعي، وهو الفقه والتفسير وما يتعلق بهما من نحو وبيان، والحديث بأنواعه وما يتعلق به من علم الأصول وغيره. وقد قيده بذلك النووي في التحقيق.

=وليس هذا بغريب ولا مستنكر، فكثير من الناس من يكون مخدومًا بخادم من الجن أو بأكثر فيخدمونه في تحصيل ما يشتهيه، وربما كان محرمًا من المحرمات، وقدمنا أن المعيار الذي لا يزيغ، والميزان الذي لا يجور هو ميزان الكتاب والسنة، فمن كان متبعًا لهما معتمدًا عليهما فكراماته وجميع أحواله رحمانية، ومن لم يتمسك بهما ويقف عند حدودهما فأحواله شيطانية. قطر الولي على حديث الولي (ص ٦٤، ٦٥).

(١) أخرجه النسائي (١/ ٧٤-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٩)، والبيهقي في سننه (١/ ٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٣)، ومالك في الموطأ (١٩). وبنحوه: أخرجه مسلم (٣٢ -٢٤٤)، كتاب الطهارة، ١١-باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء.

(٢) اسمه عبدالرحمن بن عسيلة، أبو عبدالله المرادي الصنابحي، نزيل دمشق، هاجر فتوفي رسول الله ﷺ قبل قدومه بخمس أو ست ليال، روى عن أبي بكر ومعاذ وبلال وعبادة بن الصامت وغيرهم، أخرج له الستة، وهو ثقة، توفي في خلافة عبدالملك بن مروان، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٢٢٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٩١)، الكاشف (٢/ ١٧٦)، التاريخ الكبير (٥/ ٣٢١)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٦٢)، الثقات (٥/ ٧٤).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٦٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠١)، كتاب الطهارة، باب التسمية على الوضوء. وابن ماجه في سننه (٣٩٨) كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، وفي رقم (٤٠٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٨) (٤/ ٧٠)، (٥/ ٣٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١)، والدارقطني في سننه (١/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠)، وابن أبي شيبة (١/ ٣)، والدارمي في سننه (١/ ١٧٦)، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٣٧).

والخامسة: دخول المسجد، كذا عبر به الرافعي في المحرر، وهو أعم من تعبيره في الشرح بالعقود، ومن تعبير الروضة بالجلوس فإنه يفهم عدم استحبابه للمرور فيه، وليس كذلك. فقد صرح في شرح المهذب باستحبابه في هذه الحالة.

والسادسة: ذكر الله تعالى؛ لما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد جيد، عن المهاجر بن (صعصعة) [١] أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول، فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى توضأ، ثم اعتذر إليه فقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» أو قال: «طهارة».

والسابعة والثامنة والتاسعة: السعي بين الصفا والمروة الوقوف بعرفة، وزيارة قبر النبي ﷺ. ذكره النووي في شرح المهذب فقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر»[٢]، أو قال: طهارة، وغيره، وذكر القاضي حسين في شرح فروع ابن الحداد استحبابه لزيارة القبور مطلقًا.

العاشر: إرادة النوم.

الحادية عشر: خطبة غير الجمعة؛ ذكره في شرح المهذب.

والثانية عشرة: يتأكد لنوم الجنب.

والثالثة والرابعة والخامسة عشر: الأذان والإقامة وغسل الجنابة؛ ذكرها في شرح المهذب وتعبيره بالجنابة للتمثيل لا للتقييد، فيستحب في كل غسل واجب سواء كان عن حيض أو نفاس أو غسل ميت. والظاهر استحبابه في الغسل [٣] المسنون أيضًا، إذ هو على صورة الغسل الواجب.

والسادسة عشر: عيادة المرضى؛ لما روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم عاد أخاه المسلم محتسبًا بوعد من جهنم سبعين خريفًا»[٤].

---

(١) كذا بالأصل ولكنه هو المهاجر بن قنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة رضي الله عنه، التيمي، القرشي، صحابي أسلم يوم الفتح وولاه عثمان شرطته، ومات بالبصرة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه، وانظر ترجمته في التهذيب (١٠/ ٣٢٢)، التقريب (٢/ ٢٧٨)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٧٩)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٥٩)، الثقات (٣/ ٣٨٤)، أسد الغابة (٥/ ٢٧٩)، الإصابة (٦/ ٢٢٩)، الاستيعاب (٤/ ١٤٥٤)، أسماء الصحابة الرواة (٢٦٨)، بقعة الصديان (٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧)، كتاب الطهارة، باب أيرد السلام وهو يبول، وابن ماجه (٣٥٠)، كتاب الطهارة وسننها، ٢٧-باب الرجل يسلم عليه وهو يبول، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٥)، (٥/ ٨٠)، والبيهقي (١/ ٩٠، ٢٠٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٠٦)، وابن حبان (١٨٩-الموارد)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٣٤).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٣٥-٣١٦)، كتاب الحيض، ٩-باب صفة غسل الجنابة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله، فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده، ثم غسل رجليه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٨٢)، كتاب الجنائز، باب في فضل العبادة على وضوء، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٩)، وفي مشكاة المصابيح (١٥٥٢)، والكحال في الأحكام النبوية (١٣٦).

والسابعة والثامنة والتاسعة عشر والعشرون: إذا أراد الجنب الجماع أو الأكل أو الشرب، ذكرها في شرح المهذب، ووردت بها الأحاديث الصحيحة.

وهذه العشرون المذكورة يتوضأ عند إرادة فعلها، والعشرون التي بعدها يتوضأ لها بعد وقوعها.

والحادية والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والعشرون: بعد فصد أو بعد حجامة أو بعد قيء أو بعد حمل ميت أو لمس باليد له أو لخنثى أو لمس لفرجه، ومس ولمس فيه خلاف لأمر ذكره في شرح المهذب.

السادسة والعشرون: لمس الرجل أو المرأة للخنثى، نقله القمولي في الجواهر، وكذا لو مس خنثى خنثى.

والسابعة والعشرون: مس الخنثى أحد فرجيه لأن النقض لا يحصل إلا بمس فرجيه فيستحب بمس أحدهما.

والثامنة والتاسعة والعشرون: كل مس اختلف النقض به، وقلنا: لا ينتقض كمس فرجه بظاهر[1] كفه أو بما بين الأصابع، وكمس الأنثيين. وكل لمس اختلف في النقض به، وقلنا: لا ينقض كلمس ذوات المحارم والصغيرة التي لا تشتهى، ونقلهما في الجواهر عن بعضهم وأقرّه.

الثلاثون: أكل لحم الجزور[2]، إن قلنا: إنه غير ناقض، ذكره في شرح المهذب.

الحادية والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والثلاثون: الغيبة والنميمة والفحش والقذف والكذب وقول الزور، قال في شرح المهذب: الصحيح والصواب استحبابه من الكلام القبيح. وذكر هذه الأمور يحتمل عدها صورة واحدة لاندراجها تحت الكلام القبيح.

السابعة والثلاثون: القهقهة [3] إذا صدرت من المصلي، ذكره في شرح المهذب.

---

(١) قال المالكية: ينتقض الوضوء بمس الذكر بشروط: أن يمس ذكر نفسه المتصل به، فلو مس ذكر غيره كان لامسًا يجري عليه حكمه، وأن يكون بالغًا ولو خنثى، فلا ينتقض وضوء الصبي بذلك المس، وأن يكون المس بدون حائل، وأن يكون المس بباطن الكف أو جنبه أو بباطن الأصابع أو جنبها، أو برأس الأصبع..إلى آخر كلامه. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٧٣).

(٢) اختلف العلماء في أكل لحم الجزور، فذهب الأكثرون إلى أنه لا ينتقض الوضوء، وممن ذهب إليه الخلفاء الأربعة الراشدون وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة، وجماهير التابعين ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم. وذهب إلى انتقاض الوضوء به أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن يحيى وأبو بكر بن المنذر وابن خزيمة، واختاره الحافظ أبو بكر البيهقي، وحكي عن أصحاب الحديث مطلقًا، وحكي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. النووي في شرح مسلم (٤/ ٤٢).

(٣) لا ينتقض الوضوء بالقهقهة في الصلاة، ولكن الحنفية قالوا: القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء، وقد أوردوا حديث الطبراني عن أبي موسى، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ دخل رجل فتردى في حفرة كانت في المسجد ، وكان في بصره =

الثامنة والثلاثون: الوضوء لمن قص شاربه، ذكره ابن الصلاح في فتاويه.

التاسعة والثلاثون: الغضب. ذكره في شرح المهذب.

الأربعون: كل نوم كنوم الممكن مقعده من الأرض، ذكره القمولي عن بعضهم وأقرّه. والله أعلم بالصواب.

● **فائدة:**

قال في الفردوس للديلمي عن أبي أمامة ﷺ: الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناها الهم[١]، والله الموفق والهادي للصواب.

***

=ضرر فضحك كثير من القوم وهم في الصلاة فأمر رسول الله ﷺ من ضحك أن يعيد الوضوء ويعيد الصلاة، والقهقهة أن يضحك بصوت يسمعه من بجواره. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٧٤).

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٥٤)، وفي تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٥)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٣).

الباب الثامن

في السواك وما جاء في فضله

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك في كل صلاة)) [1].

رواه البخاري واللفظ له، ومسلم إلا أنه قال: ((عند كل صلاة)). والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعندهما: ((لأمرهم بالسواك عند كل وضوء)).

وعن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي ﷺ ما زال يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن)) [2].

وعن عائشة أيضًا رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: ((السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)) [3].

رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، ورواه البخاري معلقًا مجزومًا وتعليقاته المجزومة صحيحة، ورواه الطبراني في الأوسط والكبير من حديث ابن عباس، وزاد فيه: ((ومجلاة للبصر)).

وعن أبي أيوب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع من سنن المرسلين: الختان والتعطر والسواك والنكاح)) [4]، رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨٧)، كتاب الجمعة، ٨-باب السواك، ومسلم في صحيحه (٤٢-٢٥٢)، كتاب الطهارة، ١٥-باب السواك، وأبو داود (٤٦)، كتاب الطهارة، باب السواك، والترمذي (٢٢) في الطهارة، باب ما جاء في السواك، والنسائي (١/ ١٢-المجتبى)، كتاب الطهارة، باب الرخصة في السواك بالعشي للصائم، وابن ماجه (٢٨٧) في كتاب الطهارة، ٧-باب السواك، ومالك في الموطأ (١/ ٦٦)، كتاب الطهارة، باب ما جاء في السواك، رقم (١١٤).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠)، والنسائي (١/ ١٠-المجتبى)، وابن ماجه (٢٨٩)، في كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، وأحمد في مسنده (١/ ٣، ١٠)، (٦/ ٤٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٥)، وابن حبان (١٤٣-الموارد)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٦٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٣٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٤)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ٢٠١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٠)، والدارمي في سننه (١/ ١٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٨٠)، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢١)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٩)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٢٨)، وفي مشكاة المصابيح (٣٨٢).

وعن شريح بن هانئ [١] رحمه الله قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك. رواه مسلم [٢] وغيره.

وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: «ما كان رسول الله ﷺ يخرج من بيته لشيء من الصلاة حتى يستاك» [٣]. رواه الطبراني بإسناد لا بأس به.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ركعتين ثم ينصرف فيستاك» [٤]. رواه ابن ماجه والنسائي ورواته ثقات.

وعن أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للربِّ، ما جاءني جبريل إلا وأوصاني بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي، ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته عليهم، وإني لأستاك حتى خشيت أن أحفي مقادم فمي» [٥]. رواه ابن ماجه من طريق علي بن يزيد، عن القاسم عنه.

وعن أم سلمة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى خفت على أضراسي» [٦]. رواه الطبراني بإسناد لين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لزمت السواك حتى خفت أن يدرد فيَّ» [٧]. رواه الطبراني في الأوسط، ورواته رواة الصحيح.

الدرد: سقوط الأسنان.

---

(١) شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي أبو المقدام، المذحجي، الكوفي الكعبي، ثقة، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، توفي (٧٨، ٨٠، ٨٢)، مخضرم قتل مع ابن أبي بكرة بسجستان، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٠)، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٠)، الكاشف (٢/ ٩)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٢٨)، الجرح والتعديل (٤/ ١٤٥٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ٩٠)، البداية والنهاية (٩/ ٢٩)، الثقات (٤/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣-٢٥٣)، كتاب الطهارة، ١٥-باب السواك.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٨٨)، كتاب الطهارة وسننها، ٧-باب السواك، عن ابن عباس، والنسائي (١/ ١٠ - المجتبى)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٦٩).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩)، كتاب الطهارة، ٧-باب السواك، والمنذري في الترغيب (١/ ١٦٦)، وذكره الحافظ في الفتح (٢/ ٣٧٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٦٤)، وفي الأحكام النبوية للكحال (٢/ ١١٧).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٩)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٦٧)، وابن حجر في التلخيص (١/ ١٦٧).

(٧) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٥٦).

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه، فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن»(١). رواه البزار بإسناد جيد لا بأس به.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفًا»(٢).

رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن خزيمة في صحيحه، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أصلي ركعتين بسواك أحب إليّ من أن أصلي سبعين ركعة بغير سواك»(٣). رواه أبو نعيم في كتاب السواك بإسناد جيد.

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك»(٤). رواه أبو نعيم أيضًا بإسناد حسن.

وروى مالك بن أنس رحمه الله في موطأه عن ابن شهاب عن السباق: أن رسول الله ﷺ قال في جمعة من الجمع وهو يخطب على المنبر: «يا معشر المسلمين، إن هذا يوم جعله الله عيدًا فاغتسلوا، ومن كان عنده طيب فلا يضر أن يمس منه، وعليكم بالسواك»»(٥).

قلت: في هذا الحديث من الفقه: الأمر بغسل الجمعة(٦).

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٤٨)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢١٥).

(٢) أخرجه احمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٢٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٤٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٤٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٣٧)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٦٧).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٨).

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٦٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٨)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٤٦٨).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٢٦٩)، وابن عبدالبر في التمهيد (١٠/ ٨٠)، وذكره الحافظ في الفتح (٢/ ٣٨٧).

(٦) روى البخاري في صحيحه (٨٧٧)، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، ومسلم (١-٨٤٤)، كتاب الجمعة في فاتحته عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «من أتى الجمعة فليغتسل».

وقيل: الغسل للعيدين بقوله: ((إن هذا يوم جعله الله عيدًا فاغتسلوا فيه)).

وفيه: أخذ الطيب يوم الجمعة وأخذه مندوب إليه حسن مرغوب فيه، كان رسول الله ﷺ يُعرف برائحة الطيب إذا مشى[(١)]. وقال ﷺ: ((لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح، خفيف الحمل)). وفيه: الحض على السواك[(٢)].

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: كان يدخلون على النبي ﷺ ولم يستاكوا، فقال ﷺ: ((تدخلون عليّ قلحًا، لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة))[(٣)]. زاد شريح: ((كما فرضت عليهم الوضوء)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن السواك ليزيد الرجل فصاحة))[(٤)].

وعن حذيفة قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك))[(٥)].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عليّ عبدالرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك رطب، فرأيت رسول الله ﷺ شاخصًا ببصره، وكان رسول الله ﷺ يولع بالسواك، فمضغته ثم أدخلته في فيّ رسول الله ﷺ فسوكته به.

وفي حديث آخر من كتاب الحافظ أبي نعيم: ((فكان ريقي آخر شيء دخل بطن رسول الله ﷺ))[(٦)].

وعن أبي أيوب: ((أن رسول الله ﷺ كان يستاك في الليل مرارًا))[(٧)].

وقال الأوزاعي رحمه الله: أدركت أهل العلم يحافظون على السواك مع وضوء الصبح والظهر، وكانوا يستحبونه مع كل وضوء، وكانوا أشد محافظة عليه عند هاتين الصلاتين.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٢٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٠).

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٢٦٦٢).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢١)، (٢/ ٩٧)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٦٩).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٣٦)، وقال: هذا الحديث لا أصل له. وخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ١٦٤) رقم (٢٣٢)، وأبو نعيم في الطب النبوي (٢٤٠)، وساق الذهبي الحديث في ميزان الاعتدال (٤/ ١٥٢)، في ترجمة المعلى بن ميمون وعده من مناكيره.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٥)، في الوضوء، ٧٣-باب السواك، ومسلم (٤٦-٢٥٥)، في الطهارة، ١٥-باب السواك.

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ١٤١)، من حديث عائشة وفيه: ((وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت، ودخل عليّ أخي بسواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري فرأيته ينظر إليه وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته له فأمرَّه على فيه....)) الحديث.

(٧) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٩).

وقال رسول الله ﷺ : ((إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك)) [١] .

فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير الفم لقراءة الفاتحة، وذكر الله في الصلاة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: السواك يزيد في الحفظ، ويذهب البلغم [٢] .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم.

وكيفيته: أن يستاك بخشب الأراك أو بغيره من قضبان الأشجار، مما يخشن أو يزيل [٣] القلح، ويستاك عرضًا في الأسنان وطولاً، وعرضًا في اللسان.

والمتفق عليه: أن أفضل المساويك ما كان من شجرتي الأراك والبشام، اللهم إلا أن يتخذ مسواكًا من العود الهندي الرطب.

وقال بعض العلماء: ومن فوائده: أنه يذكر الشهادة عند الموت، ويشد اللثة، وهو لحم الأسنان، ويقطع البلغم، ويورث الفطنة، ويورث الحفظ، ويطيب النكهة، ويبطئ بالشيب، ويبطئ انحناء الظهر. وأنشد بعضهم في السواك [٤] فقال شعر:

بالله إن جـــزت بوادي الأراك	وقبلت أغصانه الخضر فـــاك
فابعث إلى المحبوب مـن بعضـها	فإني والله مـــا لي ســـــواك

***

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٩٦)، وقال أبو نعيم: حديث غريب من حديث سعيد بن جبير لم نكتبه إلا من حديث بحر، وحديث أبي الصهباء عن سعيد وتفرد به عمارة عن بحر بن كثير عن أبي ساج عن سعيد بن جبير ، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٧٠) ، وابن الأعرابي في معجم شيوخـه (٢/ ٢٦١) ، رقم (١٨٠٢)، من تحقيقنا ، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٧١).

(٣) قال النووي: يستحب أن يستاك بعود من أراك أو بأي شيء استاك مما يزيل التغير حصل السواك، كالخرقة الخشنة والسعد والأشنان، وأما الأصبع فإن كانت لينة لم يحصل بها السواك، وإن كانت خشنة ففيها ثلاثة أوجه لأصحابنا: المشهور: لا تجزئ، والثاني: تجزئ، والثالث: تجزئ إن لم يجد غيرها، ولا تجزئ إن وجد، والمستحب أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبس يجرح ولا رطب لا يزيل. شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢٢).

(٤) قال النووي: في قوله ﷺ: ((لولا أن أشق على المؤمنين أو على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة)) : فيه دليل على أن السواك ليس بواجب. قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو كان واجبًا لأمرهم به ، شق أو لم يشق. قال جماعات من العلماء من الطوائف: فيه دليل على أن الأمر للوجوب وهو مذهب أكثر الفقهاء وجماعات من المتكلمين وأصحاب الأصول، قالوا: وجه الدلالة أنه مسنون بالاتفاق، فدل على أن المتروك إيجابه، وهذا الاستدلال يحتاج في تمامه إلى دليل، على أن السواك كان مسنونًا حالة قوله ﷺ : ((لولا أن اشق على أمتي لأمرهم)) ، وقال جماعة أيضًا: فيه دليل على أن المندوب ليس مأمورًا به، وهذا فيه خلاف لأصحاب الأصول، ويقال في هذا الاستدلال ما قدمناه في الاستدلال على الوجوب، والله أعلم . شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢٣).

الباب التاسع

في فضل الأذان والإقامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوها ولو حبوًا»(١). رواه البخاري ومسلم.

قوله: «لاستهموا»: أي لاقترعوا(٢).

والتهجير: هو التبكير إلى الصلاة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف»(٣). رواه أحمد.

وعن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه: أن أبا سعيد الخدري قال له: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع هذا الصوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»(٤). قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ.

رواه مالك والبخاري والنسائي وابن ماجه وزاد: «ولا حجر ولا شجر إلا شهد له».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١)، كتاب الأذان، ٧٣-باب الصف الأول، ومسلم (١٢٩-٤٣٧)، كتاب الصلاة، ٢٨-باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والترمذي (٢٢٥)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصف الأول، والنسائي (١/ ٢٦٩)، والموطأ للإمام مالك (١/ ٨٧-٨٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٤٨)، (١٠/ ٢٨٨).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٧٩): الاستهام: أي الاقتراع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾، قال الخطابي وغيره: قيل له: الاستهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشيء، فمن خرج سهمه غلب. وقوله: «عليه»: قال في الفتح أيضًا (٢/ ٨٠): أي على ما ذكر ليشمل الأمرين: الأذان والصف الأول.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٥٨)، وانظر فتح الباري (٢/ ٨٧)، في الأذان، والنسائي في الأذان، وأحمد في مسنده (٣/ ٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٩٧، ٤٢٧)، (١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٥، ٨)، ورواه ابن ماجه (٧٢٣)، كتاب الأذان، ٥-باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، وابن خزيمة في صحيحه (٣٨٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٠٨)، والحميدي في مسنده (٧٣٢).

وابن خزيمة في صحيحه ولفظه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له**» .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يغفر للمؤذن منتهى أذانه، ويستغفر له كل رطب ويابس سمعه**»(١).

رواه أحمد بإسناد صحيح، والطبراني في الكبير والبزار، إلا أنه قال: «**ويجيبه كل رطب ويابس**» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «**المؤذن يغفر له مدى صوته، ويصدقه كل رطب ويابس**»(٢). رواه أحمد واللفظ له، وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه.

قال الخطابي رحمه الله: مدى الشيء غايته، والمعنى: أنه يستكمل مغفرة الله تعالى إذا استوفى وسعه في رفع الصوت، فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ الغاية من الصوت.

قال الحافظ: ويشهد لهذا القول رواية من قال: «**يغفر له مد صوته**» ، بتشديد الدال، أي بقدر مد صوته.

وقال الخطابي: وفيه وجه وهو أنه كلام تمثيل وتشبيه، يريد أن المكان الذي ينتهي إليه الصوت لو يقدر أن يكون ما بين أقصاه وبين مقامه الذي هو فيه ذنوب تملأ تلك المسافة غفرها الله . انتهى (٣) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مدى صوته، وصدقه من سمعه من رطب ويابس، وله أجر مثل من صلى معه** »(٤). رواه أحمد والنسائي بإسناد حسن جيد.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٥)، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالأذان، وابن ماجه (٧٢٤)، كتاب الأذان والسنة فيه، ٥-باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، والنسائي (٢/ ١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٩٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٨).

(٣) قال النووي: اختلف أصحابنا: هل الأفضل للإنسان أن يرصد نفسه للأذان أم للإمامة؟ على أوجه، أصحها: الأذان أفضل، فهو نص الشافعي رحمه الله في الأم ، وقول أكثر أصحابنا. والثاني: الإمامة أفضل، وهو نص الشافعي أيضًا. والثالث: هما سواء. والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة وجميع خصالها فهي أفضل وإلا فالأذان، قاله أبو علي الطبري وأبو القاسم ابن كج والمسعودي والقاضي حسين من أصحابنا. وأما جمع الرجل بين الإمامة والأذان فإن جماعة من أصحابنا يستحب أن لا يفعله، وقال بعضهم : يكره، وقال محققوهم وأكثرهم: إنه لا بأس به، بل يستحب، وهذا أصح والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٤/ ٨٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩، ٢٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٤٥٠). وقال النووي فيما روي من إدبار الشيطان عند سماع الأذان: قال العلماء: وإنما أدبر الشيطان عند الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة؛ لقول النبي=

وروي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يد الرحمن فوق رأس المؤذن، وإنه ليغفر له مد صوته أين بلغ))[١]. رواه الطبراني في الأوسط.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين))[٢]. رواه أبو داود والترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، إلا أنهما قالا: ((فارشد الله الأئمة واغفر للمؤذنين)).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، فارشد الله الأئمة واغفر[٣] عن المؤذنين))[٤]. رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي الأذان أقبل، فإذا ثوب أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه ويقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى))[٥]. رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

=ﷺ: ((لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)). قال القاضي: وقيل: إنما يشهد له المؤمنون من الجن والإنس، فأما الكافر فلا شهادة له، قال: ولا يقبل هذا من قائله لما جاءت الآثار من خلافه، قال: وقيل: إن هذا فيمن يصح منه الشهادة ممن يسمع. النووي في شرح مسلم (٤/ ٧٩، ٨٠).

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٧)، كتاب الصلاة، باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت، والترمذي (٢٠٧)، في الصلاة، باب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن. وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٢، ٢٨٤، ٣٨٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٣٤)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٨٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٢٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٦٢، ٣٦٣ -موارد).

(٣) هكذا في الأصل المنسوخ من المخطوط، وهي في صحيح ابن حبان: «وعفا عن المؤذنين».

(٤) انظر التخريج السابق لهذا. وقال الخطابي في المعالم (١/ ١٥٦): قال أهل اللغة: الضامن في كلام العرب معناه الراعي، والضمان معناه: الرعاية، «والإمام ضامن»، بمعنى: أنه يحفظ الصلاة وعدد الركعات على القوم، وقيل: معناه: ضامن الدعاء يعمهم به ولا يختص بذلك دونهم، وليس الضمان الذي يوجب الغرامة من هذا في شيء، وقد تأوله قوم على معنى أنه يتحمل القراءة عنهم، في بعض الأحوال، وكذلك يتحمل القيام أيضًا إذا أدركه راكعًا. وقال في النهاية: مؤتمن القوم: الذي يثقون إليه ويتخذونه أمينًا حافظًا، يقال: ائتمن الرجل فهو مؤتمن، يعني: أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم.

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧)، (٤/ ١٥١)، ومسلم في صحيحه (١٦-٣٨٩)، كتاب الصلاة، ٨-باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، وأبو داود (٥١٦)، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالأذان، والنسائي (٢/ ٢١-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٧). قال النووي: المراد بالتثويب: الإقامة، وأصله من ثاب إذا رجع، ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها فإن الأذان دعاء إلى الصلاة والإقامة دعاء إليها. شرح مسلم للنووي (٤/ ٨٠).

قال الخطابي: التثويب هنا الإقامة، والعامة لا تعرف التثويب إلا قول المؤذن في أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم».

ومعنى التثويب: الإعلام بالشيء، والإنذار بوقوعه، وإنما سميت الإقامة تثويبًا لأنه إعلام بإقامة الصلاة، والأذان إعلام بوقت الصلاة.

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء**»[(١)].

قال الراوي: والروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً، رواه مسلم.

● **فائدة:**

الميل: أربعة آلاف خطوة، والخطوة ثلاثة أقدام.

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة**»[(٢)]. رواه مسلم، ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة.

وروي أن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أقسمت لبررت، إن أحب عباد الله إلى الله لرعاة الشمس والقمر -يعني المؤذنين- وإنهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم**»[(٣)]. رواه الطبراني في الأوسط.

وعن ابن أبي أوفى[(٤)] ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**إن خير عباد الله الذين يراعون الشمس**

---

(١) أخرجه مسلم (١٥-٣٨٨)، كتاب الصلاة، ٨-باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٣٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١١٩، ١٣٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤/ ٣٨٧)، كتاب الصلاة، ٨-باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، وابن حبان في صحيحه (٢٩٣-الموارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٢٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٨٦١)، قال النووي: اختلف السلف والخلف في معنى: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا»، فقيل: معناه: أكثر الناس تشوقًا إلى رحمة الله؛ لأن المتشوق يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه، فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب. شرح مسلم للنووي (٤/ ٧٩).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٩٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٦١)، وقال النووي: قال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه: أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل: معناه: أكثر اتباعًا. وقال ابن الأعرابي: معناه: أكثر الناس أعمالاً، قاله القاضي عياض وغيره، ورواه بعضهم: إعناقًا، بكسر الهمزة، أي إسراعًا إلى الجنة، وهو من سير العنق، النووي في شرح مسلم (٤/ ٧٩).

(٤) عبدالله بن أبي أوفى، علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة، أبو إبراهيم، أبو محمد الأسلمي، صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي ﷺ وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، أخرج له الستة، توفي سنة (٨٧)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ١٥١)، تقريب التهذيب (١/ ٤٠٢)، الكاشف (٢/ ٧٣)، التاريخ الكبير (٣/ ٢٤)، الجرح والتعديل (٥/ ١٢٠)، أسد الغابة (٣/ ١٨٣)، الإصابة (٤/ ١٨)، الاستيعاب (٣/ ٨٧٠)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٧٨).

والقمر والنجوم لذكر الله» [١] . رواه الطبراني والبزار والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وروى جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم، يؤذن المؤذن ويلبي الملبي» [٢] ، رواه الطبراني في الأوسط.

وعن ابن أبي أوفى [٣] ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إن خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم لذكر الله» [٤]. رواه الطبراني والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروى جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم، يؤذن المؤذن ويلبي الملبي» [٥]. رواه الطبراني في الأوسط.

وعن عبدالله بن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة على كثبان المسك -أراه قال: يوم القيامة، زاد في رواية: يغبطهم الأولون والآخرون-: عبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل أم قومًا وهم به راضون، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة» [٦]. رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي، فلما سكت قال رسول الله ﷺ : «من قال مثل هذا يقينًا دخل الجنة» [٧]. رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

وروي عن ابن عباس ﷺ، قال [٨] : جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: علمني أو دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: «كن مؤذنًا» ، قال: لا أستطيع. قال: «كن إمامًا». قال: لا أستطيع، قال: «فقم بإزاء الإمام» [٩]. رواه البخاري في تاريخه، والطبراني في الأوسط.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٨).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٧٨)، وفي تنزيه الشريعة (٢/ ٧٧).

(٣) عبدالله بن أبي أوفى، علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة، أبو إبراهيم، أبو محمد الأسلمي، صحابي شهد الحديبية، وعمر بعد النبي ﷺ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، أخرج له الستة، توفي سنة (٨٧)، انظر ترجمته في: التهذيب (٥/ ١٥١)، التقريب (١/ ٤٠٢)، الكاشف (٢/ ٧٣)، التاريخ الكبير (٣/ ٢٤)، الجرح والتعديل (٥/ ١٢٠)، أسد الغابة (٣/ ١٨٣)، الإصابة (٤/ ١٨)، الاستيعاب (٣/ ٨٧٠)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٧٨).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٨).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٧٨)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٧٧).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٥٦٦)، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في كلام الحور العين، عن ابن عمر، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٨)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٧٩)، (٣/ ٢٦، ٣٧٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٥).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٢)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٤-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٦).

(٨) أخرجه المنذري في الترغيب (ا/ ١٨١)، والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٧).

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧٨)، بلفظ: «كن إمام قومك فإن لم تستطع فكن مؤذنهم» .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول ﷺ: «المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه، يتمنى على الله ما يشتهى بين الأذن والإقامة»[١].

رواه الطبراني في الأوسط.

● **فائدة:**

يقال: تشحط المقتول بدمه -أي اضطرب فيه- وشحطه به غيره تشحيطًا.

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذن في قرية أمنها الله من عذاب ذلك اليوم»[٢].

رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة.

وعن عقبة بن عامر[٣] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»[٤].

رواه أبو داود والنسائي.

الشظية: بفتح الشين وكسر الظاء معجمتين بعدها ياء مثناة من تحت مشددة، وتاء تأنيث: هي القطعة تنقطع من الجبل ولم تنفصل منه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بكل تأذينة في كل يوم ستون حسنة، وبكل إقامة ثلاثون حسنة»[٥].

رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٩٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٥٢، ٨٥٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٣١)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٨٢)، وابن حجر في التلخيص (١/ ٢٠٨)، والهيثمي في المجمع (١/ ٣٢٨).

(٣) عقبه بن عامر بن عيسى بن عمر بن عدي بن عمرو بن رفاعة، أبو حماد، أبو سعاد، الجهني، صحابي مشهور اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حماد، وكان فقيهًا فاضلاً، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي قرب سنة (٦٠ هـ)، انظر التهذيب (٧/ ٢٤٢)، التقريب (٢/ ٢٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، كتاب الصلاة، باب الأذان في السفر، عن عقبة بن عامر، والنسائي (٢/ ٢٠-المجتبى)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٤٠٥)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٨٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٥)، والألباني في الإرواء (١/ ٢٣٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٧٢٨)، ٣-كتاب الأذان والسنة فيها، ٥-باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٣٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٢٥).

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذن محتسبًا سبع سنين كتب له براءة من النار» [(١)] . رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث غريب.

وعن سلمان الفارسي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان الرجل بأرض قيٍّ، فحانت الصلاة، فليتوضأ، فإن لم يجد ماء فليتيمم، فإن أقام صلى معه ملكان، وإذا أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه» [(٢)] ، رواه عبدالرزاق في كتابه عن ابن التيمي عن أبيه عن أبي عثمان النهدي [(٣)] عنه.

القي: بكسر القاف وتشديد الياء: هي الأرض القفر.

وعن ابن عمر بن زاذان الكندي أنه قال: سمعت أبا سعيد الخدري وأبا هريرة رضي الله عنهما قالا: سمعنا من رسول الله ﷺ وهو يقول: «أربعة يوم القيامة على كثيب من مسك إذفر، لا يهولهم فزع ولا ينالهم حزن، حتى يفرغ الناس من الحساب: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ﷻ، وإمام قوم وهم به راضون، ورجل أذن ودعا ابتغاء لوجه الله [(٤)]، ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن طلب الآخرة» .

وعن يزيد الرقاشي رحمه الله، عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذن المؤمن فتحت أبواب السماء واستجيبت الدعوة، وإذا أخذ في الإقامة لم ترد الدعوة عند ذلك» [(٥)] .

وعن الحكم بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من أذن سبع سنين محتسبًا حرم الله جسده ولحمه على دواب الأرض أن تأكله في القبر» [(٦)].

وروي أن للمؤذن بين الأذان والإقامة دعوة مستجابة، إما من أمر الدنيا أو من أمر الآخرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل الأذان، عن ابن عباس، وقال الترمذي: حديث غريب، وأخرجه ابن ماجه (٧٢٧)، كتاب الأذان، ٥-باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٩٨)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٨٥٠).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٨٣، ٢٦٦)، وابن حجر في التلخيص (١/ ١٩٤)، والطبراني في الكبير (٦/ ٣٠٥).

(٣) أبو عثمان النهدي هو عبدالرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب بن ربيعة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن رفاعة بن مالك، ثقة، ثبت ، عابد، مخضرم، أخرج له الستة، توفي سنة (١٠٠)، وقيل (٩٥). انظر ترجمته في التهذيب (٦/ ٢٧٧) ، التقريب (١/ ٤٩٩) ، الكاشف (٢/ ١٨٧)، التاريخ الصغير (١/ ٢٣٥)، الجرح والتعديل (٥/ ١٣٥٠)، الثقات (٥/ ٧٥).

(٤) تقدم من قبل.

(٥) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٢٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٤).

(٦) أخرجه ابن حجر في التلخيص (١/٢٠٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٤٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٥٠)، وبنحوه ذكره الترمذي (٢٠٦)، وقد تقدم.

وقال الحكماء رحمهم الله: الأذان تسعة عشر كلمة (١) ، وفي كل يوم وليلة خمس صلوات، والليل والنهار أربعة وعشرون ساعة، فمن أذن في كل مرة وصلى الخمس غفر الله له ما ارتكب من هذه الأربع والعشرين ساعة: تسعة عشر بحق الأذان، وخمسة بحق الصلوات الخمس.

وروي أن أهل الموقف يلجمهم العرق يوم القيامة (٢) ، فمنهم من يأخذه العرق إلى ساقيه، ومنهم من يأخذه إلى سرته، ومنهم من يأخذه إلى صدره، ومنهم من يأخذه إلى حلقه، ومنهم من يأخذه العرق كله، فيغرق. فقال النبي ﷺ: «المؤذنون أطول أعناقًا يوم القيامة» (٣)، يعني: لا يدخل في حلوقهم عرق يوم القيامة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تولى أذان مسجد من مساجد الله تعالى يريد به وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد، وأربعين ألف نبي، وأربعين ألف صدِّيق، ويدخل الجنة بشفاعته أربعون ممن قد استوجب العذاب في النار، وله في كل جنة من الجنان أربعون مدينة، في كل مدينة أربعون ألف قصر، في كل قصر أربعون ألف دار، في كل دار أربعون ألف بيت، في كل بيت أربعون ألف مائدة، في كل مائدة أربعون ألف لون من الطعام، لو نزل بها الثقلان كلهم لوسعهم ذلك طعامًا وشرابًا ولباسًا ومكانًا وثمارًا. وإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، اكتنفه أربعون ألف ملك، كلهم يصلون عليه يدعون له بالخير ويستغفرون له، وهو في ظل رحمة الله تعالى حتى يفرغ، ويكتب له ثواب سبعين ألف ملك، يصعدون به إلى السماء.

ومن مشى إلى مسجد من المساجد يا أبا هريرة، فله بكل خطوة يخطو بها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات، وترفع له عشر درجات، ومن حافظ على الجماعات حيثما كان ومع من كان مر على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين، ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، وكان له بكل يوم وليلة حافظ عليهما ثواب شهيد.

يا أبا هريرة (٤) من حافظ على الصف الأول يدرك التكبيرة الأولى من غير أن يؤذي أحدًا من المؤمنين أعطاه الله مثل ثواب المؤذنين في الدنيا والآخرة».

---

(١) الأذان تسعة عشر كلمة مشهور في أحاديث صحيحة كثيرة، ففي الترمذي (١٩٢)، في الصلاة، باب ما جاء في الترجيع في الأذان عن أبي محذورة: إن النبي ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة، والإقامة سبع عشرة كلمة.

(٢) وفي أن أهل الموقف يلجمهم العرق يوم القيامة، انظر الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧١)، وذكر ذلك ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٩٢).

(٣) تقدم الحديث من قبل.

(٤) أبو هريرة اختلفوا في اسمه، واسمه: عبد شمس، وقال: كناني أبي بأبي هريرة؛ لأني كنت أرعى غنمًا فوجدت أولاد هر وحشي، فأخذتهم فلما رآهم أخبرته فقال: أنت أبو هر، قال: وكان اسمي في الجاهلية: عبد شمس، وقال المحرر بن أبي هريرة، اسم أبي : عمرو بن عبد غنم، وساق ابن خزيمة من حديث محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبي هريرة: عبد شمس، وقال: هذه دلالة واضحة أن اسمه كان عبد شمس، كان أحد الحفاظ المعدودين في الصحابة، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٥١-٦٠).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أذن المؤذن نزلت الحور العين، فإذا قام وقال: قد قامت الصلاة فقال العبد: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة[١] القائمة صل على محمد عبدك ورسولك، زوجنا من الحور العين، يقلن: اللهم زوجه إيانا، وإذا لم يقل شيئًا، قلن لبعضهن بعضًا: ارجعن فليست له إلينا حاجة».

وعن أبي أمامة [٢] الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، فقال العبد: الله أكبر، الله أكبر. فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله، فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله. فقال العبد: أشهد أن محمدًا رسول الله. فإذا قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح. وقال العبد: اللهم اجعلنا من أهل الصلاة والفلاح، فإذا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر. فقال العبد: الله أكبر، الله أكبر. فإذا قال: لا إله إلا الله. فقال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك.... إلخ.

ثم قال: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً[٣]، وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانًا، جزى الله محمدًا عنا خير الجزاء كما هو أهله، دعوة الحق، ودين الحق، وكلمة الإخلاص، سمعنا وأطعنا. خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ونجا من النار، وفاز مع الفائزين»، والله أعلم.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول» [٤]، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم

---

(١) الدعاء عقب الأذان مشهور، أخرجه البخاري (٦١٤)، كتاب الأذان، ٨-باب الدعاء عند النداء، وأبو داود (٥٢٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان والترمذي (٢١١)، في الصلاة، باب منه آخر، والنسائي (٢/ ٢٧-المجتبى)، وابن ماجه (٧٢٢)، ٣-كتاب الأذان والسنة فيها، ٤-باب ما يقال إذا أذن المؤذن، وانظر مختصر سلاح المؤمن للذهبي (١٨٤)، من تحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أبو أمامة الباهلي، صدي بن عجلان بن وهب، صحابي مشهور سكن الشام ومات بها، أخرج له الستة، توفي (٨١، ٨٦). انظر ترجمته في تقريب التهذيب (١/ ٣٦٦)، الكاشف (٢/ ٢٨)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٢٦)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٠٤)، الإصابة (٤٢٠)، أسد الغابة (٣/ ١٦)، سير الأعلام (٣/ ١٩٥)، الثقات (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر مسلم (١٣-٣٨٦)، في الصلاة، ٧-باب استحباب القول مثل قول المؤذن، عن سعد بن أبي وقاص وأبو داود (٥٢٥)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن عن سعد ﷺ، وسيأتي تخريجه بأوسع من هذا.

(٤) أخرجه البخاري (٦١١)، كتاب الأذان، ٧-باب ما يقول إذا سمع المنادي، ومسلم (١٠-٣٨٣)، كتاب الصلاة، ٧-باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، وأبو داود (٥٢٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، والترمذي (٢٠٨)، في الصلاة، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٤)، وابن ماجه (٧٢٠)، كتاب الأذان، ٤-باب ما يقال إذا أذن المؤذن.

سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[١]. رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر، الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، فقال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، قال: الله أكبر ، الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، من قبله دخل الجنة»[٣].

رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال[٤]: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة».

رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ورواه البيهقي في سننه الكبرى، وزاد في آخره: «إنك لا تخلف الميعاد».

وعن سعد بن أبي وقاص[٥] رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قال حيث يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت

---

(١) أخرجه مسلم (١١-٣٨٤)، في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، وأبو داود (٥٢٣)، في كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، والترمذي (٣٦١٤)، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، والنسائي في المجتبى (٢/ ٢٥)، وانظر مختصر سلاح المؤمن للذهبي (١٨٥)، من تحقيقنا ط. دار الكتب العلمية.

(٢) حديث عمر بن الخطاب أخرجه مسلم (١٢-٣٨٥)، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، وأبو داود (٥٢٧)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٤)، ١٠-كتاب الأذان، ٨-باب الدعاء عند النداء، وأبو داود (٥٢٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان، والترمذي (٢١١)، في الصلاة، باب آخر منه، والنسائي (٢/ ٢٧-المجتبى)، وابن ماجه (٧٢٢)، ٣-كتاب الأذان والسنة فيه، ٤-باب ما يقال إذا أذن المؤذن، وانظر أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢١٠).

(٥) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، أبو إسحاق الزهري، صحابي مشهور وهو أحد العشرة المبشرون، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، أخرج له الستة، توفي (٥١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٤٨٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٩٠)، الكاشف (١/ ٣٥٤)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٧٣)، الجرح والتعديل (٤/ ٩٣)، سير الأعلام (١/ ٩٢)، الاستيعاب (٢/ ٦٠٦)، أسد الغابة (٢/ ٣٦٦).

بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً غفر الله له ذنوبه»[١]. رواه مسلم والترمذي.

وعن هلال بن يساف أنه سمع معاوية يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من سمع المؤذن فقال مثلما يقول فله مثل أجره»[٢]، رواه الطبراني في الكبير.

وروي عن ميمونة [٣] رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قام بين صف الرجال والنساء فقال: «يا معشر النساء، إذا سمعتم أذان هذا الحبشي وإقامته فقلن كما يقول، فإن لكُنّ بكل حرف ألف ألف درجة».

قال عمر رضي الله عنه: هذا للنساء، فما للرجال؟ قال: «ضعفان يا عمر» [٤]. رواه الطبراني في الكبير.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعطه» [٥]. رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه.

***

(١) أخرجه مسلم (١٣-٣٨٦)، كتاب الصلاة، ٧-باب استحباب القول مثل قول المؤذن، وأبو داود (٥٢٥)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، والترمذي (٢١٠)، في الصلاة باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء، والنسائي في المجتبى (٢/ ٢٦)، وابن ماجه (٧٢١)، ٣-كتاب الأذان، ٤-باب ما يقال إذا أذن المؤذن، وأحمد (١/ ١٨١)، والحاكم (١/ ٢٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٥).

(٣) ميمونة بنت الحارث العامرية الهلالية، قيل: اسمها برة فسماها النبي ﷺ ميمونة، وتزوجها بسرف، رضي الله عنها، أخرج لها الستة، انظر ترجمتها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٣)، الثقات (٣/ ٤٠٧)، أسد الغابة (٧/ ٢٧٢)، الإصابة (٨/ ١٢٦)، الكاشف (٣/ ٤٨٢)، التاريخ الصغير (١/ ١١٢، ١١٤)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣٠٦)، إعلام النساء (٥/ ١٣٨)، أسماء الصحابة الرواة (٤٤).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٢٤)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٥-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٧)، وابن حجر في التلخيص (١/ ٢١١).

الباب العاشر

في الدعاء بين الأذان والإقامة

عن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((**الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد**))(١).

رواه أبو داود والترمذي واللفظ له، والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وزاد الترمذي في رواية: قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: ((**سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**)) .

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقلّ ما ترد على داع دعوته: عند حضور النداء، والصف في سبيل الله**))(٢).

وفي لفظ قال: ((**ثنتان لا تردان أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا**))(٣).

رواه أبو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال في هذه : ((**عند حضور الصلاة**)) ، وفي رواية له: ((**ساعتان لا ترد على داع دعوته: حين تقام الصلاة، وفي الصف في سبيل الله**))(٤).

وقد تقدم، رواه الحاكم وصحهه، ورواه مالك موقوفًا.

قوله: يلحم ، بالحاء المهملة، أي ينشب بعضهم ببعض في الحرب.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، عن أنس بن مالك، والترمذي (٣٥٩٤)، كتاب الدعوات ، باب في العفو والعافية ، عن أنس ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٠)، باب الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة، وابن خزيمة في صحيحه (٤٢٥، ٤٢٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٩)، وابن حبان في موارد الظمآن (٢٩٦)، وقال الترمذي : حديث حسن.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٩٨-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٥)، والشجري في أماليه (١/ ٢٣٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٤٠)، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، عن سهل بن سعد ، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٨)، والبيهقي في السنن (١/ ٣٦٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٦٦).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٩٧-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٩)، (٢/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٧٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٨).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال [١] : «إذا نادى المنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، فمن نزل به كرب أو شدة فليتحين المنادي، فإذا كبر كبر، وإذا تشهد تشهد، وإذا قال:حي على الصلاة، قال: حي على الصلاة، وإذا قال: حي على الفلاح، قال: حي على الفلاح، ثم يقول: اللهم رب هذه الدعوة الصادقة المستجابة، المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى أحينا عليها وأمتنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها، أحياءً وأمواتًا، ثم يسأل الله حاجته» . رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان [٢] ، وقال: صحيح الإسناد .

قوله: «فليتحين المنادي»: أي ينظر بدعوته حين يؤذن المؤذن، ثم يجيبه، ثم يسأل الله حاجته.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعطه». رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه[٣]، وقالا: «تعط» بغير هاء.

***

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٢٩١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢١٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٩٦).

(٢) عفير بن معدان ، أبو عائذ الحمصي المؤذن اليحصبي الحضرمي الكلاعي، قال أبو داود: شيخ صالح، ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم: يكثر عن سليم بن عامر عن أبي أمامة بما لا أصل له، وقال ابن معين: ليس بشيء، وعنه أيضًا: ليس بثقة، وكذا قال النسائي، وأخرج له الترمذي وابن ماجه، توفي سنة (١٦٦). انظر ترجمته في تقريب التهذيب (٢/ ٢٥)، الكاشف (٢/ ٢٧١)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٨١)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ١٧٤)، الجرح والتعديل (٧/ ١٩٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ٨٣)، لسان الميزان (٧/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٤)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، وابن حبان في صحيحه (٢٩٥-الموارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٧٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٧)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٧٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٧٣).

الباب الحادي عشر

في بناء المساجد وتنظيفها وحرمة البصاق فيها

عن عثمان بن عفان ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى مسجدًا يبتغي وجه الله، بنى الله له بيتًا في الجنة**»(١)، وفي رواية: «**بنى الله له مثله في الجنة**»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة**»(٢). رواه البزار واللفظ له، والطبراني في الصغير وابن حبان في صحيحه.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر بئر ماء، لم يشرب منه كبد حريٍّ من جن ولا إنس ولا طائر إلا أجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدًا كمفحص قطاة**(٣)**، أو أصغر، بنى الله له بيتًا في الجنة**»(٤).

رواه ابن خزيمة في صحيحه، ورواه أحمد والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ إلا أنهما قالا: «**كمفحص قطاة لبيضتها**».

مفحص القطاة بفتح الميم والحاء المهملة هو مجتمعها.

وعن عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بنى لله مسجدًا يذكر فيه بنى الله له بيتًا في الجنة**»(٥). رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢٢)، رقم الحديث (٤٥٠)، ومسلم (٢٤-٥٣٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤-باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٣٨)، كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجداً، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢١٧)، عن أبي ذر، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤١)، وابن حبان (٣٠١-موارد)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٤٥).

(٣) كمفحص قطاة: هو موضعها الذي تجثم فيه وتبيض، لأنها تفحص عنه التراب، وهذا مذكور لإفادة المبالغة، وإلا فأقل المسجد أن يكون موضعًا لصلاة واحدة.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٢)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٩٤)، (٢/ ٧٤)، وبنحوه: أخرجه ابن ماجه (٢٤٨٦)، كتاب الرهون، ٢٢-باب حريم البئر، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٩١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٧٣٥)، كتاب المساجد والجماعات، ١-باب من بنى لله مسجداً، عن عمر بن الخطاب ﵁، وابن حبان في صحيحه (٣٠٠-موارد)، والنسائي (٢/ ٣١-المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٥٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣١٠).

وروي عن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((من بنى لله مسجدًا صغيرًا كان أو كبيرًا بنى الله له بيتًا في الجنة)) [١] . رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((من بنى لله بيتًا يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتًا في الجنة من در وياقوت)) [٢] . رواه الطبراني في الأوسط.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة، ومن علق فيه قنديلاً صلى عليه سبعون ألف ملك [٣] حتى يرجع القنديل إليه، ومن بسط فيه حصيرًا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينقطع ذلك الحصير، ومن أخرج منه قذارة قدر ما يؤذي العين كان له كفلان من الأجر)) .

وحكي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: من أسرج سراجًا في مسجد لم يخرج من الدنيا إلا مع الشهادة وقلبه مستريح بالإيمان [٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((إنما يلحق المؤمن من عمله علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا [٥] تركه أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته)) رواه ابن ماجه[٦]، والله أعلم.

وأما تنظيف المساجد

عن أبي هريرة ﷺ: أن امرأة سوداء كانت تقم المساجد، فقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له: إنها ماتت، قال: ((فهل آذنتموني؟!)) ، فأتى قبرها فصلى عليها. رواه البخاري ومسلم [٧] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل بنيان المسجد، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٢٧) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٣٩١)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٥٥)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٥٠٨).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٣١)، وفي تنزيه الشريعة (٢/ ١٣٥).

(٤) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٧٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٣).

(٥) انظر إلى ما رواه مسلم في صحيحه (١٤)، كتاب الوصية، وأبو داود (٢٨٨٠)، كتاب الوصايا، ١٤-باب ما جاء في الصدقة على الميت، والترمذي (١٣٧٦)، كتاب الأحكام، باب في الوقف، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)) .

(٦) ما وجدناه في الترمذي وقد تقدم.

(٧) أخرجه البخاري (٥٠٩)، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعدما يدفن، ومسلم (٧١-٩٥٦)، كتاب الجنائز، ٢٣-باب الصلاة على القبر.

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة كانت تلتقط القذى من المسجد فتوفيت فلم يؤذن النبي ﷺ بدفنها، فقال النبي ﷺ: «**إذا مات لكم ميت فأذنوا وصلوا عليه، فإني رأيتها في الجنة تلقط القذى من المسجد**»[١].

وروى أبو الشيخ الأصبهاني عن عبيد بن مرزوق قال: كانت امرأة بالمدينة تقم المساجد فماتت فلم يعلم النبي ﷺ، فمر على قبرها فقال: «**ما هذا القبر؟**» فقالوا: أم محجن، قال: «**التي كانت تقم المسجد؟**»، قالوا: نعم، فصف الناس خلفه، فصلى عليها. ثم قال: «**أي العمل وجدتِّ؟**». قالوا: يا رسول الله، أتسمع؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منها**»، فذكر أنها أجابته: قم المسجد، وهذا مرسل.

قم المسجد[٢]: بالقاف وتشديد الميم هو كنسه.

وعن أبي قرصافة[٣] رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ابنوا المساجد وأخرجوا منها القمامة، فمن بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة**». فقال رجل: يا رسول الله، وهذه المساجد التي تبنى في الطرق؟ قال: «**نعم، وإخراج القمامة منها مهور الحور العين**»[٤]. رواه الطبراني في الكبير.

القمامة: بالضم: الكناسة. واسم أبي قرصافة: بكسر القاف: جندرة بن خيشنة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها**»[٥]. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب (١/ ١٩٧)، والهيثمي في المجمع (٢/ ١٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٣٨).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم للنووي، انظر (٧/ ٢١)، فقال: قوله: ((تقم المسجد))، أي تكنسه، وفي حديث السوداء هذه التي صلى النبي ﷺ على قبرها، وحديث ابن عباس السابق، وحديث أنس دلالة لمذهب الشافعي وموافقيه في الصلاة على الميت في قبره سواء كان صلي عليه أم لا.

(٣) أبو قرصافة جندرة بن خيشنة بن (حبشية) بن نفير الكناني، صحابي، لخرج له البخاري في الأدب، انظر ترجمته في تقريب التهذيب (١/ ١٣٥)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٥٠)، الذيل على الكاشف (١٩٨)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٢٦٧)، الإصابة (١/ ٥١٤)، الاستيعاب (١/ ٢٧٤)، الثقات (٣/ ٦٤)، أسماء الصحابة الرواة (٥٨٩).

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦١)، كتاب الصلاة، باب في كنس المسجد، والترمذي (٢٩١٦)، كتاب فضائل القرآن، باب منه (١٨)، وقال الترمذي: حديث غريب، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٤٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥٩٧٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٧)، والشجري في أماليه (١/ ١٠٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٩).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخرج أذى من المسجد بنى الله له بيتًا في الجنة»[١]، رواه ابن ماجه.

وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتخذ المساجد في ديارنا وأمرنا أن ننظفها»[٢].

رواه الترمذي وأحمد، وقال الترمذي: حديث صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه[٣].

وروي عن واثلة بن الأسقع ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع»[٤] . رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير وغيرهما .

وجمروها : أي بخروها.

وأما البصاق في المساجد وإلى القبلة وإنشاد الضالة فيه وغير ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال[٥]: بينا رسول الله ﷺ يخطب يومًا إذ رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيظ على الناس ثم حكها، قال: وأحسبه قال: فدعى بزعفران فلطخه به ثم قال: «إن الله ﷻ قِبَل وجه أحدكم إذا صلى فلا يبصق بين يديه».

رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٥٧)، كتاب المساجد والجماعات، ٩-باب تطهير المساجد وتطييبها، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٨)، والقرطبي في تفسيره (١٢/٢٦٦)، والقيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٥٦)، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في الدور، عن سمرة ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٥٥)، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في الدور، وابن ماجه (٧٥٨)، كتاب المساجد والجماعات، ٩-باب تطهير المساجد وتطييبها، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٥٠)، كتاب المساجد والجماعات، ٥-باب ما يكره في المساجد، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٥٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٠٤).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١١٢)، ومسلم (٥٠-٥٤٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٣-باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وأبو داود (٤٧٩)، كتاب الصلاة، باب كراهية البزاق في المسجد، وأحمد في مسنده (٢/ ٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٩).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال: «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخم أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخم في وجهه، إذا بصق أحدكم فليبصق عن شماله أو ليتفل هكذا في ثوبه» (١) .

ثم أراني إسماعيل - يعني ابن علية - يبصق في ثوبه، ثم يدلكه.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ (٢) كان يعجبه العراجين أن يمسكها بيده، ثم دخل المسجد ذات يوم وفي يده واحد منها فرأى نخامات في قبلة فحتهن حتى أنقاهن، ثم أقبل على الناس مغضباً فقال: «أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه، إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه والملك عن يمينه فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه» الحديث. رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه» (٣) . رواه أبو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

«تفل» بالتاء المثناة فوق، أي بصق.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «يبعث صاحب النخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجهه» (٤) . رواه البزار وابن خزيمة في صحيحه.

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارها دفنها» (٥)، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في (٥٣-٥٥٠)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٣-باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وابن ماجه (١٠٢٢)، في إقامة الصلاة، باب المصلي يتنخم، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٠)، كتاب الصلاة، باب في كراهية البزاق في المسجد، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٤)، والحميدي في مسنده (٧٢٩)، وانظر ابن خزيمة في صحيحه (٩٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٢٤)، كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢٥، ١٦٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٢-الموارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٧٦، ٨٦)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٢).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٣١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠١).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١١٣)، ومسلم في صحيحه (٥٥-٥٥٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٣-باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وأبو داود (٤٧٥) كتاب الصلاة، باب في كراهية البزاق في المسجد، والترمذي (٥٧٢)، في الصلاة، باب ما جاء في كراهية البزاق في المسجد ، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٣)، والمنذري في الترغيب (١/ ٢٠١)، والبيهقي في السنن (٢/ ٢٩١).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((التفل في المسجد سيئة ودفنه حسنة))(١).

رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

وعن أبي سهلة السائب بن خلاد (٢) ، عن أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً أم قومًا فبصق في القبلة، ورسول الله ﷺ ينظر، فقال رسول الله ﷺ حين فرغ: ((ألا لا يصلي لكم هذا)) ، فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ((نعم)) ، وحسبت أنه قال: ((إنك آذيت الله ورسوله)) (٣) .

رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه (٤) .

وعن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((إن العبد إذا قام في الصلاة فتحت له الجنان وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين ما لم يَمْتَخط أو يتنخم))(٥)، رواه الطبراني في الكبير.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا)) (٦) .

رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٢)، وذكره أبو داود (٤٧٤)، في الصلاة، باب كراهية البزاق في المسجد، بلفظ: ((التفل في المسجد خطيئة وكفارته أن تواريه)) .

(٢) تأتي ترجمته آخر الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨١)، كتاب الصلاة، باب في كراهية البزاق في المسجد، وأحمد في مسنده (٤/ ٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٤-موارد)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٥٠٨).

(٤) راوي الحديث هو أبو سهلة السائب بن خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة، الخزرجي المدني الأنصاري، صحابي عمل لعمر على اليمن، أخرج له أصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (٧١هـ)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٤٤٧)، تقريب التهذيب (١/ ٢٨٢)، الكاشف (١/ ٣٤٦)، والبخاري في تاريخه الكبير (٤/ ١٥٠)، الجرح والتعديل (٤/ ١٠٢٧)، أسد الغابة (٢/ ٣١٤)، والإصابة (٣/ ٢١)، الثقات (٣/ ١٧٣)، الاستيعاب (٢/ ٥٧١).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٩٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٥٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٧٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٩، ٨٠).

(٦) أخرجه مسلم (٧٩-٥٦٨)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٨-باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد ، وأبو داود (٤٧٣) ، كتاب الصلاة ، باب في كراهية إنشاد الضالة ، وابن ماجه (٧٦٧)، كتاب المساجد والجماعات، ١١-باب النهي عن إنشاد الضوال في المسجد، والبيهقي في السنن (٢/ ٤٤٧).

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»[١]. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «خصال لا ينبغين في المسجد: لا يتخذ طريقًا، ولا يشهر فيه سلاح، ولا ينبض فيه بقوس، ولا ينثر فيه نبل، ولا يمر فيه بلحم نَيّء، ولا يضرب فيه حد، ولا يقتص فيه من أحد، ولا يتخذ سوقًا» [٢]، رواه ابن ماجه. أنبض القوس: بالضاد المعجمة، إذا حرك وترها لترن.

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال [٣] : كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وجعلت فرسه تنفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ وذكر له ذلك، فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن» ، رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: الشطن: بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة : الحبل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب» [٤] . رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وروى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ»[٥]. رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢١)، كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، كرهوا البيع والشراء في المسجد، وهو قول أحمد وإسحاق وقد رخص فيه بعض أهل العلم في البيع والشراء في المسجد. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٤٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٤٨)، كتاب المساجد والجماعات، ٥-باب ما يكره في المساجد، وبهامشه:لا يتخذ طريقًا لمرور الناس والدواب والأنعام، يشهر: من شهر سيفه كمنع ، أي يسل، ولا ينبض فيه بقوس: من أنبض القوس وأنبضت الوتر إذا شددته ثم أرسلته، ولا يتخذ سوقًا: أي موضعًا للبيع والشراء.

(٣) من هذا الحديث إلى حديث ابن عباس: ((من سمع آية من كتاب الله تعالى كانت له نورًا يوم القيامة)) مكررة.

(٤) تقدم من قبل.

(٥) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي في سننه (٢٩١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٢)، والبيهقي (٢/ ٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٧٩٠-الموارد).

وعن يزيد بن أبي حبيب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من استظهر القرآن خفف الله عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين)) .

وعن جابر بن بشير عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ((من قرأ القرآن في الصلاة وهو قائم، فله بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ القرآن وهو في الصلاة قاعدًا فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأ القرآن وهو في غير الصلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى شيء من كتاب الله تعالى وهو يريد الآخرة كتب الله له بكل حرف حسنة، ومن قرأ القرآن حتى يختمه كان له عند الله دعوة مستجابة، إما معجلة وإما مؤخرة)) .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: إمام مقسط عادل، وذو شيبة في الإسلام، وحامل القرآن)) .

وعن عقبة بن عامر ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة)) (١) .

قال أبو الليث: يعني إن جهر بقراءته فنعمًا هي، وإن أسر فهو أفضل.

وعن الوليد بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((عرضت علي الذنوب فلم أر فيها شيئًا هو أعظم من حامل القرآن وتاركه)) .

وفي سنن أبي داود ومسند الدارمي عن ابن عبادة ﷺن عن النبي ﷺ أنه قال: ((من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة وهو أجذم)) .

وعن طلق بن حبيب رحمه الله أنه قال: ((من تعلم القرآن ثم نسيه بغير عذر يحط بكل آية درجة وجاء يوم القيامة مخصومًا)) (٢) .

قوله: ((من غير عذر)) : المراد بالعذر ما كان كالمرض والجنون الذي لا يقدر على قراءته معه، وأما تركه لاشتغاله بالأمور الدنيوية، فليس ذلك بعذر.

وروى أبو الليث بإسناده إلى علي بن الحسين الحليمي قال: سمعت الحسن بن زياد يقول: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: من قرأ القرآن في السنة مرتين فقد أدى حقه، لأن النبي ﷺ عرض عليه -يعني قرأ على جبريل عليه السلام- في السنة التي توفي فيها مرتين.

---

(١) تقدم الحديث من قبل.

(٢) انظر ما تقدم من قبل.

وروى أنس ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «القرآن أفضل من كل شيء، فمن قرأ القرآن فقد وقر الله، ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، المعظمون كلام الله، الملبسون نور الله، فمن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله -أو قال:- فقد استخف بحق الله» .

وروى زيد بن أسلم [(١)] ﷺ: أن النبي ﷺ سئل : أي الأعمال أفضل؟ فقال: «الحال المرتحل» ، يريد الذي يختم القرآن ، ثم يفتتحه، وبهذا الحديث أخذ عبدالله بن كثير المقرئ، أحد القراء السبعة، فروى عنه ابن أبي بزة المكي بإسناده أنه كان يأمر القارئ إذا ختم عليه القرآن أن يفتتح بعقب ذلك فيقرأ الحمد وخمس آيات من البقرة ليكون مرتحلاً من ختمة، حالاً في ختمة أخرى اتباعًا للحديث.

وروى أبو أمامة ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ ربع القرآن فقد أوتى ربع النبوة، ومن قرأ ثلث القرآن فقد أوتي ثلث النبوة، ومن قرأ ثلثي القرآن فقد أوتي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أوتي النبوة» .

قال محمد مكي: يريد ﷺ بذلك والله أعلم: الفضل والثواب والدلالة على من أنزل عليه القرآن.

وروى أبو الدرداء ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ ألف آية إلى خمسمائة أصبح وله قنطار من الأجر، القيراط منه مثل التل العظيم» .

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن يتمثل يوم القيامة بأحسن صورة رآها الناس فيقول الناس : من هذا؟، هذا نبي. فإذا جاوز مكان النبيين قالوا: هذا ملك، فإذا جاوز مكان الملائكة، عرفوا من هو ، حتى يأتي بين يدي الله ﷻ فيعرض عليه الثقلان، فيشهد على كل امرئ كان فيه، فشاهد مصدق وشفيع مطاع» .

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من جمع القرآن فظن أن أحدًا أغنى منه فقد حقر عظيمًا وعظم صغيرًا» .

المراد والله أعلم: فظن أن أحدًا أعطي عطاءً هو أفضل من القرآن، ويبين هذا قول ابن مسعود ﷺ: من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغره القرآن فقد خالف القرآن ، ألم

---

(١) تقدمت ترجمته من قبل.

تسمع إلى قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨].

وقول مجاهد رحمه الله: من آتاه الله القرآن فظن أن أحدًا أُوتي أفضل منه في الدنيا فقد عظم ما صغر الله، وصغر ما عظم الله تعالى.

قال كعب الأحبار رحمه الله تعالى: إن في التوراة: إن الغلام إذا تعلم القرآن وهو حديث السن وحرص عليه وعمل به وتابعه خالطه الله تعالى بلحمه ودمه، وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة، وإذا تعلم الرجل القرآن وقد دخل في سِنٍّ وحرص عليه وفي ذلك يتفلت منه، كان له أجره مرتين، ويكسى حلة الكرامة، ويتوج بتاج الوقار، ويقول الله ﷻ للقرآن: هل رضيت هذا لعبدي؟ فيقول القرآن: ما رضيت ما أعطيته، فيعطى النعيم بيمينه والحلل بشماله، فيقول الله جل ذكره للقرآن: هل رضيت ما أعطيت لعبدي؟ فيقول: نعم.

وروي: أن النبي ﷺ خرج يومًا على أصحابه فقال: «أبشروا أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله؟» قالوا: بلى، قال: «فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فلن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا».

وروى عقبة بن عامر ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يعذب الله قلبًا وعى القرآن»، وروي عن أنس ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله أهلين من الناس حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته».

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلم القرآن وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كل قد استوجب النار»(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه إلا أنه لم يوح إليه».

وعن سهل بن معاذ(٢) عن أبيه ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجًا ضوءه أحسن من ضوء الشمس، فكيف من عمل به».

---

(١) تقدم من قبل.

(٢) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، لا بأس به إلا في رواية زبان عنه، أخرج له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي وابن ماجه، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٨)، تقريب التهذيب (١/ ٣٣٧)، الكاشف (١/ ٤٠٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٩٨)، الجرح والتعديل (٤/ ٨٧٩)، الثقات (٤/ ٣٢١).

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة، وتخرج منه الشياطين، ويتسع بأهله ويكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين، وتخرج منه الملائكة، ويضيق بأهله، ويقل خيره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من سمع آية من كتاب الله تتلى كانت له نوراً يوم القيامة [١].

وروي عن عطاء، عن إبراهيم رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((**سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة**))، رواه ابن ماجه في صحيحه[٢].

والله الموفق للصواب.

***

(١) هنا آخر الأحاديث المكررة التي تقدمت من قبل، وقد أعدناها لنحافظ على سياق المخطوط.

(٢) كذا بالأصل والأصح ابن حبان في صحيحه، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١-موارد)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٦٣).

الباب الثاني عشر

في فضل المشي إلى المساجد سيما في الظلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال[1]: قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما انتظر الصلاة».

وفي رواية: «اللهم اغفر له، اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه». رواه البخاري ومسلم.

وعن عقبة بن عامر [2] رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال[3]: «إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات، والقاعد يرعى الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه».

رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط.

القنوط: يطلق بعدة معان، منها: السكوت، والدعاء، والطاعة، والتواضع، وإدامة الحج، وإدامة الغزو، والقيام في الصلاة، وهو المراد في هذا الحديث، والله أعلم.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتب له حسنة ذاهبًا وراجعًا»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦)، ومسلم (٢٧٢-٦٤٩)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩-باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، وأبو داود (٥٥٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، وابن ماجه (٧٨٦)، كتاب المساجد والجماعات ، ١٦-باب فضل الصلاة في جماعة، وابن حبان في صحيحه (٤٣١-موارد)، والدارمي في سننه (١/ ١٩٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢).

(٢) عقبة بن عامر بن عبس بن عمر بن عدي، أبو حماد الجهني، صحابي مشهور، وكان فقيهًا فاضلاً، أخرج له الستة، وتوفي سنة (٦٠هـ)، أو قربها، انظر تقريب التهذيب (٢/ ٢٧)، وتقدمت ترجمته بأوسع من هذا من قبل.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٢١-موارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩).

رواه أحمد بإسناد صحيح، والطبراني وابن حبان في صحيحه.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها مع الإمام غفر له ذنبه))(١)، رواه ابن خزيمة.

وعن سعيد بن المسيب (٢) رحمه الله قال: حضر رجلاً من الأنصار الموت فقال: إني محدثكم حديثًا ما أحدثكموه إلا احتسابًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عز وجل عنه سيئة، فليقرب أحدكم أو ليبعد، فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له، وإن أتى المسجد فصلوا بعضًا وبقي بعض صلى ما أدرك وأتم ما بقي، كان كذلك، فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتم الصلاة كان كذلك)) (٣) . رواه أبو داود.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((أتاني الليلة آت من ربي...)) فذكر الحديث إلى أن قال: ((قال لي: يا محمد ، أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الدرجات والكفارت، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وما حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه...)) الحديث (٤) .

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((كل سلامى من الناس عليه صدقة، وكل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة)) (٥) ، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٦١، ٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢).

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القريشي، المخزومي، العائذي، المدني الأعور، قال ابن حجر في التقريب: اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم من التابعين أوسع علمًا منه، أخرج له: الستة، توفي (٩٤، ٩٣، ١٠٠)، التقريب (١/ ٣٠٥، ٣٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٦٣)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الهدي في المشي إلى الصلاة، والترمذي (٣٢٨)، في الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى المسجد ثم قال بنحو حديث أبي سلمة عن أبي هريرة بمعناه، وابن ماجه بنحوه (٧٧٤)، في كتاب المساجد والجماعات، ١٤-باب المشي إلى الصلاة، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٥)، (٤/ ٦٨)، ومسلم (٥٦-١٠٠٩)، كتاب الزكاة، ١٦-باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٣). قال النووي: قوله: ((كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس)) : قال العلماء: المراد صدقة ندب وترغيب لا إيجاب وإلزام.

السلامى بضم السين وتخفيف اللام والميم مقصور، وهو واحد السلاميات، وهي مفاصل الأصابع.

قال أبو عبيدة: هو في الأصل عظم يكون في (فرسن) [(١)] البعير، فكان المعنى: على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة.

يميط: يبعد عنها.

ويعدل: يصلح بالعدل.

وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله ﷻ بنور يوم القيامة»[(٢)].

رواه الطبراني بإسناد حسن وابن حبان في صحيحه .

***

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٢٣-الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٥٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤١٠).

الباب الثالث عشر

في فضل الصلاة المكتوبة ووزر من تركها

قال الله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾، [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾، [التوبة: ٥].

والآيات الدالة على فضل الصلاة والأمر بها كثيرة معلومة.

اختلف في اشتقاقها مم هو، فقيل: هو من الدعاء [(١)] . وتسمية الدعاء صلاة معروف في كلام العرب، فسميت الصلاة لما فيها من الدعاء.

وقيل: سميت بذلك من الرحمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فهي من الله رحمة، ومن الملائكة والناس دعاء.

قال النبي ﷺ : «**اللهم صل على آل أبي أوفى**» [(٢)] ، أي: ارحمهم.

وقيل: لأنها بين العبد وبين ربه. وقال رسول الله ﷺ : «**الإيمان الصلاة، فمن فرغ قلبه عليها وحاد بحدودها فهو مؤمن**» [(٣)] .

---

(١) اختلف العلماء في أصل الصلاة ، فقيل: هي الدعاء، لاشتمالها عليه، وهذا قول جماهير أهل العربية والفقهاء وغيرهم، وقيل: لأنها ثانية لشهادة التوحيد، كالمصلي من السابق في خيل الحلبة، وقيل: هي من الصلوين وهما عرقان مع الردف، وقيل: هما عظمان ينحنيان في الركوع والسجود، قالوا: ولهذا كتبت الصلوة بالواو في المصحف، وقيل: هي من الرحمة، وقيل: أصلها الإقبال على الشيء، وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. النووي في شرح مسلم (٤/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٥٩)، (٨/ ٩٠، ٩٦)، ومسلم (١٧٦-١٠٧٨)، كتاب الزكاة ، ٥٤-باب الدعاء لمن أتى بصدقة. قال النووي: ومذهبنا المشهور ومذهب العلماء كافة: أن الدعاء لدافع الزكاة سنة مستحبة ليس بواجب، وقال أهل الظاهر: هو واجب وبه قال بعض أصحابنا، حكاه أبو عبدالله الحناطي بالحاء المهملة، واعتمدوا الأمر في الآية، قال الجمهور: الأمر في حقنا للندب؛ لأن النبي ﷺ بعث معاذاً وغيره لأخذ الزكاة ولم يأمرهم بالدعاء. النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٢).

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٢٣).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال على المنبر: أن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه [(١)].

وقيل للحسن [(٢)]: ما بال المجتهد من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره.

وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: ما أريد به ثوابًا ولكن ليتسرَّ رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة.

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: يا داود كذب من ادعى محبتي، وإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه.

وكان فتح الدين ابن أمين الحكم النحريري رحمة الله عليه كثيراً يتمثل هذه الأبيات:

يا أيها الراقد كم ترقــــد   قم يا حبيبي قد دنا الموعــد
وخذ من الليل وساعاتــه   حظًا إذا هجـــع الرقــد
من نام حتى يمتضي ليلــه   لم يبلغ المنزل أو يحمــــد

وكان أويس القرني[(٣)] رحمة الله عليه لا ينام ليله ويقول: ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر.

وقال مسلم بن يسار: إذا أراد أن يصلي في بيته يقول لأهله: تحدثوا فلست أسمع حديثكم.

ووقع حريق إلى جنبه وهو في الصلاة، فما شعر به حتى أطفئ.

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٢٣)، وذكره العراقي في المغنى عن حمل الأسفار (١/ ١٥٠).

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه فاضل، مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، توفي سنة (١١٠)، وقد قارب الـ(٩٠) سنة، انظر ترجمته في التهذيب (٢/ ٢٦٣)، التقريب (١/ ١٦٥).

(٣) أويس القرني: هو أويس بن عامر (عمرو) بن جزء بن ملك بن عمرو بن سعد، أبو عمرو القرني المرادي التميمي العابد، سيد التابعين، ذكره البخاري في الضعفاء له، وقال: في إسناده نظر واستنكر الذهبي على البخاري تضعيفه وقال: وما روى الرجل شيئًا فيضعف أو يوثق من أجله، وقال ابن عدي: ليس له من الرواية شيء، وروى له مسلم من كلامه، وتوفي سنة (٧٧)، انظر ترجمته في التهذيب (١/ ٣٨٦)، التقريب (١/ ٨٦)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٥٦)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٧٨)، سير الأعلام (٤/ ١٩، ٣٣)، الثقات (٤/ ٥٢)، حلية الأولياء (٢/ ٧٩)، شذرات الذهب (١/ ٤٦).

وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأئمة: عثمان بن عفان ﷺ، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة رحمهم الله [١].

وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب في الصلاة عن وجهه ولا غيره، فقيل له: كيف تصبر؟ فقال: بلغني أن العشاق يتصبرون تحت السياط ليقال: فلان صبور، وأنا بين يدي ربي فلا أصبر على ذباب يقع عليّ؟!

وقال الحسن: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة رضي الله عنها: كانت تقوم بالأسحار حتى تورمت قدماها، وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه [٢]، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكانت دموعه تقع على مصلاه كوقع المطر.

وكان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه غليان وخفقان.

هذا خوف الحبيب والخليل ما أعطيا من شرف المقام، فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام؟!

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، [آل عمران: ١٣٣].

قال قوم: سارعوا بالتوبة إلى الله تنالوا المغفرة من الله [٣].

وقال قوم: سارعوا إلى الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وقال قوم: سارعوا إلى التكبيرة الأولى في الصلاة.

---

(١) تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن وداع، أبو رقية الداري اللخمي ﷺ، صحابي مشهور، أخرج له البخاري في التاريخ ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (٤٠هـ)، انظر ترجمته في تقريب التقريب (١/ ١١٣)، الكاشف (١/ ١٦٧)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ١٥٠)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٧٦)، الجرح والتعديل (١/ ٤٤٠)، أسد الغابة (١/ ٢٥٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٤٩٠٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٥٨)، أسماء الصحابة الرواة (١٢٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٢)، الثقات (٣/ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦٣)، (٦/ ١٦٩)، ومسلم في صحيحه (٧٩-٢٨١٩)، (٨٠-٢٨١٩)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٨-باب إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة، والترمذي (٤١٢)، في الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، والنسائي (٣/ ٢١٩)، وابن ماجه في سننه (١٤١٩، ١٤٢٠)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ٢٠٠-باب ما جاء في طول القيام في الصلوات، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥١، ٢٥٥)، والبيهقي (٢/ ٤٩٧)، والطبراني في الصغير (١/ ٧١، ١١٨)، وابن خزيمة (١١٨٢).

(٣) ندبهم الله إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي كما أعدت النار للكافرين، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، تنبيهاً على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجنة: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، أي فما ظنك بالظهائر، وقيل: بل عرضها كطولها لأنها قبة تحت العرش والشيء المعين والمستدير عرضه كطوله، تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٤).

وقال قوم: سارعوا إلى أداء ما فرض عليكم من صلاة وزكاة، فالصلاة ترضي الرحمن، والزكاة تطهر الأبدان، فتارك الصلاة قد طبع على قلبه، وحق عليه السخط من ربه، من كان في بيته امرأة لا تصلي ولم يعلمها ولم يضربها كان عليه من الوزر مثل ما كان عليها، والولد كذلك.

وكل بيت لا يصلى فيه حقت بأهله الهلكة، ومن ترك الصلاة ثلاثة أيام فهو كافر، ومن ترك الصلاة ثلاثة أيام فاقتلوه، وإن مرض فلا تعودوه، وإن مات فلا تشيعوا جنازته.

وقال ﷺ لرجل قال له: ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة. فقال: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**» [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب (متناه) [٢].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» . قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» . قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى [٣] .

وفي الخبر: أن العبد إذا أحدث واستنجى ولم يتوضأ يقول الله تعالى: عبدي استنجيت ولم تتوضأ ما هذا الجفاء؟

وإذا استنجى وتوضأ ولم يصل ركعتين يقول الله تعالى: عبدي، استنجيت وتوضأت ولم تصل ركعتين، ما هذا الجفاء؟

وإن توضأ وصلى ركعتين ولم يدع عقيب صلاته يقول الله تعالى: عبدي توضأت وصليت ركعتين ولم تدعني أما لك حاجة إليّ، ما هذا الجفاء؟

عبدي إذا توضأت وصليت فادعني عقيب صلاتك، فإن لم أستجب لك فقد جفوتك، ولست أنا يا عبدي برب جاف، يا عبدي، أنت لا تبكي إلا مضروبًا، ولا تدعني إلا مكروبًا،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٥٩)، والبيهقي في السنن (٢/ ٤٨٦)، والنسائي (٢/ ٢٢٨)، والطبراني في الكبير (٥/ ٥٠)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ٢٠٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٣٢)، (٩/ ١٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٧٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار على هامش الإتحاف (١/ ١٤٩).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب فضل الجهاد والسير، والتوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، ومسلم (١٣٥-٨٣)، كتاب الإيمان، ٣٦-باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، والترمذي (١٨٩٨)، كتاب البر والصلة، باب منه، ما جاء في بر الوالدين، وأحمد في مسنده (١/ ٤١٨، ٤٤٤، ٤٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١٥).

ولا تجيء إلا مسحوب، يا عبدي من لا يصلح لجواري وداري لا يصلح إلا لسخطي أو ناري. يا عبدي إلى متى تجفو وأنا أصفح وأعفو، إلى كم تمزق ملابسنا وأنا أرفوا.

وكان بعض الرجال يقوم الليل ويدعو ويقول: «إلهي، أسألك أن تجعلني من أوليائك»، فلما كان في ليلة من الليالي وقد ألح في الدعاء هتف به هاتف: يا عبدي ، تسألنا أن نجعلك من أوليائنا وأنت لا تصبر على جفاءنا، ومن لم يصبر على جفاءنا وبلاءنا لم يصبر من أحبابنا.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام**»، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»، رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[3]. رواه مسلم.

وعن بريدة[4] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[5]. رواه الترمذي رحمه الله تعالى وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩)، ومسلم (١٩-١٦)، كتاب الإيمان، ٥-باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، والترمذي (٢٦٠٩)، كتاب الإيمان، باب ما جاء بني الإسلام على خمس، وأحمد بن حنبل (٢/ ٢٦، ٩٣)، والبيهقي (١/ ٣٥٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٨، ٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ومسلم (٣٢-٢٠)، (٣٣-٢١)، (٣٤-٢١)، كتاب الإيمان، ٨-باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والترمذي (٢٦٠٨)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في قول النبي ﷺ، وأبو داود في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون، رقم (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، والنسائي: تحريم الدم في فاتحته، والإيمان: باب على ما يقاتل الناس، وابن ماجه (٧١، ٧٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤ - ٨٢) ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، وأبو داود (٤٦٧٨)، كتاب السنة، ١٥-باب في رد الإرجاء ، والترمذي (٥/ ١٤)، كتاب الإيمان، ٩-باب ترك الصلاة، رقم الحديث (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١-المجتبى)، كتاب الصلاة، باب الحكم في ترك الصلاة، رقم الحديث (٤٦٥)، وابن ماجه (١/ ٣٤٢)، ٢-كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ٧٧-باب فيمن ترك الصلاة، رقم الحديث (١٠٧٨).

(٤) بريدة بن الحصيب، تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، والنسائي في الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، وابن ماجه (١٠٧٩)، في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦، ٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٣٠).

وعن شقيق بن عبدالله التابعي المتفق على جلالته رحمه الله قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون من الاعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي[(١)] من كتاب الإيمان بإسناد صحيح.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فرضه شيئًا قال الرب ﷻ: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل به ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر أعماله على هذا**»[(٢)]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وروى أبو الليث بإسناده إلى الحسن رحمه الله: أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فماذا يبقى عليه من الدرن**». قال أبو الليث: يعني أن الصلاة الخمس تطهره من الذنوب مما دون الكبائر، وهذا إذا صلى الصلوات على التعظيم، وأتم ركوعها وسجودها، فإذا لم يتم ركوعها وسجودها فهي مردودة عليه[(٣)].

وبإسناده إلى يحيى بن خلاد عن أبيه، عن عمه إلى رفاعة بن رافع ﷺ، قال: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ إذ دخل رجل فاستقبل القبلة فصلى، فلما قضى صلاته جاء فسلم على رسول الله ﷺ وعلى القوم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**»، فرجع فصلى، فلما رجع قال له: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**»، أمره بذلك مرتين أو ثلاثًا، فقال الرجل: ما أثرت جهدي، فلا أدري ما عبت عليّ من صلاتي، فقال رسول الله ﷺ[(٤)]: «**لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمر الله تعالى، حتى يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ويغسل برجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله ويحمده، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه، ثم يكبر فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر يقول: سمع الله لمن حمده فيستوي قائمًا حتى يقيم صلبه، فيأخذ كل عضو مأخذه، ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه من الأرض كما تطمئن مفاصله وتسترخي، ثم يكبر ويستوي قاعدًا على مقعده ويقيم صلبه**»،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، قال أبو عيسى: سمعت أبا مصعب المدني يقول: من قال: الإيمان قول يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ٨٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٩)، وابن ماجه (١٤٢٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٠٣)، (٥/ ٧٢)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤-٦٦٨)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٦)، (٣/ ٣٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٨)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٨).

(٤) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان أبو معاذ الزرقي، الأنصاري الخزرجي، المدني صحابي من أهل بدر، أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي في خلافة معاوية، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨١)، تقريب التهذيب (١/ ٢٥١)، الكاشف (١/ ٣١١)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣١٩)، الإصابة (٢/ ٢٢٥)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٣٦)، الاستيعاب (٢/ ٤٩٧)، الثقات (٣/ ١٢٥).

فوصف صلاته هكذا أربع ركعات حتى فرغ. ثم قال: «**لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك**»[١].

وبإسناده إلى الحارث[٢] مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: جلس عثمان رضي الله عنه يومًا وجلسنا معه، فجاءه المؤذن فدعا عثمان رضي الله عنه بماء فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ كوضوئي هذا ثم قال: «**من توضأ كوضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما بينها وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب، غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم يبيت وإذا قام وتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء الأخيرة، فإنهن الحسنات يذهبن السيئات**» .

قالوا: هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات؟ قال: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**»[٣].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال[٤]: من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات المفروضات يؤديهنَّ حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، فلعمري لو صليت في بيوتكم كما يصلي المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد أتى علينا وما يتخلف عنهن إلا منافق معلوم بنفاقه.

ولقد رأينا الرجل يهادى بين اثنين حتى يقام في الصف، وما من رجل يتطهر فيحسن طهوره، ثم يعمد إلى مسجد من المساجد فيصلي فيه إلا كتب الله تعالى له بكل خطوة حسنة، ورفع له بها درجة، وحط عنه خطيئة، حتى إن كنا لنقارب بين الخطى، وإن صلاة الرجل في الجماعة [٥] تزيد على صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين درجة.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٢)، ومسلم (٤٥-٣٩٧)، كتاب الصلاة، ١١-باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، والنسائي (٣/ ٥٩ -المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٦١، ٥٩٠).

(٢) الحارث بن عبيد، أبو صالح المدني، مولى عثمان، ويقال: الحارث بن عبد، وقال البخاري: بركان، أخرج له أحمد في مسنده وذكره ابن حبان في الثقات، روى عن : مولاه عثمان، وعنه أبو عقيل زهرة بن معبد في الوضوء، مات في ولاية عثمان. انظر ترجمته في الذيل على الكاشف (٢١٥)، تعجيل المنفعة (١٦٠)، الثقات (٦/ ١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٧٣)، ومسلم (٣٢-٢٦٩٥)، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٥٦)، (٥/ ٢٠، ١٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٩٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٣-موارد).

(٤) أخرجه النسائي (٢/ ١٠٨-المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٠).

(٥) انظر الحديث تقدم.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» ، قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» (١) . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات» (٢) . رواه مسلم.

قال النووي: الغمر بفتح الغين المعجمة: الكثير.

وعن ابن مسعود ﷺ: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل: إلي هذه؟ قال: «لجميع أمتي كلهم» (٣) ، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر» (٤) رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله» (٥)، رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٤١)، ومسلم في صحيحه (٢٨٣-٦٦٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥١-باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، والترمذي (٢٨٦٨)، كتاب الأمثال، باب مثل الصلوات الخمس، والنسائي (١/ ٢٣١- المجتبى) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٦١)، (٣/ ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤-٦٦٨)، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٦)، (٣/ ٣٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٩)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٩-٢٧٦٣)، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، وأبو داود في الحدود، باب في الرجل يصيب من المرأة دون الجماع، والترمذي (٣١١٢)، في تفسير القرآن، في سورة هود.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤-٢٣٣)، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة.. والترمذي (٢١٤)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس، وابن ماجه (٥٩٨)، كتاب الطهارة، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩، ٤٠٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٤، ١٨١٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٧-٢٢٨)، كتاب الطهارة ، ٤-باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٨)، وفي مشكاة المصابيح (٢٨٦).

وعن أبي موسى ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((**من صلى البردين دخل الجنة**))[١]، رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: البردان: الصبح والعصر.

وعن أبي زهيرة عمار بن رويبة [٢] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها**)) يعني الفجر والعصر[٣]. رواه مسلم.

وعن جندب بن عبدالله بن سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله في ذمته بشيء**))[٤]، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**)) [٥] . رواه مسلم والبخاري.

وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**من ترك صلاة العصر حبط عمله**)) [٦]، رواه البخاري ومسلم.

وعن عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله**))[٧]. رواه مسلم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٠)، ومسلم في صحيحه (٢١٥-٦٣٥)، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٢- موارد).

(٢) أبو زهير عمارة بن رويبة، أبو زهيرة، وفي التقريب: زهير، الثقفي الكوفي، صحابي، نزل الكوفة، أخرج له أصحاب السنن الأربعة، توفي (٧٠هـ)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٤١٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٩)، الكاشف (٢/ ٣٠٢)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٦٥)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٩٤)، الثقات (٣/ ٢٩٤)، أسد الغابة (٤/ ١٣٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٣-٦٣٤)، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦١-٦٥٧)، كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣١٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٠٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٥٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٥)، (٩/ ١٥٤)، ومسلم في صحيحه (٢١٠-٦٣٢)، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والنسائي (١/ ٢٤٠-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٦)، ومالك في الموطأ (١٧٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٥، ١٥٤)، والنسائي (١/ ٢٣٦-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٠-٦٥٦) كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٤)، (٣/ ٦١)، وأبو داود (٥٥٥)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨، ٦٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٣)، والترمذي (٢٢١).

وفي رواية للترمذي عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف الليل، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له قيام ليلة» (١) . رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا» (٢) ، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعتمة، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا» (٣) . رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» (٤) ، رواه البخاري.

الفذ: بفتح الفاء والذال المعجمة يعني: الفرد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال (٥) : قال النبي ﷺ : «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته أو في سوقه خمسة وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في صلاة ما لم يحدث: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» ، رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى (٦) فقال: يا رسول الله ، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته. فرخص له،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، وأحمد في مسنده (١/ ٦٨). وأخرجه أيضًا مسلم وقد تقدم في الذي قبله.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٦٠، ١٦٧)، ومسلم (١٢٩-٤٣٧)، كتاب الصلاة، ٢٨-باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي (١/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٦٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦)، والنسائي (٢/ ١٠٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠)، ومالك في الموطأ (١٢٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٥) ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦)، ومسلم في صحيحه (٢٧٢-٦٤٩)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩-باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، وأبو داود (٥٥٩)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، وابن ماجه (٧٨٦، ٧٨٨، ٧٨٩)، في كتاب المساجد والجماعات، ١٦-باب فضل الصلاة في جماعة، وابن حبان في صحيحه (٤٣١-الموارد)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢) ، مجمع الزوائد (٢/ ٣٨).

(٦) هو ابن أم مكتوم عمرو بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري الصحابي المشهور، قديم الإسلام، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه ، توفي في آخر خلافة عمر، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ١٠٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٧٩)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٦)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٤٠٦).

فلما ولى دعاه فقال له: ((هل تسمع النداء بالصلاة؟)) قال: نعم، قال: ((فأجب))(١)، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)) رواه البخاري ومسلم (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)) (٣). رواه أبو داود بإسناد حسن.

وروى أنس بن مالك ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من صلى الصبح في الجماعة أربعين يومًا لم تفته ركعة واحدة كتبت له براءتان: براءة من النفاق، وبراءة من النار))(٤).

وعن غالب القطان (٥) رحمه الله أنه قال: فاتتني صلاة العشاء في جماعة، فصليت خمسًا وعشرين مرة، أبتغي به الفضل، ثم نمت فرأيت في منامي كأني على (فررة) (٦) جواد أركض وقوم في المحامل أمامي لا ألحقهم، فقيل لي: إنهم صلوا في جماعة وصليت وحدك (٧).

وروي أن حاتمًا فاتته الجماعة مرة، فعزاه بعض أصحابه، فبكي وقال: لو مات لي ابن لعزاني نصف أهل بلخ، والله إنه لو مات لي الابنان جميعًا كان أهون عليّ من فوت هذه الجماعة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٥-٦٥٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢-باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، وأبو داود (٥٥٢)، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٧، ٦٦)، وابن ماجه (٧٩٢)، كتاب المساجد والجماعات، ١٧-باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٦٥)، ومسلم (٤٧٥-١٣٧٤)، كتاب الحج، ٨٦-باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، والنسائي (٢/ ١٠٧)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٩٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٤٧)، في الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة، والنسائي (٢/ ١٠٦-المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٧٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٥-موارد)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٦).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٤١، ٢٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٧٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٢٨).

(٥) غالب بن خطاف القطان، أبو سليمان البصري مولى ابن كريز، صدوق، أخرج له اصحاب الكتب الستة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٢)، تقريب التهذيب (٢/ ١٠٤)، الكاشف (٢/ ٣٧٤)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٩٩)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٦٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٣٠).

(٦) كذا بالأصل.

(٧) كان غالب القطان من علماء البصرة، ويكنى أبا سلمة بن أبي غيلان خطاف، سمع من الحسن وابن سيرين وبكر المزني، وعنه بشر بن المفضل، وابن علية وحزم بن أبي حزم، وخالد بن عبدالرحمن السلمي، قال أحمد: ثقة ثقة، وأما ابن معين فقال: لا أعرفه، انظر تاريخ الإسلام ، وفيات (١٤١-١٥٠).

وعن بعض السلف رحمه الله أنه قال: ما فاتت الجماعة أحد إلا بذنب.

وروى أبو الليث بإسناده عن عبادة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال [(١)] : «من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور فتفتح لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها. وإذا ضيع ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، ثم يصعد بها ولها ظلة حتى ينتهي بها إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها على وجه صاحبها».

وعن الحسن البصري رحمه الله: أن رسول الله ﷺ قال[(٢)]: «ألا أخبركم بأشر الناس سرقة؟» قالوا: من هو يا رسول الله قال: «الذي يسرق من صلاته»، قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها».

وروي عن عبادة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خمس صلوات افترض الله على عباده، من جاء بهن تامة ولم ينقصهن فإن له عند الله عهدًا أن يدخله الجنة؛ ومن تركهن استخفافًا بحقهن لم يكن له عند الله عهدًا، إن شاء رحمه، وإن شاء عذبه» [(٣)] .

وروى أبو الليث بإسناده: عجبت لابن آدم فبينما هو في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة إذا حكة برغوث أو قملة، نسي الله والدار الآخرة.

وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا جاء وقت الصلاة ارتعد وتغير لونه، فيقال له: يا أمير المؤمنين ما لك؟ فيقول: جاء وقت الأمانة التي عرضها الله ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾، الآية، فلا أدري أحسن أداء ما تحملت أم لا؟

وقال بعض العلماء: إنما سمي المحراب محرابًا لأنه موضع الحرب، يعني أن المصلي يحارب نفسه والشيطان.

وقال محمد بن كرام [(٤)] رحمه الله: يا غافل انظر هل وجهت قط صلاة من صلواتك

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٤٥) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٧) وذكره الهندي في كنز العمال (١٩٠٥٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٦)، (٥/ ٣١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٦)، (٨/ ٢١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٢٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣٧٤٠) والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٥)، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، وابن ماجه (١٤٠١)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٩٤-باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٢-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٢).

(٤) محمد بن كرام بن عراق بن حزابة بن البراء الشيخ الضال المجسم، أبو عبدالله السجستاني، شيخ الكراميين ولد بقرية من قرى زرنج بسجستان، ثم دخل خراسان، وأكثر الاختلاف إلى أحمد بن حرب الزاهد، قال عبدالقاهر البغدادي: إن ابن كرام دعا=

إلى السماء كما يده تبعث إلى بيوت الأغنياء.

وجاء طلحة بن عبدالجبار بن وائل وهو في القوم فساره ثم انصرف. فقال: أتدرون ما قال؟ قالوا: لا، قال لي: رأيت أمس، التفت وأنت تصلي، والمؤمن مرآة أخيه المؤمن، يعني أن هذا عيب وسترته عليك فلم أفضحك عند القوم.

وقال إبراهيم النخعي (١) رحمه الله: إني لا أرى الرجل يسيء الصلاة فأرحم عياله لأن ذلك يذهب بركة الرزق.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الالتفات في الصلاة لجام الشيطان واختلاسه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: من رفع رأسه قبل الإمام فإن ناصيته بيد الشيطان.

وحكي: أن حاتمًا الزاهد رحمه الله دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم: يا حاتم، هل تحسن أن تصلي؟ قال: نعم، قال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه حتى يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين يدي، والمقام بحيال صدري، والله تعالى فوقي يعلم ما في قلبي، وكأن قدمي على الصراط، والجنة عن يميني، والنار عن يساري، وملك الموت من خلفي، وأظن أنها آخر صلاتي، ثم أكبر تكبيراً بإحسان، وأقرأ قراءة بتدبر، وأركع ركوعها بالتواضع، وأسجد سجوداً بالتضرع، ثم أجلس على التمام ، وأتشهد على الرجاء، وأسلم على السنة، وأسلمها بالإخلاص، وأقوم بين الرجاء والخوف، ثم أتعاهد الصبر. قال عاصم: يا حاتم، أكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتي منذ ثلاثين سنة. قال: فبكى عاصم وقال: ما صليت من صلاتي مثل هذه قط.

وقال بعض الحكماء: إنا في حضور الصلاة صنفان: خاص وعام.

فأما الخاص: فيأتي إلى الصلاة مع الحرمة فيقوم بالهيئة واليقين ويؤديها بالتعظيم وبرجوع الخوف.

=أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه، وهذا شبيه بقول الثنوية، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٢٥١-٢٦٠)، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١٣١).

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة، أبو عمران، أبو عمار النخعي الكوفي الفقيه الأعور ثقة، إلا أنه يرسل كثيراً، أخرج له الستة، توفي سنة (٩٢، ٩٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ١٧٧)، تقريب التهذيب (١/ ٤٦)، الكاشف (١/ ٩٦)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٣٣٣) ، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢١٠، ٢١١)، الجرح والتعديل (٢/ ١٤٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٧٤)، الوافي بالوفيات (٦/ ١٦٩)، سير الأعلام (٤/ ٥٢٠)، الحلية (٤/ ٢١٧).

وأما العام: فيجيء مع الغفلة ويقوم بالجهل ويؤديها مع الوسوسة، يعني بغير تعظيم، ويصلي مع الوسوسة، وهو يتفكر في اشتغال الدنيا فلا تقبل.

وقال بعض العلماء: إذا اشتغل الناس بستة، فاشتغلوا أنتم بستة أخرى:

أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال، فاشتغلوا أنتم بتحسين الأعمال.

والثاني: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية، فاشتغلوا أنتم بإصلاح السريرة.

والثالث: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا، فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والرابع: إذا اشتغل الناس بإصلاح العلانية، فاشتغلوا أنتم بإصلاح السريرة [1] .

والخامس: إذا اشتغل الناس بطلب عيوب الناس فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضى المخلوقين، فاشتغلوا أنتم بطلب رضى الخالق سبحانه وتعالى.

وحكي عن بعضهم: ظهرت برجله أكلة، فأدخلوا عليه الحكماء وقالوا: إن لم تقطع رجله مات، فقالت أمه: دعوه حتى يدخل في الصلاة، فإنه لا يحس بشيء إذا دخل فيها، فتركوه حتى دخل فيها فقطعوا رجله ولم يشعر بذلك.

وحكي عن بعض الصالحين أنه قال: خرج رجل من عباد البصرة يشتري حزمة حطب، فسمع إقامة الصلاة في بعض المساجد فمال إليه وترك السوق، فرأى صرة في طريقه مكتوبًا عليها: هذه الصرة فيها مائة دينار، فتركها ولم يعرج عليها، وأقبل على صلاته، ثم رجع إلى السوق فاشترى حزمة حطب ودخل بها إلى بيته، فلما حلها وجد الصرة فيها، فرفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك، فاجعله لا ينساك في أوقات طاعتك وخدمتك. وجعل يقول: لو أقبلت على طاعته ونهيت نفسك عن معصيته لرأيت لطائف إحسانه ورحمته.

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة، وقيل له : لو اشتريت لك حمارًا تركبه في الظلمات وفي الرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن يكون منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد

---

(١) تكررت من قبل في الأصل.

ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله ﷺ[١] : ((قد جمع الله لك ذلك كله)) ، رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة: أبعدهم ممشىً، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام))[٢]. رواه البخاري ومسلم.

وعن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)) [٣]، رواه أبو داود والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟)) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط)) [٤] رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ...﴾، الآية)). رواه الترمذي[٥]، وقال: حديث حسن.

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: جاء رجلان فوقفا بباب المسجد، فدخل أحدهما ولم يدخل الآخر، وقال: مثلي لا يدخل بيت الله وقد عصيته، فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل، إني قد جعلته صديقًا بازدرائه على نفسه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨-٦٦٣)، في كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، وأبو داود في سننه (٥٥٧)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦)، ومسلم في صحيحه (٢٧٧-٦٦٢)، كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، والبيهقي في السنن (٤/ ٦٣)، (١٠/ ٧٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠١)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٣٨٨)، (٢/ ١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٦١)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، والترمذي (٢٢٣)، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في جماعة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٢)، وعبدالرزاق في مصنفه (٩/ ٥٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤١-٢٥١)، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، والترمذي (٥١)، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٦٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٦١-الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٥)، والهيثمي في المجمع (٢/ ٣٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠١، ٣٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (/ ٣٧٤)، (١٠/ ٢٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٧)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه (٨٠٢)، كتاب المساجد، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٣١٠-الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٩٣)، (٢/ ٤١١).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله تعالى لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله تعالى» (١) .

وذكر أبو بكر محمد بن عبدالرحمن المغربي الأنصاري في تفسيره المسمى بالمخلص، عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد ذكرهم فيها الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة» .

وفي الحديث: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» .

وقال أنس ﷺ: «من أسرج في مسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء»(٢). وقال ﷺ : «يقول الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد، وإن زواري فيها عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته فزارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره»(٣). وعنه ﷺ : «من ألف المساجد ألف الله» (٤) .

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلي أهله إلا الصلاة» (٥) ، رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ أخر ليلة صلاة العشاء إلى شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلى الناس فقال: «صلى الناس ورقدوا ولم يزالوا في صلاة منذ انتظرتموها»(٦). رواه البخاري.

وعن جابر ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها» . فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف» (٧) .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٤٠٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٧١).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٣)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٩)، والهيثمي في المجمع (٢/ ٢٢)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢١٦).

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٢٨).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦، ١٦٨)، ومسلم في صحيحه (٢٧٥-٢٤٩)، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، والترمذي (٣٣٠)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القعود في المسجد ، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٦٥).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ١٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٢).

(٧) أخرجه مسلم (١١٩-٤٣٠)، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة ، والنسائي في الإمامة، باب (٢٨)، وأبو دواد في (٦٦١)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وابن ماجه (٩٩٢)، كتاب إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف، والبيهقي (٣/ ١٠١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٤٤).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخراً فقال لهم: ((تقدموا فائتموا بي وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله))(١)، رواه مسلم.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة)) (٢)، رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس ﷺ قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: ((أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري)) (٣)، رواه البخاري ومسلم.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية، يمسح صدورنا ومناكبنا، ويقول: ((لا تختلفوا فتختلف قلوبكم)). وكان يقول: ((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول)) (٤)، رواه أبو داود بإسناد حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف)) (٥). رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم.

وحكي أن رجلاً كان يحفر القبور للموتى، فحفر قبر الميت فوجد فيه عظام رجل ميت، فجمع تلك العظام وجعلها في غلق كان معه ووضعه على جانب القبر، ثم عاد إلى الحفر قليلاً، ثم التفت ليأخذ الغلق فلم يجد للعظام فيه أثراً، فتعجب من ذلك، فأخذ الغلق وأوعى فيه التراب، وألقاه على جانب القبر وتركه ساعة، ثم التفت فرأى العظام فيه كما كانت، فازداد تعجبه. قال: فكتم أمره، ولم يخبر بذلك أحداً، حتى رجع إلى منزله، فبينما هو نائم تلك الليلة، وإذا شخص نحيف الجسم مصفر اللون قد أتاه في منامه وسلم عليه، فرد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٠-٤٣٨)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، وأبو داود (٦٨٠)، كتاب الصلاة، باب صف النساء وكراهية التأخر عن الصف الأول، وابن ماجه (٩٧٨)، كتاب إقامة الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤)، (٣/ ٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٨٤)، ومسلم في صحيحه (١٢٤-٤٣٣)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وأبو داود (٦٦٨)، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وابن ماجه (٩٩٣)، كتاب إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٧، ٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٨٤، ١٨٥)، والنسائي (٢/ ٩٢، ١٠٥-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٣، ١٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٦٧٥)، كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٦٩، ٢٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩١).

(٥) أخرجه أبو داود (٦٧٦)، كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الصفوف، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٣)، وابن ماجه في السنن (١٠٠٥)، كتاب إقامة الصلاة، باب فضل ميمنة الصف، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٢١٣).

عليه السلام وقال له: من أنت؟ قال: أوما تعرفني؟ قال: لا. قال: أنا تلك العظام التي كان من شأنها كذا وكذا. قال: فتعجب الحفار من كلامه، فسأله عن حاله وعن غيبته تلك الساعة عن قبره. فقال: اعلم يا أخي، إني كنت تاركًا للصلاة في دار الدنيا مستخفًا بحقها، فلما مت واتصلت بأحكام الآخرة صرت كلما دخل علي وقت من أوقات الصلاة يأتي إليّ ملائكة غلاظ شداد، فيحملونني إلى شفير جهنم ويقولون لي: صلِّ في هذا المكان صلاة كذا وكذا. قال: فأصلي تلك الصلاة في ذلك المكان، فما أحرّ جهنم، وما أعظم شررها، وما أنتن ريحها، وما أقوى زفيرها، فإذا قضيت تلك الصلاة حملوني إلى قبري فأصير عظامًا بعدما كنت شخصًا، وقد طال عليّ الأمر، واشتد الحال، وأنت لما وضعت عظامي على جانب القبر كان ذلك وقت الظهر، فحملت إلى شفير جهنم حتى قضيت تلك الصلاة، ثم أعادوني إلى مكاني، وهذا جزاء من ترك الصلاة في دار الدنيا، فقال له: هل ترى أحدًا غيرك يفعل به مثلك؟ قال: نعم، خلق كثير. قال الحفار: فاستيقظت وأنا أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي الخبر: إن رسول الله ﷺ مر ببعير مقيد، فلما قرب منه سلم البعير على رسول الله ﷺ بلسان فصيح. فقال له النبي ﷺ: «**ما بالك مقيدًا؟**» فقال: يا رسول الله، إن أهلي ينامون عن صلاة العتمة، وأنا خشيت أن تنزل بهم العقوبة من ربهم فهربت منهم وضللت عنهم، فظفروا بي وقيدوني كما ترى. قال: فتعجب النبي ﷺ من ذلك واستدعى أصحاب البعير واستتابهم وأمرهم فأطلقوا البعير.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة تؤمر هذه الأمة أن يجوزوا على الصراط فتسوقهم الملائكة فيقفون فتقول الملائكة: ما لكم قد وقفتم على الصراط؟ فيقولون: كيف نجوز؛ وهو أرق من الشعر وأحد من السيف، ولا لنا مركب ولا مطايا حتى نركبها ونجوز على الصراط؟! فتقول الملائكة: إذا أتيتم البحار في الدنيا كيف كنتم تمرون؟ فيقولون: كنا نمر عليها بالمراكب والزوارق، فبينما هم في ذلك الكلام وإذا بين أيديهم مراكب وزوارق، فتقول الملائكة: أيها المؤمنون اركبوا على هذه المراكب والزوارق وجوزوا على الصراط قدر أعمالكم. فيركبون ويجوزون على الصراط، فمنهم من يمر أسرع من لمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كجري الخيل، ومنهم من يمر كالساعي، ومنهم من يمر كالماشي، فإذا جاوزوا على الصراط تقول الملائكة: هل تدرون ما هذه المراكب والزوارق؟، فيقولون: لا نعلم ذلك. فتقول الملائكة: هذه مساجدكم التي كنتم تسجدون فيها. فيقولون: الحمد لله الذي نجانا من الصراط ومنّ علينا بالمساجد**».

وفي سوق العروس لابن الجوزي: أن سبب وجوب الصلوات الخمس: ما روي أن النبي ﷺ ليلة المعراج [١] لما كان في قصته ما كان فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فلقي موسى عليه الصلاة والسلام في السماء فسأله عن حاله فأخبره بذلك. فقال موسى: يا محمد، إني قد قاسيت من بني إسرائيل ما لم تقاس أنت من أمتك، وقد عالجتهم أشد المعالجة وجوبت الناس قبلك وإن أمتك ضعيفة لا تقوى على هذا فراجع ربك فاسأله التخفيف عن أمتك، فإن قدرك عند الله عظيم.

قال: فرجع المصطفى ﷺ إلى الله تعالى وقال: **((إلهي، إن أمتي ضعيفة فخفف عنهم؟ فقال: يا محمد، قد أسقطت عنهم عشرة، وبقيت أربعون، فرجعت إلى موسى فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك واسأله التخفيف، فرجعت إلى ربي، وقلت: يا سيدي، أسألك التخفيف عن أمتي، فوضع عني عشرة أخرى. ولم أزل أتردد بين يدي ربي وموسى حتى بلغت خمس صلوات. فقال موسى: يا محمد، ارجع إلى ربك واسأله التخفيف، فإن أمتك ربما لا يطيقها أكثرهم، وقد جربت الناس قبلك. فوقفت أراود نفسي في العود، فإذا النداء: يا محمد، أنا أرحم بأمتك منك، قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، قل لهم عني: من صلى هذه الخمس صلوات في اليوم والليلة أكتب له ثواب الخمسين صلاة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها))** [٢].

---

(١) اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه، فيحتاج إلى تأويل، وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر وزاد ونقص، منها قوله: قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه، فإن الإسراء أقل ما قيل فيه: إنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين، وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة، والقبائل. وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة رضي الله عنها صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة، قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، ومنها: أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٨١)، ط.دار الكتب العلمية.

(٢) حديث الإسراء رواه مسلم في صحيحه (٢٥٩-١٦٢)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك وفيه: ((ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى =

وفي الخبر: إن العبد إذا أحدث واستنجى ولم يتوضأ يقول الله : عبدي ما هذا الجفاء؟! وإن توضأ وصلى ركعتين ولم يدع عقب صلاته يقول الله تعالى: عبدي، توضأت وصليت ركعتين ولم تدعني، أما لك حاجة إليّ؟ ما هذا الجفاء عليّ؟! عبدي إذا توضأت وصليت فادعني عقيب صلاتك، فإن لم أستجب لك فالجفاء مني لا منك.

وقد أمر الله تعالى بالصلوات الخمس في خمسة أوقات، لخبر ذكره صاحب المفتاح رحمة الله عليه، وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام لما عصى ربه تعالى وأكل من الشجرة سمع النداء: يا آدم، ألم أخلقك بيدي، ألم أسجد لك ملائكتي، وأسكنك جنتي، وزوجتك حواء أمتي، بإنتاج قدرتي، يا تربية نعمتي عصيتني ونقضت عهدي، وضيعت أمانتي، وأنت في داري، اخرج الآن من داري وابعد عن جواري، فإنني آليت على نفسي أن لا يجاورني من عصاني.

فعندها هبط آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض نهاراً، فلما جاء المساء دخلت عليه ظلمة الليل، ولم يكن بعهد في الجنة ليلاً ولا ظلمة، فاستوحش وحشة عظيمة، وفزع منها ولم يعلم ما هي وما سببها ، فلم يزل تلك الليلة خائفًا باكيًا حتى انفجر عمود الصبح، ففرج عند ذلك وزالت عنه الوحشة.

فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: ما هذه الظلمة والوحشة، قال: يا آدم تلك ظلمة المعصية ووحشتها، فعندها قام آدم عليه السلام عند اشتقاق الصبح من سروره فصلى فيه ركعتين، وهي الصبح، فأول من صلى الصبح آدم عليه السلام ، الركعة الأولى شكراً لله تعالى على ذهاب ظلمة الليل، والركعة الثانية شكراً لله تعالى على إضاءة ضوء النهار.

فجعل الله تعالى هذه الصلاة في خزانة مِنَّته إلى أن بعث الله محمداً ﷺ .

ثم قال: يا محمد، مر أمتك يصلوا هاتين الركعتين، فمن صلاهما أذهب الله عنه ظلمة المعصية ونوره بنور الطاعة.

= وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة...))، إلى آخر الحديث.

وأول من صلى الظهر إبراهيم الخليل[١] عليه السلام، وذلك أن الله تعالى أراه في المنام: تدعي خلتي وتحب سواي، اذبح ولدك إسماعيل.

فخرج إبراهيم وقد اجتمع عليه أربع غموم: غم ذبح الولد العزيز، ففداه الله، وغم اتباع أمره فوفقه الله، وغم إسماعيل فأزاله الله، وغم طلب رضا الرحمن فأعطاه الله، فجاءه الفداء عند الزوال يوم النحر، فصلى لله تعالى أربع ركعات شكراً على هذه النعم الأربع، فوضع الله عز وجل هذه الصلاة في خزانة بره حتى بعث الله محمداً ﷺ ففرضها عليه ليلة المعراج لينجيهم بها من غموم أربعة:

أولها: غم الدنيا.

وثانيها: غم إبليس فيدحضوه ويذبحوه كما يذبح الكبش.

وثالثها: غم القيامة، كما فدا إسماعيل من الذبح، هكذا يدفع إلى كل مسلم واحد من الكفار، ويقال: هذا فداؤك من النار.

والرابع: يرضى عنهم كما يرضى عن الخليل عليه السلام.

وأول من صلى العصر: يونس عليه السلام، وذلك أن الله تعالى حبسه في بطن الحوت لأنه غضب في غير موضع الغضب[٢]، فكان في ظلمات أربعة: ظلمة المعصية، وظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فنجاه الله وقت العصر.

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله: أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء، وقيل: أصلها الانقطاع إلى من خاللت، مأخوذ من الخلة، وهي الحاجة، فسمى إبراهيم عليه السلام بذلك لأنه قصر حاجته على ربه سبحانه وتعالى، وقيل: الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الإسرار، وقيل: معناه المحبة والإلطاف، هذا كلام القاضي، وقال ابن الأنباري: الخليل معناه: المحب الكامل المحبة، والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة اللذين ليس في حبهما نقص ولا خلل. قال الواحدي: هذا القول هو الاختيار لأن الله عز وجل خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله، ولا يجوز أن يقال: الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٨)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) اختلفوا في جواز المعاصي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقد لخص القاضي هذه المسألة فقال: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه، واختلفوا فيه قبل النبوة، والصحيح أنه لا يجوز وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة، واختلف العلماء على ذلك بطريق العقل أو الشرع، فقال الأستاذ أبو إسحاق ومن معه: ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزة، وقال القاضي أبو بكر ومن وافقه: ذلك من طريق الإجماع، وذهبت المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل، وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال، وأما ما كان طريقه الإبلاغ في الفعل، فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأساً، وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه، وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة وغيرها بما سنذكره في مواضعه، وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الإسفرائيني من أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغيره من المشايخ المتصوفة، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو =

فصلى أربع ركعات كل ركعة منها شكراً لله تعالى على نجاته من الظلمات الأربع، فوضعهن الله في خزانة كرمه إلى أن بعث محمداً ﷺ ففرضها عليه وعلى أمته ليلة المعراج، حتى إذا صلوا نجاهم الله تعالى من ظلمات أربع:

الأولى: ظلمة الذلة بنور التوبة. والثانية: ظلمة القبر كما نجا يونس من ظلمة الماء. والثالثة: ظلمة جهنم. والرابعة: يرضى عنهم كما يرضى عن يونس.

قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾.

وأول من صلى المغرب: عيسى ابن مريم عليه السلام، لما قالت النصارى: إن الله سبحانه وتعالى ثالث ثلاثة، استحياء من الله عن رجل، فصلى ثلاث ركعات بعد غروب الشمس، ركعتين نفي الألوهية عن أمه وعن نفسه. والركعة الثالثة: إثبات الوحدانية لله تعالى، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فيقول عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾، فيسمع الجواب: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، فيهون الله عليه الحساب ويؤمنه من الفزع الأكبر وينجيه الله من النار، فوضع الله هذه الصلاة في خزانة لطفه إلى أن بعث محمداً ﷺ، فلما كان ليلة المعراج فرضها عليه وعلى أمته. وقال: من صلاها يا محمد هونت عليه الحساب وأمنته من الفزع الأكبر، وأنجيه من النار ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾.

وأول من صلى العشاء الأخيرة: موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، لما خرج من مدين وضل على الطريق تراكمت عليه غموم أربع: غم زوجته، وغم أخيه هارون، وغم فرعون، وغم الطريق لا يدري أين يمضي؟

فسمع مناديًا: يا موسى، أنا ربك وهاديك، أنا كافيك، وعزتي لأهدينك ولأظفرنك بعدوك، ولأجمعن بينك وبين زوجتك وأخيك.

فلما جاءت البشارة بذلك صلى أربع ركعات شكراً لله تعالى على هذه النعم الأربع.

فوضعها الله تعالى في خزانة جلاله إلى أن بعث محمداً ﷺ ففرضها الله تعالى عليه وعلى أمته ليلة المعراج، وقال: يا محمد، من صلاها هديته من الضلال، كما هديت موسى، وكفيته

= الحق، ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم إياه، إما من الحين على قول بعضهم: ليسنوا حكم ذلك، ويبينوه قبل انخرام مدتهم، وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم، وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر. شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٧).

كما كفيت موسى، وجمعت بينه وبين الأنبياء فظفرته بعدوه، كما فعلت بموسى، ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَ ٰتِ﴾.

ثم قال: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [١] ، قال قوم: هي الظهر لأنها بين صلاتي النهار: الصبح والعصر، وقيل: هي المغرب؛ لأن الصلوات مختلفة الأعداد فأكثر أعدادها ركعتان كالصبح، والمغرب متوسطة بين ذلك، فهي الوسطى.

وقال الشافعي في بعض أقواله غير المعتمدة: هي الصبح؛ لأنها لا تجمع مع التي قبلها، ولا التي بعدها.

والمعتمد: هي صلاة العصر. قال ﷺ : «**صلاة الوسطى العصر**» .

وقال عبدالله بن سلام: إن الصلاة الوسطى صلاة العصر[٢]. وقال ابن عباس: قال الله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَ ٰتِ﴾: الظهر والمغرب والعشاء، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: العصر، ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ في صلاة الفجر، يعني الصبح.

● **فائدة:**

قال في كتاب سوق العروس لابن الجوزي رحمة الله عليه، في قوله تعالى : ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَ ٰتِ﴾: إذا قام العبد إلى الصلاة تقول الملائكة: إلهنا عبد خاطئ عاص قد قام إلى الصلاة. فيقول الله ﷻ: يا ملائكتي، ارفعوا الذنوب عن عنقه، واعزلوها عنه حتى يصلي طاهراً، فإذا قال: الله أكبر، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ويقول: صدق عبدي ، أنا أكبر

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٢٠٢-٦٢٧)، كتاب المساجد، ٣٥-باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، عن عليٍّ قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ : «ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس» ، وفي رقم (٢٠٣)، عن علي أيضاً.

(٢) اختلف العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الصلاة الوسطى المذكورة في القرآن، فقال جماعة: هي العصر، ممن نقل هذا عنه: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبو أيوب، وابن عمر، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبيدة السلماني، والحسن البصري، والنخعي.... وغيرهم. قال الترمذي: هو قول أكثر العلماء من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم، وقال الماوردي من أصحابنا: هذا مذهب الشافعي رحمه الله لصحة الأحاديث فيه ، قال: وإنما نص على أنها الصبح لأنه لم يبلغه الأحاديث الصحيحة في العصر، ومذهبه اتباع الحديث، وقالت طائفة: هي الصبح، ممن نقل هذا عنه: عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وابن عباس وابن عمر وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس ومالك بن أنس والشافعي وجمهور أصحابه، وغيرهم رضي الله عنهم، وقال طائفة: هي الظهر، نقلوه عن: زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري وعائشة وعبدالله بن شداد ورواية عن أبي حنيفة ﷺ، وقال قبيصة بن ذؤيب: هي المغرب، وقال غيره: هي العشاء، وقيل: إحدى الخمس مبهمة ، وقيل: الوسطى جميع الخمس، حكاه القاضي عياض. النووي في شرح مسلم (٥/ ١٠٩).

من كل كبير. فإذا قال: وجهت وجهي، يقول الله تعالى: عبدي قد وجهت وجهك إليّ وأنا قد وجهت رحمتي إليك.

فإذا استعاذ من الشيطان الرجيم كتب الله له بكل شعرة على بدنه حسنة. فإذا قرأ الفاتحة فكأنما حج واعتمر. وإذا ركع فكأنما تصدق بزنته ذهبًا. فإذا سبح في ركوعه فقال: سبحان ربي العظيم، فكأنما قرأ كل كتاب أنزل من السماء إلى الأرض، وإذا رفع رأسه وقال: سمع الله لمن حمده[1]، نظر الله إليه بالرحمة، وإذا سجد أعطاه الله بعدد الإنس والجن حسنات، وإذا قال: سبحان ربي الأعلى، فكأنما أعتق بكل سورة وآية رقبة، فإذا تشهد أعطاه الله ثواب الصابرين، فإذا سلم فتحت له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء، فإذا فرغ من صلاته تقول الملائكة: إلهنا عبدك فلان، قد قضى ما عليه، ما تأمرنا نفعل بذنوبه نردها عليه أم لا؟ فيقول الله تعالى: يا ملائكتي أنا أكرم من ذلك، لا يليق بكرمي أن أرفع عن عبدي واردة ، أشهدكم أني قد محوت عنه جميع ذنوبه . ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾.

وروي أن بين يدي العبد خمس عقبات: أول عقبة: الدنيا وآفاتها. والثانية: الموت وسكراته. والثالثة: القبر وضغطته. والرابعة: القيامة وأهوالها. والخامسة: مناقشة الحساب.

ففرض الله تعالى هذه الصلوات الخمس وقال: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، فمن حافظ عليها جاز عقبة الدنيا سالمًا من آفاتها هذه كلها. والله تعالى أعلم.

***

(١) يبدأ في قوله: «سمع الله لمن حمده»، حين يشرع في الرفع من الركوع، ويمده حتى ينتصب قائمًا، ثم يشرع في ذكر الاعتدال، وهو: ربنا لك الحمد، إلى آخره، ويشرع في التكبير للقيام من التشهد الأول حين يشرع في الانتقال، ويمده حتى ينتصب قائمًا، هذا مذهبنا، ومذهب العلماء كافة إلا ما روي عن عمر بن عبدالعزيز ﷺ، وبه قال مالك: أنه لا يكبر للقيام من الركعتين حتى يستوي قائمًا، ودليل الجمهور ظاهر الحديث، وفي هذا الحديث دلالة لمذهب الشافعي وطائفة أنه يستحب لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد أن يجمع بين سمع الله لمن حمده، وربنا لك الحمد، النووي في شرح مسلم (٤/ ٨٥).

الباب الرابع عشر

في فضل صلاة التطوع وفضل التهجد وما يتعلق بذلك

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (١) ، رواه مسلم. والمراد بركعتي الفجر : سنة صلاة الفجر.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر (٢) . رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، الآية، التي في البقرة ، وفي الأخيرة منها: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾، وفي رواية: في الأخيرة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ﴾، الآية في آل عمران (٣) .

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٤) ، رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رمقت رسول الله ﷺ شهراً يقرأ في الركعتين قبل الفجر: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٥) ، رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٦-٧٢٥)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ١٤-باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، والترمذي (٤١٦)، والنسائي في قيام الليل، باب (٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٠)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٤-٧٢٤)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤-باب استحباب ركعتي سنة الفجر.

(٣) أخرجه الترمذي (٤١٧)، في الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر، وابن ماجه (١١٤٩)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٨-٧٢٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤-باب استحباب ركعتي سنة الفجر. وقال النووي: وفي رواية أخرى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، و﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ﴾: هذا دليل لمذهبنا، ومذهب الجمهور أنه يستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة، ويستحب أن تكون هاتين السورتين أو الآيتان كلاهما سنة. وقال مالك وجمهور أصحابه: لا يقرأ غير الفاتحة. وقال بعض السلف: لا يقرأ شيئًا، وكلاهما خلاف هذه السنة الصحيحة التي لا معارض لها. النووي في شرح مسلم (٦/ ٦).

(٥) تقدم من قبل.

وقال عروة: من ركع ركعتي الفجر ثم صلى صلاة الصبح في جماعة كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب يومئذ في وفد المتقين.

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار**»(١). رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبدالله بن السائب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «**إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح**»(٢). رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا**»(٣). رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة، أو: إلا بني له بيت في الجنة**»(٤)، رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قضى أحدكم صلاته في المسجد فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته خيرًا**»(٥)، رواه مسلم.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»(٦)، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، كتاب الصلاة، باب الأربع قبل الظهر وبعدها، والنسائي في المجتبى (٣/ ٢٦٦)، والترمذي (٤٢٨)، كتاب الصلاة، باب منه آخر، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٢، ٤٧٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٩٠)، وابن حجر في المطالب العالية (٥٥٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٤)، (٧/ ٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٧٨)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند الزوال، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، والترمذي (٤٣٠)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦-موارد)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٣-٧٢٨)، كتاب صلاة المسافرين، ١٤-باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٣٢٧)، والمنذري في الترغيب (١/ ٣٩٦)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ١٣٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢١٠-٧٧٨)، كتاب صلاة المسافرين، ٢٩-باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٥٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٧٨)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٢٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٨٦)، (٩/ ١١٧)، ومسلم في صحيحه (٢١٣-٧٨١)، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، والنسائي في قيام الليل، باب (١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٤)، (٣/ ١٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٠)، وابن حجر في فتح الباري (٢/ ٢١٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤١٩).

وعن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: ((تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده)) (١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((صلاة الرجل في بيته تزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده)) (٢).

وعن رسول الله ﷺ قال: ((صلاة الرجل في بيته نور، فنوروا بيوتكم)) (٣).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا كان الرجل في صلاته فكأنما يقرع باب الملك، ومن يدم على قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ما من بقعة تصلى فيها صلاة أو تذكر الله عليها إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها إلى سبع أرضين، وفخرت على ما حولها من البقاع، وما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من صلى بعد المغرب والعشاء عشرين ركعة حفظ الله ماله وأهله ودينه ودنياه وآخرته، ومن صلى الغداة وقعد في مصلاه حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين جعلهما الله حجابًا من النار يوم القيامة)) (٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد))(٦)، رواه البخاري.

والإيتار قبل المنام: إنما يستحب لمن لا يثق بالاستيقاظ آخر الليل، فإن وثق فآخر الليل أفضل. هكذا قاله النووي وغيره، والأولى أن يقال: إن الإيتار يستحب قبل النوم لمن لا يقدر على الإيتار آخر الليل، فإن قدر على الإيتار آخر الليل فالتأخير أفضل، فإنه قد يثق بالاستيقاظ آخر الليل(٧).

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٤٨٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٤١٩).

(٢) انظر ما تقدم قبل.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٩٤)، والهيثمي في المجمع (١/ ٧٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٢).

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٦).

(٦) أخرجه البخاري (٦٤١)، في التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، ومسلم في صحيحه (٨٥-٧٢١)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، والترمذي (٧٦٠)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر.

(٧) روى مسلم في صحيحه (١٦٢-٧٥٥)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢١-باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره=

ولكن قد يتعذر الإيتار آخر الليل لضرورة، وقد قيل: إن أبا هريرة كان لا يقدر على الإيتار آخر الليل، فأمره النبي ﷺ بالإيتار قبل النوم، وأمره بصلاة الضحى، فتكون جبراً لما فاته من قيام الليل.

وعن أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل هليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، وهي عن المنكر صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**))[١]، رواه مسلم. والسلامى: بضم السين وبفتح الميم: المفصل وللإنسان ستون وثلثمائة مفصل كما في الصحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا ويزيد ما شاء الله[٢]، رواه مسلم.

وعن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب[٣] رضي الله عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، فلما فرغ من غسله صلى ثمان ركعات، وذلك ضحى[٤]. رواه البخاري ومسلم، وهذا مختصر إحدى روايات مسلم.

وروى أبو الليث بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه بعث سرية فعجلت الكرة وأعظمت الغنيمة، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا سرية قط أعجل كرة وأعظم غنيمة من سريتك. قال: ((**أفلا أخبركم بأعجل كرة منهم وأعظم غنيمة؟**)). قالوا: بلى. قال: ((**أقوام يصلون الصبح ثم يجلسون مجالسهم ويذكرون الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس، ثم يصلون الضحى ركعتين، ثم يرجعون إلى أهليهم، فهؤلاء أعجل كرة وأعظم غنيمة**)).

=فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل)). وقال النووي: تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق الاستيقاظ آخر الليل، وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل، وهذا هو الصواب. شرح مسلم للنووي (٦/ ٣١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٤-٧٢٩)، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأبو داود (١٢٨٥)، كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٦١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٥٦٧)، (٥/ ١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٨-٧١٩)، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ١٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٠)، وابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ١٤١)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٦٩).

(٣) أم هانئ فاختة بنت أبي طالب، تقدمت ترجمتها من قبل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٠-٣٣٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٣-باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، والترمذي (٤٧٤)، في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى زيد بن أسلم [١] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت لأبي ذر ﷺ: أوصني يا عماه؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلاها أربعًا كتب من العابدين، ومن صلاها ستًا لم يتبعه ذنبه يومئذ، ومن صلاها ثمانيًا كتب من القانتين، ومن صلاها عشرًا بني له بيت في الجنة» [٢].

قاله القرطبي في التذكرة.

وروى الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ قال: «من صلى الضحى وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد» [٣] ذكره أبو نعيم.

وعن زيد بن أرقم ﷺ: أنه رأى قومًا يصلون من الضحى، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال» [٤]، رواه مسلم.

قال النووي: ترمض الفصال: بفتح التاء والميم، وبالضاد المعجمة، يعني شدة الحر، والفصال جمع فصيل وهو الصغير من الإبل.

وروى أبو هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للجنة بابًا يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى، هذا بابكم فادخلوه» [٥].

---

(١) زيد بن أسلم، أبو أسامة العدوي المدني مولى عمر، ثقة عالم، كان يرسل، اخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٣٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٥)، تقريب التهذيب (١/ ٢٧٢)، الكاشف (١/ ١٣٦)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٨٧)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٣٧)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٥٠٩)، ميزان الاعتدال (٢/ ٩٨)، الثقات (٦/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٦٥)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٨٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٣-٧٤٨)، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٢٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٣٤)، وابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ١٤٤).

(٥) أخرجه الشجري في أماليه (٢/ ١٣)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٩١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٣٢).

● **فائدة:**

يدخل وقت صلاة الضحى بارتفاع الشمس قدر رمح، وتمتد إلى الزوال، وأقلها ركعتان، وأفضلها ثمان ركعات، وهي أكثر عند الأكثرين من أصحاب الشافعي.

واختار الروياني والرافعي والنووي أن أكثرها ثنتى عشرة ركعة، واستدلوا بحديث ضعيف.

وقال الأصحاب: هي سنّة مؤكدة[(١)].

وعن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصفة رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال: «سلني؟» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. فقال: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**»[(٢)]، رواه مسلم.

وعن أبي عبدالله- ويقال: أبي عبدالرحمن- ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**»[(٣)]، رواه مسلم.

وعن خالد بن معدان[(٤)] رضي الله عنه أنه قال: بلغني أن الله تعالى يباهي الملائكة ثلاثة نفر: رجل يكون بأرض قفر فيؤذن ويقيم الصلاة ويصلي وحده، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري، فينزل عليه سبعون ألف ملك ليصلوا وراءه. ورجل قام

---

(١) قال النووي: هذه الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين، ودون ثمان، وأما الجمع بين حديثي عائشة في نفي صلاته ﷺ الضحى وإثباتها فهو : أن النبي ﷺ كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ويتركها في بعضها خشية أن تفرض كما ذكرته عائشة، ويتأول قولها: «ما كان يصليها إلا أن يجيء من مغيبه» على أن معناه ما رأيته كما قالت في الرواية الثانية: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى» وسببه أن النبي ﷺ ما كان يكون عند عائشة في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات. شرح مسلم للنووي (٥/ ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٦-٤٨٩)، كتاب الصلاة، باب فضل السجود ، والمنذري في الترغيب (١/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٥-٤٨٨)، وابن ماجه (١٤٢٢)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كثرة السجود، والمنذري في الترغيب (١/ ٢٤٨)، وابن حجر في التلخيص (٢/ ١٢)، والألباني في الإرواء (٢/ ٢٠٧، ٢١٠).

(٤) خالد بن معدان بن أبي كريب، أبو عبدالله الكلاعي الشامي الحمصي، ثقة عابد يرسل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠٣، ١٠٤، ١٠٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ١١٨)، تقريب التهذيب (٣/ ١١٨)، الكاشف (١/ ٢٧٤)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٧٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١٥٨٤)، نسيم الرياض (٣/ ٣٢٣)، الحلية (٥/ ٢١٠)، سير الأعلام (٤/ ٥١٦)، الثقات (٤/ ١٩٦).

من الليل فصلى وحده فسجد فنام ساجدًا، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي روحه عندي ووجهه ساجد بين يدي. ورجل لقي زحفًا ففر أصحابه وثبت حتى قتل.

وعن المعافى بن عمران أنه قال: عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيام الليل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تفطر قدماه، فقلت: لَمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[(١)]، رواه البخاري ومسلم.

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إليّ من الموت، إنما يتقبل الله من المتقين. فكان رضي الله عنه لا يأكل طعامًا إلا وعلى خوانه يتيم.

وقال ميمون بن مهران رضي الله عنه: أتى ابن عمر رضي الله عنهما اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها.

وعن نافع رحمه الله: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج عنه لله تعالى، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا.

وعن نافع أيضًا رحمه الله أنه قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل.

وقال ابن المسيب رحمه الله: لو كنت شاهدًا لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال طاووس[(٢)] رحمه الله: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس، وما مات رضي الله عنه حتى أعتق ألف إنسان أو زاد.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[(٣)]، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦٣)، (٦/ ١٦٩)، ومسلم (٧٩-٢٨١٩)، ، والترمذي (٤١٢)، والنسائي (٣/ ٢١٦-المجتبى)، وابن ماجه (١٤١٩، ١٤٢٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥١، ٢٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤٩٧)، (٣/ ١٦)، (٧/ ٣٩)، وابن خزيمة في صحيحة (١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤).

(٢) طاووس بن كيسان، أبو عبدالرحمن اليماني الحميري الجندي، مولاهم الفارسي، الخولاني الهمذاني، ثقة، فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠١، ١٠٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٨)، تقريب التهذيب (١/ ٣٧٧)، الكاشف (٢/ ٤١)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٦٥)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٢٠٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨)، الحلية (٤/ ٤)، البداية والنهاية (٩/ ٢٣٥) ، الوافي بالوفيات (١٦/ ٤١٢) ، الثقات (٤/ ٣٩١)، ديوان الإسلام (١٣٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٨)، ومسلم في صحيحه (١٨٥-١١٥٩)، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر، وابن خزيمة في صحيحه (١١٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٥)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٥٧).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه -أو قال- في أذنه»[١]، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى فانحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فإذا أصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[٢]، رواه البخاري ومسلم.

وقد سبق ذكر هذا الحديث في باب الوضوء وأن قافية الرأس آخره.

وعن عبدالله بن سلام ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[٣]، رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٤]، رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة»[٥]، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٨)، ومسلم في صحيحه (٢٠٥-٧٧٤)، كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، والنسائي في المجتبى (٣/ ٢٠٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦٥)، (٤/ ١٤٨)، ومسلم في صحيحه (٢٠٧-٧٧٦)، كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن قام الليل أجمع حتى أصبح، وأبو داود (١٣٠٦)، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، وابن ماجه (١٣٢٩)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٠١)، (٣/ ١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٣١)، والحميدي في مسنده (٩٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٢)، وابن ماجه (١٣٣٤)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣١)، (٤/ ١٦٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٤٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٣٦، ٤٣٨)، (١٤/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢-١١٦٣)، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، وأبو داود (٢٤٢٩)، كتاب الصوم، باب في صوم المحرم، والنسائي (٣/ ٢٠٧، المجتبى)، والترمذي (٤٣٨)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة الليل، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤، ٥٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٢٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٣٠)، ومسلم (١٤٥-٧٤٩)، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر من آخر الليل، وأبو داود (١٣٢٦)، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل مثنى مثنى، والترمذي (٤٣٧)، في الصلاة، باب ما جاء أن صلاة الليل مثنى مثنى، والنسائي (٣/ ٢٣٣-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٠٢)، وابن الجارود في المنتقى (٢٦٧).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصلي إحدى عشر ركعة، يعني في الليل، يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة[(١)]، رواه البخاري.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال له : «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا**» [(٢)] ، رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة**» [(٣)] ، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من الليل فليفتح الصلاة بركعتين خفيفتين**» [(٤)] ، رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**رحم الله رجلاً قام من الليل فيصلي وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[(٥)]، رواه أبو داود بإسناده.

وعن أبي هريرة ﷺ وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ : «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعًا ، كتبا من الذاكرين والذاكرات** »[(٦)]، رواه أبو داود ، وإسناده صحيح.

وحكي: أن عمرة امرأة حبيب العجمي رحمها الله كانت توقظه من الليل وتقول: قم يا رجل، قد ذهب الليل وبين طريق بعيد ، وزادنا قليل ، وقافلة الصالحين قد سارت قدامنا ، وبقينا نحن.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٦١)، والنسائي في قيام الليل باب (٣٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٨)،، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٧، ٤٤)، وابن عبدالبر في التمهيد (٨/ ١٢٣، ١٢٤)، والألباني في إرواء الغليل (٢/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٣)، (٤/ ١٩٦)، ومسلم (١٨٩-١١٥٩)، كتاب الصيام، باب النهي عن صيام الدهر لمن تضرر، والنسائي (٣/ ٢١٤-المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣) ، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٦-٧٥٧)، كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٣، ٣٣١)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٨-٧٦٨)، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٥٠).

(٥) وأبو داود في سننه (١٣٠٨، ١٤٥٠)، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، باب الحث على قيام الليل، والنسائي (٣/ ٢٠٥-المجتبى)، وابن ماجه (١٣٣٦)، كتاب إقامة الصلاة، باب فيمن أيقظ أهله من الليل، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٥٠، ٤٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٧-موارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٧١)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٨).

(٦) أخرجه أبو داود (١٣٠٩)، والطبراني في الصغير (١/ ٨١)، والمنذري في الترغيب (١/ ٤٢٩).

وقال بعض الصالحين: تزوجت امرأة، فكانت إذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت، ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة، فإن قلت: نعم، كانت معي، وإن قلت: لا، قامت فنزعت ثيابها، ثم صفت قدميها حتى تصبح.

وحكي: أن يحيى بن زكريا رحمه الله شبع مرة من خبز شعير، فنام عن حزبه تلك الليلة، فأوحى الله إليه : يا يحيى، هل وجدت داراً خيراً لك من داري، أو جواراً خيراً لك من جواري، وعزتي وجلالي لو اطلعت في الفردوس اطلاعة لذاب جسمك ولذهبت نفسك اشتياقًا إلى الفردوس، ولو اطلعت في جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح.

وقيل: أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام: يا داود، من الذي سألني فخيبته، من ذا الذي لجأ إليّ فحرمته، من ذا الذي انقطع إليّ فطردته، من ذا الذي انقطع ببابي فصرفته.

يا داود، إني بوليي أبر من الوالدة الشفيقة بولدها، إن سألني أعطيته، وإن دعاني لبيته، وإن عصاني سترته، وإن أعرض عني راسلته.

فقال داود عليه السلام : وكيف ذاك يا رب؟ فقال: يا داود، ذكري وكثرة ذكري، يا داود قل لأحبائي لا يكثروا من ذكر سواي، فإني غيور لا أحب ممن أحبني أن يذكر سواي أو يميل إلى غيري.

يا داود خبرهم عني، إن لحوا في ذكر سواي محوتهم من ديوان محبتي، ومرهم بمداومة البكاء في الأسحار، وأعلمهم أن نظري إليهم في الأسحار.

يا داود، من صلى في السحر ركعتين بقلب حاضر بين يدي توجته بتاج كرامتي.

وحكي عن القاضي العنبري رحمه الله أنه قال: كانت عندي جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجبًا، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي، فانتبهت فلم أجدها، فإذا هي ساجدة، وهي تقول: إلهي بحبك لي اغفر لي. فقلت: لا تقولين: بحبك لي، قولي: بحبي لك. قالت: (يا بطال) [1] حبه لي أخرجني من بلاد الشرك إلى الإسلام، وأيقظ عيني وأنام عينك.

قال: فقلت لها: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

فقالت: يا سيدي، أسأت إليّ، كان لي أجران، فصار لي أجر واحد، تعني أنها كانت مملوكة كان لها أجران بطاعة سيدها وأجر بطاعة ربها، فلما أعتقت ذهب أجر خدمتها لسيدها.



(١) كذا بالأصل.

الباب الخامس عشر

فضل يوم الجمعة

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1] [الجمعة:١].

قال المفسرون: نزلت هذه السورة بالمدينة الشريفة وهي سبعمائة وثمانية وأربعون حرفًا، ومائة وخمسة وسبعون كلمة، وإحدى عشرة آية، ليس فيها اختلاف.

قال أبي بن كعب: من قرأ سورة الجمعة كتبت له عشر حسنات بعدد من ذهب إلى الجمعة من مصر من أمصار المسلمين، ومن لم يذهب.

وقال ميسرة: هذه السورة الشريفة هي في التوراة سبعمائة آية، قيل: هو الظاهر، وقيل: المبارك هو الذي بعث في الأميين رسولاً.

قال ابن عباس: ﴿الأميون﴾[2] الذين لا يكتبون، ﴿رسولاً منهم﴾ يعني محمداً.

﴿بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، فسموا أميين لأنهم أمة النبي الأمي.

وأما قولهم: لهم سبت[3]، وليس لأمتك سبت، إنا قد أعطينا أمتك خيراً من سبتهم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، [الجمعة: ٩]، إلى طاعة الله، إلى مرضاة الله، إلى خدمة الله، إلى بيوت الله، إلى رحمة الله، إلى ثواب الله.

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٦٥): إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل فيها الله خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبت بذلك الأحاديث الصحاح.

(٢) قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾: الأميون هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٣).

(٣) كان يقال له في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ والشراء وأقبلوا على رب الورى، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء.

كان رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر يوم الجمعة يخطب والناس حوله في المسجد، إذ أقبلت العير والقافلة، استقبلوها بالطبول والتصفيق والصياح واللعب [(١)].

فلما أقبلت العير خرج الناس إليها من المسجد جميعهم، ولم يبق غير اثني عشر رجلاً وامرأة، ورسول الله ﷺ قائمًا على المنبر، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنزل جبريل وقال: يا محمد: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ يعني الطبول والتصفيق، ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾، يعني خرجوا إليها ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يعني يا محمد، ﴿قَآئِمًا﴾.

قل لهم: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ من الثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، لأن المخلوقين لا يرزق الواحد منهم إلا على المجازاة برضاه [(٢)].

وإذا سخط عليه قطع رزقه والله تعالى خلافهم لا يقطع رزقه إذا رضي ولا إذا سخط، فقال رسول الله ﷺ [(٣)]: «وكم بقي في المسجد؟» قالوا: اثني عشر رجلاً وامرأة. فقال: «قد سومت لكم الحجارة ولولا هؤلاء لرجمتم»، قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾.

● نكتة:

استقرت السفينة يوم الجمعة، وخرج يوسف من الجب يوم الجمعة، وجمع الله بين آدم وحواء يوم الجمعة، والقيامة تكون يوم الجمعة [(٤)].

---

(١) يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر إلا القليل منهم، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٧).

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٧).

(٣) أخرج أحمد في مسنده بسنده عن جابر قال: قدمت غير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾، أخرجاه في الصحيحين.

(٤) في فضل يوم الجمعة، انظر ما رواه مسلم في صحيحه (١٧، ١٨)، في كتاب الجمعة، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٩١)، والنسائي (٣/ ٩٠، ١١٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٠١، ٤١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥١)، والحاكم في مستدركه (١/ ٢٧٨)، قوله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس».

قال الله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣]، الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وقيل: يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ [(١)] : ((أتاني جبريل بيده شيء كالمرآة البيضاء فيه نكتة سوداء)). قلت: ((ما الذي في يدك يا جبريل؟)). قال: ((هذه الجمعة))، قلت: ((وما الجمعة؟)) قال: ((لكم فيها خير تكون لكم عيدًا ولأمتك من بعدك، وتكون اليهود والنصارى لكم تبعًا، ولكم فيها ساعة ما من عبد مؤمن يسأل الله فيها قد قسم له إلا أعطاه الله إياه وإن لم يكن قسم له ادخر له من الخير ما هو أفضل منه، وهو عند الله سيد الأيام))[(٢)]. قلت: ((فما هذه النكتة السوداء؟)) . قال: ((هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، ونحن ندعوه يوم المزيد)). قال: ((لأن الرب جل جلاله أعد في الجنة واديًا أفيح من المسك الأذفر، فإذا كان يوم الجمعة أهبط الله كرسيه من عليين ، ثم يحف به منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يحف المنابر بكراسي من نور، ثم يجيء النبيون، ثم يجلسون على تلك المنابر، ثم يقول لأهل الغرف: يا أحبائي اجلسوا على تلك الكراسي، ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي فاسالوني، فيسألونه الرضا، فيقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد رضيت عنهم)) . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة : ٩].

قال رسول الله ﷺ: ((من ترك الجمعة استخفافًا بها لا صلاة له، لا صوم له، لا زكاة له، لا بارك الله له في رزقه، لا جمع الله شمله، لا أتاه الله شفاعتي، فمن تاب تاب الله عليه))[(٣)]. شعر:

نحن قوم لنا ذنوب كبـــار ... أحرمتنا الوقوف بين يديه
قد تركنا بين العباد حيارى ... وأحيانًا من الورود عليـه

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال ﷺ : ((من تخلف عن جمعة واحدة ران على ثلث قلبه، ومن تخلف عن جمعتين ران على ثلثي قلبه، ومن تخلف عن ثلاث جمع ران على جميع قلبه، فعند ذلك يسود جميع قلبه، فإذا اسود أعرض الله عنه)) [(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٥٠)، والمنذري في الترغيب (٤/ ٥٥٣)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢١٥)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٩٢)، والهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١)، والسيوطي في الدر (١/ ١٠٨).

(٢) حديث: ((سيد الأيام يوم الجمعة)) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٣٠) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢١٦، ٢١٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٣، ١٦٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٤٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٧)، وابن خزيمة (١٧٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥)، كتاب إقامة الصلاة، ٩٣-باب فيمن ترك الجمعة ، والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٧٢، ٢٤٧، ٢٤٨)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٩٢).

(٤) قال النووي: استدل في حديث مسلم الذي يأتي بعد هذا : ((لقد هممت أن آمر رجلاً..)) الحديث، بأن الجماعة فرض عين، وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور : ليست فرض عين، واختلفوا هل هي سنة أم فرض =

قال ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول [١] : «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أخرج ومعي جماعة بحزم الحطب، فآتي قومًا يتخلفون عن الجمعة فأحرق عليهم بيوتهم، والذي بعثني بالحق نبيًا، من ترك الجمعة ثلاثًا متهاونًا طبع الله على قلبه، الويل الويل لمن اجترأ على سخط ربه» . شعر:

يا قلب تفــرح بالدنيا وزينتهــا ... وقد تهتــك ستري بين أصحابي

قدمت (...)[٢] من قدير إذ لمني ... فالويل لي ثم ويلي ثم يدعى بي

وكان في الصدر جارية مغنية اسمها مرجانة، قد افتتن بها خلق كثير، فحضرت في بعض الليالي مع جماعة يشربون، وهي تغني لهم، وكانت ليلة الجمعة، فشربوا وسكروا (وماقت)[٣] في الليل ولم تخرج من عندهم، فهتف بها هاتف ونادى: أيا مرجانة، ويلك أما تخافين الله ليلة الجمعة، وتعصين الله، هتك الله سترك في الدارين الدنيا والآخرة كما هتكت عباد الله، يا ويلك يا أمة السوء، لو شاهدت ما أعد الله لك من العذاب ما لذَّ لك طعام ولا شراب، غداً تحشرين يوم القيامة، الطبل في عنقك، وأنت سوداء الوجه زرقاء العين، قبيحة المنظر، مهتوكة الستر، تساقين إلى النار، قد حل بك غضب الله الجبار.

قال: فلما سمعت الجارية الهاتف، قالت: من أنت؟ قال: أنا رقيب صاحب كتاب الحسنات[٤]، وليس عندي في صحيفة الحسنات حسنة واحدة، وهذا صاحبي عتيد[٥] قد امتلأت صحيفته عنك سيئات، وهي سوداء مظلمة مملوءة خطايا وفضائح. شعر:

=كفاية وأجابوا على هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين ، وسياق الحديث يقتضيه، فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ . شرح مسلم للنووي (٥/ ١٣١).

(١) أخرجه مسلم (٢٥١-٦٥١)، كتاب المساجد، ٤٢-باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٢، ٤٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٦ن ١٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٤).

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة غير واضحة.

(٤) يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، يعني الملكين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، أي مترصد ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾، أي ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾، أي ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، أي إلا ولها من يرقبها، معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٥) استكمالاً لما مضى: وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ على قولين ، وظاهر الآية الأول لعموم قولـه تبارك وتعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، المرجع السابق (٤/ ٢٢٤).

أموت وتبلى في التراب عظاميا ... وتبقى ذنوبي في الكتاب كما هي
وأبعث في قبري إلى الله نادمـًا ... وأورد لهفانًا شـديد الحسابـيا
وينشر ديواني وأعطى صحيفتي ... وأجزى بما قدمته من فعالـيا

ثم قالت: فإن أنا تبت هل يقبلني ؟ قال: وهل تصلح التوبة إلا لمثلك، عليك بالتوبة فقد دنا أجلك.

فعند ذلك رمت طبلتها فكسرتها، ورجعت إلى منزلها صائحة باكية، فلما أوثقت نفسها بقيد وغل ولبست المسوح وجعلت تنادي: وا أسفاه على ما فات، ليتني كنت رفاتًا . يا أسفى على ذنوب تقدمت، وا خجلتاه من الجوارح إذا تكلمت وشهدت [(١)] .

ثم جعلت تصيح بالليل والنهار: معاشر الناس، من عرفني فقد عرفني، أنا فلانة الخاطئة العاصية، ثم جعلت تقول شعر:

ويحك ما أقسـاك من قلب ... حتى متى تصحو من الذنب
تأتي المعاصي فرحًا لاهيًا ... وتجيء لقد سودت لي كتبي
أراك لا تصحـو ولا ترعى ... أشكوك يا قلـبي إلى ربـي

ثم جعلت تقول: يا مولاي، إن كثرت ذنوبي وعظمت فإن فضلك يسعني.

فإذا هات يهتف بها: يا أمة الله، استأنفي العمل في الليل والنهار، فقد محونا عنك الأوزار وأعتقناك من النار.

وروي: «إن في الجنة درة مطبقة ما رآها نبي مرسل ولا ملك مقرب، فإذا كان يوم الجمعة أوحى الله تعالى: أيتها الدرة، فتقول: قد أفلح المؤمنون من أمة محمد المعتكفون على ذكر الله المؤدون فرائض الله.

ثم يبعث إلى قبري ملكًا فيقول: يا محمد، إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: أبشر وقر عينًا في أمتك، فإن لهم كل ليلة جمعة ثلاث نظرات تنظر إليهم، ما من نظرة ينظر الله إليهم فيها إلا ويعتق منهم ستين ألف عتيق من النار».

﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾.

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترحوه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت. وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أنس وفيه: ((من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول : رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز عليّ إلا شاهدًا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا)) ، المرجع السابق (٣/ ٥٩٥).

قال رسول الله ﷺ : ((إن وراء جبل قاف أرض بيضاء ملساء كالفضة، مثل الدنيا سبع مرات، مملوءة من الملائكة، بيد كل واحد منهم لواء طول كل لواء أربعون فرسخًا مكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يجتمعون كل ليلة جمعة حول الجبل، فيتضرعون إلى الله ويدعون بالسلامة لأمة محمد ويقولون: يا ربنا ارحم أمة محمد ولا تعذبهم بالنار إلى انفجار الصبح، فإذا انفجر الصبح جعلوا يقولون: اللهم اغفر لمن اغتسل[1] يوم الجمعة، وحضرها وحضر الخطبة، ثم يضجون بالبكاء والدعاء، فيقول الله تعالى: ماذا تريدون؟ فيقولون: إلهنا نريد أن تغفر لأمة محمد، فيقول الله: قد غفرت لهم ورحمتهم)).

وعن أنس بن مالك ﷺ: صلى بنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة صلاة الصبح ثم أسند ظهره إلى القبلة وقال: ((معاشر أصحابي إذا كان يوم القيامة يأمر الله الملائكة يأتون البيت المعمور [2])) . قالوا: يا رسول الله ما البيت المعمور؟

قال: ((بيت في السماء الرابعة [3] ، له أربعة أركان، ركن من الياقوت الأحمر، وركن من الزبرجد الأخضر، وركن من الذهب الأحمر، وركن من الفضة البيضاء، فتأتيه الملائكة فيصعد جبريل على منارة من فضة بيضاء، فينادي بالأذان، ويصعد ميكائيل على منبر من الياقوت الأحمر فيخطب وينزل فيصلي بهم صلاة الجمعة. ثم يقول جبرائيل: يا ملائكة ربي أشهدكم أني قد وهبت ثواب أذاني للمؤذنين من أمة محمد. ثم يقول ميكائيل: يا ملائكة الله، أشهدكم أني قد وهبت ثواب إمامتي للأئمة من أمة محمد، ثم تقوم بقية الملائكة تنادي: اللهم إنا وهبنا ثواب صلواتنا للمسلمين من أمة محمد، فعندها يقول الله ﷻ: أتسخون عليّ وأنا أهل السخاء والكرم، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لأمة محمد ﷺ)) .

---

(١) الغسل مشروع لكل من أراد الجمعة من الرجال، سواء البالغ والصبي المميز، وفي رأي آخر: للبالغ فقط، وقال النووي: ومذهبنا المشهور أنه يستحب لكل مريد لها، وفي وجه لأصحابنا يستحب للذكور خاصة، وفي وجه يستحب لمن يلزمه الجمعة دون النساء والصبيان والعبيد والمسافرين، ووجه يستحب لكل أحد يوم الجمعة، سواء أراد حضور الجمعة أم لا، كغسل يوم العيد ، يستحب لكل أحد، والصحيح الأول والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٦/ ١٦٨).

(٢) قال تعالى : ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾، [الطور:١-٥].

(٣) البيت المعمور في السماء السابعة ، لما ثبت في الصحيحين من حديث الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ قال: ((ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا لايعودون إليه آخر ما عليهم))، يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩).

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن في الجنة جارية[١] تسمى: لعبة، فضلها الله بالحسن والجمال على غيرها كفضل البدر على سائر الكواكب. فإذا كان يوم الجمعة، يهبطن الحور العين فيجلسن على كراسي من نور ودر وجوهر، وترفعن أصواتهن بالتقديس والتسبيح والتحميد والتهليل والثناء على رب العالمين حتى إذا كان وقت صلاة الجمعة أشرق نور من تحت العرش فيرفعن رءوسهن ويقلن: يا رضوان، ما هذا النور الذي قد غشينا، لعل الجبار قد اطلع علينا، فيقول رضوان: يا خيرات حسان هذه لعبة قد أقبلت عن يمينها سبعون جارية يحملن روابيها، ومن خلفها سبعون جارية بيد كل جارية منهن مجمرة، فينصب لها منبر من نور، فتجلس عليه وترفع صوتها بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين إلى وقت صلاة العصر من يوم الجمعة، ثم تقوم على منبرها وتكشف ساقها، فيقلن الحور العين: غط ساقك، فلو عرف بنو آدم منك ما عرفناه لماتوا كلهم شوقًا إليك، فأخبرينا لمن أنت؟ فتقول: أنا لمن دخل الجامع يوم الجمعة أولاً وآخر من يخرج من الجامع.

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

في المعنى شعر:

يا طالب الحور في قصرها ... وخاطبًا ذاك على قدرهـــا
انهض مجدًا لا تكن وانيًا ... وجاهد النفس على صبرها

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال رسول الله ﷺ: ((أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة)). فقال رجل: يا رسول الله أخبرنا بفضائله. قال: ((ما من عبد اغتسل فيه وتوضأ فأحسن الوضوء[٢] إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكًا يستغفر له إلى يوم القيامة، فإذا خرج من بيته يريد الجامع أقبل الله عليه برحمته، فإذا فرغ من صلاته غفر الله له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام)).

---

(١) روى مسلم في صحيحه (١٤-٢٨٣٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٦-باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، عن أبي هريرة: ((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب)).

(٢) انظر إلى ما رواه مسلم في صحيحه (٢٧-٨٥٧)، كتاب الجمعة، ٨-باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا)).

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال رسول الله ﷺ : ((إن لله ملائكة بأيديهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب، ينـــزلون إلى الأرض في كل يوم جمعة، فيقفون على طرقات الجامع يكتبون المصلين، فإذا دخل الجامع سبعون رجلاً طوين الصحف، وأولئك السبعون مثل السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام ، وإلا كانوا أنبياء، ثم تخلل الملائكة الصفوف ويتقدمون الناس ، فيقول بعضهم لبعض: ما فعل فلان؟ فيقولون: مريض، فيقولون: شفاه الله ، فإنه صاحب جمعة، ثم يقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: مات، فيقولون: رحمه الله، فإنه كان صاحب جمعة)) . شعر:

أين الذين على أجداثهم طعنـوا   وقد كانت الدار منهم ذات إشراق
أضحت منازلهم قفراً وموحشـة   لم يبق منهم (صروف)[1] من باقي

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

قال رسول الله ﷺ : ((من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء))[2].

قال رسول الله ﷺ : ((من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غفر الله له أربعمائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرون ألف ذنب)) [3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال[4]: ((إن الله تعالى يأمر الملائكة ليلة الجمعة أن تفتح أبواب السماء وتنزل ملائكة الرحمة من السماء بيد كل واحد منهم طبق من نور، فيأمرهم الله تعالى أن ينثروا رحمة الله على عباده، فتقول ملائكة الرحمة: يا ربنا وهو أعلم بهم منهم بعضهم نيام وبعضهم قيام فعلى من ننثر رحمتك؟ فيقول الله تعالى: ما البخل من شأني، انشروا رحمتي على جميع من آمن بي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد وهبت النيام للقيام)) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر))[5]، يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٧٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٥٥) ، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢١٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٧٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣١٩).

(٣) روى الترمذي (٣٤٦٦)، في الدعوات، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)) .

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٥).

(٥) أخرجه القاضي عياض في الشفا (٢/ ١٨٤، ١٨٥) ، والعراقي في المغني (١/ ٣١١) ، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٨١).

وعن طلحة بن نافع قال: حدثني أبو أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما»(١)، رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، ومشي ولم يركب، ودنا من الإمام ولم يلغ، كان له بكل خطوة عبادة سنة، صيامها وقيامها»(٢).

وحكي: أن عيسى عليه السلام مر بصياد قد نصب شبكة، فتعلق بها ظبية، فأنطقها الله فقالت: يا روح الله، إن لي أولادًا صغارًا، وتعلقت بهذه الشبكة منذ ثلاثة أيام، فاستأذن الصياد حتى أرضع أولاد وأرجع، فأخبره فقال الصياد: هي لا تعود، فأخبرها، فقالت: إن لم أعد فأنا شر من الذين وجدوا الماء يوم الجمعة ولم يغتسلوا، فأخذ العهد عليها، فذهبت ورجعت كراهية نقض العهد، فذهب عيسى عليه السلام، فرأى لبنة من ذهب، فأمر الله تعالى أن يدفعها إلى الصياد فداء عن الظبية، فقبل أن يصل إلى الصياد وجده قد ذبحها، فدعى عليه وقال: رفع الله البركة من عملكم.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا خرجت من بيتك يوم الجمعة فأنت مهاجر، وإن مت في بعض الطريق فأنت في الجنة، وإن مت في المسجد فأنت في عليين، والصلاة يوم الجمعة بخمسمائة صلاة، وعلى أبواب المساجد رايات، والملائكة يكتبون من سبق، فمن جاء في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن جاء في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن جاء في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا، ومن جاء في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن جاء في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، ومن جاء في الساعة السادسة فكأنما قرب عصفورًا. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر، ويعتق الله تعالى في كل يوم جمعة من أمة محمد ستمائة ألف عتيق من النار». قال ﷺ: «يوم السبت يوم مكر وخديعة، والأحد يوم غرس وبناء، والإثنين يوم سفر وطلب رزق، والثلاثاء يوم حرب وبأس، والأربعاء يوم لا أخذ فيه ولا إعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على السلطان وطلب الحوائج، والجمعة يوم خطبة ونكاح، فيكون سعيدًا على المؤمنين»(٣)، انتهى والله أعلم(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤-٢٣٣)، والترمذي (٢١٤)، وابن ماجه (٥٩٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٢، ٢٨٣)، وابن حبان (٥٦٠-موارد)، والقرطبي في تفسيره (١٨/ ١١٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٦٤)، والهيثمي في المجمع (٢/ ١٧٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٦٣).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٢، ٥٥٦).

(٤) قال النووي: في قوله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»: قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته لأن إخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام، وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته. شرح مسلم للنووي.

الباب السادس عشر

في فضل الزكاة وحرمة منعها

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((بني الإسلام على خمس، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)) [1] ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن أبي هريرة ﷺ وأبي سعيد ﷺ قالا: خطب رسول الله ﷺ فقال: ((والذي نفسي بيده)) ثلاث مرات، ثم أكب، فأكب رجل منا يبكي لا يدري على ماذا حلف، ثم رفع رأسه وفي وجهه البشرى، فكانت أحب إلينا من حمر النعم، قال: ((ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، وقيل له: ادخل بسلام)) [2] .

رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن أبي الدرداء ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: ((الزكاة قنطرة الإسلام)) [3] ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاثة أحلف عليهن لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة، ولا يتولى عبد في الدنيا فيولّه غيره يوم القيامة، ولا فتح عبد عليه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)) الحديث، رواه أحمد [4] بإسناد جيد.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩)، كتاب الإيمان ، ومسلم في صحيحه (٢٠، ٢١)، كتاب الإيمان، والترمذي (٢٦٠٩) في الإيمان، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٦، ٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٨)، (٤/ ٨١)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٨- موارد)، والطبراني في مجمع الزوائد (١/ ٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٧١).

(٢) أخرجه النسائي في الزكاة، باب (٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥١٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣١٦).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥١٧)، والقاضي في مسند الشهاب (٢٧٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنة))[١]. رواه الطبراني في الكبير.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: ((تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم))[٢]. رواه البخاري ومسلم، وفي رواية النسائي قال رسول الله ﷺ: ((ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاء يوم القيامة شجاعًا من نار فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد))[٣]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عمير الليثي، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ[٤] في حجة الوداع: ((إن أولياء الله المصلون، ومن يقم الصلوات الخمس التي كتبهن الله عليه، ويصوم رمضان، ويحتسب صومه، ويؤتي الزكاة محتسبًا طيبة بها نفسه، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها))، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، وكم الكبائر؟ قال: ((تسعًا أعظمهن: الإشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت العتيق، لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا وافق محمدًا في بحبوحة الجنة أبوابها مصاريع الذهب)). رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات.

بحبوحة الجنة: بضم البائين الموحدتين وبحائين مهملتين هو: وسطها.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك، ومن جمع مالاً حرامًا ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصرة عليه))[٥]، رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٢٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٣٠)، ومسلم (١٥)، كتاب الإيمان، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٧٢)، (٤/ ٧٦، ٣٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٣).

(٣) تقدم البخاري ومسلم، وفي النسائي في كتاب الطلاق باب (١٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٤٨)، والهيثمي في المجمع (١/ ٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٤).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٩٧-موارد)، والمنذري في الترغيب (١/ ٥٣٥)، (٣/ ٤٩٥)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٨٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩٠)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٧، ١٠٥)، وابن حجر في التلخيص (٢/ ١٦٠).

وفي معنى الزكاة قال النووي: هي في اللغة: النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لا يرى، وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، وقيل: ينمى أجرها عند الله تعالى، وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها، وقيل: لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه، كما سبق في قوله ﷺ: ((والصدقة برهان))، قالوا: وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه. قال القاضي عياض: قال المازري رحمه الله: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون إلا في مال له بال، وهو النصاب، ثم جعلها في الأموال الثابتة وهي العين والزرع والماشية، وأجمعوا على=

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقا إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)).

قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال: ((ولا صاحب إبل لا يؤدي عنها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)).

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟

قال: ((ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقًا إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها سنًا ليس منها عقصاء ولا جلحاء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار)).

قيل: يا رسول الله، فالخيل؟

قال: ((الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، ولرجل ستر، ولرجل أجر، فأما التي له وزر: فرجل ربطها رياءو فخرًا ونواء لأهل الإسلام، فهي له وزر. وأما التي هي له ستر: فرجل ربطها في سبيل الله، ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر. وأما التي هي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام، في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب الله له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر صاحبها على نهر فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)).

قيل: يا رسول الله، فالحمر؟

قال: ((ما أنزل الله عليّ في الحمر إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾))[1]، رواه البخاري ومسلم.

=وجوب الزكاة في هذه الأنواع واختلفوا فيما سواها كالعروض، فالجمهور يوجبون زكاة العروض، وداود يمنعها تعلقًا بقوله ﷺ: ((ليس على الرجل في عبده ولا فرسه صدقة))، وحمله الجمهور على ما كان للقنية، وحدد الشرع نصاب كل جنس بما يحتمل المواساة، فنصاب الفضة خمس أواق، وهي مائتا درهم بنص الحديث والإجماع، والذهب: عشرون مثقالاً، والمعول فيه على الإجماع. النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٢، ٤٣).

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٩)، (٤/ ٢٥٣)، ومسلم في صحيحه (٢٤-٩٨٧)، كتاب الزكاة، ٦-باب إثم مانع الزكاة، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٢، ١١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٢).

وفي رواية أخرى قال: قال رسول الله ﷺ : ((ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاء يوم القيامة شجاعًا من نار فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد)) (١) .

القاع: المستو من الأرض. والقرقر: بقافين مفتوحتين ورائين مهملتين : هو الأملس. والظلف للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس. والعقصاء: هي الملتوية القرن. والجلحاء: التي ليس لها قرن. والطول: بكسر الطاء وفتح الواو وهو حبل يشد به قائمة الدابة ويرسلها ترعى بمسك طرفه. واستنت: بتشديد النون، أي جرت بقوة. شرفًا: بفتح الشين المعجمة والراء، أي شوطًا، وقيل نحو ميل. والنواء بكسر النون وبالمد: هو المقاداة . والشجاع بضم الشين المعجمة وكسرها : هو الحية. وقيل: الذكر خاصة، وقيل: نوع من الحيات. والأقرع منه الذي ذهب شعر رأسه من طول عمره.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقعد له بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها. ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه، فإذا أتاه فر منه، فيناديه: خذ كنزك الذي خبأته، فأنا عنه غني، فإذا رأى أن لابد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل)) (٢)، رواه مسلم.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له شجاعًا أقرع حتى يطوق به عنقه))، ثم قرأ علينا ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، الآية، رواه ابن ماجه والنسائي بإسناد صحيح، وابن خزيمة في صحيحه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي فوضت لنا عليهم، فيقول الله تعالى: وعزتي وجلالي

---

(١) تقدم قريبًا وتم تخريجه في البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧-٩٨٨)، كتاب الزكاة، ٦-باب إثم مانع الزكاة، وقال النووي: الشجاع : الحية الذكر، والأقرع: الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع: الذي يواثب الراجل والفارس، ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري. قال القاضي: ظاهره أن الله تعالى خلق هذا الشجاع لعذابه ، ومعنى ((مثل)) أي نصب وصير بمعنى أن ماله يصير على صورة الشجاع. النووي في شرح مسلم (٧/ ٦١، ٦٢).

لأدنينكم ولأباعدهم»، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ مَّعۡلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[(١)]، رواه الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط، وذو ثروة لا يؤدي حق الله في ماله، وفقير فخور»[(٢)]، رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان.

وروى البيهقي: أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تدركوها: لم تظهر الفاحشة من قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم. وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت. ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر. ولا طففوا الميكال إلا حبس الله عنهم النبات وأخذوا بالسنين»[(٣)]، رواه الطبراني في الكبير وله شواهد.

السنين: جمع سنة، وهي العام المقحط التي لا تنبت الأض فيه شيئًا، سواء وقع مطر أو لم يقع.

وروى الأحنف بن قيس ﷺ قال: جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكنازين برضف يحمى عليها في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه، فيتزلزل. ثم ولى، فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، [قال: فوضع القوم رءوسهم، فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا. قال: فأدبر واتبعته حتى جلس إلى سارية][(٤)]، فقلت: ما رأيت القوم إلا كرهوا الذي قلت. قال: نعم، إنهم لا يعقلون شيئًا؛ قال لي خليلي، قلت: من خليلك؟ قال: النبي ﷺ : «أترى أحدًا؟»

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥٦١-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٤).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٤٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٣٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٣٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

(٤) غير موجودة بالأصل.

فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، فقلت: أراه. فقال: «ما أحب أن يكون لي ملء أُحد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير» ، وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا لا والله لا أسألهم عن دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله ﷻ [١] ، رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم أنه قال: بشر الكنازين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم، قال: ثم تنحى فقعد. قلت: من هذا؟ قالوا: أبو ذر، قال: فقمت إليه فقلت: ما شيء تقول قبيل؟، قال: ما قلت إلا شيئًا قد سمعته من نبيكم ﷺ . قال: قلت: ما تقول في هذه العطاء. قال: فخذه فإن فيه اليوم معونة، فإذا كان ثمنًا لدينك فدعه [٢] .

الرضف بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة: هو الحجارة المحماة. والنُّغض بضم النون وسكون الغين المعجمة بعدها ضاد معجمة : هو غضروف الكتف.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يحلق جنبيه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، ومن أحب أن يسور جنبيه بسوار من نار فليسوره بسوار من ذهب، ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها» [٣] . رواه أبو داود بإسناد حسن صحيح.

قلت: وهذه الأحاديث الذي ورد فيها الوعيد على تحلي النساء بالذهب تحتمل وجوهًا من التأويل. أولها: أن ذلك منسوخ، فإنه قد ثبت إباحة تحلي النساء بالذهب. الثاني: أن هذا في حق من لا يؤدي زكاته دون من أداها.

وقد اختلف العلماء في ذلك، فروي عن عمر ﷺ أنه أوجب في الحلي الزكاة.

وهو مذهب ابن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، والزهري، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة وأصحابه، واختاره ابن المنذر.

ومن أسقط الزكاة فيه: عبدالله بن عمرو، وجابر بن عبدالله، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة، والشعبي، والقاسم بن محمد، ومالك، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد.

قال ابن المنذر: وقد كان الشافعي يقول بهذا إذ هو بالعراق ، ثم وقف عنه بمصر، وقال: هذا مما أستخير الله فيه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٤)، ومسلم في صحيحه (٣٤-٩٩٢)، في الزكاة، ١٠-باب في الكنازين للأموال ، والتغليظ عليهم، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٧، ٥٠٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٥-٩٩٢)، كتاب الزكاة، ١٠-باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٣٦)، كتاب الخاتم، باب ما جاء في الذهب للنساء، عن أبي هريرة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٤، ٣٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٤٧).

الثالث: أنه في حق من تزينت به وأظهرته. ويدل لهذا ما رواه النسائي وأبو داود عن ربعي ابن خراش عن امرأته عن أخت لحذيفة: أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء أما لكُنّ في الفضة ما تحلين به، أما إنه ليس منكن امرأة تتحلى ذهبًا وتظهره إلا عذبت به» [١].

وأخت حذيفة اسمها: فاطمة، وكان له أخوات قد أدركن النبي ﷺ.

وقال النسائي بالكراهة للنساء في إظهار الحلي بالذهب، ثم صدره بحديث عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ كان يمنع أهله الحلي والحرير ويقول: «إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسونّها في الدنيا». وهذا الحديث رواه الحاكم أيضًا وقال: صحيح على شرطهما.

الرابع من الاحتمالات: أنه إنما منع منه لما روي من غلطه فإنه مظنة الفخر والخيلاء.

وفي رواية للترمذي والنسائي وصحيح ابن حبان عن عبدالله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ عليه خاتم من حديد، فقال له النبي ﷺ: «ما لي أرى عليك حلية أهل النار»[٢]، فذكر الحديث إلى أن قال: من أي شيء أتخذه؟ قال: «من ورق ولا تتمه مثقالاً»، انتهى والله أعلم.



(١) أخرجه أبو داود (٤٢٣٧)، كتاب الخاتم، باب ما جاء في الذهب للنساء، عن أخت لحذيفة، والنسائي في الزينة باب (٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٥٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٥٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٢٣)، كتاب الخاتم، باب ما جاء في خاتم الحديد، عن بريدة بن الحصيب، والترمذي (١٧٨٥)، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخاتم الحديد، والنسائي في الزينة، باب مقدار ما يجعل في الخاتم من الفضة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٥٩)، وفي نصب الراية (٤/ ٢٣٤)، قال الترمذي: حديث غريب.

الباب السابع عشر

في تحريم السؤال مع الغناء وما جاء في ذم الطمع وطلب التعفف والقناعة والأكل من كسب اليد وتفضيل الصنائع والحرف

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»[1].

رواه البخاري ومسلم والنسائي.

المزعة: بضم الميم وسكون الزاي وبالعين المهملة: هي القطعة.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما السائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدًا**»[2]. رواه أبو داود والنسائي والترمذي وعنده: «**المسألة كد يكديها الرجل وجهه**» الحديث، وقال: حديث حسن صحيح.

الكدوح بضم الكاف: آثار الخموش.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس في غير فاقة نزلت به أو عيال لا يطيقهم، فتح الله له بابًا من حيث لا يحتسب**»[3].

رواه البيهقي، وهو حديث جيد في الشواهد.

وعن ابن مسعود، عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فقال[4]: «**كم (معه من مال)[5]؟**». قالوا: دينارين أو ثلاثة، قال: «**أدرك كيتين أو ثلاث كيات**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٣)، ومسلم في صحيحه (١٠٣-١٠٤٠)، كتاب الزكاة، ٣٥-باب كراهة المسألة للناس، والنسائي (٥/ ٩٤-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٣٩)، كتاب الزكاة، باب كم يعطى الرجل الواحد من الزكاة؟ والنسائي (٥/ ١٠٠-المجتبى)، والترمذي (٦٨١)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة وقال: حديث حسن صحيح، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٥٩)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٩٧)، وابن عبدالبر في التمهيد (٤/ ١١٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٥)، (٤/ ١٧٤)، والمنذري في الترغيب (١/ ٥٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦).

(٥) غير موجودة بالأصل وأظنها: «معه من مال» وذلك في رجل مات فوجدوا في ملابسه هذا المال.

فلقيت عبدالله بن القاسم مولى أبو بكر، فذكرت ذلك له فقال: ذاك رجل كان يسأل الناس تكثرًا. رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليكثر»[١]، رواه مسلم.

وعن سهل بن الحنظلية[٢] قال: قدم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ فسألاه، فأمر معاوية، فكتب لهما ما سألاه، فأما الأقرع[٣] فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق.

وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى به إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا محمد، أتراني حاملاً إلى قومي كتابًا لا أدري ما فيه كصحيفة المتلمس، فأخبر معاوية بقوله رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار»[٤].

قال النفيلي وهو أحد رواته: قالوا: ما الغنى الذي لا تنبغي فيه المسألة؟ قال: قدر ما يغديه ويعشيه، رواه أبو داود واللفظ له، وابن حبان في صحيحه وقال فيه: «من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم» ، قالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: «ما يغديه أو يعشيه» ، كذا عنده بالألف.

ورواه ابن خزيمة باختصار إلا أنه قال: قيل: يا رسول الله، وما الغنى؟ قال: «الذي لا تنبغي فيه المسألة» ، قال: «أن يكون له شبع يوم وليلة، أو ليلة ويوم»[٥].

قوله: كصحيفة المتلمس، هذا مثل تضربه العرب لمن حمل شيئًا لا يدري هل يعود

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٥-١٠٤١)، كتاب الزكاة، ٣٥-باب كراهة المسألة للناس، وابن ماجه (١٨٣٨)، كتاب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى، وأحمد بن حنبل (٢/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٥١).

(٢) سهل بن الحنظلية (عمرو) الأنصاري الأوسي، صحابي، أخرج له البخاري في الأدب، وأبو داود والنسائي، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٠)، تقريب التهذيب (١/ ٣٣٦)، الكاشف (١/ ٤٠٧)، الإصابة (٣/ ٢١٠)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٩٨)، الجرح والتعديل (٤/ ٨٤١).

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال بن شقيق بن مجاشع التميمي، من المؤلفة قلوبهم، أخرج له أحمد. انظر ترجمته في أسد الغابة (١/ ١٣٥)، الإصابة (١/ ١٠١)، الاستيعاب (١/ ١٠٣)، الذيل على الكاشف (٨٦)، تعجيل المنفعة (٦١)، تاريخ البخاري الصغير (٥٩)، الوافي بالوفيات (٩/ ٣٠٧)، طبقات ابن سعد (١/ ٢٨٨).

(٤) يأتي تخريجه آخره.

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه (١٦٢٩)، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة؟ وحد الغنى، وابن حبان في صحيحه (٨٤٤-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨١).

عليه بنفع أو خير؟

وأصله: أن المتلمس -واسمه عبد المسيح- قدم هو وطرفة العبدي على عمرو بن المنذر، فأقاما عنده فنقم عليهما أمرًا ، فكتب إلى بعض عماله يأمره بقتلهما، وقال لهما : إني كتبت لكما بصلة، فاجتازا بالحيرة، فأعطى المتلمس صحيفته صبيًا ، فقرأها فإذا فيها الأمر بقتله، فألقاها، وقال لطرفة : افعل مثل فعلي، فأبى ومضى إلى عامل الملك فقرأها وقتله.

وعن حكيم بن حزام (١) رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال: «**يا حكيم هذا المال خضرة حلوة (٢) فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى**» .

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال: يا معاشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رضي الله عنه(٣) .

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي باختصار.

يرزأ: براء ثم زاي ثم همزة، معناه: لم يأخذ من أحد شيئًا، وإشراف النفس: بكسر الهمزة، وبالشين المعجمة وآخره فاء، هو: تطلعها وشرهها.

وسخاوة النفس ضد ذلك.

---

(١) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسيد بن عبدالعزى، أبو خالد القرشي الأسدي، المكي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين، صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (٥٤، ٥٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٧)، تقريب التهذيب (١/ ١٩٤)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ١١)، الجرح والتعديل (٣/ ٨٧٦)، أسد الغابة (٢/ ٤٥).

(٢) قال النووي: قوله ﷺ : «إن هذا المال خضرة حلوة» : شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة ، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده، فاجتماعهما أشد، وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا ترد للبقاء والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٧/ ١١٢)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، وفي كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ : «هذا المال خضرة حلوة» ، والوصايا، باب تأويل قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾، وفي الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في صحيحه (٩٦-١٠٣٥)، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، والترمذي (٢٤٦٣)، كتاب صفة القيامة، والنسائي في الزكاة، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣).

وعن عبدالرحمن بن عوف ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة والذي نفسي بيده إن كنت لحالفًا عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»[١]، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وقال: حديث حسن.

وقال رسول الله ﷺ: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك»[٢]. رواه البزار والطبري بإسناد جيد، والبيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن جاره بوائقه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت، إن الله يحب الغني الحليم المتعفف، ويبغض البزيء الفاجر السائل المُلِحّ»[٣]، رواه البزار.

وعن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطى التي تليها، ويد السائل السفلى، فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك»[٤]. رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[٥]. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[٦]: «يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغناء؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «أفترى قلة المال هو الفقر؟» قلت: نعم يا رسول

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٢)، (٣/ ٣٠٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٦٩).

(٣) أوله أخرجه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، وفي الرقاق، باب حفظ اللسان ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، وأخرجه مسلم (٧٤)، كتاب الإيمان، والترمذي (١٩٦٧)، في البر والصلة، باب ما جاء في الضيافة كم هو؟ وابن ماجه (٣٩٧١).

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٤٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٥، ٢٤٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٧).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٦٧).

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٢١، ٢٥٦٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٠٤).

الله، قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب». رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن فضالة بن عبيد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافًا وقنع» (١).

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول أوصني وأوجز، فقال رسول الله ﷺ: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر خاص، وإياك وما يعتذر منه» (٢)، رواه الحاكم والبيهقي في كتاب الزهد، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وروي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى» (٣). رواه البيهقي.

وعن عبدالله بن محصن الخطمي (٤) رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح آمنًا في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (٥).

رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح.

«في سربه» بكسر السين المهملة، أي في نفسه.

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه، قال: «ائتني بهما»، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ: «من يزيد على درهم» مرتين أو ثلاث؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاه إياهما وأخذ الدرهمين، فأعطاهما للأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا فائتني به»، فأتاه به، فشد

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقاق، وأحمد في مسنده (٦/ ١٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤١-موارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٠٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٥٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٦).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، (٤/ ٢٤٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩١٤).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠).

(٤) عبدالله بن محصن الأنصاري الأشهلي الخطمي المدني، معدود في الصحابة ويقال الصواب: حصين بن محصن، أخرج له النسائي، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٣٩٠)، التقريب (١/ ٤٤٥)، الكاشف (١/ ٢٣٨)، التاريخ الكبير (٣/ ٥).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١)، في الزهد، باب القناعة، والشجري في أماليه (٢/ ١٦١)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٨٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٥).

فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال: «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يومًا» ، ففعل وجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي عزم مقطع، أو لذي دم موجع»[١]. رواه أبو داود والبيهقي بطوله، اللفظ لأبي داود.

وأخرج الترمذي والنسائي منه قصة بيع القدح فقط [٢] ، وقال الترمذي: حديث حسن.

الحلس: بكسر الحاء وسكون اللام، بالسين المهملة: هو كساء غليظ يكون على ظهر البعير، ويسمى به غيره مما يداس ويمتهن من الأكسية ونحوها.

المدقع بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر القاف : هو الشديد الملصق صاحبه بالدقعاء، وهي الأرض، لا نبات بها.

والغرم بضم الغين المعجمة، وسكون الراء: ما يلزم أداؤه تكلفًا لا في مقابلة عوض.

والمفظع بضم الميم وسكون الفاء وكسر الظاء المعجمة: هو الشديد.

وذو الدم الموجع: هو الذي يتحمل دية عن قريبة أو عميمه أو نسيبه القاتل، يدفعها إلى أولياء المقتول، ولو لم يفعل قتل قريبه أو عميمه الذي يتوجع لقتله.

وعن المقدام بن معدي كرب [٣] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» [٤] . رواه البخاري.

وقال في كتاب البركة في السعي والحركة: عن النبي ﷺ : «إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف» [٥] . وقال عليه الصلاة والسلام: «علم الله تعالى آدم عليه الصلاة

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٤١)، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، وابن ماجه في سننه (٢١٩٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٨٤)، والبيهقي (٧/ ٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢١٨)، كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد، والنسائي في البيوع ، باب البيع فيمن يزيد، وابن ماجه (٢١٩٨)، في كتاب التجارات، باب بيع المزايدة.

(٣) المقدام بن معدي كرب، تقدمت ترجمته من قبل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٧٤)، وفي مشكاة المصابيح (٢٧٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٢)، (٢/ ٥٢١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢١٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣١، ١٣٢).

(٥) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٤٢).

والسلام ألف حرفة وقال له: قل لولدك وذريتك إن لم يصبروا فليطلبوا الدنيا بهذه الحرف، ولا يطلبوها بالدين، فإن الدين لي وحدي خالصًا، ويل لمن طلب بالدين، ويل له»، وكان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفة، يعيش بها، فكان آدم حرَّاثًا وحائكًا، وكانت حواء غزّالة، وكان إدريس خياطًا [١] ، وكان نوح وزكريا [٢] نجارين، وكان إبراهيم زراعًا ونجارًا، وكان أيوب زراعًا، وكان داود (زوادًا) [٣] ، وكان سليمان خواصًا، وكان موسى وشعيب رعاة للغنم، ومحمد ﷺ أيضًا في بيته في مهنة أهله، يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع الثوب ويخصف النعل ويقم البيت [٤] ويعقل بعيره ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم ويقول: «أكلك مع أهلك صدقة»، ويطحن مع الخادم إذا أعيت ، ويعجن معها، وكان يسم الغنم وإبل الصدقة. وكدى سعد أو أسعد وغيرهما، ونحر في حجة الوداع ثلاثًا وستين بدنة، ونحر عن نسائه بقرًا.

وكان ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه، ويضرب الكدية بالمعول، وكان ينقل معهم اللبن في بنيان المسجد، وضحى بكبشين ذبحهما بيده [٥] ، وعائشة تشحذ له السكين ، ومر عليه الصلاة والسلام بغلام يسلخ شاة وما يحسن فقال له: «تنح حتى أريك» ، فأدخل ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى فصلى بالناس ولم يمس ماء، وكان يهنا بعيره وعليه سلمه.

وقال (ابنا)[٦] خالد: أتينا النبي ﷺ وهو يبني بناءً فأعناه فدعا لنا.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رؤي ﷺ فارغًا في أهله، إما يخصف نعله [٧] أو نعلاً لمسكين أو يخيط ثوبًا لأرملة. قلت: والمهنة بفتح الميم وكسرها: هي الحرفة.

ويفلي ثوبه: أي يخرج منه القمل. ويخصف نعله: أي يطرقه ويخيطه. ويقم البيت:

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٣٠٦).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (١٦٩-٢٣٧٩)، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا ﷺ ، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجارًا» .

(٣) كذا بالأصل وأظنها: (حدادًا).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٩٨)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ١٤٥).

(٥) روى البخاري في صحيحه كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الأضحية، ومسلم في الأضاحي، باب استحباب الأضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل، والترمذي (١٤٩٤)، في الأضاحي ، باب ما جاء في الأضحية بكبشين، عن أنس بن مالك قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما» ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٦) كذا بالأصل.

(٧) حديث: «كان النبي ﷺ يخصف نعله ويخيط ثوبه» أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٦٧)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٤٩٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٢٨).

أي يكنسه. والناضح: البعير الذي يسقى عليه. وأعيت: أي كلت وتعبت. وكوى: أي وسم. وتشحذ : أي تحد. والمعول: فأس عظيمة ينقر بها الصخرة.

والكدية: ما يعرض للحافر من حجر أو نحوه. ودحس: بأحرف مهملات، أي دس يده، أي أدخلها بين الجلد واللحم. ويهنا بعيره: أي يطليه بالهنا وهو القطران.

فانظروا إلى النبي ﷺ كيف له يد وتواضع في كل شيء، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن البطالة تقسي القلب**». وهي الكسل، إما بترك كسب الحلال، أو ترك القيام بأمر الآخرة.

قال الحليمي في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام: «**اختلاف أمتي رحمة**»[1] : أراد اختلاف الناس في الحِرف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما تقول في حرفتي؟ فقال له : «**وما حرفتك؟**» فقال: أنا حائك. فقال عليه الصلاة والسلام: «**حرفتك حرفة أبينا آدم، وكان أول من نسج عليه السلام ، وكان جبريل عليه السلام يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام، وإن الله يحب حرفتك، يحتاج إليها الأحياء والأموات، فمن قال فيكم قبيحًا فآدم خصمه يوم القيامة، ومن أذاكم فقد آذى آدم، ولا تخافوا وأبشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة، ويكون آدم قائدكم إلى الجنة**».

وقال ﷺ : «**من رزق شيء فليلزمه -يعني من الحرف الجائزة- ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتعين عليه**»[2].

فإذا علمت هذا فاعلم -نوَّر الله قلبي وقلبك وأعلى على درجة الجنة كعبي وكعبك- أن أصول المكاسب ثلاثة: الزراعة، والصناعة، والتجارة.

وقد اختلفت الناس في أيها أطيب؟

فقال بعضهم: الصناعة. وقال كثيرون: بل التجارة[3]. وقال آخرون: بل الزراعة أفضل. وهذا هو الأعدل.

قال الماوردي رحمه الله تعالى: والأشبه أن الزراعة أطيب، قال : لأنها إلى التوكل

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار على هامش الإتحاف (١/ ٢٨)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧).

(٢) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤٥)، وفي تنزيه الشريعة (٢/ ٩١٦)، وفي الأسرار المرفوعة (٣٣٨).

(٣) حديث: «تسعة أعشار الربح في التجارة» أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٤١٦)، وابن حجر في المطالب العالية (١٣٦٨).

أقرب، والله تعالى يحب المتوكلين.

وقال ﷺ : **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»** [(١)].

وقال النووي[(٢)]: في صحيح البخاري عن المقداد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«ما أكل عبد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده»**.

وقال جبريل لداود عليه السلام: ما في العباد أحب إلى الله من عبد يأكل من كد يده.

فعاد داود إلى محرابه باكيًا وقال: يا ربي علمني صنعة أعملها بيدي، فعلمه الله صنعة الدروع، وألان له الحديد، فكان إذا فرغ من حوائج أهله عمل درعًا فباعه وعاش هو وعياله بثمنه.

ويروى: أنه كان يعمل القفة من الخوص، وهو على المنبر، ثم يرسل فيها فيبيعها ويأكل بثمنها [(٣)].

وعن سعيد بن عمير رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ : أي المكاسب أفضل؟ فقال: **«عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»** [(٤)].

وقال أبو عبيد: المبرور الذي لا يخالطه كذب ولا شيء من المآثم، أي لا شبهة ولا خيانة ولا خداعة.

وقال ﷺ : **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»** [(٥)].

قال النووي رحمه الله: ففي هذين الحديثين ترجيح الثلاث.

لكن الزراعة أفضل لأن نفعها يتعدى إلى غير الزارع من الطيور والبهائم ، وكثير

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٤)، ومسلم (٣٧١)، كتاب الإيمان، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٤١)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٢١)، (٢/ ٣٥١، ٤٠٠، ٤٥٦).

(٢) انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٥/ ١١١)، قال النووي وقد ثبت قوله ﷺ : «أفضل ما أكل الرجل من كسبه، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

(٣) قال النووي فيما رواه مسلم: «كان زكريا نجارًا» : فيه جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة زكريا عليه السلام فإنه كان يأكل من كسبه. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل (٤/ ١٤١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٣٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٠، ٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٣)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ٣).

(٥) أخرجه النسائي (٧/ ٢٤١-المجتبى)، وابن ماجه (٢١٣٧)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣١، ٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٨٠)، وابن حبان في صحيحه (١٠٩١، ١٠٩٢-موارد).

من الحيوانات، وما كان متعديًا فهو أفضل من اللازم في غالب الأوقات، ولهذا كانت الصلاة أفضل العبادات لتعديها؛ لأن فيها وفي تشهدها ما يعم نفعه جميع المسلمين كقوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فيصيب كل عبد صالح في السماء والأرض.

والسلام على الرسول والدعاء بالهداية للصراط المستقيم بلفظ الجمع ونحو ذلك، فبهذا ونحوه صارت أفضل عبادات البدن.

وقد عد العلماء الزراعة من فروض الكفاية في كثير من المصنفات؛ لأنه لا يقوم أمر الدين والدنيا والمعايش كلها إلا بها، وما سبيله سبيلها كالنخل والعنب وغرسهما.

فإن تركها كل الناس أثموا كلهم، وإن فعلها من تحصل الكفاية بفعله سقط الحرج، أي لا إثم على الباقين.

وقد قال إمام الحرمين والنووي وغيرهما : إن القيام بفرض الكفاية أفضل من القيام بفرض العين؛ لأن فرض العين كالصلاة والصيام إذا تركه أثم وحده، وإذا فعله أسقط الإثم عن نفسه لا غير، وفرض الكفاية إذا تركه أثم، وأثم كل المكلفين من المسلمين، فإذا فعله أسقط الإثم عن نفسه وعن جميع المسلمين [1]، وقام مقام المسلمين أجمع ، فلا شك في رجحانه، انتهى والله أعلم.

***

(١) ومن فروض الكفاية: غسل وتكفين الموتى، وكذلك الصلاة على الجنائز، كلها من فروض الكفاية على الأحياء فإذا قام بها البعض ولو واحد سقطت عن الباقين فلا يكلفون بها، ولكن ينفرد بثوابها من قام بها منهم، انظر الفقة على المذاهب الأربعة (١/ ٤٢٨).

الباب الثامن عشر

فيمن نزلت به فاقة أو حاجة فأنزلها بالله تعالى لا بغيره، وفيمن أخذ ما دفع إليه من غير طيب نفس الدافع، وفي قبول من جاءه شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس، سيما إن كان محتاجًا، والنهي عن رده وإن كان غنيًا عنه، ونهي السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة، ونهي المسئول بوجه الله أن يمنع سائله

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [1] : «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله برزق عاجل أو آجل»، رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال: صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه: «أوشك الله له بالغنى، إما بموت عاجل أو غنى عاجل».

يوشك: أي (......) [2] .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [3] : «من جاع أو احتاج فكتمه الناس، وأفضى به إلى الله، كان حقًا على الله أن يفتح له قوت سَنة من حلال». رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

● **النوع الثاني من هذا الباب:**

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن هذا المال خضرة حلوة فمن أعطيناه شيئًا بطيب نفس منا وحسن طعمة منه من غير شره نفس بورك له فيه، ومن أعطيناه منا بغير طيب نفس وحسن طعمة منه وشره نفس منا كان غير مبارك له فيه» [4]، رواه ابن حبان في صحيحه.

الشره: بشين معجمة محركًا: هو الحرص.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، والترمذي في سننه (٢٣٢٦)، كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٤٤٢)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٣٤).

(٢) كلمات غير واضحة بالأصل.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٧٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٧)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٥٢)، وفي تنزيه الشريعة (٢/ ١٣١)، وفي مشكاة المصابيح (٥٢٦٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٥١-موارد)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تلحفوا في المسألة، فوالله ما يسألني واحد منكم شيئًا فيخرج له مسألة مني شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته»[١]. رواه مسلم والنسائي والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وفي رواية لمسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فمبارك، ومن أعطيته عن مسألة وشره كان كالذي يأكل ولا يشبع»[٢]. ولا تلحفوا: أي تلحوا في المسألة.

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تلحفوا في المسألة فإنه من يستخرج بها شيئًا لم يبارك له فيه»[٣] . رواه أبو يعلى ورواته محتج بهم في الصحيح.

وعن عطاء بن يسار رحمه الله: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب ﷺ بعطاء فرده، فقال له رسول الله ﷺ : «لم رددته؟» . فقال: يا رسول الله ، أليس أخبرتنا أن خير الأخذ بأن لا يأخذ من أحد شيئًا؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله»[٤] . فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا يأتيني من غير مسألة إلا أخذته. رواه مالك هكذا مرسلاً، ورواه البيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتاه شيئًا من هذا المال من غير مسألة فليقبله، فإنما هو رزق ساقه الله إليه»[٥]، رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجًا»[٦]، رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩-١٠٣٨)، كتاب الزكاة، ٣٣-باب النهي عن المسألة، والنسائي (٥/ ٩٨-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٨-١٠٣٧)، كتاب الزكاة، ٣٣-باب النهي عن المسألة، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٣).

(٣) انظر ما تقدم من قبل. وقال النووي: مقصوده: النهي عن السؤال، واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة، واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين، أصحهما: أنها حرام لظاهر الأحاديث، والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط: أن لا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسئول. شرح مسلم للنووي (٧/ ١١٤).

(٤) أخرجه مالك في موطأه (٩٩٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٨٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ١٠٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٠٢).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠٠) ، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٦٨)، والهيثمي في المجمع (٣/ ١٠١).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون وملعون من سئل بوجه الله، ثم منع سائله، ما لم يسأل هجرًا»[(١)] .
رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

هجرًا: بضم الهاء وسكون الجيم، أي ما لم يسأل أمرًا قبيحًا لا يليق، ويحتمل أنه إذا أراد ما لم يسأل سؤالاً قبيحًا بكلام قبيح.

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع لكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم كافئتموه»[(٢)] . رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وروي عن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع: أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سُئل بوجه الله فمنع سائله»[(٣)] . رواه الطبراني.

وروي عن أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أحدثكم عن الخضر؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال: تصدق عليّ بارك الله فيك. فقال الخضر: آمنت بالله ما يشاء الله من أمر يكون، ما عندي شيء أعطيكه. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت عليّ فإني نظرت السماحة في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، أقول: لقد سألني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك بوجه ربي، بعني قال: فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشتري زمانًا لا يستعمله في شيء. فقال : إنما اشتريتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك، إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس يشق عليّ. قال: قم فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته، ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة. قال: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه. قال: ثم عرض للرجل سفر، فقال: إني

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، عن ابن عمر، والنسائي في المجتبى (٥/ ٨٢)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥٠)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠١)، (٢/ ٧٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٦)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٣).

(٣) تقدم قريبًا.

أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: أوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال: ليس يشق عليّ، قال: فاضرب من اللبن لنبني به حتى أقدم عليك. قال: فمر الرجل بسفره، قال: فرجع الرجل وقد شُيِّد بناءه، فقال: أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله، ووجه الله أوقعني في هذه العبودية، فقال الخضر: أخبرك من أنا؟ أنا الخضر الذي سمعت به [1]، سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي شيء أعطيه، فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتي فباعني. وأخبرك: أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له يتقعقع. فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك، يا نبي الله ولم أعلم، قال: لا بأس، أحسنت وأتقنت. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، احكم في أهلي ومالي بما شئت واختر، فأخلي سبيلك. قال: أحب أن تخلي سبيلي ، فأعبد ربي. فخلى سبيله.

فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها» [2] . رواه الطبراني في الكبير وغير الطبراني.

قال المنذري: وحسن بعض مشايخنا إسناده، انتهى، والله أعلم.

كل ذلك من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله.

***

(١) قال النووي: جمهور العلماء على أن الخضر حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، قال أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال عنه: هو نبي، والثاني: هو ولي، والثالث: إنه من الملائكة، وهذا غريب باطل. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٣٠).

الباب التاسع عشر

في الصوم مطلقا وما جاء في فضله وفضل دعاء الصائم

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ [١]: ((قال الله ﷻ: **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم، والذي نفس محمد بيده لَخَلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**)) .

رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، وفي رواية للبخاري: ((**يتركه طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصوم لي وأنا أجزي به الجنة، والحسنة بعشر أمثالها**)) ، وفي رواية لمسلم: ((**كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى:إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك**))[٢]. وفي رواية أيضًا لابن خزيمة: ((**وإذا لقي الله ﷻ فجزاه فرح**)) الحديث.

رواه مالك وأبو داود والترمذي والنسائي بمعناه مع اختلاف بينهم في الألفاظ.

وفي رواية للترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن ربكم يقول: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، الصوم لي وأنا أجزي به، والصوم جنة من النار، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وإن جهل على أحدكم جاهل فليقل: إني صائم، إني صائم**)) [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٦١)، في الصوم، باب هل يقول: «إني صائم»، ومسلم في صحيحه (١٦٣)، كتاب الصيام ، ٣٠-باب فضل الصيام، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٢٠)، والنسائي في الصيام، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٧٩)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٩١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٠، ٢٧٤).

(٢) قال النووي: في قوله ﷺ: ((قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي وأنا أجزي به)) : اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى، فقيل: سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك، وقيل: لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها. شرح مسلم للنووي (٨/ ٢٤)، ط.دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه الترمذي (٧٦٤)، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصوم، وأخرجه الشجري في أماليه (٢/ ١١٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٠)، والنسائي في الصيام باب (٧٥)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٤١)، والدارمي في السنن (٢/ ٣١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨١).

وفي رواية لابن خزيمة قال: قال رسول الله ﷺ (يعني) [1] قال الله تعالى: ((كل عمل يعمله ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه)) ، وفي رواية أخرى[2]: ((كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله : إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه)) [3] .

الرفث: بفتح الواو والفاء: يطلق ويراد به الجماع. ويطلق ويراد به الفحش، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع.

قال كثير من العلماء: إن المراد في هذا الحديث : الفحش ورديء الكلام.

والجُنة: بضم الجيم هو ما يجنك، أي يسترك ويقيك مما تخاف.

ومعنى الحديث أن الصوم يستر صاحبه ويحفظه من الوقوع في المعاصي.

والخلوف: بفتح الخاء المعجمة، وضم اللام هو: تغير رائحة الفم من الصوم [4] .

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي))، فقال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله ﷻ عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة.

هذا كلامه وهو حسن.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ [5] : ((الأعمال عند الله سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشرة أمثاله، وعمل بسبعمائة

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٤)، كتاب الصيام، ٣٠ ـ باب فضل الصيام، وابن ماجه (١٦٣٨، ٢٨٢٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣).

(٣) قال العلماء: أما فرحته عند لقاء ربه فبما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله عليه بتوفيقه لذلك، وأما عند فطره فسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها. النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٧).

(٤) قال القاضي: قال المازري: هذا مجاز واستعارة لأن استطابة بعض الروائح من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء فتستطيبه وتنفر من شيء فتستقذره والله تعالى متقدس عن ذلك لكن جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله تعالى، قال القاضي: وقيل: يجازيه الله تعالى به في الآخرة ، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك، كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك. النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٥).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٦)، وذكره الحافظ في الفتح (٤/ ١٠٨).

ضعف، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله ﷻ. فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصًا لا يشرك به شيئًا، وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به قد وجبت له النار، ومن عمل سيئة جزي بها، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جوزي مثلها، ومن عمل حسنة جوزي عشرًا، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعف له نفقته، الدرهم بسبعمائة، والدينار بسبعمائة، والصيام لله ﷻ، لا يعلم ثواب عامله إلا الله ﷻ» رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي، وهو وفي صحيح ابن حبان من حديث خريم بن فاتك بنحوه ولم يذكر فيه الصوم.

وعن سهل بن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[1]، رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، وزاد: «ومن دخله لم يظمأ أبدًا»، وابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال: «فإذا دخل أحدهم أغلق، من دخل شرب ومن شرب لم يظمأ».

وعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال، وصيام حسن ثلاثة أيام من كل شهر»[2]، رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعن معاذ بن جبل ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟». قلت: بلى يا رسول الله. قال: «الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»[3]. رواه الترمذي في حديث وصححه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه» قال: «فيشفعان».

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٢)، كتاب الصوم، ٤-باب الريان للصائمين، ومسلم (١٦٦)، كتاب الصيام، ٣٠-باب فضل الصيام، والنسائي في الصيام (١٤٢)، والترمذي (٧٦٥)، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصوم، وابن ماجه (١٦٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٥)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٠)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٩١).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ١٦٧)، المجتبى، في الصيام، وابن ماجه (١٦٣٩، ٤٢١٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٢، ٢١٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٣١-موارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه (٣٩٧٣)، في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٥١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٢٨)، والقرطبي في تفسيره (١٤/ ١٠٠).

رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجالهن محتج بهم في الصحيح [(١)] . ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الجوع» وغيره بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه. فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبراً. قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه لله في يوم صائف، سقاه الله يوم العطش. رواه البزار بإسناد حسن.

وعن ابن أبي الدنيا عن أبي بردة عن أبي موسى بنحوه إلا أنه قال فيه: إن الله عز وجل قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله تعالى في يوم حار، كان حقًا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة. فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان أن ينسلخ فيه حراً فيصومه.

الشراع: بكسر الشين المعجمة: هو قلع السفينة الذي تصفقه الريح فتمشي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [(٢)] : «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر» [(٣)] ، رواه ابن ماجه.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال: «من قال: لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها، دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم الله له بها دخل الجنة»[(٤)]. رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والأصبهاني ولفظه[(٥)]: «يا حذيفة من ختم له بصيام يوم يريد به وجه الله ﷻ أدخله الله الجنة». وفي رواية للنسائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، مرني بأمر ينفعني الله به؟ قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» [(٦)] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٤، ٣٥٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٦١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٤٢)، وفي المشكاة (٢٩٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٧٤٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٣٨)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٩٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٨٢).

(٣) تقدم تخريجه في أوله.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٢٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٨٧١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٣١٤).

(٥) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٢٦).

(٦) أخرجه النسائي (٤/ ١٦٥-المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٩٢٩، ٩٣٠-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ١٠٤).

ورواه ابن حبان في صحيحه قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل أدخل به الجنة؟ قال: ((عليك بالصوم فإنه لا مثيل له)) ، فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل به الضيف.

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((ما من عبد يصوم في سبيل الله إلا باعد الله بذكر ذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفًا))(١)، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض))(٢). رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد حسن.

وعن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((من صام في سبيل الله في غير رمضان بَعُدَ من النار مائة عام سير الجواد المضمر))(٣)، رواه أبو يعلى.

وعن عبدالله، يعني ابن أبي مليكة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد))(٤).

قال : وسمعت عبدالله يقول عند فطره: ((اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي))، زاد في رواية: ((ذنوبي)). رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((ثلاثة لا ترد دعوهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح له أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين))(٥)، رواه أحمد في حديث، الترمذي وحسنه. ورواه البزار مختصراً: ((ثلاث حقًا على الله أن لا يرد لهم دعوة: الصائم حين يفطر، والمظلوم حتى ينتصر، والمسافر حتى يرجع))(٦)، انتهى، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٢)، ومسلم (١٦٧)، كتاب الصيام، ٣١-باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق، والنسائي (٤/ ١٧٣-المجتبى)، والدارمي في السنن (٢/ ٢٠٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٦، ٢٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٢، ٦٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٢٤)، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم، والطبراني في الصغير (١/ ١٦١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٨١)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٨٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٦٣).

(٣) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٩٢٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣)، في الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٣١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨١).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥٢٦)، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، وابن ماجه (١٧٥٢)، كتاب الصيام، ٤٨-باب في الصائم لا ترد دعوته، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٨٤، ٢٤٠٧-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩، ١٨٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٨٨، ٤٨٨).

(٦) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥١).

الباب العشرون

في فضل شهر الله الحرام «رجب» والبكاء من خشية الله تعالى

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (1) [التوبة: ٣٦].

فأخبر الله أنه منذ خلق السموات والأرض وخلق الليل والنهار يدوران في الفلك، وخلق ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم، وجعل الشمس والقمر يسبحان في الفلك فينشأ منهما ظلمة الليل وبياض النهار ، فمن حينئذ جعل السنة اثني عشر شهرًا بحساب الهلال، فالسنة مقدرة بسير القمر وطلوعه ، لا بسير الشمس وانقلابها كما يفعله أهل الكتاب، وجعل الله في هذه الأشهر الأربعة أشهر حرمًا.

وخرج الشيخان من حديث أبي بكرة ﷺ: أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال في خطبته (2) : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنى عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» ، وذكر الحديث.

مضر : قبيلة من قبائل العرب، وقد فسرها النبي ﷺ في هذا الحديث وذكر أنه متواليات وواحد فرد، هو شهر رجب(3) . وهذا يستدل به من يقول: إنها من سنتين، وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعًا: «أولهن رجب» ، وفي إسناده عن موسى بن عبيدة، وفي ذلك خلاف كثير.

واختلف في أي الأشهر الحرم أفضل؟ فقال بعضهم: رجب أفضل، وقال بعضهم:

---

(١) وهذا مما كانت العرب أيضًا في الجاهلية تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم يقال لهم : البسل، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقًا وتشديدًا. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي هذا هو الشرع المستقيم من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم والحذو بها على ما سبق من كتاب الله الأول. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٣)، (٧/ ١٢٩)، ومسلم في صحيحه (٢٩-١٦٧٩)، كتاب القسامة، ٩-باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، وأبو داود (١٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٧، ٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٦).

(٣) قال النووي: أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي هذه المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدها فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب: يقال: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، ليكون الأربعة من سنة واحدة، وقال علماء المدينة والبصرة وجماهير العلماء: هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة. شرح مسلم للنووي (١١/ ١٣٩).

المحرم أفضل، ورجحه الإمام النووي. وقال بعضهم: ذو الحجة أفضل.

وقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنى عشر شهرًا»، مراده بذلك أن يبطل ما كانت الجاهلية تفعله من النسيء، فذكر توطئة لهدم النسيء وإبطاله.

واختلفوا لم سميت هذه الأشهر الأربعة حرمًا؟ فقيل: لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم.

وقال كعب: اختار الله الزمان، فأحبه إليه الأشهر الحرم [1].

وقيل: حرم ذي الحجة لوقوع الحج فيه، وحرم معه ذي القعدة للسير فيه إلى الحج، وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج، حتى يأمن الحاج على نفسه من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع، وحرم رجب للاعتمار فيه في وسط السنة، فيعتمر من كان قريبًا من مكة.

فقوله ﷺ: «رجب مضر» لأن مضر كانت تزيد في تعظيمه واحترامه فنسب إليهم.

وأما الصيام فلا يصح في فضل صوم رجب بخصوصيته شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، ولكن روى أبو قلابة أنه قال: في الجنة قصر لصوام رجب.

قال البيهقي: أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ.

قال زائدة عن زياد النميري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان» [2].

وقال أبو إسماعيل الأنصاري: لم يصح في فضل رجب غير هذا الحديث. وقال ابن رجب: شهر رجب مفتاح لشهر الخير والبركة.

وقال بعضهم: السنة مثل الشجرة، وشهر رجب أيام تورقها، وشعبان أيام

---

(١) في قوله ﷺ: «ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»: إنما قيده هذا التقييد مبالغة في إيضاحه وإزالة اللبس عنه، قالوا: وقد كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجبا هذا الشهر المعروف الآن، وهو الذي بين جمادى وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه النبي ﷺ إلى مضر، وقيل: لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم. النووي في شرح مسلم (١١/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٥٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٣)، والذهبي في الميزان (٢٨٢٤).

تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قُطّافها، فجدير لمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة في شهر رجب. شعر:

بيض صحيفتك السوداء في رجب ... بصالح العمل المنجي من اللهب
شهر حرام أتى من أشهر حـــرم ... إذا دعى الله داع فيه لم يخـــب
طوبى لعبد زكى فيه من عمـــل ... فكف فيه عن الفحشاء والريـب

فسمي رجب رجبًا لأنه كان يرجب أي يعظم.

قال بعضهم: لشهر رجب أربعة عشر اسمًا: شهر الله، ورجب، ومضر، ومفصل الأسنة، والأصم، والأصب، ومنقش، ومطهر، ومعلى، ومقيم، وهرم، ومقشقش، ومبري، وفرد.

وكانت الجاهلية [١] تفعل في رجب أشياء كثيرة فأبطلها الإسلام، وما ذكر أنه ورد فيه من صلاة وزكاة وصيام واعتمار ففي ذلك أقوال كثيرة.

أما الصلاة: فلا يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة، والأحاديث المروية في صلاة الرغائب في أول جمعة من شهر رجب كذب باطل، وهذه الصلاة باطلة عند جمهور العلماء.

وأما الصيام: فلا يصح أيضًا بخصوصه شيء، لكن المشهور هو من الأشهر الحرم.

وقد ورد بصيام الأشهر الحرم كلها، لما روى أبو داود: أن النبي ﷺ قال: «صم من الحرم واترك» [٢].

وأما الزكاة: فقد اعتاد بعض الناس إخراج الزكاة فيه، وليس في ذلك أصل في السنة، ولكن إنما تجب الزكاة إذا تم الحول، يحل النصاب فكل أحد له مال إذا تم الحول وجب عليه إخراج الزكاة في أي شهر كان، وكذا إذا عجل زكاته قبل الحول أجزأه.

وأما الاعتمار في رجب: فقال الشيخ ابن رجب الحنبلي: روى ابن عمر: أن النبي ﷺ اعتمر في رجب، فأنكرت ذلك عائشة عليه [٣]، وهو يسمع فيسكت.

---

(١) قال النووي: كانوا في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر. شرح مسلم للنووي (١١/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٢٨)، كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٥).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢١٩-١٢٥٥)، كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن، وفيه قول ابن عمر: إن النبي ﷺ اعتمر في رجب، فقلت لعائشة: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبدالرحمن. قالت: وما يقول؟ قلت: يقول: اعتمر النبي ﷺ في رجب، فقالت: يغفر الله لأبي عبدالرحمن ، لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وأنا لمعه، قال: وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا: نعم، سكت.

واستحب الاعتمار في رجب عن عمر بن الخطاب.

(وكانت عائشة وابن عمر رضي الله عنهما)(١).

وأما قولهم: أن النبي ﷺ ولد في رجب، فلم يصح شيء في ذلك، ولكن حملت به أمه في شهر رجب، وولد في شهر ربيع الأول على الصحيح.

وأما الإسراء بالنبي ﷺ في سابع وعشرين من رجب، أنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره. وروي عن قيس بن عباد(٢) قال: في اليوم العاشر من رجب يمحو الله ما يشاء ويثبت، وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فيه على الظالم، وكان يستجاب لهم، وفي ذلك أخبار مشهورة ذكرها ابن أبي الدنيا في كتاب مجابو الدعوة.

بكين ثم لا بكين، فإن أدركت بالبكاء خيرًا فمن فضل الله، وإن تكن الأخرى فما بكائي في جنب وما الغناء.

وعوتب بعضهم في بكائه فقال: إن حزن يوم القيامة أورثني دموعًا غزارًا، فأنا أستريح بذرفها.

وكان محمد بن المنكدر (٣) كثير البكاء، فسئل عن ذلك فقال: آية في كتاب الله أبكتني، قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال في «سبل الخيرات»: الأعمال كلها توزن وتوضع في الميزان إلا الدمعة ، تخرج من عين العبد من خشية الله، فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنه ليطفأ بالدمعة الواحدة البحور من النار.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: من استطاع أن يبك فليبك، ومن لم يستطع أن يبكي فليتباكى.

وحكي: أنه يؤتى برجل يوم القيامة فيحاسبه الله تعالى فلم يوجد له حسنة ، فيؤمر

---

(١) كذا بالأصل وأظنها: ((وكانت عائشة تنكره على ابن عمر)).

(٢) قيس بن عباد، أبو عبدالله القيسي الضبعي البصري، ثقة، أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه مخضرم، ووهم من عده في الصحابة، توفي بعد سنة (٨٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٤٠٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١٢٩)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٤٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٥٧٧)، تراجم الأحبار (٣/ ٢٧٦)، تاريخ الثقات (٣٩٤).

(٣) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث، أبو عبدالله أبو بكر التيمي، المدني، القرشي، ثقة، فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٣٠) أو بعدها، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٢١٠)، الكاشف (٣/ ١٠٠)، التاريخ الكبير (١/ ٢١٩)، التاريخ الصغير (٢/ ٣٢)، المعين (٤٢٨)، الثقات (٥/ ٣٥٠)، الحلية (٣/ ١٤٦)، الوافي بالوفيات (٥/ ٧٨)، سير الأعلام (٥/ ٣٥٣)، الجرح والتعديل (٨/ ٩٧).

به إلى النار، فتمضي به الملائكة إلى النار. فلمّا يشرف على النار تنادي شعرة في جفن عينه: يا رب ردني إليك ، فيقول الله تعالى: ردوا عبدي عليّ ، فترده الملائكة، ويقف بين يدي الله تعالى، فتقول الشعرة: يا رب إنك قلت على لسان نبيك محمدًا ﷺ: ((ما من عين بكت من خشيتي فقطرت منها قطرة إلا حرمت مكان تلك القطرة على النار)) ، وهذا الرجل حضر يومًا من الأيام مجلس الوعظ، فذكر الواعظ قدرتك وعظمتك وجلالك وهيبتك فبكى من خشيتك، فقطرت من عينه دمعة عليّ، فإن رحمته والجيته من النار وإلا فاقلعني من جفنه وامض به حيث حكمت عليه. فأوحى الله تعالى إليها: صدقتي وصدق حبيبي محمد ﷺ: أني قلت وأنا أصدق القائلين: ((ما من عين بكت من خشيتي إلا حرمت مكان تلك الدمعة على النار)) ، امضوا بعبدي إلى الجنة برحمتي، وأنا أرحم الراحمين[1].

وفي المعنى شعر:

يا عبد أقبل منيبًا واغتنم رجبـــا ... وإن عفوي عن من تاب قد وجبا
جنات عدن لها الأبواب قد فتحت ... للتائبين فكل نحوها طلــــبا
خطوا الركاب في أبواب رحمتــنا ... بحسن ظن فكل نال ما طلــبا
وقد نشــر عليهم من تعطفـــنا ... نثار حسن قبول فاز من نهــبا

يقول الله تعالى في كتابه المنزل

يا عبدي أغلق أبواب المعاصـــي ... أفتح لك أبواب اختصاصـــي
يا عبدي أغلق أبواب الذنـــوب ... أفتح لك أبوابًا من علم الغيوب
يا عبدي أغلق أبواب المخالفـــة ... أفتح لك أبـــواب المكاشـــفة
يا عبدي اعتزل عن الدور والقصور ... أزوجك غـدًا مـن الحـــور

وفي المعنى:

ذكرك لـي صـيرني ذاكـــرًا ... يا سيدي ألست ناســـيه
يدي بـذل الفقــر ممــدودة ... إلى الذي جلت أيــاديــه
يا ذي الــذي لـــه خلقـــه ... وليس من شـــيء يدانـــيه
عبيدك الواعظ يـــا سـيدي ... عطاؤك الواســـع يغنـــيه
عبد ذليـــل مذنـــب آبـــق ... عاد إلى عطف موالـــــيه

---

(١) روى الترمذي في سننه (١٦٣٩)، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)).

يا معشر الحضـــار قومـــوا بنا | إلى مطيع كي نهنــــــيه
ثم اعدلـــوا وسـيروا بـــنا | قصداً إلى العاصي نعزيـــه
وننذب العمر الذي قد مضـــى | عـنا نبكـيه ونبكمـــيه
يا عاصي أقبل عليك شهر حرام | فاستقبله بالتوبة من الحــرام
دخل عليك شـهر حــــرام | وأنت مصــرّ على الآثـــام
أقبل عليك شـهر مبـــارك | فتدارك فـيه مـــا تـدارك
مضى جمـــادى وجـمــادى | وأنت في المعاصـي تتمـــادى
قف بين يديه في ليالي رجـــب | وا بك على تفريطك فيما عليك وجب
عســى يهبـك فيمن وهـــب | يا شـراب الخمور في رجـــب
الويل لشـــارب الخمـــر | إذا سحب غداً على الجمـــر
الويل لشاربي الخمـــور | إذا حجبوا غداً عن الغفـــور
هذا شهر قبول المعـــذرة | هذا شـهر العفـو والمغفـــرة
هـــذا شـــهر الله | فاقبلـوا فـيه علـى الله
هـــذا شـــهر الله الأصـــم | فخذوا منه بالحظ الأعـــم
من ارتكب في رجـب الزنـــا | حرم الله عليه النوال والمـــنا
من أكل فـــيه الربـــا | كانت صـلاتــه هـــبا
من عق في هذا الشهر والديـــه | لـم ينظـــر الله إلـــيه

حكي: أنه كان في الجاهلية رجل صالح وله جار عاص، وكان ينهاه عن المعاصي فلا ينتهي ، ويخوفه فلا يخاف، فلما دخل رجب قال له: اتق الله في هذا الشهر الشريف ، فإنه شهر يقال له : رجب، أدعو عليك دعوة لا ترد.

فقام إليه وأخذ برجله وجره وقال: قل لرجبك يعمل عمله، قال: فرفع يديه وقال: اللهم بحرمة شهر رجب سلط عليه كلبًا من كلابك[1].

فخرج ذلك الرجل، فعارضه سبع فافترسه في طريقه من مكانه.

فرجب كانت العرب تعظمه، والملائكة تعظمه، والأنبياء تعظمه، والعظيم الجبار عظمه وكرمه وحرمه.

وقيل: رجب ثلاثة أحرف (ر ـ ج ـ ب). فالراء: الرحمة تنزل على من صام فيه.

---

(١) في دعاء النبي ﷺ على ابن أبي لهب: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» ، أخرجه القاضي عياض في الشفا (١/ ٦٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ٨٢)، وذكره ابن حجر في الفتح (٤/ ٣٩)، ودلائل النبوة لأبي نعيم (١٦٣).

والجيم: جواز الصراط. والباء: براءة من النار.

وقال وهب رحمه الله: قرأت في بعض الكتب المنزلة: إنه من استغفر الله تعالى وسأله التوبة سبعين مرة بالغداة والعشي ثم يرفع يديه يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي لم (......) [١] .

وقيل: إن سيحون وجيحون والنيل والفرات في الجنة[٢]، وإنهم في كل سنة في شهر رجب يأتون زمزم يسلمون عليها تعظيمًا لحرمة رجب وتشريفًا له.

ومن شرف هذا الشهر أن خزنة الكعبة يفتحون البيت من أول رجب إلى آخره لا يغلقونه ، يقولون: الشهر شهر الله، والبيت بيت الله، والعباد عباد الله، والرحمة رحمة الله، وفي المعنى شعر:

يا رب إني ضعيف	فامنن عليّ ولا تمنعني
أنا المقر بذنبي	وبالجفاء والتجني
عقدي فظني جميل	فلا تخيب فيك ظني
فاغفر ذنوبي جميعًا	وكل ما كان مني
واسمح وجد وتجاوز	وعافني واعف عني
يا هذا الكعبة بيت الله	والناقة ناقة الله
والمساجد مساجد الله	والعبد عبد الله

والشهر شهر الله

فالقاصد الأذى للكعبة يستوجب العذاب الأليم، والساعي خراب المساجد لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

وعاقر الناقة يستوجب السخط من الملك الكريم، والمستهزئ بعبده ونبيه محمد ﷺ يستوجب الوبال والجحيم [٣]، والمرتكب المعاصي في رجب ظالم آثم.

يا هذا، الكعبة الدعاوي فيها كثيرة[٤]، ادعى إبراهيم أن الكعبة له، وادعى إسماعيل أنها له، وادعى جبريل أنها له، وادعى أهل مكة أنها لهم؛ فأزال الله تلك

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) ذكر السيوطي في جمع الجوامع (٥٩٩٥)، حديث: ((إن النيل يخرج من الجنة)) .

(٣) روى مسلم في صحيحه (٣-٢٢٧٨)، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)) .

(٤) أظنه يقصد دعاوى البناء، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

الدعاوى والإشكال للناظرين والسامعين والشاهدين والغائبين[١]؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

والمسجد الشريف: ادعى عثمان أنه له؛ لأن الأرض كانت له، وادعت عائشة كذلك لأن النفقة كانت من جهتها، وادعى رسول الله ﷺ كذلك؛ لأنه بناه، فأزال الله تلك الدعاوى عنه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وشهر رجب ادعته القبائل، كل قبيلة تدعي إضافته إليها، فأضافه الله إليه، فقال ﷺ: ((**رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي**))[٢].

● **فائدة:**

من قال في رجب وشعبان ورمضان كل يوم بين العصر والمغرب: ((أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب وستار العيوب وأتوب إليه توبة عبد ظالم، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً))، أوحى الله تعالى إلى الملكين الموكلين به: احرقا صحيفة ذنوب خطاياه.

● **فائدة أخرى:**

ما من أحد يقرأ في كل يوم من أيام رجب سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، مرة واحدة[٣]، لو حمل عشرة آلاف جمل قراطيس، واجتمع الملائكة الذين هم سكان السموات بأيديهم أقلام من ذهب يسودوا تلك القراطيس لما قدروا على ثواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، شعر في المعنى:

سبحان من خلق الأشياء وقدرها ... ومن يجود على العاصي ويستره
ويخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمر العبد إحسانًا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله ... إذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به في دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزاً وينصره
فلا يضيع مثقالاً لمجتهد ... بل في المال يربيه ويدخره

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥١٠، ٩٨٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٢٢)، وفي تنزيه الشريعة (١/ ١٦٤، ٢٥١)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٢٤، ٢٠٥).

(٣) في فضائل سورة الإخلاص روى الترمذي في سننه (٢٨٩٩)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن)) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومن يكـن قلبه من ذنبه دنسـاً ... فبالدموع والتقوى يطهـره
فليس للعبد تصريف وإن له مولى ... فيغنيه وإن شـاء يفقـره
فلا الحذر ينجي العبد من قـدر ... يريده الله أو أمـر يدبـره
ونسأل الله حقًا خـير خاتـمة ... عند الممات وصفواً لا يكدره
يا أخواني يا أحبابي تعالـوا بنا ... نبكي على ما ضاع من عمر
ومـا أسلفناه مـن ذنوبـنا ... وعلى ما نلقاه من خشية ربنا

وقال في كتاب سبل الخيرات: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن يكى من خشية الله يخرج من عينيه دمعة، وإن كانت مثل رأس الذباب إلا حرمه الله على النار».

وفي المعنى شعر:

يا كثير البكاء أظنك مثلـي ... أنا قد صرت بالذنوب ذليـلا
يا مخلا ومطلقًا نح قلـيلاً ... فإلى النوح قد وجدت سـبيلا
أنادي فـلا أراك مجيـبًا ... لو سمعت النداء أطلت العويلا
إخوتي كيف لا يطول بكائي ... وبجهلي عصيت ربـاً جليلا
قم فنادي أن الخـلائق ناموا ... يا مقيل العثرات كن لي مقـيلا

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما سالت من عين قطرة يوم الجمعة إلا أوحى الله إلى صاحب السماء: اطو صحيفة عبدي، فلا تكتب له خطيئة إلى مثلها من الجمعة الأخرى[1].

وقال أيضًا: ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق الوجه صاحبها (قبرز لا داه)[2] يوم القيامة، فإن سالت دموعه فأطفئ بأول دمعة منها بحار نيران.

ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة.

قال وهب[3] رحمه الله: فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعًا على قبر يبكي، فقال: يا بني ما هذا؟ قال: أخبرني أن جبريل أخبرك أن بين

---

(١) في فضل الجمعة روى مسلم في صحيحه (١٣-٨٥٢)، كتاب الجمعة، ٤-باب في الساعة التي في يوم الجمعة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه».

(٢) كذا بالأصل.

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كنار، أبو عبدالله اليماني الصنعاني، الذماري، الأبناوي، ثقة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير، توفي سنة (١١٤). انظر ترجمته في التهذيب (١١/ ١٦٦)، التقريب (٢/ ٣٣٩).

الجنة والنار مفازة، لا يطفئ حرها إلا الدموع. فقال: ابك يا بني.

وروي أن عائشة رضي الله عنها ذكرت النار فبكت، فقال لها رسول الله ﷺ : ((ما يبكيك؟)) قالت: ذكرت النار فبكيت، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان، حتى يعلم أخف ميزانه أم ثقل؟، وعند الكتب حتى يقول : هاؤم اقرأوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه أم في شماله، أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع (بين ظهر جهنم)[1])).

وحكي: أن بعض الزهاد رحمه الله اشترى جارية ونقلها إلى داره، فوافق ليلة من رجب، فقال الزاهد لأهله: دخل شهر رجب، شهر الله الأصم، فانووا كلكم الصوم والعبادة، فسمعت الجارية ذلك وكانت عارفة ، فقالت: يا مولاي، بعني غداً، قال: وما السبب؟ قالت: لا أقدر أن أصحبك. قال: لم؟ قالت: أنا لا أصحب من يصحب ربي بحرمة الوقت، فإن ربي يستحق التعظيم في كل وقت، فرب ربيع كما هو رب رجب، ورب جمادى كما هو رب شوال، فلم لا تعظمه في جميع عمرك يا مولاي، الدنيا ساعة فاجتهد أن لا يفوتك فيها طاعة.

وقد جاء في أحاديث في فضائل الأعمال عن النبي ﷺ أنه قال: ((حدثني جبريل عليه السلام أنه إذا كان أول ليلة من رجب وصلى عند إفطاره ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي و: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين مرة مرة كتب الله له بكل ركعة عبادة سبعين سنة، وغفر ما أسلف من ذنوبه مع الثواب العظيم)) .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال[2]: ((من صام من رجب يومًا واحدًا فقد استوجب رضوان الله الأكبر، ومن صام يومين لم تصف الواصفون من أهل السموات والأرض ما له من الكرامات عند الله، ومن صام ثلاثة أيام بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن صام أربعة أيام عوفي من الجنون والجذام والبرص، ومن صام خمسة أيام كان حقًا على الله أن يرضيه يوم القيامة، ومن صام ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضوأ من البدر في كماله، ومن صام سبعة أيام خرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله محمد

---

(١) بالأصل: بين ظهره. والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٥٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٤٧٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣٨٨)، والآجري في الشريعة (٣٨٤).

(٢) انظر تبيين العجب لابن حجر (٣٤، ٤٠).

رسول الله، وتغلق عنه أبواب النيران، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنان الثمانية، يدخل من أي باب شاء، ومن صام تسعة أيام خرج من قبره وهو يقول: لا إله إلا أنت. فلا يصرف وجهه شيء دون الجنة، ومن صام عشرة أيام فبخٍ بخٍ، فهو ممن يبدل الله سيئاته حسنات» .

وقال رسول الله ﷺ : «إذا كان أول ليلة من رجب اطلع الله على أمتي فيغفر للمذنبين ويكرم التائبين، ويقرب الذاكرين، ويوصل المجتهدين، فمن قام تلك الليلة أصبح مغفورًا له، ومن صام ذلك اليوم أمسى مغفورًا له، ومن صام الشهر كله ناداه الله تعالى: يا عبدي وجب حقك عليّ فاسألني، فوعزتي وجلالي لا رددت لك حاجة، أنت جاري تحت عرشي، وأنت حبيبي من خلقي، وأنت الكريم عليَّ ، فأبشر ؛ فلا حجاب بيني وبينك.

إلهي لك بهاء الجلال في انفراد وحدانيتك، ولك سلطان العز في دوام ربوبيتك، بعدت عن قربك أوهام المتأخرين عن بلوغ صفاتك، وتحيرت ألباب العارفين جلال عظمتك.

إلهي من أطمعنا في عفوك وكرمك وألهمنا شكر نعمتك وأنبنا إلى بابك وغبنا فيما أعددته لأحبابك، هل ذلك كله إلا منك، دللتنا عليك وجئتنا بنا إليك، كم سألناك، فأعطيتنا فوق ما سألناك.

إلهي إن كانت رحمتك للمحسنين فإلى أين تذهب آمال المذنبين، اللهم حللنا بسترك، واعف عنا بكرمك، وعاملنا بلطفك.

اللهم يا من ستر الزلات وغفر السيئات وأبدلها حسنات أجرنا من مكرك (ودتيا)[1] بذكرك، واستعملنا بأمرك، واغفر لنا ولأهل مجلسنا ولوالدينا ولوالديهم ولجميع المسلمين» انتهى والله أعلم.



(١) كذا بالأصل.

الباب الحادي والعشرون

في نصف رجب الثاني

فيا عباد الله، هذا نصف شهر رجب قد ذهب وارتحل وولى عنكم وانتقل، فمن منكم أحسن فيه العمل، وبلغ من مجاهدة نفسه الأمل.

فيا من يسعى إلى المعاصي ويبادر ويجمع الدنيا جمع مكاثر، ومفاخر، ويضع للبطالة ويرضى باسم خاسر، أين إخوانك وأحبابك.

أما رحلوا إلى المقابر، أين أقرانك هل ترى لهم من عامر، أين زادك، فما أنت مسافر، أما استحيت وأنت تعصي القادر، أما تخجل أيها العاصي من الساتر، ألك قوة على النكال، أم أنت على العذاب صابر.

وعن بعض السلف: إذا أصبح وضع بين يديه لوحًا مما عمل من سيئة أو حسنة كتبها، فإذا أمسى حسب ما كتب، فإن زادت حسناته على سيئاته أحيا تلك الليلة شكراً لله على إحسانه، وإن زادت سيئاته على حسناته أحيا تلك الليلة بكاء وحزنًا على خسرانه وزلاته.

وأنت تسحب ذيل الزلل، ولا تحسب ولا على ولاء تمل، والملك يكتب، فيا هذا لو عمل كل يوم سيئة واحدة لانطوت السنة على ثلثمائة وستين سيئة، هي عندك منسية، وعند الله محصية.

فيا من ضيع عمره في غفلة (وسند وعمره)[1] ما سار سيره حسنة كيف تصنع في معاصي عشرين سنة. شعر في المعنى:

وترى الناس عند ذاك حيارى ... وسكارى من هول ما قد تبدا
أنكـــر المداومـــة وإيـــاه ... وتولى عنه الحبيب المفـــدا
يسحب المجرون في حـــر نـار ... وجحيمًا تزاد حراً ووقـــدا
كلما مـــزق العذاب جلـودًا ... جدد السخط بالعطية جلـدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، ورضيتم به فأجرتم، وإن**

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، كتاب الزهد، ما جاء في ذكر الموت، والنسائي (٤/ ٤-المجتبى)، في الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، وابن ماجه (٤٢٥٨)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٥٩، ٢٥٦٢-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٦)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥٦٤).

ذكرتموه في شئ نقصه إليكم فحدثتم به فأنتم)) .

وعن محمد بن السماك الواعظ: بلغني أن بـ((عبادان)) عابد قد ترك الدنيا خلف ظهره، وأقبل على الآخرة بقلبه، قال: فسرت إلى زيارته من الكوفة حتى أتيت عبادان، فسألت عن منزل الرجل فدلوني عليه فأتيت إليه وطرقت الباب فخرجت إليّ جارية خماسية العمر عليها عباءة تواري جسدها، فسلمت عليها فردت عليّ السلام. فقلت لها: يا جارية هذا منزل العابد فلان؟ فقالت: نعم، فقلت لها : استأذني لي عليه، ثم ناولتها درهمًا، فقالت: يا عم ما رأيت أعجب منك، نحن قوم لا نأخذ الرشوة على الدخول علينا، ادخل على اسم الله، وخذ درهمك فليس لنا به حاجة، فتعجبت منها ثم دخلت ودخلت خلفها إلى موضع مؤزر بحصير.

فاستأذنت فأذن لها، فقالت: معي إنسان يقصد زيارتك، فقال: ائذني له، فدخلت فرأيت رجل قد ذبل من غير ألم، ونحل من غير سقم، وهو جالس على شفير قبر يقرأ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، فسلمت عليه بعد فراغه، فرد عليّ السلام، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال: من أين أقبلت؟ قلت: من الكوفة، فقال: أنت من بلد محمد بن السماك الواعظ؟ قلت: نعم، هو أنا محمد بن السماك[1].

ففرح بي فرحًا شديدًا وصافحني وقال لي: يا ابن سماك: اعلم أن الواعظ منزلته بمنزلة الأطباء، فمنهم من يكون شفيقًا رفيقًا، ومنهم من يكون فظًا غليظًا ، وبي ألم وداء قد أعيا المعالجين قبلك، فتأنى عليّ برفقك، وداو ألمي بلطفك، واعرض عليّ بعض ما تلائمه من أدويتك، ولفظك، فإني مشتاق إلى ذلك. قال: فقلت له: يا سيدي كيف يداوي مثلي مثلك وقد أتيت إلى زيارتك أبتغي فضل دعائك وبركتك. فقال: يا ابن السماك[2]، هات من ألفاظك وطيب كلامك، فإني مشتاق إلى ذلك، فقلت له : يا أخي، كيف بنا إذا صرنا في ظلم القبور وضيق اللحود ومسألة منكر ونكير، فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيًا عليه. فنادتني زوجته من وراء الحصير: ناشدتك الله لا تزده في الموعظة فقد قتلته ويكفيك ما هو فيه، قال: فسكت عنه، فلما أفاق قال: يا ابن السماك، لقد ضيق مرهمك جرحي، ووقع دواءك على قرح دائي، فاذكر ما بعد ذلك. فقلت له: إن أهلك منعوني أن لا

---

(١) محمد بن السماك، أبو العباس العطار البصري المذكّر الكوفي، ويقال: محمد بن صبيح السماك المذكر الكوفي، روى عن يزيد ابن أبي زياد، وعنه : أحمد وغيره، قال محمد بن عبدالله بن نمير: حديثه ليس بشيء، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي (١٨٣)، انظر ترجمته في الثقات (٧/ ٣٩٥)، الجمع (٤/ ٨٠)، تعجيل المنفعة (٩٣٩).

(٢) دخل ابن سماك على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله مقامًا، وإن لك من مقامك منصرفًا، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار؟ فبكى الرشيد حتى كاد أن يموت. تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠).

أزيدك شيئًا، فبكى وقال: أما علمت أن ما على الإنسان أشد من أهله وولده، فما يكون بعد ذلك يا ابن السماك، فقلت له: الطامة الكبرى. قال: وما هي؟ قلت: النفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وهم يحملون الأوزار على الظهور، والوقوف بين يدي ملك لا يجور، فيحاسب على الفتيل والنقير[1] والقطمير[2]، والملائكة ينتظرون حين يقول الجليل: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾. قال: فلما سمع ذلك ظن أنه المأخوذ، فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيًا عليه، فوقع في القبر، فخرجت زوجته وهي تبكي وتقول: حكم الله بيني وبينك يا ابن السماك، كما قتلته، وأيتمت ولدي، وخرجت ابنته وهي صارخة تبكي. فنزلت إليه ورفعت رأسه، وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتقول: يا أبت ما أحسن لسانك، طالما كان رطبًا بذكر الله، ففتح عينيه وأفاق من غشوته وقال: يا ابن السماك، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهق شهقة، فمات، فلحقني عليه وجدٌ، فما برحت حتى غسلوه وكفنوه، وكنت من جملة من صلى عليه، وأنشد في المعنى شعر:

إلى كم ذا التغافل والتمادي ... وحادي الموت بالأرواح حادي
فلو كنا جماد لاتعظنا ... ولكنا أشد من الجمادي
تنادينا المنية كل وقت ... وما نصغي إلى قول المنادي
وأنفاس النفوس إلى انتقاص ... ولكن إلى ازدياد
إذا ما الزرع قارفه اصفرار ... فليس له دواء غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى ... وبالأخرى مناديها ينادي
وقالوا قد فقد فاقرأوا عليه ... سلامكمو إلى يوم التناد

قيل: إن إبراهيم بن أدهم[3] أتت عليه ليلة باردة ممطرة فأتى إلى بعض المساجد ليبات فيها، فلما صلى العشاء وخرج الناس من المسجد وتخلف بعدهم، فقال له قيم المسجد: اخرج من المسجد.

قال: فقلت له: أنا رجل غريب وعابر سبيل، فاتركني أبيت الليلة هاهنا إلى باكر،

---

(١) النقير: نقرة صغيرة في ظهر النواة، يقال: لا يساوي شروى نقير، أي لا يساوي شيئًا.

(٢) القطمير: القشرة الرقيقة على النواة، كاللفافة لها، والشيء الهين الحقير، يقال: ما أصبت منه قطميرًا.

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحاق الزاهد، العجلي، لاالتيمي، البلخي، الخراساني، صدوق، أخرج له البخاري في الأدب، والترمذي، توفي سنة (١٦٢)، وقيل: (١٦١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ١٠٢)، تقريب التهذيب (١/ ٣١)، الكاشف (١/ ٧٥)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٧٣)، الوافي بالوفيات (٥/ ٣١٨)، سير الأعلام (٧/ ٣٨٧)، المجروحين (١/ ٦٤، ١١٣)، الثقات (٦/ ٢٤).

وأروح إلى حال سبيلي.

فقال: لا سبيل إلى ذلك فاخرج واطلب لك مكانًا غير هذا تبيت فيه.

فقلت له: يا أخي ترى هذا المطر، وهذا البرد الشديد وأنا غريب ويكفيك ما تراه من سوء حالي.

قال إبراهيم: فلما أطلت معه الكلام مسك برجلي وجرني جرًا عنيفًا إلى مزبلة خارج المسجد، وقد غضب شديدًا، فرماني عليها وتركني ومضى.

فقمت وقد تهشمت مما جر برجلي، وبقيت متحيرًا لا أدري إلى أين أتوجه. فرأيت بالقرب مني مستوقد حمام، ووقاد يوقد فيه فأتيته وسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام في وقته.

فقال لي: يا هذا اعلم أني رجل أجير لإنسان في هذا المكان فخفت أن أشتغل معك بالسلام فأقصر في عملي، فأَتَمُ على تقصيري.

فقلت له: إني رأيتك تنظر يمينًا وشمالاً، أتخاف من أحد؟ ، قال: نعم، قلت: مما تخاف؟ قال: من الموت، لا أدري من أين يأتيني؟

قلت: فبكم تعمل في كل يوم؟ قال: بدرهم ودانق، فأنفق الدانق عليّ، وأنفق الدرهم على أولاد أخ لي مات.

قلت: أخيك من أمك وأبيك؟

قال: لا أنا أخوه في الله، فمات وخلف صبية صغارًا، فأنفق عليهم منذ عشرين سنة.

قلت: فهل سألت الله حاجة قط؟

قال: نعم، سألته أن يريني إبراهيم بن أدهم وأموت.

فقلت له: والله يا أخي ما رضي أن يأتيك إلا مسحوبًا على وجهه، أنا إبراهيم بن أدهم.

قال: أنت ابن أدهم؟

قلت: نعم، فوثب وعانقني، ثم قال لي: ضع رأسي في حجرك، ففعلت، فسمعته يقول: إلهي قضيت حاجتي، فاقبضني إليك.

قال إبراهيم: فحركته فإذا هو ميت، فلما أصبح الصباح وإذا بقوم قد أتوا وعليهم نور عظيم، فساعدوني على غسله وتكفينه، وصلينا عليه ودفناه، فرأيته تلك الليلة في المنام، وهو في روضة خضراء، وعليه حلة خضراء وهو يمشي يتبختر، فلما رآني تبسم وأقبل عليّ وعانقني.

فقلت له: ما هذا الذي أراه عليك؟ قال: هذه درجة العاملين وخلع المقبولين.

وقيل: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، إني قسمت بنفسي على نفسي، أنه لا يجبني عبد من عبادي أعلم صدق ذلك من نيته إلا كنت شغله الذي يشتغل به، وسمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يذكر به، فإذا كنت كذلك بغضت عليه الاشتغال، وأدمت فكرته فيما يوصله إليّ، فأسهرت ليله وأظمأت نهاره، ثم أطلع على قلبه في النهار سبعين مرة فأراه مشتغلاً بي، فأزده من نوري حتى يمتلأ قلبه من نوري فينظر إليّ بنوري.

وفي الحديث: يؤتى بشيخ يوم القيامة لم يستعد بصوم ولا صلاة ولا صدقة ولا كثير عمل فيقول الله: ما أعددت للقائي؟ فيقول: حسن ظني بك يا رب [(١)].

فيقول الله: قد غفرت لك، ثم يقول الله تعالى: يا ملائكتي وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما أحسن عبدي هذا بي ظنًا قط، ولكني استحيت أن أكذب شيخًا[(٢)]، شعر في المعنى:

إلهي تب على العاصي العثور	ولا تفضحه في يوم النشـــور
إلهي إنني قصرت فيمـــــا	أمرت به وما لي من نصـــير
فيا ويلاه إن خابت ظنونـــي	وصرت غداً إلى نار السعـــير
فمن يكن راحمي إن كان ربي	يسيرني إلى بئس المصـــــير

يقول الله تعالى: إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني وأجبته قبل أن يدعوني، وأنا أعلم بما هو أرفق به منه [(٣)].

قال أبو عبدالله: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقفه بين يديه ويغيبه في النور، ويعرض عليه كتاب حسناته وسيئاته فينظر من سيئاته، فلا يرى الكبائر والسيئات التي كان عملها في دار الدنيا، فيقول الله تعالى له بعد أن يجاوز به قناطر جهنم: إن الكبائر التي كنت تعملها في دار الدنيا استحيت أن أحاسبك عليها حياءً منك وإجلالاً لك، امضوا بعبدي إلى الجنة.

---

(١) قال القاضي عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلابد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة، قال: وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة. النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٣، ١٩٤).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٤٣-٢٦) كتاب الإيمان ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)).

(٣) روى الترمذي (٢٩٢٦)، كتاب فضائل القرآن، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقول الرب ﷻ: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين...)) الحديث.

قال أبو حازم: عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر.

أنشد ذو النون المصري يقول شعراً:

أموت وما ماتت لديك صبابتي ... ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي المنى ... وأنت الغني كل الغنى عند إقصاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي ... وموضع شكواي ومنبع إضماري
تحمل قلبي فيك ما لا أطيقه[1] ... وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبين ضلوعي ما لك قد بدا ... ولا(ابد ما بي)[2]لا لأهلي ولا جاري
ولي منك في الأحشاء داء مخامر ... قد هد أركاني وأعلن أسراري
ألست دليل الراكب إن هم تحيروا ... ومنقذ من أشفا على جرف هار
أثرت الهدى للمهتدين ولم يكن ... من النور في أيديهم عشر معشاري

قال رسول الله ﷺ[3] حاكيًا عن ربه ﷻ: «أنا عند ظن عبدي، وأنا مع عبدي إذا ذكرني، وجبت محبتي للمتحابين فيّ، لا إله إلا الله حصني، من دخله أمن عذابي، اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصر غيري».

فيا عباد الله، هذا شهر رجب قد مضى نصفه، وفي الأول كان مبتدأ، فهل حل فيه العاصي من عقوده عقدًا ، أو هل أخلص فيه العابد ولم يشرك بعبادة ربه أحدًا، أو هل لان فيه للموعظة قلبًا قاسيًا، فسلك للتوبة طريقًا جددًا.

هيهات كان على القلوب غشاء، أو كأن بالعيون رمدًا.

اللهم إنا نسألك الأمن من غضبك، ما خفي منه وما قد بدا، ونعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء[4].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ انتهى والله تعالى أعلم.

***

---

(١) بالأصل: (ما لا آليه).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣١٥)، (٤/ ١٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٣، ٤٧٧)، (٤/ ٢٦٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥، ٦، ٧، ٤٠)، (٩/ ١٦٩).

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٦٦١٦)، ٨٢-كتاب القدر، ١٣-باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، ومسلم (٥٣-٢٧٠٧)، كتاب الذكر والدعاء ١٦-باب في التعوذ من سوء القضاء، ودرك الشقاء وغيره، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٦٩-٢٧٠).

الباب الثاني والعشرون

في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الآية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

جاء في الحديث [١] : إن النبي ﷺ سئل عن تفسير : ((سبحان الله))، فقال: ((هو تنزيه الله عن كل سوء)) ، فأصله التباعد، فمعنى : ((سبحان الله)): بعده عن كل ما ينبغي له، فهو ذكر الله لا يصلح لغيره. قال إبراهيم عليه السلام : ما جزاء من سبحك؟ فأوحى الله إليه: لا يعلم تأويله إلا رب العالمين.

قال النبي ﷺ : ((ما من صباح يصبح فيه العباد إلا وصارخ يصرخ: أيها الناس سبحوا الملك القدوس)) [٢] .

وقال النبي ﷺ[٣]: ((إن لله بحرًا حوله ملائكة من نور على خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فمن قالها في كل يوم مرة أو في شهر أو في سنة أو في عمره مرة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر، أو رمل عالج أو فر من الزحف)) .

● **فائدة:**

قال الإمام النووي[٤] رحمه الله في تهذيب الأسماء: الأفصح: ضم السين والباء والقاف من "سبوح" و"قدوس".

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٦١٠). وقال ابن كثير: يمجد الله تعالى نفسه، ويعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه، انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢).

(٢) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٢٢٥)، والسيوطي في الحبائك (١١٠)، وابن حجر في المطالب (٣٤٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٤).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢١٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٢٦).

(٤) النووي هو الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء ، محي الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الشافعي صاحب التصانيف النافعة، ولد سنة (٦٣١)، ومن تصانيفه : شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار، والأربعون، والإرشاد في علوم الحديث، والمبهمات وتحرير الألفاظ وغيرها الكثير، توفي رحمه الله (٦٧٧)، انظر مقدمة شرح مسلم للنووي (١/ ٦، ٧).

ومعنى «سبوح»: البراءة من كل ما لا يليق بالألهية.

والقدوس: المطهر، وقيل: المبارك.

وقال الجوهري: السبوح صفة لله، وقال غيره: إنه الله تعالى، ويقال فيه: سبوحًا وقدوسًا، أي أعبد سبوحًا، أو أذكر سبوحًا أو قدوسًا.

وفي الحديث : «إن موسى عليه السلام عَبَدَ الله ليلة حتى أصبح، فدخله في ذلك عجب، فأحب الله أن يريه، فمر على شاطئ البحر، وإذا بضفدع يقول: يا موسى أعجبتك عبادتك البارحة، وأنا منذ أربعمائة عام أسبح الله وأقدسه؟!

فقال: بالذي أنطقك ما تسبيحك؟

قال : أقول: سبحان من يسبح له في لجج البحار، سبحان من يسبح له ما في الأرض القفار، سبحان من يسبح له على رءوس الجبال، سبحان من يسبح له بكل شفة ولسان».

ثم قال النبي ﷺ : «من سبح له به في كل يوم مرة، أو في كل شهر مرة، أو في كل عام مرة كتب الله له كمن أعتق ألف نسمة من ولد إسماعيل أو حج ألف حجة مبرورة» .

وعن النبي ﷺ (١) : «من قال: سبحان الله وبحمده، خلق الله له ملكًا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها إلى يوم القيامة».

وقوله تعالى: ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ أضافه إليه تشريفًا إليه وتعظيمًا.

قال العلماء رحمهم الله: لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه الله تعالى به في تلك الحالة العالية.

قال القشيري : لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، ألزمه اسم العبودية تواضعًا للأمة الأمية. وقال غيره: لما وصل إلى الدرجات العلية أوحى الله تعالى إليه: يا محمد، تمّ شرفك. قال: يا رب نسبتني إليك بالعبودية، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال أهل الإشارة: لما أسري بعيسى إلى السماء قالت النصارى (٢) : هو ابن الله،

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي (٣٤٦٦)، كتاب الدعوات عن أبي هريرة بلفظ: «من قال : سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠]. قال ابن كثير: وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٥).

فنزه سبحانه محمداً ﷺ رحمة لأمته فقال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾، لئلا تقول كالنصارى.

روى بعض المفسرين في سورة مريم، قال قتادة: لما رفع الله عيسى إلى السماء، اجتمع أربعة من فقهاء قومه وكذابه، فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض فخلق ما خلق، ثم ارتفع إلى السماء فتبعه قوم، وكذبه الثلاثة.

ثم قالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟.

قال: هو ابن الله، فتبعه قوم وكذبه الآخرون.

ثم قالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟

قال: هو إله واحد، إله والله إله، فتبعه قوم ، وكذبه الآخرون.

ثم قالوا للرابع: ما تقول في عيسى؟

قال: بل هو عبدالله ورسوله، فاختصموا، فقال: أتعلمون أن عيسى يأكل ويشرب؟ قالوا: نعم.

قال: أتعلمون أن الله لا يأكل ولا يشرب؟ قالوا: نعم.

قال: أتعلمون عيسى ينام؟ قالوا: نعم.

قال: أتعلمون أن الله لا ينام؟ قالوا: نعم. فغلبهم الرابع رضي الله عنه.

● حكاية:

قيل لما ظهرت الحبشة على إيمان النجاشي[1] ملكهم رضي الله عنه، فركبوا عليه الخيل، فكتب في قرطاس: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عيسى عبدالله ورسوله ، ثم ركب عليه. فلما رأى كثرتهم قال: ما تنقمون؟ قالوا: تزعم أن عيسى عبدالله، قال: فأنتم ما تقولون. قالوا: هو ابن الله، فضرب بيده على شيء كان فيه القرطاس، وقال : أشهد أن هذا هو الحق. فظنوا أنه وافقهم[2] .

وعن ابن الجوزي رحمه الله: عظم الله تعالى محمداً ﷺ بقوله : ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾، وصغره عند نفسه بقوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾، فإن قيل: كيف سبح نفسه تعالى

---

(١) قال العلماء: «النجاشي» لقب لكل من ملك الحبشة، وأما «أصحمة» فهو اسم علم لهذا الملك الصالح الذي كان في زمن النبي ﷺ، قال المطرز وابن خالويه وآخرون من الأئمة كلامًا متداخلاً حاصله: أن كل من ملك المسلمين يقال له : أمير المؤمنين، ومن ملك الحبشة: النجاشي، ومن ملك الروم: قيصر، ومن ملك الفرس: كسرى، ومن ملك الترك: خاقان، ومن ملك القبط: فرعون، ومن ملك مصر: العزيز، ومن ملك اليمن: تبع، ومن ملك حمير: القيل. النووي في شرح مسلم (٧/ ٢٠).

(٢) وفي وفاة النجاشي: روى مسلم في صحيحه (٦٢-٩٥١)، كتاب الجنائز، ٢٢-باب في التكبير على الجنازة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج بهم إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات.

عند عروجه دون هبوطه، قيل: لأن صعود الكثيف أعجب من هبوطه، وقيل: لأنه كان في عروجه مقصده الحق، وفي هبوطه مقصده الخلق، وقيل: إن كان سبح عند عروجه فقد أقسم بنزوله، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

وقال نجم الدين النسفي في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [1] [النجم:٤٣] أي أضحك السماء بعروجه، وأبكاها بنزوله منها، وقيل: أضحك الأرض بولادته وأبكاها يوم وفاته، قيل في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، هو الذي كلم الله فيه موسى، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي أظلم، وقيل: إذا سكن. وقيل: إذا استوى ظلامه، واستقر هو ليلة المعراج.

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [2] : الثريا إذا غابت وبطلوعها ترتفع العاهات من الأرض. وقيل: النجم القرآن؛ لأنه نزل منجمًا، أي مفرقًا في عشرين سنة، وقيل: النجم هو النبات الذي لا ساق له، وهويه: سقوطه على الأرض.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾، وسجودهما سجود ظلهما، كما قال تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ [3]، [النحل: ٤٨].

فإن قيل: كيف أقسم بنزوله دون عروجه؟ قيل: لأنه عند عروجه لم يكن مدعيًا، وفي نزوله كان مدعيًا، فأقسم الله بعبدته؛ لأن الدعوى تحتاج إلى بينة أو يمين.

قلت: وقد تحتاج الدعوى إلى يمين وبينة، وذلك في مسائل منها: لو ادعى على صبي أو مجنون أو غائب أو مالاً على ميت، فلا بد في ذلك من البينة واليمين.

● لطيفة:

قال في تفسير الرازي في سورة الكهف: سبح الله تعالى نفسه عند الإسراء، وحمد نفسه عند إنزال الكتاب[4] لأن الإسراء أول درجات كماله، فالإسراء به ﷺ يقتضي

---

(١) قال ابن كثير: أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩).

(٢) اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر، وكذا روي عن ابن عباس والثوري واختاره ابن جرير، وزعم السدي أنها الزهرة، وقال الضحاك: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا رمى به الشياطين، وهذا القول له اتجاه. المرجع السابق (٢/ ٢٤٦).

(٣) يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي بكرة وعشيًا فإنه ساجد بظله لله تعالى، قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله ﷻ، وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٩).

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف:١]، قال ابن كثير: يحمد الله تعالى نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها فإنه المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا=

حصوله، وإنزال الكتاب يقتضي كونه مكملاً لغيره من الأرواح البشرية.

ولا شك أن هذا الثاني أكمل، لأن أعلى مقامات العبد أن يكون عالمًا معلمًا كغيره.

فمقام التسبيح بداية ومقام التحميد نهاية.

ولأن الإسراء منافعه خاصة به ﷺ، ومنافع الكتاب العزيز عامة، والمنافع العامة أفضل من الخاصة.

وقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾، مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد، وهو منصوب على الظرفية، ويكره لأن الإسراء في بعض الليل [1].

وقيل: أسرى به ليلاً دون النهار، لأن الإيمان بالغيب أقوى من الإيمان بالشهادة.

وقيل: لأن الملك لا يدعو بحضرته ليلاً إلا من هو خاص عنده.

وقيل: لأن النبي ﷺ بدر، والبدر لا يكون إلا بالليل.

وقيل: أسرى به ليلاً لأن الليل انكسر بقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فجبره الله بعروج محمد ﷺ نبيه.

وقيل: لأن الليل خلق من الجنة، والنهار من النار، وذلك لما دخل جبريل الجنة وجد فيها لمعة سوداء، فأخرجها بإذن الله، فخلق منها الليل. ثم دخل النار، فوجد فيها لمعة بيضاء، فأخرجها بإذن الله ، فخلق منها النهار.

وقيل: لأن النهار افتخر على الليل بثلاث صلوات وساعة الإجابة يوم الجمعة، وتقدم بيانها في بابها، وبصيام رمضان.

فقال النهار: أيها الليل، لك الغفلة والنوم، ولي اليقظة للقوم، ولك السكون ولي الحركة، وكم في الحركة من بركة. وقال بعضهم: الحركة بركة والتواني هلكة، ومن لم يحترف لم يعتكف. وفيّ تطلع الشمس الباهرة، فلي عليك المفاخرة.

فقال الليل: إني افتخرت بشمسك، فشمس قلوب أهل الحضرة أهل التهجد والكفرة، أين أنت من شراب المحبين، وقست الخلوة والصفا، أين أنت لما خلقني ربي قبل، أين أنت من ليلة القدر التي فيها المواهب، أين أنت من قوله : هل من سائل؟ هل من تائب؟ أين أنت من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أين أنت من

=حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور. تفسير ابن كثير (٣/ ٧٣).

(١) قال القاضي عياض: اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظمهم وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨١).

قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾.

فإن قيل: لِمَا سماه الله سراجًا منيرًا في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(١) [الأحزاب: ٤٥] إلى قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾، وما سماه شمسًا ولا قمرًا؟

قيل: لأن الشمس سماها سراجًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، فسماه باسم عام لأن كل شيء يستضاء يسمى سراجًا.

وقيل: لأن الشمس بعيدة، وهو ﷺ قريب من كل قاصد.

وقيل: لأن الناظر إذا أحدق بالشمس ضعف بصره بخلاف السراج.

كان ﷺ إذا أحدق به أحد زاد نظره. وقيل: لأن السراج من آلات الفقراء والضعفاء، وهو ﷺ لا متكبر ولا متجبر. ذكر هذه الأجوبة ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

قال مؤلفه رحمه الله: وعندي جواب آخر وهو : أن الشمس عبدت دون الله تعالى بخلاف السراج، فإنه لم ينقل أن أحدًا سجد له بخصوصه على هيئته. ولم يقل أحد له: «هذا ربي»، بخلاف الشمس والقمر، فكما طيب الله ذاته الشريفة، كذلك طيب الله أسماءه.

وفي كتاب «البركة»: كان ﷺ يقول إذا دخل عليه الصباح: ((**اللهم أتمم لنا نورنا إلى يوم القيامة**)) .

قال ابن العماد: السرج خمسة: سراج في القلب وهو المعرفة، وسراج في الدنيا وهو النار، وسراج في السماء وهو الشمس، وسراج في الجنة وهو عمر بن الخطاب كما سيأتي في مناقبه(٢)، وسراج في الدين وهو محمد ﷺ .

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، قال أنس: هو الكعبة، وقيل: من بيت فاختة المشهورة بأم هانيء بنت أبي طالب(٣) .

قال تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، يعني بيت المقدس، وسمي أقصى : لبعده

---

(١) أي شاهداً لله بالوحدانية وأنه لا إله غيره، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة، وقوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند. تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٣، ٥١٤).

(٢) حديث: ((عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة)) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٩٤)، وقال: رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٣٣)، بسند غريب عن أبي هريرة، وابن عساكر عن الصعب بن جثامة، وعزاه الحافظ ابن حجر في تخريج مسند الفردوس للطبراني عن أبي هريرة، وقال: وفي الباب عن ابن عمر.

(٣) أم هانيء بنت أبي طالب الهاشمية، اسمها : فاختة، وقيل: هند، أسلمت عام الفتح وصلى ابن عمها رسول الله ﷺ في بيتها يوم الفتح صلاة الضحى، وقال لها: ((قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء)) ، وكانت قد أجارت رجلاً، لها عدة أحاديث، وتأخر موتها إلى بعد الخمسين وكانت تحت هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، فهرب يوم الفتح إلى نجران، وولدت له: عمرو بن هبيرة وهانئًا ويوسف وجعدة، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٥١-٦٠).

عن مكة، وسمي مقدسًا لأنه مطهر من الأصنام، وتتطهر فيه الذنوب.

وفي صحيح البخاري: أي مسجد وضع أولاً؟ قال: «**المسجد الحرام**» ، قال أبو ذر: قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**» ، قلت: كم بينهما ؟ قال: «**أربعون سنة**»[(١)].

فإن قيل: الكعبة أول بيت وضع للناس[(٢)]، والأقصى بناه داود عليه السلام وبينهما أكثر من أربعين سنة.

قيل: لأنه بني ثم خُرّب ، ثم جدد عمارته داود عليه السلام . وبينه وبين إبراهيم أحد عشر جداً.

وسبب بنائه لبيت المقدس : أن الله تعالى أوحى إليه أني وعدت إبراهيم لما أمرته بذبح ولده فصبر أن أكثر ذريته حتى يكونوا كعدد نجوم السماء. وقد أقسمت أن أبتليهم ببلية قبل بهاء عددهم، وهي إما القحط ثلاث سنين، أو أسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر، أو الموت ثلاثة أيام.

فأخبرهم داود بذلك، فقالوا: أما الخوف والعدو فلا طاقة لنا بهم، وأما الموت فلا بد منه.

فأمرهم أن يتجهزوا للموت واغتسلوا وتكفنوا ، فمات منهم في يوم وليلة ألوف كثيرة.

فلما كان في اليوم الثاني تضرع داود وقال: إلهي (......) [(٣)] لي، وبني إسرائيل يضربوني –يعني يعتقدون الذنب مني، والعقاب عليهم.

وذنبه عليه السلام: أنه عجب بكثرة قومه حتى كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا، فدفع الله عنهم الطاعون. فقال لهم داود: قد رحمكم ربكم فابنوا له مسجداً، فكان ينقل الحجارة على عاتقه. فأوحى الله تعالى إليه: إن هذا بيتًا مقدسًا[(٤)] ، ويكون تمام عمارته على يد ولدك سليمان.

قال: فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه، فكان الجن ينحتون الحجارة والجواهر، فكره ما يسمعه من صوت النحت، فقال : انحتوها ولا صوت لها إن استطعتم.

فقالوا: إن عفريتًا له حيلة في نحتها بلا صوت. فطلبه سليمان نبي الله، فأتى وهو يضحك. فقال له سليمان: مم تضحك؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٧، ١٩٧)، ومسلم في المساجد (١/ ٥٢٠)، في فاتحته، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢١٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٧).

(٢) الكعبة سميت كعبة لارتفاعها وتربعها، وكل بيت مربع عند العرب فهو كعبة، وقيل: سميت كعبة لاستدارتها وعلوها ، ومنه: كعب الرجل، النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٠١).

(٣) كلمتان غير واضحتان بالأصل.

(٤) بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. تفسير ابن كثير (٣/ ٢).

قال: يا نبي الله، من أشياء رأيتها في طريقي:

رأيت رجلاً على نهر يسقي بغلته، ثم ملأ جرته، وأوثق البغلة في أذن الجرة، فنفرت البغلة فكسرت الجرة، فضحكت منه حيث توهم أن الجرة توثق البغلة.

ورأيت رجلاً عند إسكافي يستعمل خفًا وشارطه أن يبقى أربعين سنة، فضحكت من غفلته عن نزول ملك الموت.

ورأيت امرأة كاهنة تخبر الناس بأمور السماء، وتحت رأسها ذهب قد دفنه رجل من مدة، فضحكت من جهلها، تخبر الناس بخبر السماء، ولا تعلم ما تحتها.

ورأيت رجلاً أصابته علة فأكل البصل فشفاه الله، فصار طبيبًا يصف لكل عليل أكل البصل، وهو من المضرات.

ورأيت الثوم يباع كيلاً وهو من أفضل الأدوية.

ورأيت الفلفل يباع بالوزن وهو من السموم القاتلة.

ورأيت قومًا يذكرون الله تعالى [1] فذهب بعضهم وجاء آخرون، فنزلت الرحمة عليهم، وأخطأت الذين قبلهم.

قال سليمان : هل لك علم بنحت الحجارة من غير صوت؟

قال: أعلم حجرًا يسهلها من غير صوت، ولكن لا أعلم معدنه، غير أن العقاب يعلمه، فاجعل أفراخه في صندوق من حجارة.

فطار العقاب وجاء بحجر فوضعه على الصندوق فثقبه، فأرسل سليمان طائفة مع الطير إلى معدن ذلك الحجر، فصاروا ينحتون الحجارة والجواهر من غير صوت لها.

قال الكلبي رحمه الله: لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس أنبت الله له شجرتين أحدهما تنبت الذهب والأخرى الفضة، فكان يأخذ من كل واحدة مائتي رطل كل يوم، ففرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة.

وعن عطاء الخراساني: كان ارتفاع قبة الصخرة ميلاً، والميل أربعة آلاف خطوة، وفوق القبة غزال من ذهب في عينيه جوهرة تغزل نساء البلقاء على ضوءها بالليل.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [2]: أي بالأنهار والأشجار .

وقيل: سماه مباركًا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وقبلة الأنبياء قبل محمد ﷺ ،

---

(١) روى أحمد في مسنده (٣/ ٤٩): ((ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفت هم الملائكة)) ، وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٤)، والشجري في أماليه (١/ ٦٥).

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي في الزروع والثمار. تفسير ابن كثير (٣/ ٢).

وإليه يحشر الخلق يوم القيامة.

وسمي بيت المقدس مقدسًا لأنه يتطهر فيه من الذنوب، ولأن الماء العذب ينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس.

وقال وهب: أوحى الله تعالى إلى صخرة بيت المقدس: عليك أضع عرشي، وإليك أحشر خلقي، وفيك جنتي وناري، ولأفجرن أنهارك لبنًا وعسلاً وخمراً، طوبى لمن زاركِ.

وقال غيره: إن الله تعالى يحول صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماء والأرض، ثم يضع عليها عرشه وميزانه.

وقال الحسن البصري: إن مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان ، فقام ليفتحه يومًا فتعسر عليه، فاستعان بالجن والإنس، فتعسر عليهم، فجاءه شيخ فقال: ألا أعلمك كلمات كان أبوك داود يقولهن عند كربته فيكشفها الله تعالى؟ قال: قل: اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمسيت، يا حنان، يا منان.

فلما قالها سليمان انفتح الباب.

وقال عمر السيباني -بالسين المهملة-: لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة أحياط: حائط من ذهب ، وحائط من فضة، وحائط من ياقوت، وحائط من ذمرد، بالذال المعجمة.

قال النووي في شرح المهذب: وحائط من لؤلؤ، وحائط من غمام.

يقولون: طوبى لمن وضع جبهته فيك ساجداً.

وقال وهب: عند الباب الشامي الصخرة رخامة وهي على باب من أبواب الجنة، والدعاء عليها مستجاب. وذلك الباب يعرف بباب الجنة.

وأعظم مناقب بيت المقدس عروج النبي ﷺ منه إلى السماء.

قيل: لأن الحكمة في ذلك أنه أرض المحشر فيكون برداً على أمته، وقيل: لأن أهل مكة كانوا يترددون إلى بيت المقدس ويعرفونه، فأراد الله تعالى أن يثبت عليهم الحجة إذا سألوه عن بيت المقدس لأنهم يتحققون أن محمداً ﷺ ما رآه، فإذا سألوه عنه وأخبرهم بالذي يعرفونه قامت الحجة عليهم بأنه أسري به أيضًا إلى السماء، فلا يبقى إنكارهم إلا مجرد عناد فقط [(١)] .

---

(١) وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام في السيرة العطرة ذكر الإسراء برسول الله وفيه : ((وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال -أي أبو جهل- فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ فقال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت فما زلت حتى التبس عليّ بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، قال: فنعته وأنا أنظر إليه، فقالوا: أما النعت فقد والله أصاب)). تاريخ الإسلام (١/ ١١٠).

وقيل: إن أسطوانات بيت المقدس قالت: ربنا قد حصل لنا من كل نبي حظ، وقد اشتقنا إلى محمد ﷺ فارزقنا لقاءه.

وقيل: إن الكفار عيروا محمداً ﷺ وقالوا: لو كنت نبيًا لكنت من بيت المقدس، فإنه أرض الأنبياء.

فإن قيل: ما الحكمة في الإسراء به ﷺ ؟

قيل: لأنه كان ماراً فرآه أبو جهل، فأدخله داراً له فيها ذهب وفضة وحرير، ثم قال: يا محمد، أتترك هذا كله وتختار الفقر وتزهد في الدنيا، فأوحى الله تعالى إليه: أدخلك داره وأراك ما فيها، أنا أسري بك الليلة وأدخلك داري وأريك ما فيها، لتعلم أين داره من داري، وأين ملكه الفاني من ملكي الباقي.

قالت عاتكة عمة النبي ﷺ : كان أبو جهل في صغره مع حزب من الصبيان ومع ابن أخي حزب، فكان أبو جهل ينثر على حزبه اللوز والسكر، ومحمد يأتي إلى نخلة يابسة في داري فينفضها فيسقط منها الرطب الطري.

● **فائدة:**

نقل في كتاب «شرف المصطفى» للحافظ أبي سعيد عبدالملك -مات سنة ست وأربعمائة، وقبره بنيسابور ظاهر يزار[١] -: إن بنات عبدالمطلب ست: عاتكة، وأميمة، والبيضاء، والبرة، وأروى، وصفية[٢] ولم يسلم منهن غيرها، ماتت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها.

وقيل: أسلمت عاتكة، وليست التي بدمشق، وأروى، وسيأتي ذكر أعمامه.

وأم أبي أمه اسمها عاتكة، وأم أبي جده اسمها عاتكة، وأم أبي جده اسمها عاتكة، وأم أبي جد جده عبد مناف اسمها عاتكة.

---

(١) شرعت زيارة القبور في الإسلام؛ لا لأن القبر لنبي أو لوليّ، ولكنها تذكر الآخرة كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ، وكان قد نهى ﷺ عنها في بداية الأمر، ثم أذن في زيارتها لهذه العلة، وقد جهل كثير من المسلمين هذه العلة في أزماننا هذه، وأصبح كثير منهم يقومون بالزيارة لأجل أنه قبر العالم الفلاني أو العارف بالله الفلاني، فهذا لا يجوز وهو منهي عنه بنص حديث النبي ﷺ، فوجب التنبيه على ذلك، ولمن أراد المزيد عن هذا الأمر فليراجع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه قد أجاد وأفاد في هذا الأمر، خاصة في كتابه «الجواب الباهر في زوار المقابر» والله الموفق للصواب.

(٢) صفية عمة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة، وحجل، والمقوم، وأمهم زهرية، تزوجها الحارث بن حرب بن أمية، فتوفي عنها، وتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير حواري رسول الله ، والسائب وعبدالكعبة، والصحيح أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ سواها، توفيت سنة عشرين، ودفنت بالبقيع. تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٢٠).

فلهذا أورد عنه ﷺ قال: «أنا ابن العواتك»[١].

وعبد المطلب اسمه: شيبة الحمد.

وإنما قيل له: عبد المطلب؛ لأنه لما مات أبوه هاشم كان صغيرًا، وكان عمه المطلب كبيرًا، فانتقل شيبة إلى المدينة المشرفة مع أمه، فتوجه المطلب إلى المدينة ليأتي بابن أخيه فسرقه، وكان أسمر اللون، فلما قدم به مكة قالت الناس: هذا المطلب ومعه عبدًا اشتراه، فسمي عبد المطلب، والله أعلم.

وقيل: إنما أسري به ﷺ إلى السماء لأن الأرض افتخرت عليها فقالت: فيّ الأنبياء والأولياء، فقالت السماء: فيّ الجنة والحور والولدان. فقالت الأرض: عليّ محمد ﷺ، وهو أفضل الورى[٢]. فأراد الله تعالى أن يسري به حتى لا يبقى تفاخر بين السماء والأرض.

كما روي: أن الجنة تتفاخر حلتها على جسد المؤمن فيقول الأعلى: أنا أنظر إلى وجهه، ويقول الأسفل: أنا أرى جسده، فتنقلب الحلل بإذن الله تعالى فتصير إلى الأسفل أعلى، والأعلى أسفل حتى لا يبقى تفاخر.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾، أي من عجائب قدرتنا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: رأى النبي ﷺ ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالاً على خيل بلق شاكين السلاح طول الرجل ألف عام، والفرس يتبع بعضهم بعضًا، لا يرى أولهم آخرهم. قلت: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٣] [المدثر: ٣١]، فأنا أهبط وأصعد وأراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا إلى أين يذهبون.

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، هل وراء جبل قاف شيء؟ قال: «سبعون أرضًا من مسك، ووراءها سبعون من الكافور، ووراءها سبعون أرضًا من العنبر، ووراءها سبعون ألف عَالَم في كل عَالَم ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، لا

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ١٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٨٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٩)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٩).

(٢) قال النووي: في قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»: هذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم. النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣٠).

(٣) أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى؛ لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعوها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٤).

يعرفون آدم ولا إبليس، عبادهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وذكر البيهقي في الأسماء والصفات: عن الشعبي [١] رحمه الله قال: إن لله عبادًا من وراء الأندلس، ما يرون أن الله تعالى عصاه مخلوق، رباضهم الدر والياقوت وحبالهم الذهب والفضة، لا يحرثون ولا يزرعون، لهم شجر، على أبوابهم طعامهم ثمرها، ولباسهم ورقها.

● **فائدة:**

جاء في الحديث: أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج لوحًا تحت العرش من درة، ولوحًا من ياقوت، في أحدهما فاتحة الكتاب، والآخر فيه جميع القرآن، فقلت: «**ما ثواب فاتحة الكتاب؟**» قال: تغلق دونه أبواب جهنم السبعة. قلت: «**ما جزاء من قرأ القرآن كله؟**» قال: له بكل حرف شجرة في الجنة. ثم رأيت ثلاثة أنوار، فقلت: «**ما هذه؟**» قال: آية الكرسي، قال: هي صفتي، من قرأها ينظرني يوم القيامة من غير حجاب. فقلت: «**ما ثواب من يقرأ يس**» [٢] ، قال: هي ثمانون آية، من قرأها كل ليلة فله ثمانون رحمة، عشرون في حياته وعشرون عند وفاته، وعشرون في قبره، وعشرون يوم القيامة. قلت: «**ما ثواب من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟**»[٣]. قال: يشرب من الأنهار الأربعة المذكورة، نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، ونهر من خمر.

فإن قيل: قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾: لفظة «من» للتبعيض، قال في حق إبراهيم : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بغير لفظة «من»، فيلزم من ذلك أن يكون معراجه أتم من معراج محمد ﷺ ؟

فالجواب: ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله بعضًا مخصوصًا، والبعض المطلق أفضل من البعض.

---

(١) عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الحميري الكوفي الهمداني، ثقة مشهور، فقيه فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٠٩، ١٠٥، ١٠٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٨٧) ، الكاشف (٢/ ٥٤)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٠)، الجرح والتعديل (٦/ ١٨٠٢)، سير الأعلام (٤/ ٢٩٤)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٧)، الثقات (٥/ ١٨٥).

(٢) من فضائل سورة يس روى الترمذي في سننه (٢٨٨٧)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل يس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلبًا وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» .

(٣) روى مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، عن أبي هريرة ، وفيه بآخره: «ألا وإنها تعدل ثلث القرآن» .

قلت: والجواب المشهور: أن آيات الله أفضل من ملكوت السموات والأرض.

قال فخر الدين الرازي في سورة الأنعام: نور جلال الله منقطع فلا تحرم الأرواح البشرية عنه إلا بحجاب، وهو الاشتغال بغير الله، فبقدر ما يزول الحجاب يحصل التجلي، فلما أنكر إبراهيم على الله عبادة الأصنام حصل له التجلي بالتمام والكمال، فأراه الله ملكوت السموات والأرض عيانًا حتى رأى الكرسي والعرش والأرضين وما فيهما من العجائب.

● لطيفة:

رأيت في كتاب العقائق: لما أطلع الله إبراهيم على الملكوت قصده أربع من ذوي الحاجات: الحية والهواء والماء والشمس، فقالت الشمس: أنا أسير ليلاً ونهارًا . وقال الهواء: أنا أسير في الجو لا أهدى. وقال الماء: أنا لا أستقر في مكان واحد. فاسأل لنا ربك بالسكون. وطلبت الحية جناحًا تطير به، فأوعدهم بالسؤال لربه في ذلك.

فجاءه الخفاش وقال: لا تتعرض على الله فإن مصلحة العالم في حركاتهم، فلو سكنت الشمس لم يعرف الليل من النهار، ولولا هبوب الريح لأنتنت الأرض ولم تلقح الثمار، ولولا جريان الماء من مكان إلى مكان لهلك المكان الذي لا ماء فيه، ولو استقرت الحية في مكان لخرب، ولو كان لها جناح لأذت العالم.

فعلموا ذلك بكلام الخفاش.

فقالت الشمس: أنا أحرقه بحرّي، وقال الريح: لأطيرنه في الآفاق. وقال الماء: إذا ورد مني أغرقته، وقالت الحية: لأقتلنه.

قال: فاستعاذ الخفاش إلى ربه، فقال الله تعالى: أما الشمس ، فقد أعطيتك الطيران وقت عزلها، وأما الريح فيؤذيك أن لو كان لك ريش، وأنا جعلت لك جناحين من لحم، وأما الماء أجعل لك في صدرك ثديين أحدهما للغذاء والآخر للشرب، وأما الحية فإني أجعل بولك سمًا عليها فتهرب من أرض أنت بها. والله تعالى أعلم.

***

الباب الثالث والعشرون

في فضل المعراج

قال الإمام النووي ﷺ في الروضة : كان بمكة ليلة السابع والعشرين من رجب بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وجزم في فتاويه بأنه في ربيع الآخر، وفي شرح مسلم: أنه في ربيع الأول[1]. وقال نجم الدين النسفي: كانت ليلة الإثنين.

روى الطبراني في كبيره: أن رسول الله ﷺ لما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسري به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس، وشرح صدره بأمر الملك العلاّم واستخرج قلبه فغسل بماء زمزم الثاني من الآلام، ثم أعيد مكانه بعد أن أُحشي إيمانًا وحكمة بلطف وسلام، وكان الإسراء مرتين : مرة في اليقظة ومرة في المنام.

وقد نقل العلماء رحمهم الله: أنه كان للنبي ﷺ حين الإسراء خمس مراكب:

المركب الأول: البراق[2] من مكة إلى بيت المقدس، وذلك أن الله تعالى خلق جبريل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني، عليه ثياب بيض مكفوفة باللؤلؤ والياقوت، لونه كالثلج، براق الثنايا، عليه وشاجان من در ، له ألف وستمائة جناح من الياقوت الأحمر، بين كل جناحين خمسمائة عام، طويل العنق، أحمر القدمين، أصفر الساقين، ريشه كالزعفران، من رأسه إلى قدميه، أجنحته شعور من زعفران على كل ريشة قمر وكواكب، وبين عينيه شمس، خلقه الله تعالى بعد أن خلق ميكائيل بخمسمائة عام، ويغتسل كل يوم في نهر من الجنة، فينتفض فيقطر منه سبعون ألف قطرة، فيخلق الله في كل قطرة ملكًا فيطوفون بالبيت المعمور ثم لا يعودون إلى يوم القيامة [3] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يغتسل كل يوم وقت السحر في نهر من نور عن

---

(١) أقل ما قيل في الإسراء: أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقال الزهري: كان بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين، وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة رضي الله عنها صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٨١).

(٢) البُراق: هو بضم الباء الموحدة، قال أهل اللغة: البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قال الزبيدي في مختصر العين، وصاحب التحرير: هي دابة كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها، وهذا الذي قالاه من اشتراك الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٣)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) روى السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١١٧): أوله في السماء بيت يقال له: المعمور، وفي السماء الرابعة نهر يقال له : الحيوان، يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكًا.... الحديث، وانظر الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٩٤).

يمين العرش، فيزداد نوراً على نوره وجمالاً على جماله، وعظماً على عظمه، ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة سبعين ألف قطرة، ومن كل قطرة سبعة آلاف ملك ، يدخل منهم إلى البيت المعمور [١] سبعون ألفًا، وإلى الكعبة كذلك ، ثم لا يعودون إلى يوم القيامة [٢] ، حكاه القرطبي في سورة النحل ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال وهب: إنه واقف بين يدي الله ترعد فرائصه، فيخلق الله تعالى من كل رعدة ألف ملك ، لا يتكلمون إلا بإذن الله، فإذا أذن لهم قالوا: لا إله إلا الله ، ويشفعون لقائلها، فلما أراد الله تعالى إكرام محمد ﷺ بكرامة لم يبلغها الأولون والآخرون أوحى الله تعالى إلى جبريل: قف على قدم العبودية واعترف بعز الربوبية، وامرح في ميدان شكري، واعلم عظيم قدري، فقد مننت عليك فاسمع لما يوحى إليك.

فقال: أنت اللطيف، وأنا العبد الضعيف.

وخذ علم الهداية وبراق العناية وخلعة القبول وطيلسان الرسالة، ومنطقة الجلالة، وانزل مع سبعين ألف ملك إلى محمد ﷺ، فقف ببابه، ولذ بجنابه، فأنت الليلة صاحب ركابه، وميكائيل، خذ علم السؤال وانزل مع سبعين ألف ملك إلى باب الرسول، فقف ببابه ولذ بجنابه ، فأنت الليلة صاحب ركابه إليَّ.

ويا إسرافيل وعزرائيل، افعلا كما فعل جبريل وميكائيل، ويا جبريل زد في ضوء الشمس على ضوء القمر على نور الكواكب.

فقال: يا رب، أقرب قيام الساعة؟ قال: لا ولكن الليلة لنا مع يتيم أبي طالب سر، فأريد أن نظهره عليه ونطلعه عليه.

قال: يا رب ما هذا السر؟ قال: يا جبريل، أسرار الملوك لا يقف عليها مملوك.

فنزل جبريل وتقدم وشد وسطه بمنطقة الحزمة وسلم وقال: قم يا سيدي وتأهب، وعلى ظهر البراق فاركب، فإن المملكة قد تزينت لأجلك، والموجودات قد شهدت بفضلك.

---

(١) قال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم». وقال العوفي عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون إليه، وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩).

(٢) وفي حديث الإسراء كما رواه مسلم (٢٥٩-١٦٢)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، عن أنس، وفيه : ثم عرج بي إلى السماء السابعة، قال: فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه... الحديث.

فلما ركب واستوى وطار في الهواء، وسارت الملائكة بين يديه ، وأكثروا من الصلاة عليه، ونادوا: يا سيدي التفت إلينا وأقبل بوجهك علينا.

فقال: من بلغ هذا المقام الأعلى لم يلتفت إلى غير المولى.

فلما صحت عزائم إرادته ولم يلتفت إلى شيء من مخلوقاته ، أذعن لسان شكره وما ونى فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم نودي : يا محمد ، أنت الليلة ضيفنا، فماذا تريد؟

قال: «**كل ما جرت به على الأنبياء قبلي**».

قيل له: فبماذا تقنع؟ وما الذي فيه تطمع؟

قال: «**أنت أعلم بالمقصود يا ذا الكرام والجود**».

قال: إن كنت تريد خلعة لم تسمو إليها همة طامع، ولا طرق ذكرها إذن سامع، فادخل خزائن كرمنا، وتحكم في ملابس فضلها. فكانت خلعته : ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، ونقش طرازها: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ثم قال: يا محمد أتعرفني؟ قال: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**».

قال: يا محمد ، أتدري أين أنت؟ قال: «**أنت أعلم**».

قال: ما وراءك لمخلوق مقام، نقلتك من عالم إلى عالم، ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق في ملكوت الأرض عجيبة إلا وأطلعتك عليها، لولاك ما خلقت الأفلاك.

قال في العقائق: قال عثمان بن عفان: فقد رقى المحبوب إلى الحبيب. شعر:

هذا هو المختار والبدر الـــذي ... كل البدور خضعن نحو هلالــه
ما إن له في العالمــين ممـــاثل ... كلا ولا في الكون من أشكالــه
أسري به في ليلــة سعديــــة ... وطىء السموات العلى بنعالــه
حتى دنا من قاب قوسين[1] العلى ... وسما له المعشوق في إقبالــــه
فالملك والملكوت طـــوع يمينــه ... والكون والأكوان تحت شمالــه
فرأى وشاهد ذو الجـلال بعيــنه ... ما زاغ عنه الطرف عنه مآلـــه
كلا ولا كذب الفــؤاد وكيف لا ... وهو الحبيب رعا لأجل وصاله
هذا الذي قد خط في العرش اسمه ... بصفاته ونعوتــه وجــلالـــه
هذا الذي رام الكليم مقامـــــه ... فاندك منه الحظ عند مقامـــه

---

(١) قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعني جبريل عليه السلام ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني جبريل، استوى في الأفق الأعلى، قاله عكرمة وغير واحد ، قال عكرمة: والأفق الأعلى: الذي يأتي منه الصبح. تفسير ابن كثير(٤/ ٢٤٧).

هذا الذي جاء المسيح مبشـــراً بقدومه متمسكًا بحبالـــــه
هذا الذي في الحشر يعقد فوقـــه ذاك اللواء والرسل تحت ظلاله
هذا الذي سفر اللثام فأطرقـــت مقل العقول مهابة لجمالـــه
يا حضرة القدس التي جاءوا بهـــا والعارفون تأملوا في حالـــه
صلى عليك الله ما ظهر الدجـــا ضحى وهلَّ مهلل بهـــلال

قال النسفي رحمه الله تعالى في كتاب زهر الرياض: لما أمر الله تعالى جبريل أن يأخذ البراق[١] ذهب إلى الجنة فوجد فيها أربعين ألف براق على جباههم : «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، ورأى فيهم براقًا باكيًا، قد اعتزل وحده وترك الأكل والشرب، فسأله عن ذلك فقال: سمعت باسم محمد ﷺ منذ أربعين ألف عام، فمنعني الشوق إليه الأكل والشرب، فأخذه جبريل.

وهو فوق الحمار ودون البغل، وجهه كوجه الآدمي، ضخم العينين بسواد، رقيق الأذنين، لونه كالطاووس، وجبينه كالزهرة، وبدنه كالياقوت الأحمر، وأظلافه كأظلاف البقر من زمرد أخضر، مرصع بالياقوت والمرجان، رأسه من المسك الأذفر، وهو الذي لا خلط فيه، وعنقه من العنبر الأشهب، وناصيته من اللؤلؤ الأبيض، مزمومة بسلسلة من ذهب مكللة باللؤلؤ والجوهر، عليه راحلة الديباج، خطوه مد البصر[٢].

فأسرجه جبريل من ياقوت أحمر، وألجمه بلجام من زبرجد.

قال في روض الأفكار: فلما نزل به جبريل قرع حلقة الباب، وقال: قم يا نائم[٣] فقد هيئت لنا الغنائم والمطالب، الليلة ليلتك، والدولة دولتك، أنت شمس المعارف،

---

(١) قال ابن دريد: اشتقاق البراق من البرق إن شاء الله تعالى، يعني لسرعته، وقيل: سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض، وقال القاضي : يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين، يقال : شاة برقاء، إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء، وهي معدودة في البيض والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٣)، ط.دار الكتب العلمية.

(٢) انظر ما تقدم من قبل من تعريف البراق وهو في شرح مسلم للنووي (٢/ ١٨٣)، ط.دار الكتب العلمية.

(٣) قال النووي: وأما قوله في رواية شريك: وهو نائم، وفي الرواية الأخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجة فيه، إذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدل على كونه نائمًا في القصة كلها، هذا كلام القاضي رحمه الله، وهذا الذي قاله في رواية شريك، وأن أهل العلم أنكروها قد قاله غيره، وقد ذكر البخاري رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد في صحيحه وأتى بالحديث مطولاً، قال الحافظ عبدالحق رحمه الله في كتاب الجمع بين الصحيحين، بعد ذكر هذه الرواية: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة، يعني عن أنس، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، قال: والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها. هذا كلام الحافظ عبدالحق رحمه الله، النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٣).

وأنت بدر اللطائف، ما مهدت الدار إلا لأجلك، ولا روق أس الحب إلا لشريك.

قم فإن الموائد ممدودة والأيام للقائك معدودة.

فسمعه النبي ﷺ فقال: «يا جبريل، حبيتني بآية رحمة أم بآية عذاب؟».

فقال: إن الله تعالى يقرؤك السلام ويدعوك لحضرته لسر بينك وبينه.

قال: «يا جبريل، فالكريم يدعوني إليه فما الذي يصنع لي؟»

قال: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

قال: «هذا لي فما لعيالي؟» قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

قال: «مهلاً حتى أتوضأ».

قال: قد جئتك بماء السلسبيل في كوز من الجوهر، وطشت من ياقوت أحمر، وحلة من سندس أخضر، وعمامة من نور مكتوب عليها أربعة أسطر: الأول: محمد رسول الله. الثاني: محمد نبي الله. الثالث: محمد حبيب الله. الرابع: محمد خليل الله.

قد نزل بها رضوان ومعه أربعون ملك، وكانوا قبل ذلك يصلون على صاحب الغمامة، فشرفنا النظر إليه، وأذن لنا في المسير بين يديه.

فلما توضأ النبي ﷺ أمر الله تعالى جبريل أن يرفع ماء وضوئه إلى ميكائيل، فدفعه إليه، ثم أمر الله ميكائيل أن يدفعه إلى عزرائيل، ثم إلى إسرافيل، ثم إلى رضوان، ثم إلى جنة الفردوس، فأمر الله الحور العين أن يمسحوا به وجوههم، ففعلوا، فازدادوا نوراً وحسنًا.

ثم قدم جبريل البراق فنفر عنه، لأن النبي ﷺ لمس الصفا بيده وقال: «(أنا من)[1] يعبد هذا الشقي»، وكان الصفا صنمًا على صورة رجل، والمروة على صورة امرأة.

فقال جبريل: أما تستحيي من محمد، فوالذي نفسي بيده ما على ظهرك أفضل منه.

فقال البراق: هذا النبي العربي؟ قال: نعم. قال: هذا صاحب الحوض المورود؟ قال: نعم. قال: هذا قائد الغر المحجلين[2]؟ قال: نعم.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) روى مسلم في صحيحه (٣٦-٢٤٧)، كتاب الطهارة، ١٢-باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. قال النووي: قال أهل اللغة: الغرة: بياض في جبهة الفرس، والتحجيل: بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفرس والله أعلم. ثم قال: استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، وقال آخرون: ليس الوضوء مختصًا، وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل، واحتجوا بالحديث الآخر: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي» ، وأجاب الأولون عن هذا بجوابين : أحدهما: أنه حديث ضعيف معروف الضعف. والثاني: لو صح احتمل أن يكون الأنبياء اختصت بالوضوء دون أممهم إلا هذه الأمة والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٣/ ١١٥، ١١٦).

قال: هذا الشفيع في القيامة؟ قال: نعم.

فعند ذلك خضع له وقال: اركب يا سيد المرسلين، ولكن لي إليك حاجة: أن لا تنساني من شفاعتك يوم القيامة.

فلما أراد الركوب بكى، فسأله جبريل عن ذلك؟ فقال: «تذكرت أمتي هل يركبون يوم القيامة؟» قال: نعم، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم ٨٥]، يعني ركبانًا.

فعند ذلك وقع الكرب على محمد ﷺ فقال: يا جبريل، حيوان ضعيف يحمل أثقال محبته وأسرار أمانته التي عجز عن حملها السموات والأرض، يا جبريل، المركوب يقطع المسافات، والدليل يستدل به على الجهات، والجهات إنما هي محل الحادثات.

وإن حبيبي تقدس عن الجهات ولا يوصل إليه بالحركات ، فمن علم المعاني وعرف ما أعاني أن عرف قرب منه قاب قوسين كقربي منه، وأنا في بيت أم هانىء.

فقال: يا جبريل، إنما جيء إليك لأكون خادم دولتك وجئتك بالمركوب على عادة الملوك وآداب السلوك لإظهار كرامتك.

فلما ركب أخذ جبريل بزمام براقه، وميكائيل بركابه، وإسرافيل سوى ركابه، فعلا به البراق على جبال مكة، ثم قال: يا محمد، انزل فصل، ففعل. فقال: أتدري أين صليت؟ قال: «لا». قال: صليت بطيبة، وإليها تهاجر إن شاء الله. ثم سار. وفي رواية: فسرنا. ثم قال: انزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ فقال: «لا». قال: بطور سيناء، حيث كلم الله موسى(١)، ثم سرنا فقال: انزل فصل، فصليت. فقال: أتدري أين صليت؟ قال: «لا». قال: ببيت لحم ، حيث ولد عيسى(٢)، فبينما أنا أسير إذ سمعت نداء عن يميني: على رسلك يا محمد حتى أسألك، فلم أعرج عليه، ونداء عن شمالي: على رسلك يا محمد حتى أسألك، فلم أعرج عليه. ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة فقالت: على رسلك يا محمد حتى أسألك، فلم أعرج عليها. فسألت جبريل عن ذلك

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٢٦٦-١٦٥)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ، عن ابن عباس قال: ذكر رسول الله ﷺ حين أسري به فقال: «موسى آدم طوال كأنه من رجال شنوءة» ، وفي رقم (٢٦٧): «مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران ؑ، رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة» . وشنوءة: قبيلة معروفة، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: سموا بذلك من قولك: رجل فيه شنوءة أي تقزز، وقال الجوهري: الشنوءة: التقزز وهو التباعد من الأدناس. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٤).

(٢) في حديث مسلم المتقدم قبل هذا قال عن عيسى: «عيسى جعد مربوع»، وفي (٢٦٧): «ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس». المربوع: هو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقير، وقال العلماء: المراد بالجعد هنا جعودة الجسم، وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشعر. انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٥)، ط. دار الكتب العلمية.

فقال: الأول داعي اليهود، لو أجبت لتهودت أمتك. والثاني داعي النصارى، لو أجبته لتنصرت أمتك.

والمرأة هي الدنيا لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

● حكاية:

كان بعض العارفين يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا، فقيل له: إن ثيابك تساوي خمسمائة دينار. فقال: اجعل الدنيا على ظاهرك ولا تجعلها في باطنك، فلو ملكتها وأنت غير راض لها بقلبك فأنت زاهد، ولو لم تملك منها شيء وأنت محب لها بقلبك فأنت راغب فيها مذموم.

ومن علامة كون الدنيا في القلب: البخل بها؛ لأن إخراج المحبوب من القلب عسر، ومن علامة كونها في اليد فقط: الجود بها.

فإن قيل: محمدٌ ﷺ أشرف الخلق فكيف قال: «**حبب إليّ من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)]؟

فالجواب: إن هذه الثلاث وإن كانت في الدنيا صورة، فليست حقيقة؛ لأن المذموم من الدنيا هو الزائد على قدر الكفاية، وأما ما لابد منه من مسكن وخادم وزوجة وقوت فليس من الدنيا.

وجواب آخر: أنه ﷺ كان مشرعًا، فحبب الله الثلاثة لتكون شريعته متبعة إلى يوم القيامة، لأن حب الطيب يزيد في العقل، وبقدر العقل يقوم الدين، والنساء سبب العفة، وكثرة النسل وبكثرة العباد تكثر العبادة، وما ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن نبيًا إلا وقد تزوج حتى يحيى عليه السلام، وأما عيسى فإنه ينزل ويتزوج بعد نزوله.

وقيل: أراد بالطيب قلب أويس القرني[(٢)]؛ لأنه احترق بنيران محبة الرسول. فلذلك قال ﷺ: «**إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن**»[(٣)]، وقبره بالكوفة رحمه الله،

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦١-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢١، ٢٨٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٥)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ١٩٤، ٢٧٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣١١)، (٨/ ١١٧)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٣، ٣٥٨).

(٢) أويس القرني هو أويس بن عامر (عمرو) بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد، أبو عمرو القرني المرادي التميمي العابد، سيد التابعين، ذكره البخاري في الضعفاء له، وقال: في إسناده نظر واستنكر الذهبي على البخاري تضعيفه، وقال: وما روى الرجل شيئًا فيضعف أو يوثق من أجله، وقال ابن عدي: ليس له من الرواية شيء، وروى له مسلم في كلامه، وقد توفي سنة (٣٧)، انظر التهذيب (١/ ٣٨٦)، والتقريب (١/ ٨٦).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٥١، ٣٠٤)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٨٠)، (٨/ ١٢٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٠٣)، (٣/ ٢١٧).

مات في خلافة عليّ رضي الله عنه[1] .

وما أحسن ما قال في كتاب «تنبيه السالك» للشيخ تقي الدين الحصني -رحمه الله- شعرًا:

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك ... ويا دار دنياء إنني راحل عنك
ويا قص الأيام ما لي وللمناديا ... يا سكرات الموت ما لي وللضحك
وما لي لا أبكي لنفسي بعبرة ... إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن يبكي

وقال الخواص رحمه الله: الزهد ثلاثة أحرف: الزاي ترك (الزمنه) [2] ، والهاء: ترك الهوى، والدال: ترك الدنيا. وقال غيره: الزهد بلا تواضع كالشجرة بلا ثمر، والعباد بلا علم كمن بيده قوس وسهم، ويريد إصابة النجوم.

قال النبي ﷺ: «ثم رأيت شابًا حسنًا طيب الرائحة فقبلني بين عيني، ثم غاب عني، فسألت جبريل عنه، فقال: هذا الدين، أبشر ؛ فإن أمتك يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين ويدخلون الجنة آمنين.

ثم أتيت بثلاثة أقداح: قدح من لبن، وقدح من ماء، وقدح من خمر.

فأخذت اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة، ولو شربت الماء غرقت أمتك، أو الخمر لسفهت أمتك، فشربت بعض اللبن، فقال جبريل : لو شربته لم يدخل أحد من أمتك النار، فقلت: ردوها، فقال: هيهات، جرى القلم بما حكم.

ثم أتيت بثياب بيض وخضر وصفر وسود، فأخذت الأبيض، فقال جبريل: الثياب البيض[3] ثياب أهل الإسلام، والخضر ثياب أهل الجنة، وجبت لأمتك الجنة، والثياب الصفر ثياب أهل الكتاب، نجت أمتك من اليهودية والنصرانية، والسود ثياب أهل النار، نجت أمتك من النار».

وقال في المصابيح: عن النبي ﷺ: «البسوا الثياب البيض فإنها أطيب وأطهر» [4] .

---

(١) قال الذهبي: قال أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خير التابعين رجل يقال له : أويس بن عامر، كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدرهم في سرته لا يدع باليمن غير أم له، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم» ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة (٣٧).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) حديث: «خير ثيابكم البياض فكفنوا فيها موتاكم» أخرجه ابن ماجه (١٤٧٢، ٣٥٦٦)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٦٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٧٤، ٣٥٥) بلفظ: «خير ثيابكم البياض فالبسوها أحياءً وكفنوا فيها موتاكم».

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، كتاب الطب، باب في الأمر بالكحل، عن ابن عباس، والترمذي (٩٩٤)، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من الأكفان، وابن ماجه (١٤٧٢)، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يستحب من الكفن، والنسائي (٤/ ٣٤-المجتبى)، وابن حبان (١٣٣٩-الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٦٥، ٦٦).

وقال ابن بطال في شرح البخاري: كان النبي ﷺ يلبس البياض ويحض على لبسها، وهي لباس الملائكة الذين نصروا محمداً ﷺ في غزوة بدر وغيره.

قال في العقائق: إن النبي ﷺ جيء له بشيخ وكهل وشاب وقيل له: اختر لك واحداً؟ فاختار الشاب. فقال جبريل: اخترت العافية.

والشيخ هو الدولة، والكهل (١) هو البخت.

● **فائدة:**

«الشاب» من البلوغ إلى الثلاثين، و«الكهل»: منها إلى الخمسين، و«الشيخ»: منها إلى السبعين.

● **فائدة:**

قالت عائشة رضي الله عنها: مر النبي ﷺ على قوم مجذومين فقال: **«ما أشد بلاء هؤلاء»**. قال: **«فإنهم كانوا في أصلاب قوم لم يسألوا الله العافية ولو أنهم تكلموا بهؤلاء الكلمات ما أصابهم هذا: سبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»** .

قال رسول الله ﷺ: **«ثم مررت على قوم يدعون في يوم ويحصدون في يوم. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف.**

ثم مررنا على قوم ترضخ رءوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلاة.

ثم مررنا على قوم على أدبارهم رقاع، وعلى أقبالهم رقاع يسرحون إلى الزقوم، كما تسرح البهائم إلى الضريع.

قلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤتون الزكاة».

قال مجاهد (٢) وقتادة: الضريع: نبات لاصق بالأرض، له شوكة، فإذا كان رطبًا رعاه

---

(١) وذلك في قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٥، ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة:١١٠].

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم المقري المفسر، مولى قيس بن السائب، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠١، ١٠٢، ١٠٣). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩)، الكاشف (٣/ ١٢٠)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤١١)، الجرح والتعديل (٨/ ١٤٦٩)، =

الإبل، وإذا يبس لا تأكله، اسمه في أيام الربيع: الشبرق، وفي أيام الصيف : الضريع.

ثم مررنا على قوم مجذومين بين أيديهم لحم طيب، ولحم خبيث، يأكلون الخبيث ويتركون الطيب، فقلت: من هؤلاء؟ قال: الزناة»[١].

● تنبيه:

للشيخ السالك تقي الدين الحصني رحمه الله من حديث أبي ذر: ما لقي العبد ربه بذنب بعد الشرك أعظم من أن يضع نطفة في رحم حرام.

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: الزنا مع المحصنة أعظم عند الله من سبعين ذنبًا من الكبائر، ومن زنا بمحصنة [٢] فعليه لعنة الله والملائكة إلى يوم الدين.

«ثم مررنا على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت، فقلت: من هؤلاء؟ قال: الخطباء الذين يقولون ولا يفعلون.

ثم مررنا بحجر صغير يخرج منه ثور كبير، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع. فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: رجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فيريد أن يردها فلا يستطيع [٣].

ثم رأيت نساء معلقات بأشفار عيونهن، فقلت: من هؤلاء؟

قال: الذين يمنعون أولادهن ويرضعن أولاد غيرهن».

وقال علي ﷺ: دخلت على النبي ﷺ وهو يبكي، فسألته عن ذلك، فقال: «رأيت

=ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩)، الحلية (٣/ ٢٧٩)، تراجم الأحبار (٣/ ٣٣٦)، نسيم الرياض (١/ ١٤٢)، سير الأعلام (٤/ ٤٤٩)، الثقات (٥/ ٤١٩)، العبر (١/ ١٢٥).

(١) الزنا عبارة عن وطء مكلف في فرج امرأة مشتهاة خال عن الملك وشبهته، ويثبت به حرمة المصاهرة نسبًا ورضاعة، ولما كانت جريمة الزنا من أبشع الجرائم التي ترتكب ضد الشرف والأخلاق والفضيلة والكرامة، وتؤدي إلى تقويض بناء المجتمع، وتفتيت الأسر، واختلاط الأنساب، وقطع العلاقات الزوجية، وسوء تربية الأولاد، بل تفضي إلى ضياع الطفل الذي هو قتل له معنى، فإن ولد الزنا ليس له من يربيه، والأم بمفردها لا تستطيع تربيته والقيام بشئونه لقصور يدها فيشب على أسوأ الأحوال، ويصير عضوًا فاسدًا في جسد المجتمع الإنساني، ينشر الحقد والبغضاء ويبث الفساد والإجرام. الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ٤٢).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٥ -١٦٧٦)، كتاب القسامة، ٦-باب ما يباح به دم المسلم، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» .

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٦١٦)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، عن معاذ بن جبل من حديث طويل وفيه: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» ، وكذا رواه ابن ماجه (٣٧٩٣)، والمنذري في الترغيب. ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦، ٢٣٧)، وفيه: «هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» .

ليلة أسري بي نساء من أمتي في عذاب شديد، رأيت امرأة معلقة بثديها، والقطران يصب في حلقها، وهي التي ترضع أولاد الناس بغير رضا زوجها)) .

وفي حديث آخر: ((إذا اكتحلت المرأة لغير وجه زوجها سود الله وجهها، وجعل قبرها حفرة من حفر النار)) .

وفي تحفة العروس ونزهة النفوس: سافر رجل في عهد النبي ﷺ وقال لزوجته: لا تخرجي من البيت فمرض أبوها، فاستأذنت النبي ﷺ في عيادته، فقال: ((أطيعي زوجك))، فمات أبوها، فاستأذنت النبي ﷺ في النزول لتحضر دفنه، فقال: ((أطيعي زوجك)) ، ثم أخبرها بأن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها[1].

قال النبي ﷺ: «ثم مررنا على واد فوجدنا ريحًا طيبة مع صوت حسن، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة[2]، تقول: رب ائتني بما وعدتني، فقد كثرت غرفي وحريري وذهبي وفضتي ولؤلؤي ومرجاني وأكوابي وفواكهي وعسلي ولبني ومائي وخمري، فائتني بما وعدتني. فقال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة لا يشرك بالله شيئًا، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد. فقالت: رضيت.

ثم مررنا على واد فسمعنا صوتًا منكرًا، فقلت: ما هذا؟ قال: صوت جهنم تقول: رب ائتني بما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري. فقال: لك كل مشرك ومشركة لا يؤمن بيوم الحساب. فقالت: رضيت.

ثم مررنا على خشبة في الطريق لا يمر عليها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: قوم من أمتك يقطعون الطريق».

قال: «فلما وصلنا بيت المقدس ربط جبريل البراق[3]، ودخل الأقصى فوجد نصفه قد امتلأ من الملائكة، ورأيت النبيين صفوفًا. فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟

قال: إخوانك الأنبياء، زعمت قريش أن لله شريكًا، واليهود والنصارى أن لله ولدًا، سل هؤلاء المرسلين هل كان له شريك أو ولد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ

---

(١) في رواية للحاكم (٤/ ١٧٢)، بلفظ: ((لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها)) ، وهو في الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٥٢)، والترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٥٤)، وذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٥)، بلفظ: ((لو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٦٣-١٦٣)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، عن أنس، وفيه: ((ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)).

(٣) في رواية مسلم (٢٥٩-١٦٢)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، عن أنس وفيه: ((فركبته - أي البراق- حتى أتيت بيت المقدس)) قال: ((فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء)) .

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(١) [الزخرف: ٤٥]. فأقروا كلهم بالوحدانية لله تعالى. ثم أقام جبريل الصلاة، وقال: تقدم يا أكرم الخلق على الله».

وسئل الإمام النووي رحمه الله في الفتاوى عن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء ليلة المعراج(٢) هل هي الصلاة المعهودة أو الدعاء؟ فأجاب بأنها الصلاة المعهودة، وأن اللفظ يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية، وإنما يحمل على اللغوية إذا تعذر حمله على الصلاة الشرعية.

ثم يحتمل أنه كانت الصلاة قبل صعود السماء، ويحتمل بعد نزوله.

فلما فرغ النبي من الصلاة أثنى كل واحد من الأنبياء على ربه، فقال آدم عليه الصلاة والسلام: الحمد لله الذي خلقني بيده وأسجد لي ملائكته، وجعل الأنبياء من ذريتي.

وقال نوح عليه السلام: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فنجاني من الغرق بالسفينة، وفضلني بالنبوة.

وقال إبراهيم عليه السلام: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكًا عظيمًا واصطفاني بالرسالة وأنقذني من النار وجعلها عليّ بردًا وسلامًا.

وقال موسى: الحمد لله الذي كلمني تكليمًا، واصطفاني على الناس برسالته، وأنقذني من النار وأنزل عليّ التوراة وألقى عليّ محبة منه(٣).

---

(١) أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلت عظمته: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، تفسير ابن كثير (١٢٩/٤).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٧٨-١٧٢)، كتاب الإيمان، ٧٥- باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، عن أبي هريرة وفيه: ((وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم -يعني نفسه ﷺ- فحانت الصلاة فأممتهم...)) الحديث. قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله: قد تكون الصلاة هنا بمعنى الذكر والدعاء وهي من أعمال الآخرة، قال القاضي: فإن قيل: كيف رأى موسى عليه السلام يصلي في قبره وصلى النبي ﷺ بالأنبياء ببيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات، وسلموا عليه ورحبوا به؟ فالجواب: أنه يحتمل أن تكون رؤيته موسى في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعود النبي ﷺ إلى السماء، وفي طريقه إلى بيت المقدس، ثم وجد موسى قد سبقه إلى السماء، ويحتمل أنه ﷺ رأى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلى بهم على تلك الحال الأولى ما رآهم ثم سألوه ورحبوا به أو يكون اجتماعه بهم وصلاته ورؤيته موسى بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى، والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٢٠٥/٢).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩].

وقال داود: الحمد لله الذي أنزل عليّ الزبور وألان لي الحديد [١].

وقال سليمان : الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس وعلمني منطق الطير وأعطاني ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي [٢].

● **فائدة.**

عن عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أكثر من الحمد، فإن لها عينين وجناحين تطير بهما وتستغفر لقائلها إلى يوم القيامة**». شعر:

يا نفس نلتي المنى فاستبشري وسلي ... هذا المقام وهذا سيد الرســــــل
هذا الذي ملئت قلبي محبـــــــته ... هذا الذي شهرت من أجله مقلــي
هذا الذي للهدى والدين أرشـدنـا ... لملة شرعها يسمــــو علـــــى الملل
هذا الذي سق إكرامًا له قمـــــراً ... لما أشار له في محفــــــل حفـــــل
هذا الذي رد عينًا بعدمـــــا قلعـت ... وريقه قد شفا عين الإمام علــي [٣]
هذا الذي إذ مشى في التراب ما لا أثـر ... يرى له ويرى في الصخر والجبـــــل
هذا الذي حن جذع عند فرقـــتـه ... وكان من ولهٍ تجيء على عجـــــل
هذا الذي جاء بها وهـــي مالحـــة ... ومج فيها فصـــار المـــاء كالعســـل
هذا الذي فار مـــاء مـن أصابعـــه ... مثل الزلال كالأنهـــار في الســــيل
هذا الذي إذا دعــا جاءت له شجـر ... تجر أصلها حـــياء علـــى عجـــل
هذا الذي سبح الحصى براحتيـه [٤] ... والضب كلمه جهراً مـــع الجمـــل
هذا الذي راودته الشم من ذهـــب ... فردها وإلى الدنيا فلــــم يمـــل
هذا الذي روضة مـــا بين منـبره ... وقبره من رياض الخلد [٥] لم يـــزل

---

(١) في قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ:١٠].

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥].

(٣) روى مسلم في صحيحه (٣٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، عن سعد، وفيه: «فقال: ادعوا لي عليًا» ، فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، الحديث، وذلك في غزوة خيبر.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، والمناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ عن أنس وفيه: «فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم»، وفي البخاري في المناقب علامات النبوة، عن عبدالله وفيه: «لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام».

(٥) حديث: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، ٥-باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم (٥٠٢)، كتاب الحج، ١٢-باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ومالك في الموطأ(١/ ١٩٧)=

يا سيد الخلق يا من جاز مرتبة　　عليا وقد جل عن شبه وعن مثل
يا درة الأنبياء يا روضة العلماء　　يا ملجأ الغرباء يا سيد الرسل
العبد عبداً يأتي يوماً بزلته　　إليك وهو من الأوزار في خجل
يرجو بمدحه غفران ذلته　　مع الرضا وحلول الخلد والحلل
صلى عليك إله العرش[1] خالقنا　　في الليل والصبح والإبكار والأصل
واخصص أبابكر ثم الحق به عمراً　　كذلك عثمان ذو النورين ثم علي
والأصحاب والأتباع أجمعهم　　أولي النهار والفخار السادة النحل
والتابعين إلى الإسلام قاطبة　　والتابعين بإحسان وكل ولي

الموكب الثاني: في المعراج من بيت المقدس إلى السماء. قال الأستاذ شرف الدين عيسى السهروردي رحمه الله : لما علت بهم الأنبياء المراتب وتفاوتت منازلهم في المناصب، تقدم ذكر آدم باصطفائه[2]، وإدريس[3] بعليائه، ونوح بقبول دعائه، وإبراهيم بخلته ووفائه، وموسى بخطابه وندائه، وعيسى بإنعاشه للميت وإحيائه.

خرج جاويش الدولة الأحدية والرسالة المحمدية ناطقاً بكريم أوصافه، وحسن رعايته وإسعافه وجليل أسمائه وقدره، وقد عقد (صفاءً حتى)[4] عزه بتاج نصره، فلم يكن لأحد منهم فضيلة إلا وأعط محمداً مثلها، ولم يذكر مدحة إلا كان محمداً أحق بها وأهلها.

ثم قيل: يا جبريل، ائت إلينا بصاحب المحل الأسنى، المبعوث بالحسنى، حين يفضل على أهل الكونين بمقام قاب قوسين[5]، وتلطف في يقظته من المنام، فهو قائم في

=في كتاب القبلة، ٥-باب ما جاء في مسجد النبي ﷺ، رقم الحديث (١٠)، والترمذي (٥/ ٦٧٥)، في المناقب، باب في فضل المدينة رقم الحديث (٣٩١٥)، (٣٩١٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٦٥).

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٍ﴾.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف السلف والخلف: هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة رضي الله عنها كما في صحيح مسلم، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمه الله، وكان يحلف على ذلك، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه، ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة، وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه. النووي في شرح مسلم (٣/ ٥).

المسجد الحرام، ادعه لمناجاتي بألطف كلام.

فإن سألك: أين المقام؟ فقل: إلى مقام لا تصله الأوهام ولا تجوز إليه الأفهام.

فجاء جبريل بالبراق وجلس عند رأس المصطفى حتى أفاق، فدعاه إلى الصمود إلى أعلى مراتب السعود.

فسار المخصوص بالتوفيق، وجبريل له رفيق، حتى وصل إلى المسجد الأقصى وقد عاين في طريقه من العجائب ما لا يحصى، جمع الله له النبيين الكرام، فصلى بهم ركعتين عليهم الصلاة والسلام، ثم صعد على المعراج إلى العلا، ثم مر عليه ملأ من الملائكة رحب بهم ذلك الملأ في السماء الأولى بأجمل صفاته، خلعت عليه خلعة تصلح لجميل ذاته مرقوم على إكمالها ما يشهد برفع درجاته ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢].

ثم ارتقى جبريل إلى السماء الثانية في أسرع من طرفة عين، وبينهما مسيرة خمسمائة عام فضرب جبريل بابها، فأجابه ملك وقال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد رسول رب العالمين، ففتح لنا الباب فدخلنا، وإذا بملائكة ساجدين رافعين أصواتهم بالتسبيح والتقديس لربّ العالمين. فقلت: هكذا تكون العبادة لله -عز وجل-. فقال جبريل: يا محمد سل ربك أن يعطيك ما أعطاهم.

وخلعت عليه في السماء الثالثة خلعة نال منها فخرًا كثيرًا مرقوم عليها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وخلعت عليه في السماء الرابعة خلعة دار بهاء في الملكوت مبتهجًا مرقوم عليها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

وخلعت عليه في السماء الخامسة خلعة زاده على النبيين تعظيمًا مرقوم عليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وخلعت عليه في السماء السادسة خلعة التكريم مرقوم عليها: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وخلعت عليه في السماء السابعة (جر بها) (١) على أهل السماء ذيلًا مرقوم عليها: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

ولكن رفرف النور الأزهر فتقدم، وجبريل تأخر.

---

(١) كذا بالأصل.

ثم زج في الأنوار، ورفعت له الأستار حتى سمع شفاةً كلام الجبار، فقربه وما (.....)[1] وآنسه وناداه: السلام عليها أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

قال ابن الجوزي رحمه الله في كتاب الماجوديات في الأسئلة والجوابات: لما اجتهد من حاز السيادة في أبلغ العبادة واستعظم في الملأ الأعلى عقله، وعرف في الوجود فضله، زاده الكريم تكريمًا وتفضيلاً. وأنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] [المزمل: ١].

فقال: وعزتك لا زلت في خدمتك حتى تتلف فيها مهجتي وتغفر لأمتي، فقيل: يا محمد، جرت عادة السادة في مقام السيادة إذا أحبوا إحضار إحدى العبيد بمجلس الإجلال والتمجيد وأرادوا إتحافه تحف الإنعام في مقام الإكرام والتفضل والتكريم.

فقيل: ألست قمت لنا في الظلام على أقدام مجاهدتك، ففيه ندعوك إلى دار كرامتك سترًا على ذلك وغيره على جلال جمالك.

ثم نودي بين حجب الجبروت وفي فضاء الملكوت : يا جنة عدن تزيني، ويا دار النعيم تكوني، ويا حلل الإنعام تلوني، ويا حور تبختري، ويا سموات افتخري.

فقالت : إلهنا ما الخبر؟ قال: الليلة تقدم لزيارتنا سيد البشر، مما شق جيب المغيب نشرت أعلام نصر من الله، وفتح قريب على أبواب الدولة المحمدية والرسالة الأحمدية.

جاءه جبريل وتقدم ودنا منه وسلم، حياه وأكرمه وأجله واحترمه، وقال: أيها السيد قم على أقدام المسرة، فقد جئت إلى الحضرة، فركب في حشمة رسالته ودارت به مواكب كرامته، فلما وصل مقام الإجلال كقاب قوسين لدنو الجمال قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، قيل: لمن هذا الاستغفار؟ قيل: لأمتي، عبدهم كعبدي وأمتهم كأمتي، فهل تطلب كل الأمة أو بعضها.

قال: كم هي في وصف كرمك؟ قيل: انظر عن يمينك، فإذا واديًا مملوءًا دخانًا، فقال: ما هذا الدخان؟ قال: سوء فعالهم وقبيح أعمالهم . فقال: أتريد أن توحش قلبي منهم وتنفر فؤادي عنهم، ووعدك الحق في (....)[3] كرامتك، فقيل: قد وهبناك ثلثهم، فقال: وعزتك وجلالك لا أرضى؟ فقال: النصف، قال: لا أرضى بدون الكل، يا إلهي لما

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) قال العلماء: المدثر والمزمل والمتلفف والمشتمل بمعنى واحد، ثم الجمهور على أن معناه: المدثر بثيابه . النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٠).

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

أنزلت عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١، ٣].

والنصف إذا أنقص منه قليل صار إلى الثلث، فعبدك ما رضي في خدمتك بالثلث والنصف، بل قمت الليل كله فما أرضى إلا بالأمة كلها.

فقيل له: قد مننا عليك بأمتك وغفرنا لهم بخدمتك، ولأرفعن قدر من صلى عليك منهم ببركتك.

قال في عقائق الحقائق: لما وصل النبي ﷺ إلى بيت المقدس[1] صلى بالأنبياء ركعتين على ملة إبراهيم، قرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية: ((الإخلاص)).

وتقدم في فتاوى الإمام النووي رحمه الله في الموكب الأول: إنها الصلاة المعهودة.

ثم أخذ جبريل بيده إلى ناحية الصخرة ونادى: يا إسماعيل، حل المعراج، فجاء به من الفردوس أحد شقيه من ياقوتة حمراء والأخرى من زبرجدة خضراء وهو منضود باللؤلؤ من أحسن شيء خلقه الله، وما من مؤمن إلا يراه عند موته يشخص ببصره، أصله على الصخرة ورأسه ملصق بسماء الدنيا، له مائة درجة من الذهب والفضة والزبرجد والياقوت والمسك والعنبر، فلما صعدت على الدرجة الأولى رأيت ملائكة ألوانهم حمر، ثم صعدت الثانية فرأيت ملائكة ألوانهم صفر وثيابهم صفر، ثم صعدت الثالثة، فرأيت ملائكة خضراً وثيابهم خضر، ثم صعدت الرابعة ورسول يأتي بعد رسول ويقول: يا جبريل عجل بمحمد، فرأيت ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرآة.

ثم صعدت الخامسة فإذا عليها ملائكة أكثر من الجن والإنس كلامهم: لا إله إلا الله[2].

ثم صعدت السادسة فإذا عليها ملك عظيم على كرسي من ذهب معه ملائكة شاخصون بأبصارهم هيبة لله، كلامهم: لا إله إلا الله.

ثم صعدت السابعة فرأيت عليها ملائكة كاد بصري يذهب من نورهم،

---

(١) أما بيت المقدس ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة، إحداهما بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، قال الواحدي: أما من شدده فمعناه: المطهر، وأما من خففه فقال أبو علي الفارسي: لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً، فإن كان مصدراً كان كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وإن كان مكاناً فمعناه: بيت، المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة، النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٤).

(٢) أخرج الترمذي (٣٥٨٥)، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، وفيه: ((خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)).

فاستقبلوني بالتعظيم، ورأيت على الثامنة ملائكة ساجدة لله تعالى، ورأيت على التاسعة ملائكة قصر فهمي عن صفتهم، ورأيت على العاشرة ملائكة يسبحون الله تعالى بأنواع اللغات، ورأيت على الحادية عشر ملائكة لا يحصون لكثرتهم، ورأيت على الثانية عشر ملائكة وجوههم كالأقمار، وعلى الثالثة عشر ملائكة لهم بالتسبيح والتقديس، يكاد يذهب بالأسماع، وعلى الرابعة عشر إسماعيل ومعه سبعون ألف ملك، زاد بعض العلماء مع كل ملك منهم مائة ألف ملك.

ورأيت على الخامسة عشر رقيائيل ومعه مائة ألف ملك. حتى بلغت الرابعة والعشرين، فإذا عليها ملك اسمه قلائيل، يده اليمين تحت السماء، والأخرى فوقها وبين كل أصبعين سبعة آلاف ملك، إذا سبحوا الله تعالى يتناثر اللؤلؤ من أفواههم، طول اللؤلؤة الواحدة ثمانون ميلاً، لها ملائكة موكلون بها يلتقطونها إلى شاطئ النهر الشرقي.

ورأيت ملائكة تسبيحهم: سبحان ربي الأعلى، ورأيت سريراً من ذهب قوائمه من الياقوت له أجنحة من الزبرجد على خمسة قوائم مع كل قائمة خمسون ألف ملك، كل قائمة تقول: شرفني بقدمك يا محمد، فجمع الله الكل تحت قدمي، ثم طار، ورأيت ملكًا دموعه لؤلؤ وهو ينادي: يا غفار، اغفر لأمة محمد.

● مسألة:

قال الأسنوي في الكواكب: عن عبدالله بن سلام والقرافي: لا يجوز الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب أو بعدم دخولهم النار لأنا نقطع بخبر الله تعالى وخبر رسوله أن فيهم من يدخل النار.

وأما الدعاء الذي في سورة نوح [1] عليه السلام محمول على أهل زمانه.

قال النبي ﷺ: ثم لم أزل أصعد درجة بعد درجة، وجبريل تحت البراق، ورسول يأتي بعد رسول ويقول: يا جبريل، عجل. حتى كنت في أعلى درجة، فسمعت الملائكة يهللون ويسبحون ويقدسون الله، فقرع جبريل بابًا من أبواب السماء، وهو الباب الخاص بمحمد ﷺ، وهكذا في كل سماء.

فأقبل إسماعيل على فرس من نور عليه رداء من نور، بيده حربة من رب العالمين، أعمال العباد بالنهار بيده اليمنى، وعملهم بالليل بيده اليسرى، ومعه ألف موكب من الملائكة.

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح:٢٨].

فقال: من هذا؟ من معك؟

قال جبريل: محمد. قال: قد بعث إليه، وفي رواية: قد أرسل إليه -وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة ، فإن ذلك لا يخفى هذه المدة، وإنما المراد أرسل إليه إلى السماء-؟ قال: نعم، ففتح فصعد إلى السماء الدنيا وهي موج مكفوف حبسه في الهواء.

ثم قال لها: كوني زمردة خضراء، فكانت.

وتسبيح أهلها: سبحان ذي الملك والملكوت، من قالها له مثل ثوابهم.

قال النيسابوري: وهم سجود إلى يوم القيامة.

● **فائدة:**

ذكر القرطبي رحمه الله: أن عفريتًا تبع النبي ﷺ ليلة المعراج بشعلة من نار، فخاف منه النبي ﷺ فقال جبريل: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن طفئت شعلته، قل: أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامة[١] الذي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن[٢].

وقد روي أنه وجد في السماء الدنيا ملكًا على كرسي فسلم عليه النبي ﷺ، فرد عليه ولم يقم، فأوحى الله إليه: أيها الملك، يسلم عليك حبيبي محمد فترد عليه السلام وأنت جالس، فوعزتي وجلالي لتقومن له إلا على رجل واحدة، ولتسلمن عليه ، ثم لا تجلس إلى يوم القيامة.

● **فائدة:**

عن أبي عبدالله الموصلي قال: من أراد أن يحمد الله بأفضل ما حمده أحد من الأولين والآخرين والملائكة المقربين، ويصلي على محمد أفضل ما صلى عليه أحد غيره، ويسأل ربه أفضل ما سأله أحد من خلقه فليقل: اللهم لك الحمد كما أنت أهله، وصلي على سيدنا محمد ما أنت أهله، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٥١)، وهو معضل وهو عند النسائي موصول من حديث يحيى بن سعيد عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش السلمي عن ابن مسعود مرفوعًا بمثل معناه، وسيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي (٩٥٦)، في عمل اليوم والليلة، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥١)، والطبراني ف(١٠٦٠)، في الدعاء، وذكر في سلاح المؤمن (٣٦)،، ولنا مختصر سلاح المؤمن للذهبي من تحقيقنا ، ط. دار الكتب العلمية.

وفي كتاب البركة: أفضل الصلاة: اللهم صل على محمد أفضل صلاتك، وعدد معلوماتك وملء أرضك وسمواتك.

قال ﷺ: وإذا برجل كهيئته يوم خلق الله وهو يعرض عليه أرواح ذريته (١) ، فإذا كان روح مؤمن قال: روح طيبة، اجعلوا كتابه في عليين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي في الجنة، وقال أيضًا: هو لوح من زبرجد معلق بالعرش أعمالهم مكتوبة فيه. وقال مجاهد وقتادة : في عليين، أي في السماء السابعة، وإذا كان روح كافر قال: روح خبيثة، اجعلوا كتابه في سجين، قال مجاهد: صخرة تحت الأرض السابعة. وفي الحديث: ((أرواح الكفار في بئر برهوت بأرض اليمن)) .

قال ابن العماد: والمياه المكروهة سبعة: بئر الحجر بأرض ثمود، وبئر برهوت بأرض اليمن. وقال ﷺ: ((خير بئر في الأرض: زمزم، وشر بئر في الأرض، بئر برهوت)). وبئر ذروان بطيبة، وبئر بابل بأرض العراق، وبئر زمزم.

وقال أبو الفتوح العجلي في نكت الوسيط: الأولى أن لا يتطهر بماء زمزم.

وقال الماوردي: لا يجوز استعماله في نجاسة.

وقال في الروضة : هو كغيره، أي فيجوز أستعماله مطلقًا.

وعنه ﷺ: «**فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم** عليه السلام، **فسلمت عليه، فرد عليّ السلام وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح**(٢)، **وإذا عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك، وعن يساره باب إذا نظر إليه بكى شفقة على من يدخل النار من ذريته**».

---

(١) في حديث الإسراء الذي رواه مسلم (٢٦٣-١٦٣)، في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، وفيه: ((فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، قال: فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال: فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، قال: قلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا آدم ﷺ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى...)) الحديث. قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله في هذا الحديث أنه ﷺ وجد آدم ونسم بنيه من أهل الجنة والنار، وقد جاء أن أرواح الكفار في سجين، قيل: في الأرض السابعة، وقيل: تحتها ، وقيل: في سجن وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة، فيحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتًا فوافق وقت عرضها مرور النبي ﷺ، ويحتمل أن كونهم في النار والجنة إنما هو في أوقات دون أوقات بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ بقوله ﷺ في المؤمن: «عرض منزله من الجنة عليه وقيل له: هذا منزلك حتى يبعثك الله إليه»، ويحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم عليه السلام، والنار في جهة شماله، وكلاهما حيث شاء الله، والله أعلم. وقوله ﷺ: ((إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى)) فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله وحزنه وبكاؤه لسوء حاله. انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ١٨٨).

(٢) تقدم في مسلم، وقد ورد عن آدم وإبراهيم عليهما السلام هذا القول.

فإن قيل: أرواح المؤمنين في السماء، وأرواح الكفار تحت الأرض، فكيف تكون في السماء؟ قلنا: يحتمل أن تكون أرواح الكفار تعرض على آدم في السماء، فوافق عرضها على آدم مرور النبي ﷺ[(١)].

المركب الثالث: أجنحة الملائكة من سماء الدنيا إلى السماء السابعة: أنشد يقول شعر:

غرامي بمن لم يخلــق الله مثلـــه	وليس حبيب منه أتقى ولا أنقـــى
هو السؤل طه الهاشمي محمـــد	وأحمد من محمود اسمًا اشتقـــاه
له صفة ما حدها قط واصـــف	ويكفيك أن البدر من أجله شقـا[(٢)]
ويكفيك أن الله أوجـد نـــوره	كذلك حقًا كمل الخلق والخلقـــا
ويكفيك أن الله كمـل حســـنه	وسماه طه قبل أن يخلق الخلقـــا
ويكفيك أن الشمـس ردت لأجله	ومن نوره الفياض قد نور الأفقـا
ويكفيك أن السحب هاجت وأمطرت	بدعوته لما أشار إذا استسقـــا[(٣)]
ويكفيك أن الصخر لان لنعلـــه	وليس على ترب ترى أثر (سقا)[(٤)]
ويكفيك أن العين سالت فردهـا	فكان الشفاء للداء من فمه للرتقـا
ويكفيك أن الله رقاه للعـــلا	فأكرم به مولى له الله قد رقـــا
ويكفيك أن لولاه ما كانت السما	ولا الأرض بل لولاه ما كانت رسلا
ويكفيك من صلى عليه فربـــه	عليه يصلي عشرة[(٥)] ثم لا يشقـــا

---

(١) انظر ما تقدم من شرح مسلم للنووي والذي أثبتناه في التحقيق.

(٢) قال البخاري: حدثني عبدالله بن عبدالوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما. ورواه مسلم من حديث بكر بن نصر عن جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

(٣) روى مسلم في صحيحه (٨-٨٩٧)، كتاب صلاة الاستسقاء، ٢-باب الدعاء في الاستسقاء، عن أنس بن مالك وفيه: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: ((اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا)) قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة -هي القطعة من السحاب- وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا.... الحديث.

(٤) كذا بالأصل وأظنها: (سيرًا).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه (٧٠-٤٠٨)، كتاب الصلاة، ١٧-باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرًا)). قال النووي: قال القاضي: معناه رحمته، وتضعيف أجره كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. واعلم أن في البيت الذي قبل هذا مبالغة شديدة ومنافاة للحق ومغالاة في مدحه ﷺ لا تجوز، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة كتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية فإنه أجاد وأفاد في ذلك، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

قال النبي ﷺ: «ثم حثثنا المسير خمسمائة عام في الهواء، وإذا ليس في الهواء موضع شبر إلا وفيه موضع ملك يسبح الله، حتى انتهينا إلى السماء الثانية، وهي من حديد ، فقرع جبريل بابًا من أبوابها.

فأقبل حرقائيل -وقيل: رقائيل- في ألف موكب من الملائكة ولهم ضجة أشد من ضجة أهل سماء الدنيا، فقال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: من معك؟ قال: محمد نبي الرحمة، ففتح الباب، فرأيت ملائكة وجوههم كوجوه البقر على خيل مسومة متقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب.

فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: ملائكة خلقهم الله لنصرتك على الأحزاب، وتسبيحهم: سبحان ذي العزة والجبروت، من قالها كان له مثل ثوابهم».

مسومة: أي مُعلَّمة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الملائكة على خيل بلق بعمائم صفر.

قال النبي ﷺ يوم بدر: «سوموا خيلكم»[1]، فعلّم حمزة فرسه بريشة، وعلي رضي الله عنه بصوفة بيضاء. وستأتي غزوة (أحد)[2] في مناقب حمزة رضي الله عنه وغزوة بدر في مناقب العباس رضي الله عنه.

قال النبي ﷺ: «ثم نظرت إلى شابين حسنين على سريرين من ياقوتة، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: ابنا الخالة: يحيى وعيسى[3]. فدنوت منهما وسلمت عليهما، وعيسى أحمر اللون كأنه خرج من ديماس».

● **فائدة:**

قال الأطباء: أنفع الحمَّامات ما كان قديم البناء. قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: الحمام والطاحون والزجاج والصابون من عمل الجن.

● **لطيفة:**

قال الإمام أحمد: كنت مع جماعة في حمام تجردوا ودخلوا الماء، فاستعملت الحديث:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٤)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٨٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٥٢).

(٢) بالأصل: (الأحزاب) بينما استشهد حمزة في أحد قبل غزوة الأحزاب.

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢٥٩-١٦٢)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، عن أنس، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، صلوات الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير...» الحديث.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر»[(١)]، ولم أتجرد، فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول: يا أحمد قد غفر الله لك باستعمال السنة، وجعلك إمامًا يقتدى بك. قلت: من أنت؟ قال: جبريل.

قال النبي ﷺ: «ثم رأيت الملائكة أفواجًا أفواجًا يسلمون عليّ، فصليت بهم ركعتين، ثم سار بي في الهواء خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة، فسمعنا أصواتًا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل، فقرع جبريل الباب وهي من نحاس، وقيل: من فضة، ففتح لنا، ورأيت فيها ملكًا معه سبعون ألف ملك، قد خرقت أقدامهم الأرض، وتسبيحهم: سبحان الحي الذي لا يموت، من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها شابًا كالقمر. فقلت: من هذا؟ قال: هذا يوسف[(٢)]. فدنوت منه وسلمت عليه، فرد عليّ أحسن تحية».

قال عكرمة: فضل يوسف في الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على النجوم. قال ابن إسحاق: ذهب يوسف وأمه بثلثي الحسن. قيل: إنه ورث ذلك من جدته سارة رضي الله عنها.

«ثم صليت بالأنبياء عليهم السلام ركعتين. ثم سرنا في الهواء خمسمائة عام حتى انتهينا إلى السماء الرابعة[(٣)]، وهي من ذهب وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها ملكًا، البحار العزبة في نقرة إبهامه اليمين، والمالحة في نقرة إبهامه اليسرى. ورأيت فيها ملكًا على صورة الطائر، قائمًا على شفير نهر، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك قائم على شفير النهر، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، نشر جناحيه، وإذا قال: الحمد لله، دخل في النهر، فإذا قال: سبحان الله، انغمس في النهر، فإذا قال: الله أكبر، خرج من النهر، فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، انتفض فيسقط على كل ريشة سبعون ألف قطرة، فيخلق الله من كل قطرة ملكًا يستغفر لقائلها إلى يوم القيامة».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٠١)، كتاب الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. والنسائي (١/ ١٩٨-المجتبى)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٩١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨، ٢٥٣-الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٤٠، ١٤٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٣).

(٢) في حديث الإسراء المتقدم من صحيح مسلم، عن أنس وفيه: «ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح ... قال: ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير».

(٣) وجد في السماء الرابعة نبي الله إدريس، قال: «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال: ثم مر فقلت: من هذا؟ فقال: هذا إدريس» . انظر حديث الإسراء بصحيح مسلم (٢٦٣-١٦٣).

● **فائدة:**

نقل في كتاب الذريعة لابن العماد بخط مؤلفه رحمه الله قال: روى الإمام أحمد والترمذي[١] عن النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله واحد أحد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد، ولم يكن له كفوًا أحد، عشر مرات كتب الله له أربعون ألف ألف حسنة» .

قال النبي ﷺ: «ثم رأيت رجلاً مسندًا ظهره إلى دواوين الخلق الذي فيه أمورهم، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إدريس. فدنوت منه وسلمت عليه، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح»[٢]، وفي رواية: «رأيت قبة من نور مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه قبة إدريس النبي ﷺ ، فتأملت فإذا فيها رجل كهل. فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إدريس فصافحته، ثم قلت له: يا أخي، إن الله قد رفعك مكانًا عليًا، ودخلت الجنة قبل، ورأيت نعيمها. فقال: يا حبيب الله ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستانًا خارج الجنة. ورأيت على بابها مكتوب: هذا الباب لا يدخله أحد قبل محمد وأمته».

وقيل: إنه فيها كالنائم لا يتنقل فيها، فإذا كان يوم القيامة خرج منها لملاقاة النبي ﷺ ويدخل بعده، وأول طعام يأكل منها على مائدة النبي ﷺ .

قال بعض الفضلاء: إدريس جد نوح، فيكون جد النبي كإبراهيم ﷺ، فكان ينبغي أن يقول : مرحبًا بالابن الصالح، كما تقدم وإبراهيم سيأتي.

لكن الجواب عن هذا: ما قاله القاضي عياض: إن المذكور هنا هو إلياس، وهو من ذرية إبراهيم.

وقال النووي: ليس في الحديث ما يمنع كون إدريس أبًا للنبي ﷺ ويحمل قوله: «مرحبًا بالأخ الصالح» على التلطف والتأدب، فهو أخ وإن كان ابنًا؛ لأن الأنبياء والمؤمنون إخوة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٣)، والترمذي (٣٤٦٨)، في الدعوات بنحوه.

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله: هذا مخالف لما يقوله أهل النسب والتاريخ من أن إدريس أب من آباء النبي ﷺ وأنه جد أعلى لنوح ﷺ وأن نوحًا هو ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو عندهم إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ﷺ، ولا خلاف عندهم في عدد هذه الأسماء وسردها ... إلى آخر كلامه . قال النووي: وليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريس ﷺ أبًا لنبينا محمد ﷺ، فإن قوله: الأخ الصالح، يحتمل أن يكون قاله تلطفًا وتأدبًا وهو أخ وإن كان ابنًا فالأنبياء إخوة، والمؤمنون إخوة والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٨٩).

«ورأيت فيها مريم بنت عمران [١] لها سبعون قصرًا من لؤلؤ ، ولأم موسى سبعون قصرًا من الياقوت مكللة، ولآسية بنت مزاحم سبعون قصرًا من مرجانة حمراء، ولفاطمة بنت محمد [٢] سبعون قصرًا من زمرد أخضر.

ثم سرنا حتى علونا السماء الخامسة وهي من ياقوتة، وتسبيح أهلها: سبحان من جمع بين الثلج والنار، من قالها كان له مثل ثوابهم.

ورأيت كهلاً يقص على قومه فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هارون، فسلم عليّ ورحب بي ودعا لي بخير.

ثم علونا السماء السادسة، وهي من جوهر، وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس، رب الملأ ورب كل شيء، وخالق كل شيء، من قالها كان له مثل ثوابهم، وإذا فيها خلق كثير من ملك ممتلئ ما بين رأسه ورجليه وجوهًا وأجنحة رافعين أصواهم بالبكاء من خشية الله تعالى، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الكروبيون.

قال الإمام النسفي: خلق الله ميكائيل بعد إسرافيل بخمسمائة عام، من رأسه إلى قدميه وجوهًا وأجنحة من زعفران، في كل ريشة ألف عين تبكي رحمة على المذنبين من أمة محمد ﷺ، فيقطر من كل عين سبعون قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكًا ، فهم الكروبيون.

«فأقبلت عليهم بالسلام فجعلوا يردون إيماء برءوسهم لا يتكلمون ولا ينظرون إليّ. فقال جبريل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله تعالى من العرب وهو خاتم النبيين، أفلا تنظرون إليه؟ فأقبلوا عليه بالتحية والإكرام، وإذا برجل آدم أسمر اللون كثيف الشعر لو كان له قميصان لخرج الشعر منهما. فقال: يزعم بني إسرائيل أني أكرم الخلق على الله، وهذا أكرم على الله مني.

فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا موسى بن عمران، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزته بكى [٣] .

---

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، [آل عمران: ٤٢، ٤٣]، وروى البخاري في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ، عن علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم ابنة عمران)).

(٢) روى الترمذي (٣٨٧٨)، كتاب المناقب، باب فضل خديجة، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ((حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)) ، وقال أبو عيسى: حديث صحيح.

(٣) قال النووي: معنى هذا والله أعلم: أن موسى عليه السلام حزن على قومه لقلة المؤمنين منهم مع كثرة عددهم، فكان بكاؤه حزنًا عليهم وغبطة لنبينا ﷺ، على كثرة أتباعه، والغبطة في الخير محبوبة، معنى الغبطة: أنه ورد: أنه يكون من أمته المؤمنون مثل هذه الأمة لا أنه ود أن يكون أكثر أتباعًا وليس لنبينا ﷺ مثلهم، والمقصود أنه إنما بكى حزنًا على قومه وعلى فوات الفضل العظيم والثواب الجزيل بتخلفهم عن الطاعة. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٢).

فقال: ما يبكيك؟ قال: غلام بُعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي».

قال الخطابي: لم يبك موسى حسدًا للنبي على ما أعطاه من الكرامة، بل على نقص حظ أمته، ونقصان عددهم عن عدد أمة محمد ﷺ، وسماه غلامًا لما أعطاه من عظيم الكرامة من غير عمر طويل في طاعة الله عز وجل. وفي المعنى شعر:

هذا مقام الذي لازت به الأمم ... وأذعنت لعلاه العرب والعجم
هذا مقام رسول الله أكرم من ... جاءته الأحكام والحكم
هذا مقام محمد الهادي الذي محيت ... عنا بنور هداه الظلم والظلم
هذا الذي قد سما فوق السما إلى ... مقام عز فشاهت دونه الأمم
هذا الذي ربنا الرحمن خاطبه ... فقدست منه أذن قد وعت وفم
هذا الذي ربنا كشف الحجاب له ... لو رامه غيره زلت به القدم
هذا نبي الهدى المختار من مضر ... هذا به أنبياء الله قد ختموا
هذا الذي نبع الماء الطهور له ... من كفه فسقاه الخلق حين ظمئوا
هذا الذي افترق البدر[1] المنير له ... والكل يشهد إلا الذين عموا
هذا الذي أشرقت أنوار غُرته ... بنورها فأضاء الحل والحرم
هذا المراد من الدنيا وساكنها ... لولاه لم يخلق الأشباح والنسم

قال ﷺ: «ثم علونا السماء السابعة[2] وهي من نور، وتسبيح أهلها: سبحان خالق النور، من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها خلقًا لم يؤذن أن أحدثكم عنهم، ولولا أن الله قوى بصري لم أستطع النظر إليهم، فسلمت عليهم فقالوا: حيان الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم المجيء جاء. ورأيت فيها شيخًا يشبه صاحبكم -يعني نفسه الشريفة ﷺ- وهو على سرير من زبرجدة خضراء قد أسند ظهره إلى البيت المعمور.

قلت من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء

---

(١) في انشقاق القمر تقدم تخريجه قريبًا فانظره.

(٢) روى مسلم في صحيحه حديث الإسراء وفيه: «ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأنها قيعان وأن غراسها : سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

قال البرماوي: القيعان هو: الواسع المستوي من الأرض.

وقيل: الأرض الملساء، وقيل: الأرض لا نبات فيها.

وفي الطبراني من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ: «أكثروا من غراس الجنة فإنه عذب ماؤها ، طيب ترابها» قيل: وما غراسها؟ قال: «ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

قال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «إذا قال العبد: سبحان الله، قال الله تعالى: اكتبوا لعبدي رحمتي»[٣].

وقال ﷺ: «ما سبحت ولا سبحت الأنبياء قبلي بأفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، من قالها خمس مرات أعطاه الله تعالى خمس مسألات اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وارشدني»[٤].

وقال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: قل لأمتك تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله عشرًا عند الصباح، وعشرًا عند المساء، وعشرًا عند النوم، أدفع عنهم عند النوم بلوى، وعند المساء مكايدة الشيطان، وعند الصباح غضبي»[٥].

وقال ﷺ: «أكثروا من: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنها كنز من تحت العرش، ومن أكثر منها نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه أصاب خير الدنيا والآخرة»، وفي رواية: «كنز من كنوز الجنة»[٦]، أي ثوابها من أنفس ما يكون في الجنة، كما أن الكنز لا يكون إلا نفيسًا، انتهى والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، كتاب الدعوات، باب منه، ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٨)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥/ ٨٩٢)، وبنحوه في الترمذي (٣٦٠١)، سيأتي قريبًا.

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٠٢٩).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٠١٥).

(٥) أخرجه في الإتحافات السنية (٦٦).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٣٦٠١) ، كتاب الدعوات ، باب : فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ، عن أبي هريرة ، وابن ماجه (٣٨٢٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٥٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٣٦).

المركب الثالث: جناح جبريل من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى، قال ﷺ: «ثم رأيت ذهبًا صامتًا على كواكب اللؤلؤ تحت كل لؤلؤة خمسون ملكًا ، كل ملك منهم ينادي: مرحبًا يا محمد، أهلاً، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الكاسر الأصنام، الموحد للرحمن. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: عباد السماء السابعة.

ثم رأيت ملكًا معه مائة ألف ملك، فقال: مرحبًا بالعبد الصالح، والنبي الصالح الذي أضاءت له الأرض والسماء، الكريم على الله، اليوم يكرم ويعطى. فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك يسمى: رأس الهدى.

ورأيت ملكًا يقال له (سملائيل)[1] على رأسه تاج من اللؤلؤ والياقوت، اللؤلؤة الواحدة تضيء لأهل الدنيا، ورأيت ملكًا عن يمينه ألف ألف ملك على رءوسهم تيجان من نور وهم يقرأون آية الكرسي[2].

فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خلقوا من قطرة من نور العرش.

فقلت: يا جبريل، ما أكثر عجائب ربي!

فقال: ما رأيت من عجائب ربك إلا ساعة من الليل.

● **فائدة:**

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل النبي ﷺ جبريل عن ثواب آية الكرسي؟ فقال: لما خلق الله الأرض تحركت، فأرسل إليها سبعون ألف ملك ليمسكوها، فلم يستطيعوا ، فخلق جبل قاف وأحاطه بالدنيا، وخلق حوله أربعمائة جبل وأربعين جبلاً، فلم تستقر، فكتب عليها آية الكرسي فاستقرت. فمن قرأ آية الكرسي فله من الثواب مثل وزن جبل قاف ووزن تلك الجبال، وله مثل تسبيح أولئك الملائكة.

ولما خلق الله الشمس والقمر أمر الله سبعين ألف ملك أن يجروها، فعجزوا، ثم أرسل سبعين ألفًا أيضًا فعجزوا فكتب عليها آية الكرسي فجروها.

فمن قرأها من أمتك، فله من الثواب بعدد أولئك الملائكة، وبعدد كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) في فضل آية الكرسي، روى الترمذي (٢٨٧٨)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي» .

قال النبي ﷺ: «ثم سرنا وجبريل على أثري حتى وصلنا إلى السدرة[١]، فإذا شجرة ثابتة على تل من مسك لها ألف ألف غصن ، يسير الراكب في ظل الغصن مائة عام، في كل غصن ألف ألف ورقة، كل ورقة لو استظل بها الجن والإنس لأظلتهم، على كل ورقة ملك، على لون القمر ، على رأسه تاج من نور وبيده قضيب من نور مكتوب على جبهته : نحن سكان سدرة المنتهى، سبحان من ليس له انتهاء، يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، أي غير متغير، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى».

قال البغوي ومقاتل[٢]: وتحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان.

قال في العرائس: إنها في السماء السابعة مما يلي الجنة، أصلها في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش، مقام جبريل في وسطها، يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب.

وفي تفسير الرازي في قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، أي إعطاء الله نبيه محمداً ﷺ خواتم البقرة وغفر لأمته.

وقال نجم الدين النسفي: غشيها ملائكة من ذهب على صورة الجراد مع كل ملك طبق عليه من اللطائف ما لا يحصى، فنثروه بين يدي النبي ﷺ.

وقال النيسابوري: قال بعض المحققين: في أصلها محراب جبريل.

«فأذن[٣] فقال: الله أكبر، قال الله تعالى: صدق عبدي، أنا أكبر من كل شيء،

---

(١) روى مسلم في صحيحه من حديث الإسراء المتقدم وفيه: «ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال،» قال: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها...» الحديث. قال النووي: هكذا وقع في الأصول: السدرة، بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا: سدرة المنتهى. قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ، وحكي عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فرقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٥)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) مقاتل بن حيان، أبو بسطام النبطي البلخي الخراز الخراساني، صدوق فاضل أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعًا كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان بن بشر، اخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٥٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٢)، الكاشف (٣/ ١٧١)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ١٣)، الجرح والتعديل (٨/ ١٦٢٩)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧١)، لسان الميزان (٧/ ٣٩٧)، الأنساب (١٣/ ٢٦)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٠)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦)، تراجم الأخبار (٣/ ٤٥٣).

(٣) روى مسلم في صحيحه (١١-٣٨٤)، كتاب الصلاة، ٧-باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، عن عبدالله ابن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة» .

فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ، فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال الله: صدق عبدي، محمد عبدي ورسولي مرحبًا به(١). قال: فلما قال: حي على الصلاة، قال : أفلح من جاء بها، فلما قال: حي على الفلاح، قال الله: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون.

فلما فرغ الأذان وأقيمت الصلاة واصطفت الملائكة صفوفًا، كل صف كما بين المشرق والمغرب، صليت بهم ركعتين.

ثم أقبلت الملائكة زمرًا زمرًا يسلمون عليّ».

وفي بعض المعاريج عنه ﷺ قال: «ورأيت طيورًا خضرًا على الشجرة وفيهم المحزون والمسرور، وعندهم شيخ وعجوز، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: إبراهيم وسارة، والطيور أرواح أطفال المؤمنين، والمحزون من فارق أهله من قريب، والمسرور من فارقهم من بعيد، وسميت سدرة المنتهى لأن علم الخلائق من تحتها لا يجاوزها، وعلم من فوقها لا يجاوزها ، أي من تحتها لا يعلم من فوقها، ومن فوقها لا يعلم من تحتها».

وقال علي رضي الله عنه: سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي عليها من كان على سنة محمد ﷺ . وقيل: سميت بذلك لأن من انتهى إليها فقد انتهى في الكرامة.

● **موعظة:**

عن النبي ﷺ: ((من قطع سدرة ضرب الله رأسه في النار))(٢).

وقال بعضهم: يعني من قطعها في فلاة يستظل المسافر وغيره من غير ضرورة.

● **فائدة:**

نزل جماعة من الصحابة واديًا فأعجبهم ما فيه من شجر السدر، فقالوا: يا ليت لنا مثلها، فأنزل الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، أي جعل الله مكان كل شوكة ثمرة فيها

---

(١) قال القاضي عياض: اعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات ، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها، وذلك بقوله : الله أكبر، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات فدعاهم إلى الصلاة. شرح مسلم للنووي (٤/ ٧٧)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٤)، (٤/ ٦٩)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ٩٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٤٥، ٣٧٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٤).

اثنان وسبعون لونًا من الطعام.

وقيل: المخضود الكثير الحملان، والطلح: شجر الموز، المنضود: المتراكم بعضه فوق بعض، وسيأتي في باب الجنة منافع الموز.

فما وصل إليها النبي ﷺ عرفت الملائكة ذلك بهبوط الأنوار عليها، كقطع الغمام، فأهرعوا للسلام عليه كالجراد المنتشر.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما : يأوي إليها جبريل.

وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

وقال في حديث ابن مسعود : «وانتهي به إلى سدرة المنتهى» [1].

وهي في السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج من الأرض. وفي رواية: وفي أعلى السموات.

قال البرماوي في شرح البخاري: أصلها في السماء السادسة ومعظمها في السماء السابعة.

«ورأيت ديكًا له زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض رأيته، ورجلاه من ذهب أحمر في الأرض السابعة، وذنبه من لؤلؤ، ورأسه من درة تحت العرش، وعيناه من ياقوتة، وعرفه من عقيق أحمر، له جناحان أخضران إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا مضى ثلث الأول نشر جناحيه وخفق بهما وقال : سبحان الملك القدوس، سبحان الله الكريم، فتجاوبه ديوك الأرض ، ثم إذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله تعالى يقول: سبحان ربي العظيم، سبحان العزيز القهار، سبحان رب العرش العظيم الرفيع، فإذا فعل ذلك سبحت ديوك الأرض».

وقال بعض المحققين: إنه رآه في السماء الدنيا.

وفي الخبر: «**ديك العرش له أجنحة بعدد خلق الله تعالى، يقول : اللهم اغفر للمؤذنين من أمة محمد ﷺ**» [2].

يجيء بلال [3] يوم القيامة على راحلة رجلاها من ذهب ، وزمامها من در

---

(١) قال الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السابعة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها: ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته للمقحمات.

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٢)، (٢/ ١٣٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٧٤).

(٣) بلاب بن رباح، أبو عبدالله، ويقال: أبو عبدالرحمن، أبو عمرو، التيمي الحبشي، المؤذن، ابن حمامة، مولى أبو بكر من أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم، أخرج له الستة، توفي سنة (١٧، ١٨، ٢٠)، انظر ترجمته في التهذيب (١/ ٥٠٢)،=

ويا قوت، معه لواء يتبعه المؤذنون، فيدخلهم الجنة حتى إنه ليدخل من أذن أربعين صباحًا يريد به وجه الله تعالى [(١)] .

قال النبي ﷺ: «ثم رأيت ملكًا نصفه من ثلج ونصفه من نار، وهو ينادي: اللهم يا من ألف بين الثلج والنار، ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك يقال له: حبيب، وكله الله تعالى بأكناف السموات وأطراف الأرض، وهو من أنصح الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين، يدعو لهم بما تسمع إلى يوم القيامة.

ثم رأيت ملكًا على كرسي، والدنيا كلها بين ركبتيه، وبيده لوح ينظر فيه لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً».

وفي رواية: «أنه رآه في السماء الرابعة، فوقف جبريل على رأسه وقال: يا ملك الموت[(٢)] ألا تسلم على نبي الرحمة وحبيب رب العالمين، فالتفت إليّ وقال: السلام عليك يا محمد، أبشر فما رأيت الخير كله إلا فيك وفي أمتك، فقر عينًا وطب نفسًا.

فقلت له : أخبرني كيف تقبض روح المؤمن؟

فقال: إذا كان آخر ساعاته من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعواني، ومعهم رياحين من الجنة، وغصن من أغصانها فيجعلونه بين عينيه ويعالجونه بالرفق حتى

= التقريب (١/ ١٠٩)، الثقات (٣/ ٢٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ١٠٦)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٥)، الإصابة (١/ ٣٢٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٧٦)، سير الأعلام (١/ ٣٤٧)، حلية الأولياء (١/ ١٤٧).

(١) في فضل الأذان: روى مسلم في صحيحه (١٤-٣٨٧)، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان، عن أنس وفيه: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة» ، وابن ماجه في سننه (٧٢٥)، في الأذان، باب فضل الأذان.

(٢) روى أبو داود في سننه (٤٧٥٣)، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، عن البراء بن عازب، وفيه قال ﷺ: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا، ثم ذكر حديثًا جاء فيه في روح المؤمن: «فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة» ، قال: «فيأتيه من روحها وطيبها» قال: «ويفتح له فيها مد بصره»، أما في روح الكافر: «فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار»، قال: «فيأتيه من حرها وسمومها»، قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»، وهو في الترمذي (٣٦٠٤). ورواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧)، بأوسع من هذا، وفيه: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضون» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يديه طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك، وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه على الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى...» الحديث بطوله.

إذا بلغت نفسه الحلقوم هبطت إليه فأُسلم عليه ثم أقبض روحه وأعرج بها إلى السماء، فلا تمر بملأ من الملائكة إلا رحب بها وحياها، حتى ينتهي بها إلى الله تعالى، فيقول الله : مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ألا فاكتبوا لعبدي كتابًا في عليين، وينطلق بروحه إلى الجنة، فينظر إلى ما أعد الله له فيها، ثم ترد روحه إلى جسده، فيرى مغسله ومحنطه، فأحبهم إليه الذي يقول: انطلقوا به، فإذا دخل قبره قالت الأرض: مرحبًا بك وآهلاً. قد كنت أحبك وأنت على ظهري، فكيف اليوم وقد صرت في بطني، فسترى ماذا أصنع بك، فيتسع له مد البصر، ثم إذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فسألاه عن ربه، وعن رسوله، وعن دينه، فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن إمامي، فينتهرانه انتهارًا شديدًا ويردان عليه السؤال، فيقول: أتريدان أن تفتناني في ديني، ما أعرف إلا هذا، فيقولان له: صدقت، عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتحان له بابًا إلى النار، فإذا نظر بكى فيقولان له: لا تخف ولا تحزن، فإنها ليست بدارك، انظر ماذا صرف الله عنك بعملك الصالح، فيغلق عنه ذلك الباب ويفتح له باب إلى الجنة [(١)] .

وأما الكافر[(٢)]: فإذا كان آخر ساعاته من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعواني ومعهم شعل من النار وكلاليب من نار، وغصن من أغصان شجرة الذقوم، أي وهي الشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، إذا أخذ الكافر منها هشته أخذت منه مثلها، فيجعلونه بين عينيه ويعالجون روحه بالغلظ والشدة حتى إذا بلغت روحه الحلقوم تركوه وعرجوا فأَهْبطُ إليه وأبشره بسخط الله ثم أعرج بروحه إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونه ولا يراها ملك إلا لعنه، فيأتي النداء من قبل الله تعالى: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ثم يكتب له كتابًا في سجين».

---

(١) في الحديث: ((القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)) ، أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٦)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠١)، (١٠/ ٣٨٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٧١، ٣٠٤)، والقاري في تذكرة الموضوعات (٢١٦).

(٢) في حديث أحمد المتقدم وفيه: قال: ((وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب)) قال: ((فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له)) ، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ...﴾ إلى آخر الحديث.

وتقدم في المركب الثاني أن سجين صخرة تحت الأرض السابعة.

«ثم ينطلق بها إلى النار فيرى ما أعد الله له فيها من العذاب، ثم ترد روحه إلى جسده فيرى من يغسله ويحنطه، فأحبهم إليه الذي يقول: انتظروا به ، فإذا جعل على أعضاء المنايا ومضوا به نحو قبره نادى ثلاث أصوات، فيسمعها جميع الخلائق سوى الإنس والجن: يا أصحاباه، ويا جيراناه، ويا حملة نعشاه: لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي.

فإذا وضع في قبره قالت الأرض: لا مرحبًا به ولا أهلاً، أما وعزة ربي لقد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني فسترى ما أصنع بك، فيضيق عليه، فإذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فيسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟، وما دينك؟، فيقول: لا أدري ، فيقولان : لا دريت ولا تليت، ثم يفتحان له بابًا إلى الجنة، فإذا نظر إليها فرح فيقولان : لا تفرح فإنها ليست بدارك، انظر ما أحرمك بكفرك».

وفي رواية: «فرأيت ملكًا على كرسي والدنيا بين ركبتيه وبيده لوح من نور ينظر فيه لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، وعن يمينه شجرة عظيمة فينظر إلى الشجرة تارة وإلى اللوح تارة.

فقلت: من هذا؟ قال: ملك الموت، فدنوت منه وسلمت عليه ، فأومأ إليّ، فقال له جبريل: هذا محمد نبي الرحمة، فرحب بي وحياني وقال: أبشر، فإن الخير فيك وفي أمتك إلى يوم القيامة[1]. فقلت: الحمد لله المنان بالنعم. ثم قلت: كيف تقبض أرواح الخلائق؟ قال: ألا ترى الدنيا كلها بين يدي، وجميع الخلائق بين عيني، وهذه الشجرة ورقها على أرواح الخلائق، فإذا بقي من أجل العبد أربعين يومًا تغيرت الورقة. وهذا اللوح فيه أسماء الخلائق، فإذا نفذ رزق عبد اصفرت ورقته ويبست ، فأمسح اسمه فيموت في الحال».

وفي الخبر: «إن له أياد بعدد الأرواح فيقبض الروح في مكانه». وفي زهرة الرياض للنسفي: له عيون بعدد أرواح الخلائق، كلما قبض روح سالت عين.

وقال ﷺ: «ما من أهل بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات».

---

(١) حديث: «الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة»، أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٧٦)، وفي الأسرار المرفوعة للقاري (١٩٥)، وفي تذكرة الموضوعات (٨٦)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠).

وقال ﷺ[١] : «أكثروا ذكر الموت، فما من عبد أكثر ذكر الموت إلا صلح الله قلبه، وهون عليه الموت» .

● فائدة:

في كتاب «وسائل الحاجات» للإمام الغزالي: قال سعيد بن المسيب: لما احتضر أبو بكر الصديق[٢] رضي الله عنه قلنا: يا خليفة رسول الله زدنا بموعظة. فقال: من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل روحه في الأفق الأعلى. قال: وما الأفق الأعلى؟ قال: قاع بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاها كل يوم مائة رحمة، قال البغوي: عن مجاهد: أن الأفق الأعلى من ناحية المشرق، فمن قالها جعل الله روحه في ذلك المكان: «اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم، ثم جعلتهم فريقين، فريقًا إلى الجنة، وفريقًا إلى النار، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير.

اللهم إنك خلقت الخلق فرقًا وميزتهم قبل أن تخلقهم، فجعلت منهم شقيًا وسعيداً وغويًا ورشيداً، فلا تشقني بمعصيتك.

اللهم إنك قدرت حركات العباد ولا يتحركون إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في تقواك.

اللهم إن لا أحداً يشاء كما تشاء، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك.

اللهم إنك خلقت الخير والشر، وجعلت لكل واحد منهما أهلاً، فاجعلني من ساكني جنتك.

اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت صدورهم، وأردت بقوم الهدى فشرحت صدورهم، فاشرح صدري للإيمان، وزينه في قلبي.

اللهم: إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك، فأ؛يني بعد الموت حياة طيبة، وقربني إليك زلفى. اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاه غيرك، فأنت ثقتي ورجائي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١١)، (١٠/ ٢٢٨، ٢٣٠)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٤٣٥)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٢٧).

(٢) في وفاة الصديق رضي الله عنه قال الذهبي: قالت عائشة: حضرت أبي وهو يموت فأخذته غشية فتمثلت:

من لا يزال دمعه مقنعًا ... فإنه لابد مرة مرفوق

فرفع رأسه وقال: يا بنية ليس كذلك، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] وأوصى أن يدفن جنب رسول الله ﷺ فحفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ. تاريخ الإسلام للذهبي، وفاة الصديق.

وروي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ[(١)]: «من قال عند الموت: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله لم تطعمه النار أبدًا» ، انتهى والله أعلم.

المركب الرابع: الوقوف إلى قاب قوسين، وعن سعيد بن جبير[(٢)]: أي قدر ذراعين. وقال مجاهد: قدر ما بين القوس والوتر. وسيأتي زيادة إن شاء الله تعالى.

وعن النبي ﷺ: «ثم سرت ساعة فإذا بيني وبين جبريل أمر بعيد فقلت: يا جبريل، أنت تركتني وتخلفت عني؟ قال: يا محمد، أنت معي في مقام لا يجاوزه أحدٌ من خلق الله، ولو تجاوزته لاحترقت بالنور، ثم قال: يا محمد، جز أنت فإن ربك سيهديك. ففارقته، وسرت ما شاء الله، فإذا أنا بميكائيل خائفًا وجلاً.

فقلت له: هذا مقامك؟ قال: نعم، ولو جاوزته لاحترقت ولكن جز، فهذا إسرافيل أمامك، فسرت ما شاء الله ، فإذا أنا بإسرافيل، له أربعة أجنحة: جناح قد اتزر به، وجناح قد ارتديه، وجناح قد استتر به من النور، وجناح قد التقم به الصور، فقلت: هذا مقامك؟ قال: نعم، لو جاوزته لاحترقت من النور، ولكن جز، فهذا الروح أمامك».

قال ابن عباس رضي الله عنه: سأل إسرافيل ربه أن يعطيه قوة السموات والأرض والجبال والرياح وقوة الثقلين، فأعطاه الله من رأسه إلى أقرانه شعورًا ووجوهًا وألسنة، مغطاة بأجنحة لا يعلم عددها إلا الله تعالى، يسبح كل لسان بألف ألف لغة، ويخلق الله من كل تسبيحة ملكًا على صورة إسرافيل وهم الملائكة المقربون، ولو صب ماء البحار والأنهار على رأس إسرافيل ما سقط منها قطرة، وهو ينظر كل يوم في جهنم ثلاث مرات، فيذوب حتى يصير كوتر القوس.ولو جمع الله دموعه من بكائه على الأرض لصار كطوفان نوح.

قال النبي ﷺ[(٣)]: «فسرت ما شاء الله، فرفع لي سبعون ألف حجاب من نور،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٢٧٦).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد ويقال: أبو عبدالله الأسدي، مولاهم الوالي، الكوفي الفقيه، ثقة ، ثبت، فقيه، روايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٥، ٩٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ١١)، تقريب التهذيب (١/ ٢٩٢)، الكاشف (١/ ٣٥٦)، الثقات (٤/ ٢٧٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٣ / ٤٦١)، سير الأعلام (٤/ ٣٢١).

(٣) اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى، وذكر عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى رأو من الله تعالى. النووي في شرح مسلم (٣/ ٥).

وسبعون ألف حجاب من ضياء، فإذا قطعتها فإذا أنا بالروح الذي ذكره الله في القرآن، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ (١) [النبأ: ٣٨]، له مائة ألف رأس، في كل رأس مائة ألف فم، في كل فم مائة ألف لسان، كل لسان يسبح الله بثمانين ألف لغة لا يشبه بعضها بعضًا، يخلق الله ذلك في التسبيح ملائكة يكتبون ثواب تسبيحهم لأمتي إلى يوم القيامة.

فقلت: أيها الروح، هذا مقامك؟ قال: نعم، ولو جاوزته لاحترقت».

وقيل: إن جبريل وقف عند الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى وقال: يا محمد، تقدم، فقلت: «لا بل أنت تقدم. قال: يا محمد، ما ينبغي لأحد أن يتجاوز هذا المكان، وأنت أكرم على الله مني».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾(٢): ولو تقدمت بخرم إبرة لاحترقت بنور القدرة. وإذا برفرف أخضر يحمله أربعة من الملائكة، فأجلسني جبريل عليه».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لجبريل: «هل ترى ربك؟ قال: بيني وبينه سبعون حجابًا من نور». وفي رواية سهل بن سعد(٣): «سبعون ألف حجاب من نور وظلمة».

وفي حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور»(٤).

وقيل: خلق الله بين جبريل وميكائيل سبعين حجابًا، غلظ كل حجاب خمسمائة

---

(١) اختلف المفسرون في المراد بالروح على أقوال، منها: قال ابن عباس: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقًا. وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل، وصاحب الوحي، وقال الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك: هو جبريل. وعن ابن عباس أيضًا: أنهم أرواح بني آدم، وغيرها من الأقوال. انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٥).

(٢) أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه. وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبدالرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح: أن رسول الله ﷺ قال يومًا لجلسائه: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد»، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣).

(٣) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو، أبو العباس، ويقال: أبو يحيى الأنصاري الساعدي الخزرجي، صحابي مشهور، كان اسمه حزنًا فسماه النبي ﷺ سهلاً، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (٨٨/ ٩١، ٩٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٢)، تقريب التهذيب (١/ ٣٣٦)، الكاشف (١/ ٤٠٧)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٩٧)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٠٩، ٢٥٣)، الجرح والتعديل (٤/ ٨٥٣)، أسد الغابة (٢/ ٤٧٢)، الإصابة (٣/ ٢٠٠)، سير الأعلام (٣/ ٤٢٢).

(٤) انظر إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥/ ١٣٧).

عام، ولولا ذلك لاحترق جبريل من نور ميكائيل.

مع أن الرازي حكى في سورة البقرة: أن جبريل أفضل من ميكائيل.

وخلق الله بين ميكائيل وإسرافيل سبعين حجابًا، ولولا ذلك لاحترق ميكائيل من نور إسرافيل.

وعن النبي ﷺ: «احتجب الله عن أهل السموات كما احتجب عن أهل الأرض، واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإنه تعالى ما حل في شيء ولا غاب عن شيء، وإن الملأ الأعلى يطلبون الله تعالى كما تطلبونه أنتم».

وعن علي رضي الله عنه قال: سلوني قبل أن تفقدوني عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل.

قال: إن الله علم نبيه محمداً ﷺ ليلة المعراج علومًا شتى، فمنها علم أمر الله بكتمانه، وعلم أمر الله بتبليغه، وعلم خيره الله فيه، فكان يسر إلى أبي بكر وعمر وعثمان وإليّ فيما خيره فيه.

فكان مما أسر إليّ أنه قال: «كنت نورًا في وجه إبراهيم، ودرة في ظهره [(١)]، فلما عارضه جبريل في كفة المنجنيق وقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. فعاد إليه وقال: ألك حاجة إلى ربك؟ قال: يا جبريل من شأن الخليل أن لا يفارق خليله».

وعن النبي ﷺ: «فأنطقني الله تعالى أن قلت: إن بعثني الله واصطفاني بالرسالة لأكافئن جبريل. فلما كان ليلة المعراج أتاني جبريل، وكان هو السفير إلى أن انتهى معي إلى مقام، ثم وقف فقلت: يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله. قال: إن جاوزتُه احترقتُ بالنور، فقلت: هل لك إلى الله من حاجة؟ قال: نعم، اسأل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمسكه على الصراط يوم القيامة حتى تجوز عليه أمتك. فقلت: بارك الله فيك، وإذا النداء: يا جبريل، زج محمد في النور زجة، فزجني فخرقت سبعين حجابًا، غلظ كل حجاب خمسمائة عام، حتى انتهيت إلى فراش الذهب ، فتقدم بي الملك الموكل بفراش الذهب إلى حجاب اللؤلؤ فحركه، فقال الملك من وراء

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، روى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيًا. وعن قتادة: في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع. وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري. وقال مجاهد: كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٤).

الحجاب: من هذا؟ قال: فلان صاحب فراش الذهب، وهذا معي محمد رسول رب العزة، فقال الملك: الله أكبر، فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني ووضعني بين يديه، فلم أزل كذلك من حجاب، إلى حجاب حتى جاوزت سبعين ألف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام.

ثم دلي لي رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس، ثم احتملت حتى وصلت إلى العرش، فأبصرت أمرًا عظيمًا لا تناله الألسن، فسألت إلهي أن يمن علي بالثبات، فمن الله عليّ وقواني ونزلت قطرة من العرش على لساني أبرد من الثلج وأحلى من العسل، فما ذاق الذائقون شيئًا قط أحلى منها، فأنبأني بها علم الأولين والآخرين».

وقيل: إنه لما بلغ قاب قوسين[1] أجلس على كرسي، ورفعه ذلك الكرسي إلى عليين، فقطر ثلاث قطرات، قطرة على كتفه فأورثته الهيبة، وقطرة على قلبه فأورثته المحبة، وقطرة على لسانه فأورثته الفصاحة.

وفي رواية : لما رأى العرش استصغر كل شيء رآه.

وقال النسفي وغيره: خلق الله العرش على ثلاثمائة وستين قائمة، كل قائمة دور الدنيا بين القائمة والقائمة خمسمائة عام.

وقال علي ﷺ: بين القائمة والقائمة كخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وخلق الله له ألف ألف وستمائة ألف رأس، في كل رأس ألف ألف وستمائة ألف وجه، زاد بعض المفسرين في سورة براءة: كل وجه طباق الدنيا ألف ألف وستمائة ألف مرة، في كل وجه ألف ألف وستمائة ألف لسان، في كل لسان ألف ألف وستمائة ألف لغة، ويكسى كل يوم ألف ألف لون. وقال علي ﷺ: سبعون ألف لون.

واعلم أن السبعين ألفًا مذكورة في مواضع، منها: عن النبي ﷺ[2] : «من قرأ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية خلق الله سبعين ألفًا من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة، ومن عاد مريضًا عشية خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح» .

---

(١) روى ابن جرير بسنده عن عبدالله بن مسعود في هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له ستمائة جناح». وعن عائشة في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ويقولون: القاب: نصف أصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره (٤/ ٣، ٤٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٣٣، ١٦٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٣٩)، والقاري في تذكرة الموضوعات (٨٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٩٨).

ونزل مع سورة الكهف[١] سبعون ألف ملك، وأهل الجنة إذا رأوا الطعام قالوا: سبحانك اللهم، فتأتيهم الموائد على كل مائدة سبعون ألف صحيفة.

ثم العرش أخوف الخلق من الله تعالى، ويقول ببعض الألسنة: أعوذ بالله من نقم الله، أعوذ بالله من كيد الله .

وقال النبي ﷺ: ((**تسبح بعض ألسنة العرش[٢]: سبحان القائم الدائم، سبحان الملك الأعظم، سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو**)).

قال في العقائق: علق فيه مائة ألف قنديل، كل قنديل يسع السموات والأرض، فلما خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء على هذه الصفة، وداخله العجب طوقه الله بحية رأسها من لؤلؤة بيضاء وعينها من ياقوتة صفراء وأسنانها من زمردة خضراء، وبدنها من ذهب أحمر، وطولها سبعمائة ألف عام، ولها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها من التسبيح بعدد قطر المطر، وورق الشجر، وأيام الدنيا.

زاد في العرائس: وعدد الحصى والثرى والملائكة أجمعين.

فلما رآها العرش قال: يا رب لم خلقت هذا؟

قال: تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حملة العرش أربعة اليوم [٣] طول كل ملك سبعون ألف عام، وطول قدمه ثمانية عشر ألف عام. وقال غيره: كل ملك منهم له أجنحة شتى ووجوه شتى، وأنوار شتى في جسده يشبه بعضها بعضًا، رافعون أصواتهم بالتهليل، ينظرون إلى العرش لا يطوفون، ولو أن ملكًا منهم نشر جناحيه على الأرض

---

(١) من فضائل سورة الكهف: روى البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، والترمذي (٢٨٨٥)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الكهف عن البراء قال: بينما رجل يقرأ سورة الكهف إذ رأى دابته تركض، فنظر إذا مثل الغمامة أو السحابة، فأتى رسول الله ﷺفذكر ذلك فقال النبي ﷺ: ((تلك السكينة نزلت مع القرآن أو نزلت على القرآن)) . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]،روى الترمذي في سننه (٣١٠٩)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة هود، عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: ((كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء)) .

(٣) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]. يخبرتعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي يتقربون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح. تفسير ابن كثير (٤/ ٧١).

لطبقها بريشة واحدة:

الأول على صورة الآدمي، يشفع للآدميين في أرزاقها يقول: ((اللهم ارحم بني آدم ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء، وحر الصيف، وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ))[١].

والثاني على صورة الأسد، يشفع للسباع في أرزاقها، يقول: اللهم ارحم السباع ولا تعذبهم، وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف، وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

والثالث على صورة الثور، يشفع للبهائم في أرزاقها يقول[٢]: اللهم ارحم البهائم ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف، وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

والرابع: على صورة النسر يشفع للطير في أرزاقها يقول: اللهم ارحم الطير ولا تعذبهم، وادفع عنهم برد الشتاء، وحر الصيف، وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

قال: فلما انتهى النبي ﷺ ليلة المعراج إلى العرش تمسك بأذياله وقال بلسان حاله: يا محمد، إلى متى تشرب في صفاء وقتك آمنًا من مقتك يطوف بك ندماء حضرته، ويحملك على رفرف كرامته، تارة يشهدك جمال أحديته: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[٣]، وتارة يشهدك جمال صمديته: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، وتارة يطلعك على أسرار ملكوته: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، وتارة يدنيك من حضرة قربه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

هذا وأنا الظمآن إليه، اللهفان عليه المتحير فيه، لا أدري من أي جهة آتيه، جعلني من أعظم خلقه، فكنت أعظمهم منه هيبة وأكثرهم فيه حيرة وأشدهم منه خوفًا، يا محمد خلقني فكنت أرعد بهيبة جلاله، فكتب على قائمتي: لا إله إلا الله، فازددت لهيبة اسمه ارتعادًا.

فلما كتب: محمد رسول الله، سكن قلقي وهدأ روعي، فهذه بركة وقوع اسمك عليّ، فكيف إذا حل جميل نظرك إليّ.

---

(١) قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وأمثالها، وبخبر الصادق ﷺ، فقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار. شرح مسلم للنووي (٣/ ٣١).

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٢١٦٠٠، ٢٣٥٤٦).

(٣) في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ روى مسلم في صحيحه (٢٨٥-١٧٦)، كتاب الإيمان، ٧٧-باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

يا محمد، أنت رحمة للعالمين، ولابد لي من نصيب من هذه الرحمة، ونصيبي منها أن تشهد لي بالبراءة مهما نسبه أهل الزور إليّ، وتقوله أهل الزور عليّ؛ زعموا أني أسمع من لا حد له، وأحيط لمن لا كيفية له، يا محمد من عد لذاته ولا حد لصفاته هو الله، فكيف يكون مفتقراً إليّ.

وتقوله أهل الزور عليّ، زعموا أني أسمع من لا حد له، وأحيط بمن لا كيفية له، أو محمولاً عليّ: إذا كان الرحمن اسمه (والابعقوى) [1] صفته، وصفته متصلة بذاته، فكيف يتصل بي أو ينفصل عني، لا أنا منه ولا هو مني.

قال مفتي الجن والإنس نجم الدين النسفي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: أي أضحك العرش بإضافته إليه، وأبكاه بافتراء المجسمة عليه [2].

وقال عليّ ﷺ: إن الله تعالى قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء، ولا يقال: شيء تحته، وتحت كل شيء، ولا يقال: شيء فوقه، تعالى جنابُ عزه أن يوصف بالاستقرار والتمكن والمماسة، فهو مستغن عن الكون والمكان.

قال بعض المفسرين رحمهم الله في سورة طه: قالت المشبهة: هو مستقر العرش، وهو باطل لأن المعرى عن المكان ثابت في الأزل لعدم قدم المكان، فلو تمكن بعد حلول المكان لتغير ولحدثت فيه مماسة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث، وهذا مستحيل على القديم الأزلي سبحانه.

قال الرازي في سورة طه: قالت المشبهة: إن معبودهم مستقر على العرش، وهو باطل، لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.

فإذا كانوا حاملين العرش، والعرض مكان معبودهم فيلزمهم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم، وهذا محال.

فإن قيل: إذا كان الله تعالى مقدساً عن المكان منزهًا عن الجهة فما الحكمة في

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين، قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها، كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت له تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى. انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦).

الإسراء به ﷺ إلى السماء مع أن الأرض أفضل منها عند الأكثرين؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا منها ودفنوا فيها. قاله ابن العماد في كشف الأسرار.

لكن رأيت في شرح المهذب: إن المذهب الصحيح المختار الذي عليه الجمهور : أن السموات أفضل من الأرضين، وجعل ما قاله ابن العماد وجهًا ضعيفًا؟

فالجواب: إن الملائكة افتخرت بالعلو، وعجبوا بأنفسهم ، فأراد الله تعالى أن يرفع محمداً ﷺ ليزول عجبهم وافتخارهم.

وفي المنتخب: إن يهوديًا قال: يا محمد، هل احتجب الله عن خلقه شيء غير السموات والأرض؟ قال: ((**نعم، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور، وسبعون حجابًا من رفراف الاستبرق، وسبعون حجابًا من رفراف السندس، وسبعون حجابًا من غمام**)) .

وجواب آخر: إن الله تعالى أطلع محمداً ﷺ على عجائب الأرضين.

فالأرض الثانية مسكن الرياح.

والثالثة فيها خلق كثير وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كأفواه الكلاب، وأرجلهم كأرجل البقر، لهم شعر كصوف الغنم، لا يعصون الله طرفة عين ليلنا نهارهم، ونهارهم ليلنا.

والرابعة: فيها حجارة الكبريت [١] ، التي أعدها لأهل جهنم.

والخامسة: فيها عقارب أهل النار.

والسادسة: فيها أرواح الكفار.

والسابعة: فيها مسكن إبليس وجنوده.

● مسألة:

لو قال رجل لغلامه: اعمل الشغل الفلاني، فقال: لا أحسنه، فقال: الطلاق يلزمني إنك تعرف أين يسكن إبليس.

أجاب النووي رحمه الله في الفتاوى: إن أراد أن الغلام حاذق، فكان لا تخفى عليه الأمور العرفية غالبًا لحذقه وفهمه لم يقع طلاقه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض الثانية فيها الريح العقيم، قد زمت

---

(١) عن ابن مسعود ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين. والمراد بالحجارة هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حراً إذا حميت -أجارنا الله منها- وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة. تفسير ابن كثير (١/ ٦١).

بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، بها أهلك الله قوم عاد، فنسفت جبالهم ومساكنهم، وبها تخرب الأرض. قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[١] [طه: ١٠٥]، الآية.

وقال في حاوي القلوب الطاهرة: أول جبل وضع على الأرض جبل أبي قبيس بمكة المشرفة.

وكان أول من بنى بها رجل يقال: أبو قبيس، فسمي بذلك، وكان اسمه في الجاهلية: الأمين، لأن الحجر الأسود كان مستودعًا فيه من زمن الطوفان.

ونقل ابن الجوزي في التبصرة عن العلماء: أول من سكن الأرض الجن، وكانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى دهراً طويلاً، ثم ظهر فيهم الحسد.

قال البغوي: إن الجان لما سكنوا الأرض وظهر فيهم الفساد بعث الله إليهم جنداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان [٢] اشتق لهم اسم من الجنة كبيرهم إبليس، فطردوا الجان إلى شعوب الجبال وجزائر البحور.

وقال في حاوي القلوب الطاهرة من عجائب الأرض: أن ببلاد اليمن رجلاً من نحاس ماداً يده إلى ورائه، يقول: ليس وراءي مسلك، إنما أرض رخوة لا تستقر عليها الأقدام، غزاها إسكندر ذو القرنين بسبعين ألفًا ، فخرج عليهم نمل كالنجاتي تخطف النملة الفارس عن فرسه.

رجعنا للسؤال الأول، وجواب آخر: إن الله تعالى أراد أن يطلع محمد ﷺ على عجائب ملكوته العلوي التي منها أربعة أنهار حول العرش: نهر من نور يتلألأ ونهر أشد بياضًا من اللبن[٣] في أسفله اللؤلؤ والياقوت والزمرد بالذال المعجمة، ونهر من ثلج أبيض، ونهر من ماء، والملائكة في تلك الأنهار يسبحون الله تعالى.

---

(١) يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾، أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييراً ﴿فَيَذَرُهَا﴾، أي الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، أي بساطًا واحدًا، والقاع هو المستوي من الأرض، والصفصف: تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه، والأول أولى، وإن كان الآخر مراداً أيضًا. تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٠).

(٢) قال ابن عباس، قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي من خزان الجنان، كما يقال للرجل: مكي ومدني وبصري وكوفي، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هو من خزان الجنة، وكان يدبر أمر السماء الدنيا. تفسير ابن كثير (٣/ ٩١).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢٦٤-١٦٤)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات عن أنس بن مالك وفيه: ((وحدّث نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات))، قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض، لخروج النيل والفرات من أصلها. قلت: هذا الذي قاله ليس بلازم، بل معناه أن الأنهار تخرج من أصلها ثم تسير حيث أراد الله تعالى حتى تخرج من الأرض وتسير فيها، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع، وهو ظاهر الحديث. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٣).

وفي المدهش لابن الجوزي: نزلت بردة فحزرت بمائة وخمسين رطلاً.

وجواب آخر: وهو أن جبريل عليه السلام كان يسبح في صومعة العصمة، وكان يقول: إلهي أرني ثواب عبادتي، فجاء النداء: يا جبريل، قد جعلت ثواب عملك أن تحمل غاشية محمد ﷺ في هذه الليلة، فإني أريد أن أريه الجنة وما أعد الله له فيها لأمته.

وكان آدم في الهند، ونوح في السفينة ، وموسى على الطور، وعيسى في السماء، وجبريل عند المنتهى، وإسرافيل عند اللوح المحفوظ، والحور العين في الجنة، والمقربون تحت العرش، فسبقهم محمد ﷺ في هذه الليلة بقوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وقيل: أسري به لأجل المشبهة واليهود، وذلك أنهم يقولون: إن الله تعالى على العرش بمعنى الاستقرار والتمكن.

فنودي يا محمد، ضع قدمك اليمين على العرش، والأخرى على الكرسي وبينهما ألف عام.

قال وهب: العرش [(١)] ملتصق بالكرسي والماء كله في جوف الكرسي.

وخلق الله العرش قبل الكرسي بألفي عام، وإن الكرسي يكسى كل يوم سبعون ألف لون من النور، فلو كان الحق سبحانه وتعالى على العرش بالمعنى الذي قاله اليهود لما صلح أن يجلس عليه أحد.

(فإن قيل)[(٢)] : قد فسر بعض العلماء المقام المحمود [(٣)] بأن الله تعالى محمداً معه، وقد روى الطبري في ذلك حديثًا.

فالجواب: هذا من باب المبالغة في الإكرام وعلو المكانة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾، ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا﴾.

فالمراد من هذا كله المكانة لا المكان.

وقال مجاهد: استوى على العرش كما شاء من غير أن صار مما شاء.

وفي المقام المحمود أقوال:

---

(١) روى مسلم (٢٥٧-١٦١)، كتاب الإيمان، ٧٣-باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، عن جابر بن عبدالله وفيه: ((فإذا هو على العرش في الهواء -يعني جبريل عليه السلام- فأخذتني رجفة شديدة..)) الحديث. قال النووي: المراد بالعرش الكرسي كما في رواية أخرى على كرسي بين السماء والأرض، وقال أهل اللغة: العرش هو السرير، وقيل: سرير الملك، قال الله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) كذا بالأصل، وهذا كلام غير صحيح.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال ابن جرير بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وسئل عنها فقال: ((هي الشفاعة)). ورواه أحمد بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: ((هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه)) . انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩، ٦٠).

أحدها: بشفاعته العامة.

الثاني: أن لواء الحمد يكون بيده.

الثالث: إخراج طائفة من النار بشفاعته ﷺ(١).

وعن جابر بن عبدالله: هذا هو المقام المحمود.

وذكر في صلاح الأرواح: إن له ﷺ تسع شفاعات:

الأول: العامة في الفصل بين أهل الموقف.

الثاني: في نجاة قوم من الدخول في النار.

الثالث: في إخراج قوم منها.

الرابعة: في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

الخامسة: في زيادة درجات قوم في الجنة.

السادسة: في التخفيف عن عمه أبي طالب.

السابعة: في من زار قبره ﷺ.

الثامنة: في أطفال الكفار.

التاسعة: في أطفال المؤمنين.

اللهم أدخلنا في شفاعته في عافية بلا محنة، آمين.

قال النبي ﷺ: «ورأيت عجائب عظيمة وظننت أن من في السموات والأرض قد مات لأني لم أسمع هناك -يعني عند العرش- شيئًا من أصوات الملائكة، وانقطع عني حس كل شيء فلحقني عند ذلك استيحاش، فناداني جبريل من خلفي، يا محمد ، إن

---

(١) قال النووي: الشفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ، وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت لنبينا ﷺ، وقد ذكرها مسلم رحمه الله.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ، ومن يشاء الله تعالى، وسننبه على موضعها قريبًا إن شاء الله تعالى.

والرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ لله والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث: «لا يبقى فيها إلا الكافرون» .

والخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضًا شفاعة الحشر الأول، قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال : إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ، ثم كل عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلى العفو ، غير معتد بعمله ، مشفق من أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف، هذا آخر كلام القاضي رحمه الله، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ٣٢).

الله تعالى يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه سبحانه وتعالى.

فبدأت بالثناء على الله وقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات[١].

فقال الله تعالى: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

فقال جبريل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

قال في شرح المهذب: «التحيات لله»، أي العظمة. وقيل: الملك لله، وقيل: البقاء الدائم لله، وقيل: السلامة من الآفات لله، وإنما قيل بالجمع لأن كل واحد من الملوك له تحية. فقيل لنا قولوا: التحيات لله، أي الألفاظ التي تدل على الملك لله وحده، وقولوا: «المباركات، الصلوات الطيبات»، قيل: الصلوات الخمس لله، والطيبات هي الأعمال الصالحة لله، وقيل: الطيبات: الكلام الحسن.

وقوله: «السلام عليك أيها النبي»، قيل: معناه: اسم الله عليك، وقيل: سلَّم الله عليك، ومن سلَّم الله عليه سَلِمَ من الآفات.

«السلام علينا»، قال النووي رحمه الله: لم أر لأحد كلامًا في الضمير، فالمراد الحاضرون من الإمام والمأمومين. ثم قال رحمه الله: من علامة حب الرسول: حب السنة.

وقال ﷺ: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»[٢].

وقال في «عيون المجالس»: إذا قال العبد: «التحيات لله»، حياه الله وأهل السموات والأرض. وإذا قال: «الصلوات»، تقبل الله صلاته. وإذا قال: «الطيبات»، كان بريئًا من الشك والشرك. وإذا قال: «السلام عليك أيها النبي»، كتب الله له عشر حسنات. وإذا قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة. وإذا أتى بالشهادتين كتب الله له براءة من النار[٣].

قال ﷺ: «ثم زجني في النور زجة، خرقت سبعين ألف حجاب، ليس فيها حجاب

---

(١) اختلفوا في التشهد هل هو واجب أم سنة؟ فقال الشافعي رحمه الله تعالى وطائفة: التشهد الأول سنة, والأخير واجب، وقال جمهور المحدثين: هما واجبان، وقال أحمد رحمه الله: الأول واجب، والثاني فرض؟ وقال أبو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء: هما سنتان. وعن مالك: رواية بوجوب الأخير، وقد وافق من لم يوجب التشهد على وجوب القعود بقدره في آخر الصلاة، انظر النووي في شرح مسلم (٤/ ٩٩).

(٢) روى الترمذي في سننه (٢٦٧٨)، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، عن أنس بن مالك قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال لي: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»، وقال الترمذي: حسن.

(٣) روى مسلم في صحيحه (٤٧-٢٩)، كتاب الإيمان، ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، عن عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار».

يشبه حجابًا، ونادى منادي بلغة أبي بكر : قف، فإن ربك يصلي عليك، فتعجبت من لغة أبي بكر، وقلت: هل سبقني صاحبي أبو بكر، وتعجبت من صلاة ربي.

فإذا النداء من العلي الأعلى: ادن يا خير البرية، ادن يا محمد، ادن يا أحمد.

فعلمت أن ربي ناداني، فكنت كما قال الله تعالى:﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾».

قيل: كقرب ما بين الحاجبين، وقيل: كقدر ذراعين[١].

قال بعض المفسرين: الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل. فإن قيل: كيف قال: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾، ولم يقل: ثم قرب؟ لأن القرب يكون من البعيد، والدنو من القريب، والحق سبحانه قريب غير بعيد، وإنما قال: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ ولم يقل: قدر سهمين؛ لأن السهم وإن كان قويمًا فقيمته درهم، وإن كان القوس أعوج فقيمته لا تنقص بعوجه، لأن وتره مستقيم.

كذلك المؤمن وإن كان بدنه معوجًا بالمعاصي فقلبه مستقيم بالإيمان.

قال القاضي عياض: اعلم إنما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله، فليس بمكان ولا قرب مسافة، بل كما قال جعفر الصادق [٢] : دنو المصطفى من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته، وإشراق نور معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ودنو الله تعالى من محمد ﷺ، تأنيس وبسط وإكرام.

وقيل: دنا محمد من ربه بالسؤال، فتدلى ربه إليه بالعطاء والنوال.

وقال في عيون المجالس: قال بعضهم: طلبت معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، ثلاثين سنة من العلماء والعارفين حتى رأيت تأويلاً صحيحًا وهو أنه ﷺ نظر عن يمينه فرأى ربه، ونظر أمامه فرأى ربه، ونظر فوقه فرأى ربه، ونظر خلفه فرأى ربه، فكره الانصراف من هذا المقام الشريف، فعلم الله ذلك منه فقال: يا محمد، أنت رسولي إلى عبادي، ولو دمت في هذا المقام ما بلغت رسالتي، فانزل إلى الأرض وبلغ رسالتي لعبادي،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد ﷺ لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما إذا مرا ، قاله مجاهد وقتادة، وقد قيل: إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٩).

(٢) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله القرشي، الهاشمي، العلوي، المدني، الصادق، صدوق، فقيه، إمام، أخرج له البخاري في الأدب، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي (١٤٨، ١٤٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٣٢)، الكاشف (١/ ١٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٩٨)، الجرح والتعديل (٢/ ١٩٨٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٤١٤)، الثقات (٦/ ١٣١)، سير الأعلام (٦/ ٢٥٥)، لسان الميزان (٧/ ١٩٠)، شذرات الذهب (١/ ٢٠).

وحيث ما قمت إلى الصلاة أعطيتك هذه المرتبة، فلذلك قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(١) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، بروحه، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ بسره، يعني ترك نفسه في السماء، وروحه عند سدرة المنتهى (٢)، وقلبه بقاب قوسين، فبقي سره وربه.

فقالت النفس: أين القلب؟ وقال القلب: أين الروح؟ وقالت الروح: أين السر؟ وقال السر: أين الحبيب؟ فقال الله تعالى: يا نفس لك النعمة والمغفرة، ويا روح لك الرحمة والكرامة، ويا قلب لك المحبة والمودة، ويا سر أنا لك.

قال النبي ﷺ: «ثم ألهمني ربي أن قلت: اللهم لحقني استيحاش قبل قدومي عليك، وسمعت قائلاً يقول بلغة أبي بكر: قف، فإن ربك يصلي، فتعجبت من هاتين، وقلت: هي سبقني أبو بكر إلى هذا المقام، وإن ربي لغني عن الصلاة؟ فقال ﷻ: إني لغني عن الصلاة لأحد وإنما أقول: سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي(٣)، اقرأ يا محمد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٤) [الأحزاب: ٤٣]، فصلاتي رحمة لك ولأمتك».

وقال القرطبي في تفسيره: قيل للنبي ﷺ: كيف صلاة الله على عباده؟ فقال: «سبوح قدوس». قيل: إنه من كلام الله وهي صلاته على عباد. وقيل: من كلام النبي ﷺ، وأما أمر صاحبك، فإن أخاك موسى كان أُنسه بالعصا، فلما أردنا كلامه قلنا له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾.

فذكر العصى عن عظيم الهيبة، وكذلك أنت يا محمد، لما كان أُنسك بصاحبك أبي

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦١-المجتبى)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٨، ٢٨٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١١)، (٩/ ٥٥٢)، والقرطبي في التفسير (٢/ ١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٧٩-١٧٣)، كتاب الإيمان، ٧٦-باب في ذكر سدرة المنتهى عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة... الحديث. قال النووي: كذا هو في جميع الأصول: (السادسة)، وفي حديث أنس: أنها فوق السماء السابعة. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح، وقول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قلت: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة، ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم. النووي في شرح مسلم (٣/ ٣).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٠)، والحميدي في مسنده (١١٢٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٥٥٦)، (١٠/ ٥٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣١٩)، والسيوطي في الدرر المنتثرة، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (١٣).

(٤) هذا تهييج إلى الذكر، أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، وقال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»، والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري بسنده عن الربيع بن أنس عنهن. وقال غيره: الصلاة من الله ﷻ الرحمة، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار. مختصراً من تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٢).

بكر، فإنك خلقت وإياه من طينة واحدة[(١)]، فهو أنيسك في الدنيا والآخرة، خلقنا ملكًا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يقطعك من عظيم الهيبة: لا إله إلا أنا، جبار الجبابرة، ومالك الدنيا والآخرة، يا محمد ، أعظم شاني وأعز سلطاني، يا محمد، انظرفي أي مكان رفعتك، وفي أي مكان كلمتك، يا محمد : أين حاجة جبريل ؟ فقلت: اللهم أنت أعلم بما سأل. فقال: قد أجبته فيما سأل ولك في طائفة من أمتك، فقلت: اللهم لمن ؟ قال : لمن أحبك وصحبك.

● **فائدة:**

قال أبو كاهل[(٢)]: قال النبي ﷺ: «يا أبا كاهل من صلى عليّ ثلاث مرات حبًا وشوقًا إليّ كان حقًا على الله أن يغفر له ذنوبه ذلك اليوم، وتلك الليلة»[(٣)].

وفي الحديث: قال النبي ﷺ: ((رأيت ربي بقلبي)) [(٤)]. والصحيح أنه بعين رأسه. قال القرطبي في سورة الأنعام: اجتمع ابن عباس وأبي بن كعب [(٥)] ، فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين [(٦)] .

---

(١) حديث: ((خلقت أنا وأبو بكر وعمر من طينة واحدة))، أخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٦١)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٨٣)، وفضائل الصديق كثيرة، وكان أحب أصحاب النبي ﷺ إليه، فقد روى مسلم في صحيحه (٣-٢٣٨)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: ((لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله ﷻ صاحبكم خليلاً)) .

(٢) أبو كاهل ﵁، الأحمسي، الأسدي، البجلي، صحابي له حديث، أخرج له النسائي وابن ماجه، انظر ترجمته في التهذيب (١٢/ ٢٠٨)، التقريب (٢/ ٤٦٥)، الثقات (٣/ ٤٥٤)، أسد الغابة (٦/ ٢٦٠)، الاستيعاب (٤/ ١٧٣٨)/ تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٩٦)، الخلاصة (٣/ ٢٣٩)، الكنى والأسماء (١/ ٥٠)، التاريخ الكبير (٩/ ٨٧).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥١)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٥٠).

(٤) روى مسلم في صحيحه (٢٨٤-١٧٦)، كتاب الإيمان، ٧٧-باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ...﴾ عن ابن عباس، قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: رآه بفؤاده مرتين.

(٥) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر بن مالك بن النجاري، أبو المنذر، أبو الطفيل، الأنصاري المدني، سيد القراء الخزرجي، من فضلاء الصحابة، أخرج له الستة، توفي سنة (١٩، ٣٢)، انظر ترجمته في التهذيب (١/ ١٨٧)، التقريب (١/ ٤٨)، الإصابة (١/ ١٦)، الثقات (٣/ ٥)، تاريخ ابن معين (١٥٦٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٠)، سير الأعلام (١/ ٣٨٩)، مشاهير علماء الأمصار (١٢)، تنقيح فهوم أهل الأثر (٣٦٤)، أسماء الصحابة الرواة (٢٥).

(٦) قال النووي: قوله عن عبدالله بن مسعود ﵁ في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى جبريل له ستمائة جناح، هذا الذي قاله عبدالله ﵁ هو مذهبه في هذه الآية، وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى. ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينيه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينيه.
قال الإمام الحسن الواحدي: قال المفسرون: هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه ﷻ ليلة المعراج، قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي: رآه بقلبه. قال: وعلى هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة، كما يرى بالعين. قال: وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه بعينه، وهو قول: أنس وعكرمة والحسن والربيع. قال المبرد: ومعنى الآية: أن الفؤاد رأى شيئًا فصدق فيه، و﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ في موضع نصب، أي ما كذب الفؤاد مرئيه، وقرأ ابن عامر: ﴿ما كذّب﴾ بالتشديد. قال المبرد: معناه أنه رأى شيئًا فقبله، وهذا =

ثم قال النبي ﷺ: «وكلمني ربي بما شاء وافترض عليّ كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت إلى ربي».

قال الإمام النووي رحمه الله: أي رجع إلى الموضع الذي ناجاه فيه أولاً.

«فقلت: يا رب خفف عن أمتي، فحط عنا خمسًا»، وفي رواية: «عشرًا»، وفي رواية: «فوضع شطرها».

ولا منافاة بين الروايات، فإن المراد بالشطر الجزء، وهو الخمس، وليس المراد بالشطر التنصيف. وأما رواية العشر فهي رواية شريك[1]، وتقدم أنه زاد ونقص.

ثم قال: «رجعت إلى موسى فقلت: خففت خمسًا. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك، فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة، فتلك خمسون صلاة».

وفي رواية: «أمضيت فريضتي على عبادي، لا يبدل القول لدي»، وفي رواية: «سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم».

فإن قيل: هي في الأزل خمس فما الحكمة في كونها خمسين تلك الليلة[2] ؟

فالجواب: ليظهر شرف النبي ﷺ بقبول شفاعته في التخفيف.

فإن قيل: ما الحكمة في أن موسى عليه السلام هو الذي أشار على محمد ﷺ أن يراجع ربه دون إبراهيم ﷺ، وهو أعلى مقامًا منه؟

قيل: لأن إبراهيم مقامه مقام التفويض والتسليم، ألا تراه لما قال له جبريل: يا

=الذي قاله المبرد على أن الرؤية للفؤاد، فإن جعلتها للبصر فظاهر، أي ما كذّب الفؤاد ما رآه البصر، هذا آخر كلام الواحدي. النووي في شرح مسلم (٣/ ٧).

(١) شريك بن عبدالله بن أبي نمر، أبو عبدالله، أبو نمر، أبو حاتم القرشي، وقيل: الليثي، المدني، صدوق يخطئ، أخرج له الستة، توفي سنة (١٤٤)، أو سنة (١٧٧)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٧)، تقريب التهذيب (١/ ٣٥١)، الكاشف (٢/ ١١)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٣٦)، الجرح والتعديل (٤/ ١٥٩٢)، لسان الميزان (٧/ ٢٤٢)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٩)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١٤٨)، سير الأعلام (٦/ ١٥٩)، الثقات (٤/ ٣٦٠).

(٢) روى مسلم (٢٦٣-١٦٣)، في كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة» قال: «فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام: ماذا فرض ربك على أمتك؟» قال: «قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال لي موسى عليه السلام: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك». قال: «فراجعت ربي فوضع شطرها» قال: «فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته، قال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك» . قال: «فراجعت ربي فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي» ، قال: «فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: قد استحييت من ربي....» الحديث.

إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا [١]. قال: سل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

فإن قيل: مقام إبراهيم في السابعة، وموسى في الرابعة، وفي رواية: أن النبي ﷺ وجد إبراهيم في السادسة[٢]، وموسى في السابعة؟ فالجواب: مقام إبراهيم في السابعة لكنه نزل لملاقاته في السادسة. وموسى مقامه في السادسة لكنه مشى في خدمته إلى السابعة.

ثم قال الله بعد أن خفف الصلاة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾.

قرأ حمزة [٣] : ﴿وَرُسُلِهِۦ لَا (يفرق) بَيۡنَ أَحَدٍ﴾، بالياء المثناة تحت.

قرأ أبي عمرو ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ كما فرق اليهود والنصارى بين موسى وعيسى.

وقالوا : ﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ ، أي نطلب غفرانك ربنا : ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، أي رجعنا إليك.

فقال: غفرت لك ولأمتك. ثم قال: سل تعط؟

فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾[٤] [البقرة: ٢٨٦].

فقال الله تعالى: لك ذلك.ثم قال: سل تعط. فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٩)، والخطيب في تايخ بغداد (١٠/ ٣٤٦)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ١٤٧)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٨٩).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٦٣-١٦٣)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال.... الحديث، وفيه: غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.... إلى آخره. قال النووي: قد تقدم في الرواية الأخرى أنه في السابعة، فإن كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه، ويكون في كل مرة وجده في سماء، وإحداهما موضع استقراره ووطنه، والأخرى كان فيها غير مستوطن، وإن كان الإسراء مرة واحدة فلعله وجده في السادسة، ثم ارتقى إبراهيم أيضًا إلى السابعة، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٩).

(٣) حمزة هو الزيات، واسمه حمزة بن حبيب بن عمارة أبو عمارة الزيات القارئ الكوفي التيمي مولاهم المقرئ، صدوق زاهد ربما وهم، أحد السبعة القراء، كان عديم النظير في وقته علمًا وعملاً قيمًا بكتاب الله رأسًا في الورع، قال الكسائي: لما سئل عن الهمز والإدغام: ألكم فيه إمام؟ قال: نعم، حمزة كان يهمز ويكسر، وهو إمام من أئمة المسلمين وسيد القراء والزهاد لو رأيته لقرت عينك به من نسكه. وقال ابن معين: حمزة ثقة، قيل: إنه مات سنة (١٥٦)، وقيل (١٥٨)، بحلوان وقد قارب الثمانين. أنظر تاريخ الإسلام، وفيات (١٥١-١٦٠).

(٤) أي إن تركنا فرضًا على جهة النسيان أو فعلنا حرامًا كذلك أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((قال الله: نعم)) ، المرجع السابق (١/ ٣٤٢).

إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أي لا تجعل توبة أمتي بالقتل كغيرهم، وهم قوم موسى الذين عبدوا العجل، فلما أمرهم موسى بقتل أنفسهم (١) اعتزلوا فجاءهم هارون باثني عشر ألفًا ما عبدوا، بأيديهم السيوف. فقالوا: هؤلاء إخوانكم، جاءوا بالسيوف فاصبروا، لعن الله رجلاً قام من موضعه، فاضربوا فيهم بالسيوف إلى المساء، فانكشف الحال عن سبعين ألف قتيل، فقال الله: قد غفرت للقاتل، وتبت على المقتول.

فعلى هذا يكون من قوله تعالى لقوم موسى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، أي استسلموا للقتل. ومنهم من حمل الآية على ظاهرها، فيكون من عبد العجل قتل بعضهم بعضًا.

«فقال الله: أجعل توبة أمتك الندامة، سل تعط.

فقلت: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾، الآية.

قال: لك ذلك، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾. وإنما دعا بثلاث دعوات لأن الله تعالى عذب ثلاث أمم، واحدة بالخسف، وهو قارون، وواحدة بالمسخ وهم قوم داود، وواحدة أمطر عليهم الحجارة وهم قوم لوط(٢)، فالعفو عن الخسف، قال الله تعالى: لأبدلن أمتك بل أخسف بذنوبهم حتى لا تراها، وأطرحه عن الحجارة، فقال الله تعالى: أمسح ذنوبهم فأجعل السيئة حسنة لا بأبدانهم».

قالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله، كم جرى بينك وبين الله كلمة؟ قال: «اثنا عشر ألف كلمة، كلها في شأن أمتي، فأجابني إلى ما سألت».

---

(١) قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: قال موسى لقومه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه ﷻ أن يقتلوا أنفسهم. قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلمة عنهم وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة. وقال ابن جرير أيضًا بسنده عن سعيد بن جبير ومجاهد: في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا لا يحنو رجل على قريب، ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين ألف قتيل، وأن الله أوحى إلى موسى: أن حسبي فقد اكتفيت ، فذلك حين ألوى موسى بثوبه، وروي عن علي ﷺ نحو ذلك. وقال قتادة: أمر القوم بتشديد من الأمر فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضًا حتى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم فأمسك عنهم القتل، فجعل لحيهم توبة وللمقتول شهادة. تفسير ابن كثير (١/ ٩٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، كان ذلك عند طلوع الشمس ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ وهي سدوم ﴿سَافِلَهَا﴾، أي أمطرنا عليها حجارة من سجيل وهي بالفارسية حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره، وقال بعضهم : أي من سنك، وهو الحجر، وفي الآية الأخرى: حجارة من طين، أي مستحجرة قوية شديدة، وقال بعضهم: مشوية، وقال البخاري : سجيل : الشديد الكبير. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٥).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[١] قال: يا محمد، عبدتنا في الخلوة فاشفع لأمتك في الخلوة. وقيل: أوحى الله إليه أنهم يطيعوني ويعصوني، فطاعتهم برضائي، ومعصيتهم بقضائي، فما كان برضائي أقبله، وما كان بقضائي أغفره.

قالوا: وما الحكمة في آخر سورة البقرة في عدم ذكر لفظ ربنا في قوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾: أن النداء إنما يكون عند البعد والعبد إذا لازم التضرع يترقى في مقام النداء إلى مقام المناجاة.

وقيل: واعف عنا سكرات الموت، واغفر لنا في ظلمة القبر، وارحمنا في أحوال في أهوال القيامة.

وفي تفسير ابن حبان المسمى بالبحر المحيط: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ من الأفعال، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ من الأقوال، ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ بثقل الميزان[٢].

وفي البسيط للواحدي: لما سمع النبي ﷺ هذه الآية من ربه بغير واسطة قالت الملائكة: يا محمد، قد أحسن الله الثناء عليك بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾، فاسأل ربك.

فعلمه جبريل هذه الدعوات المذكورة.

قال النسفي: قال ﷺ في تلك الحضرة: يا رب لكل قادم من سفر تحفة فما تحفة أمتي إذا قدموا عليك؟ قال: كرامتهم ما عاشوا ورحمتهم إذا ماتوا، ورأفتي بهم إذا بعثوا[٣].

ثم قال: ولكل قادم من سفر هدية، فما هديتهم إذا قدموا؟

فقال: بإحدى يديه هذه فيها تقصير الطائعين، وفي الأخرى ذنوب المقصرين،

---

(١) معناه: فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح. وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: أوحى الله إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وقال غيره: أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. المرجع السابق (٤/ ٢٤٩).

(٢) وقوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوئنا وأعمالنا القبيحة ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ أي فيما يستقبل فلا توقعنا بتوقيعك في ذنب آخر، ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره. المرجع السابق (١/ ٣٤٣).

(٣) روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: ((قال الله: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة فلم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)).

أتجاوز عن تقصيرهم بكرمي، وعن ذنوبهم بشفاعتك [١].

قال الإمام الغزالي رحمه الله في الدرة الفاخرة: إن الله تعالى يخلق بعيراً من عمل الرجلين والثلاثة يركبونه جميعًا يوم القيامة، وذلك من ضعف الأعمال، فيقود الأعمال بعضها بعضاً، ويخلق لهم منها بعيراً الثلاثة.

قال العلامة شمس الدين محمد بن السراج -بالجيم- الشافعي رحمه الله في كتابه «تفاح الأرواح ومفتاح الأرياح»: أن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله قال يومًا من الأيام: ثمرة هذه النخلة تكون هدية للشيخ رسلان، ثم نظر يومًا فوجد ثمرها ناقصًا، فسأل عن ذلك فقال له رجل: أرى بازاً أشهب كل يوم يأكل منها ثم يطير [٢].

فقال: هذا الشيخ رسلان يأتي من دمشق وبينها وبين أم عبيدة بلدة الشيخ أحمد الرفاعي شهران، رحمهم الله، وعن من صدق بكرامات الأولياء [٣].

قال الشيخ خليفة، وهو من مشايخ البهجة رحمه الله: رأيت النبي ﷺ في المنام سبعة عشرة مرة في ليلة واحدة، وعلمني هذا الدعاء: اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك، فخذ بما أعطيت على ما قضيت، وامح ذلك بذاك، جليت أن تطاع إلا بإذنك، وأن تعصى إلا بعلمك. اللهم ما عصيت حين عصيتك استخفافًا بحقك، ولا استهانة بعذابك، لكن بسابقة سبق بها علمك والتوبة إليك والمعذرة لديك.

ثم قال لي ربي: «ارجع إلى قومك فبلغهم عني. ودلي إليَّ الرفوف الأخضر الذي كنت عليه، وجعل يخفضني ويرفعني فأهوى بي إلى جبريل وارتفع الرفوف الأخضر الذي كنت عليه حتى غاب عني.

---

(١) وجد عدم ترتيب للصفحات في المخطوط الذي اعتمدنا عليه نظراً لوجود زيادات بالنص به أكثر من النسخة الأخرى، من المخطوط، وربما كان فقد في أوراق المخطوط واستكملناه من النسخة الأخرى منه، ثم عدنا بعد ذلك إلى المخطوط الذي اعتمدنا عليه، وذلك كلما تصادف انقطاع في المخطوط استكملناه من النسخة الأخرى.

(٢) قال الشوكاني: أولياء الله سبحانه يتفاوتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من الإيمان، فمن كان أقوى إيمانًا كان في باب الولاية أعظم شأنًا وأكبر قدراً، وأعظم قربًا إلى الله، وكرامة لديه، ومن لازم الإيمان القوي العمل السوي والتحبب إلى الله بمحبته ﷻ ومحبة رسوله ﷺ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وكلما ازداد بعد التقرب إلى الله بفرائضه واجتناب مناهيه بفعل النوافل والاستكثار من ذكره ﷻ، زاده الله محبة وفتح له أبواب الخير كله، دقه وجله. قطر الولي على حديث الولي (٤٨)، من تحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) الحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه تاركًا لما نهاه الله عنه مستكثراً من طاعاته، فهو من أولياء الله سبحانه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله ﷻ، لا يحل لمسلم أن ينكرها، ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه، وليست ولايته رحمانية بل شيطانية، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس، وليس هذا بغريب ولا مستنكر، فكثير من الناس من يكون مخدومًا بخادم من الجن أو بأكثر فيخدمونه في تحصيل ما يشتهيه، وربما كان محرمًا من المحرمات. المرجع السابق (٦٥).

فقال جبريل: يا محمد، أبشر فأنت خيرة الله من خلقه، وصفوته من البشر، ولقد قربك الرحمن من عرشه مكانًا، فلم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرضين[١] فهناك الله كرامته وما حباك الله به، فحمدت الله على ما أكرمني به».

ثم قال: يا محمد، انطلق إلى الجنة، حتى أريك ما لك فيها فتعرف إلى ما يكون معادك بعد الموت، فتزداد بذلك في الدنيا زهدًا إلى زهدك، ورغبة في الآخرة على رغبتك. فسرت معه، فهو أسرع من السهم حتى وصلنا إلى الجنة بإذن الله تعالى، فأقبل رضوان خازن الجنان وخلفه رقيائيل مع كل واحد منهما ألف ألف ملك، رافعين أجنحتهم ورءوسهم يسيرون إلى الأصابع يقولون: لقد أكرم الله هذا النبي الأمي موجبًا بك يا جبريل، ومن معك».

وفي رواية: «أقبل رضوان معه ملائكة الحجب وجوههم كالقمر ليلة البدر، تفوح ريح المسك من ثيابهم ، مكللون بتيجان من نور، مناطقهم صفائح الزمرد.

فقلت: ما أحسن هؤلاء يا جبريل؟

فقال: والذي بعثك بالحق نبيًا، إن أمتك إذا اتقوا الله (وصلحوا)[٢] من الدنيا كانوا في الجنة أحسن منهم، فلما هدأت نفسي وذهب روعي، فما ترك منها مكانًا إلا رأيته فرأيت قصورًا من الدر والياقوت والزبرجد، والأشجار من ذهب أحمر، وقضبًا، ناهيك عن اللؤلؤ وعروقهن من فضة راسخة في المسك.

ورأيت شجرة ساقها في كثافة لا يعلمها إلا الله، وأغصانها أكثر من أنصاف نبات الأرض. فالورقة الواحدة منها تغطي الدنيا، وعليها من أصناف الخير ضروبًا شتى.

فقلت: يا جبريل، ما هذه الشجرة [٣] .

---

(١) روى مسلم (٢٦٣-١٦٣)، في الإيمان ، حديث الإسراء برسول الله ﷺ، عن أنس، وفيه : قال رسول الله ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام». قال النووي: قال القاضي رحمه الله: وفي علو منزلة نبينا ﷺ وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على علو درجته وإبانة فضله، وقد ذكر البزار خبرًا في الإسراء عن علي كرم الله وجهه، وذكر مسير جبريل عليه السلام على البراق حتى أتى الحجاب وذكر كلمة وقال: خرج ملك من وراء الحجاب فقال جبريل: والذي بعثك بالحق إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت، وإني أقرب الخلق مكانًا. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٠).

(٢) كذا بالأصل وأظنها: (سلموا).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٤)، (٦/ ١٨٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، والترمذي (٢٥٢٣)، في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة» .

قال: لك ولأزواجك ولأولادك وكثير من أمتك.

ثم رأيت نهرًا يخرج من أصلها أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل [١]، فقال جبريل: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك، وهو (السي)[٢] يخرج من تحت العرش إلى ورهم وقصورهم.

ثم سار إلى شجرة أخرى، فإذا ورقها حلل ظرائف من ثياب الجنة أبيض وأحمر وأصفر وأخضر وثمارها أمثال القلال في ألوان شتى وروائح شتى.

فقلت: يا جبريل: ما هذه الشجرة؟

فقال: هذه التي ذكرها الله في القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، هي لك ولأمتك الكثير منهم، ولك فيها حسن مقيل ونعيم طويل.

ورأيت آدم ونوحًا وإبراهيم وعيسى، فسلمت عليهم، فبلغوني بالتحية وقالوا: ما صنعت يا نبي الرحمة؟ فأخبرهم ، ففرحوا بذلك وحمدوا الله تعالى وسألوه المزيد لي.

ثم خرجت مع جبريل لا يفوتني ولا أفوته حتى دلاني في مكان من الأرض الذي حملني منه وأراني مع ذلك عجائب الأرض وما خلق فيها، وكل ذلك في ليلة واحدة، فـ«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[٣]. قال الزركشي: معناه: ولا فخر أتم من هذا.

فأخبرت بذلك قومي فكذبوني غير أبي بكر.

قال في مجمع الأحباب: الذي رآه النبي ﷺ بعين رأسه رآه أبو بكر بعين قلبه ﷺ، فكان أول من صدق.

قال شرف الدين عيسى السهروردي رحمه الله: لما ركب النبي ﷺ الرفرف من النور الأزهر تقدم هو، وجبريل تأخر، فزُج في النور ورفعت له الأستار وسمع شفاهًا كلام

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦١)، في التفسير، من سورة الكوثر عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدرر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضًا: ابن ماجه في سننه، في كتاب الزهد، باب صفة الجنة. وقد روى الترمذي (٣٣٥٩)، والنسائي في الكبرى في التفسير عن أنس أن النبي ﷺ قال: «هو نهر في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل:؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله» .

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣-٢٢٧٨)، كتاب الفضائل، ٢-باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...» الحديث، والترمذي في صحيحه (٣١٤٨)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة بني إسرائيل -الإسراء-، وفي رقم (٣٦١٥)، في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٤)، وأحمد بن حنبل (١/ ٢٨١)، (٣/ ٢)، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٧-الموارد)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٣٩٩).

الملك الجبار: يا عروس المملكة، يا تاج منصة الوجود، يا شمس الهداية والسعود، أنت أكرم الناس علينا، سل ما تريد فمنك السؤال ومنا العطاء، وما على عطائي مزيد.

فقال: ما الذي أسأل وقد أسجدت لآدم الملائكة واصطفيته، وزوجته حواء، وفي الجنة أسكنته(١)؟ جاءه الخطاب: يا محمد، لولا أشرق عليه نورك الذي تقادم ما ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.

قال: يا إلهي ما الذي أطلب وقد جعلت إدريس نبيًا ورفعته مكانًا عليًا؟ جاءه الخطاب: إنما رفع إدريس إلى السماء لينظر إليك ويسير في هذه بين يديك.

قال: يا إلهي، ما الذي أطلب وقد استجبت دعوة نوح على أهل الطغيان ونجيته في السفينة من الطوفان؟ فقال: لولا أنه أقسم علينا بجاهك ما نجا هو ومن معه من المهالك، سل تعطه.

قال: يا إلهي ما الذي أطلب وقد اصطفيت إبراهيم خليلاً وجعلت النار عليه بردًا وسلامًا، وفديت ولده إسماعيل بذبح عظيم؟ جاءه النداء: يا أعز المخلوقات ويا أشرف الموجودات، لولا ما أشرق عليهما نور وجهك الكريم ما نجا من نار النمرود، ولا فدي بذبح عظيم ، ادع تجب.

قال: سيدي وما أدعو وقد جعلت موسى كليمًا وكرمته تكريمًا؟

جاءه النداء: يا أكرم من تمنى، يا صاحب قاب قوسين أو أدنى(٢)، موسى هدي بالإسرار إلى النار، وخوطب على جبل ذي أحجار، وأنت خوطبت على بساط الأنوار في حضرة الملك الغفار، قل تسمع.

قال: يا إلهي ما الذي أقول وقد ألنت الحديد لداود، وسيرت الجبال، وأعطيت لسليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده؟

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]. وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧، ١١٩].

(٢) قال النووي: أما رؤية الله تعالى في الدنيا فقط إنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا، وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما: وقوعها، والثاني: لا تقع، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٥). ط.دار الكتب العلمية.

جاءه النداء: يا أعلى موجود سأسير معك جبال النصر والرعب في الوجود، وألين لك قلوبًا كالجلمود، وأخصك يوم القيامة بالمقام المحمود، تدلل ولا تتذلل، سل تعط.

قال: يا إلهي، ما الذي أسأل وقد أيدت عيسى بروح القدس وأظهرت له المعجزات يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك؟

جاءه النداء: أنت أي طبيب تداوي أمراض الذنوب ونحيي بك أموات القلوب.

قال: يا رب فاقبل شفاعتي في عصاة أمتي [1].

جاءه الخطاب: يا أعز الأحباب، وعزتي إن عصوني سترتهم، وإن استغفروني غفرت لهم، وإن استنصروني نصرتهم، وإن دعوني أجبتهم، ولسامحتهم بما مضى، ولأجودن عليهم بالرضا.

وفي الحديث: إن النبي ﷺ قال: «ما سألت ربي ليلة المعراج مسألة، وددت أني لم أسأله عنها». قلت: «يا رب، أعطيت آدم الجنة، قال: أعطيته الجنة ثم عزلته عنها، وأعطيتك وأمتك الجنة ولا أعزلكم عنها».قلت: «أعطيت نوحًا السفينة؟ قال: جعلت لك ولأمتك الأرض مسجدًا وطهورًا»[2]. قلت: «صيرت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم؟قال: كذلك أجعلها على أمتك». قلت: «أعطيت إسماعيل زمزم؟ قال: أعطيتك الكوثر». قلت: «جعلت له الفداء؟ قال: جعلت فداء أمتك اليهود والنصارى». قلت: «كلمك موسى على جبل الطور؟ قال: كلمتك على بساط النور». قلت: «أعطيت عيسى المائدة؟ قال: جعلت لك مائدة الكرامة يوم القيامة». قلت: «أعطيت داود الزبور؟ قال: أعطيتك سورة الأنعام». قلت: «نجيت يونس بن متى من ظلمات ثلاث؟ قال: كذلك أنجي أمتك من ظلمة القبر ومن ظلمة الصراط».

● **فائدة:**

متَّى اسم أبي يونس عليه السلام .

---

(١) حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر» اخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧)، (١٠/ ١٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٢)، (١١/ ١٨٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٨٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٦) ، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٩٦-موارد).

(٢) حديث: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»، اخرجه البخاري(١/ ٩١، ١١٩)، والترمذي (٣١٧)، في الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، والنسائي (٢/ ٥٦ -المجتبى)، وابن ماجه (٥٦٧) ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥٠)، (٢/ ٢٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٩٨).

وقال في جامع الأصول: اسم أمه، أرسله الله إلى أهل الموصل[١].

قيل: كانت نبوته بعد خروجه من بطن الحوت. حكاه البرماوي في شرح البخاري.

قال في العرائس: لم ينسب إلى أمه غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام.

وفي الحديث: ((لا تفضلوني على يونس ابن متى))[٢]. قيل: قاله قبل أن يعلم أنه أفضل منه. فقد قال ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد))[٣]. وفي رواية: ((لواء الكرم، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، وأول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيدخلها مع فقراء المؤمنين، وأنا أكرم الأولين والآخرين)).

وقال أنس رضي الله عنه: ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم أحسنهم وجهًا، وأحسنهم صوتًا. وقيل: قال: «ولا فخر»، تواضعًا[٤]، فقد كان ﷺ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقم البيت، ويقم البعير ويعلفه ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق.

وقال ﷺ: ((صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله))[٥]، ذكره في كتاب الشفا أيضًا.

وقيل: إنما قاله زجرًا عن توهم حط مرتبة يونس لما في القرآن: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾، فهذا هو السبب في ذكره دون غيره من الأنبياء.

---

(١) وذلك أن يونس بن متّى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوي، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله تعالى، فأبوا عليه، وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجاروا إليه ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وسخالها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٧).

(٢) أخرجه القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) قال النووي: قال العلماء: وقوله ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم)) لم يقله فخرًا بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))، وإنما قاله لوجهين: أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى، وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم. النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣٠)

(٥) أخرجه القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٧١).

وقال في الشفا: ((لا تخيروني على موسى))[(١)]، فدعوى الاقتصار على ذكر يونس مردود.

وقيل للشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله: إن فلانًا زعم أنه وصل إلى ما وصل إليه يونس بن متّى، فضرب وسادته بالأرض وقال: قد أصبت قلبه، فذهبوا إليه فإذا (أنه) [(٢)] قد مات.

قال النبي ﷺ: قلت: يا رب وجعلت للخضر عين الحياة؟ -وسيأتي بيانها في مناقب الخضر في باب: فضل الأمة المرحومة-. قال: قد جعلت السلسبيل.

قلت: قد أعطيت موسى التوراة؟ قال: أعطيتك آية الكرسي من كنز تحت العرش[(٣)].

قال محمد ابن الحنفية[(٤)] -واسم أمه: خولة، وأبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه-: لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم على وجهه[(٥)]، وسقطت التيجان عن رءوسهم، وهربت الشياطين، فاجتمعوا إلى إبليس وأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك فأتوا المدينة فبلغهم أن آية الكرسي نزلت. وتقدم في هذا الباب وغيره زيادة في فضائلها.

قال النبي ﷺ: «فقلت: يا رب، أعطيت عيسى الإنجيل؟ فقال: قد جعلت لك سورة الإخلاص».

● **فائدة:**

عن النبي ﷺ قال: ((خلق الله تعالى نورًا قبل السموات والأرض بألف عام، خلق

---

(١) انظر القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٥).

(٢) كذا بالأصل وهي: (هو).

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٨٧٨)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي)). وفي رقم (٢٨٧٩)، عنه: ((من قرأ ﴿حم﴾ المؤمن إلى ﴿إليه المصير﴾ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح)).

(٤) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم ابن الحنيفية أبو عبدالله، الهاشمي المدني، ثقة عالم، أخرج له الستة توفي سنة (٨٠، ٧٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١٩٢)، الكاشف (٣/ ٨٠)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ١٨٢)، الجرح والتعديل (٨/ ١١٦)، المغني (٥٨٤٨)، تراجم الأحبار (٤/ ٩٩)، الوافي بالوفيات (٤/ ٩٩)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠).

(٥) ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٩٩).

من ذلك النور مشكاة فكتب به سورة يس[١]، وخلق لها خمسين ألف جناح، فلم تمر في سماء إلا خضعت لها سكانها وسجدوا لها، فمن تعلم يس وعرف حقها كان في الجنة في الدرجة العليا». وقوله ﷺ: خلق لها، أي: خلق لثوابها.

وعن أبي بكر الصديق ﵁، عن النبي ﷺ قال[٢]: «يس تدعى في التوراة المعمة»، وقيل: وما المعمة؟ قال: «تعم صاحبها بخيرة الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة، وأهاويل الآخرة، من قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت في جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف بركة، وألف يقين، وألف رحمة، ونزعت كل داء» ذكره في تحفة الحبيب.

وفي تفسير القرطبي: «من قرأها نهارًا كفي همه، ومن قرأها ليلاً غفر ذنبه، ومن قرأها نهارًا لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها ليلاً فكذلك حتى يصبح»[٣].

وعن النبي ﷺ: «يرفع القرآن عن أهل الجنة فلا يقرأون شيئًا إلا طه ويس».

نعم في الحديث: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد درجة. حتى يقرأ آخر شيء معه»[٤].

وفي كتاب البركة: من قرأ يس أربع مرات متوالية من غير أن يتكلم بشيء، ثم يقول: سبحان المنفس عن كل مديون، سبحان المفرج عن كل محزون، سبحان من أمره بين الكاف والنون، سبحان من إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، يا مفرج الهموم، يا حي يا قيوم ، صل وسلم على محمد واقض حاجتي، ويسميها، فإنها تقضى بإذن الله تعالى.

ثم قال في الكتاب المذكور: وهو مجرب.

قال محمد بن علي البصري: ركبت مركبًا ثم كسر فصرت إلى جزيرة فيها أنهار وأشجار، فأكلت من ثمارها، فلما جاء الليل صعدت على شجرة، فلما طلع النهار أتيت مكاني فإذا برجل على وجه أليم، فسألني عن أمري فأخبرته ، فقال: من أين أنت ؟

---

(١) في فضائل سورة يس : أخرج الترمذي في سننه (٢٨٨٧)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل يس، عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» .

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٦٨٦).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٤٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٧٠)، بلفظ: «من قرأها نهارًا لم يدخل الشيطان بيته» ، ولفظ الدارمي: «من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه».

(٤) انظر سنن أبي داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، وقد تقدم بأوسع من ذلك.

قلت: من أمة محمد ﷺ. قال: اقرأ يس والدخان وتبارك، تأمن وتنجو وتشبع، فقلت: من أنت؟ قال: نحن ثلاثة من الملائكة أرسلنا ربنا تبارك وتعالى إلى حوت خرج من بحره إلى بحر آخر فاستغاث منه حيتانه، فأمر ربنا أن نرده إلى بحره، فالأول على رأسه، والثاني على وسطه، وأنا على ذنبه، ثم نمت فاستيقظت وأنا في داري بالبصرة.

ثم قال النبي ﷺ: «وخلق الله تعالى بعد ذلك درة بيضاء، وخلق منها عنبرًا (....)[1] كتب به آية الكرسي، فمن تعلمها وعرف حقها دخل من أي باب شاء الجنة وله بكل حرف حجة وعمرة، وخلق بعد ذلك لؤلؤة خضراء وخلق منها كافورًا أبيض، ثم كتب به ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وقال: هذا نسبي ، فلم تمر في سماء إلا خضعت له سكانها، فمن تعلمها وعرف حقها كان يوم القيامة في أعداد الأنبياء والشهداء وله بكل حرف أربعون مدينة، وأعطاه بكل حرف ألف نور.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان من أفضل أهل الأرض»[2].

وقال النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بأكفها يوم القيامة حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»[3].

وفي كتاب البركة: عن النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يأوي إلى فراشه ثلاث مرات، وكل الله له خمسين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح» .

وفي الزهر الفائح: قال رجل: يا رسول الله، أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: «آية الكرسي» ، قال: فأي آية في كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: «آخر سورة البقرة، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله ولم تترك خيرًا في الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه»[4]، رواه الدارمي.

وقال النيسابوري: قدم قوم من نجران -بالجيم- وقالوا: يا محمد: صف لنا ربك،

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٧٣٣).

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٢)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ٢٤٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٥)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠١).

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٥/ ١٥١، ١٨٠)، بلفظ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من بين كنز من تحت العرش» ، وأيضًا أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ١٣)، وفي الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٩٨)، كلهم بلفظ: «أعطيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش» .

هل هو من زبرجد، أو ياقوت ؟

فقال [1] : ((إن ربي ليس من شيء؛ لأنه خلق الأشياء)) ، فنزل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فقالوا: هو واحد وأنت واحد. فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. فقالوا: زدنا؟ قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قالوا: وما الصمد؟ قال: ((الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم)) ، قالوا: زدنا؟ قال: ((﴿لَمْ يَلِدْ﴾ كما ولدت مريم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما ولد عيسى)) .

وعن أبي بن كعب ﷺ، عن النبي ﷺ: ((من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع ما أنزل الله على محمد ﷺ)) [2] .

وعنه أيضًا: قال ﷺ: ((ألا أدلك على سورتين، لو أنت قرأهما لم يبق شيء إلا قال: اللهم أعذ فلانًا من شري، وهما المعوذتان)) .

وعن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: ((استكثروا من النورين ينفعكم الله بهما في الدنيا والآخرة: المعوذتان ينوران القبر ويطردان الشيطان ويزيدان في الحسنات، ويثقلان الميزان، ويدلان صاحبهما إلى الجنة)) .

وفي كتاب البركة: عن النبي ﷺ: ((من ولد له مولود فسماه محمدًا حبًا وتبركًا كان هو ومولوده في الجنة، وما قعد قوم على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي إلا تضاعفت فيهم البركة)) [3] .

اللهم يا من وفق أهل الخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه برحمتك يا أرحم الراحمين.

● **فائدة:**

المعراج كان لستة من الأنبياء: آدم عليه السلام ، وإدريس، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد ﷺ.

فمعراج آدم كان إلى الجنة بالعز وهبوطه منها بالذل، وخرج من دار البقاء إلى دار الفناء، ولما هبط آدم قالت الملائكة: غضوا أبصاركم لئلا يقع على آدم، فإنه عاص. ولما

---

(١) أخرج الترمذي (٣٣٦٤)، كتاب التفسير، باب من سورة الإخلاص، عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فالصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا سيورث، وإن الله ﷻ لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

(٢) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣٨١٨).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٩٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٥٧).

عرج بالحبيب، قال: اجتمعوا لنظرة الحبيب.

وأما معراج إدريس فكان إلى السماء السادسة، يسمع كلام الملائكة، وعرج بنبينا ﷺ على قاب قوسين، فسمع كلام الباري بلا واسطة.

وأما معراج إبراهيم إلى ملكوت السموات والأرض، فرأى قومًا على الفاحشة، فدعا عليهم بالهلاك، ومحمد ﷺ دعا للعصاة بالمغفرة والنجاة.

ومعراج موسى كان إلى الطور، ومعراج المصطفى إلى بساط النور.

وموسى جاء على قدميه، والمصطفى حجابه على البراق.

وسمي موسى باسم العلامة، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا﴾، وسمى المصطفى باسم الكرامة فقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، وقال لموسى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾. وقال له: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ وقال للمصطفى : ادن، تقرب بلباسك الذي عليك.

وموسى لما رجع من المناجاة وجد قذارة من قومه ثلاثة أيام، والمصطفى غفر الله للعصاة من أمته ما لا يعلم عددهم إلا الله.

قال لموسى في المناجاة: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ وقال للمصطفى: من أنا، قال: سيدي ومولاي.

موسى لما سأل الرؤية وتجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا، والمصطفى لما بلغ الحظيرة وصار الكون تحت قدمه برحمة ولم يتغير شعرة.

وأما عيسى فمعراجه إلى سماء الدنيا، ولم يرجع إلى قومه برحمة.

والمصطفى رد إلى الأرض وأتى لأمته بالرحمة والشفاعة، وأخبر أصحابه عن منازلهم التي أعدت لهم في الجنة بعدما رآها بنفسه، فقال لأبي بكر: «رأيت قصرك في الجنة من ذهب ودخلته ونظرت ما فيه». فقال له أبو بكر: القصر وما فيه فداؤك. وقال لعمر: «رأيت قصرك من ياقوت ولم أدخله من غيرتك»، فقال: أفعليك أغار. وقال لعثمان: «رأيت صورتك في كل سماء». وقال لعلي: «رأيت صورتك إلى السماء الرابعة، فقلت لجبريل، فقال: إن الملائكة اشتاقوا إلى رؤية علي، فخلق الله تعالى هذا الملك على صورته»، والله أعلم.

***

الباب الرابع والعشرون

في فضائل أول شهر «شعبان» المكرم

عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «**ذاك شهر تغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي فيه وأنا صائم**»[1]، رواه النسائي.

وروي عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصوم ولا يفطر حتى نقول: ما في نفس رسول الله ﷺ أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم حتى نقول: ما في نفس رسول الله ﷺ أن يصوم العام، وكان أحب الصوم إليه في شعبان [2] . رواه أحمد والطبراني.

وروى الترمذي [3] عن أنس ﷺ قال: سئل النبي ﷺ أي الصوم أفضل قبل رمضان؟ قال: «**شعبان**»، لتعظيم رمضان. قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**صدقة في رمضان**»، قال الترمذي: حديث غريب.

وعن عائشة: أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كله. وقالت: قلت: يا رسول الله، أحب الشهور إليك أن تصوم شعبان؟ قال: «**إن الله يكتب فيه على كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم**» [4] .

رواه أبو يعلى، وهو غريب وإسناده حسن.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان [5] . رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

واعجباه ممن يدعي الشوق إلى الله ويسمع القارئ يقرأ كلام الله ثم يلتفت إلى غير كلام الله، لو كنت مشتاقًا إلى الله لَمَا كنت ألتفت إلى ما سوى الله. لو كنت صادقًا في محبة الله

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٧٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١١٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٦٦٣)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس.

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٨٢)، والحافظ في الفتح (٤/ ٢١٥).

(٥) أخرجه الترمذي (٧٣٦)، كتاب الصوم، باب ما جاء في وصال شعبان برمضان، وأبو داود (٢٣٣٦)، كتاب الصوم، باب فيمن يصل شعبان برمضان، والنسائي في الصيام، باب صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي.

لما شغلك شاغل عن الله، المشتاق له علامات: إن نطق نطق عن الله، وإن سكت سكت في الله، وإن نظر نظر إلى الله، وإن أخذ أخذ من الله وإن أقبل أقبل على الله، وإن أعطى أعطى لله، ليس له شغل سوى الله. شعر:

يا عذولي ارجـــع إلى الله ... إنني ما لـــي ســـوى الله
اذكروا الله مـا استطعتـــم ... إن ركعتم أو سجـــدتـــم
وإذا القــرآن قـرأتـم ... فاقـــرأوا نظـــر مـــن الله

يا هذا من اشتاق إلى الله كَلَّ لسانه من كثرة ذكره، شعر:

شدة الشوق سقتني شربـــة ... أورثت جسمي وقلبي مرضـــا
كلما اشتد اشتياقي في الحشـا ... كدت أقضي النحب[1] مع من قد قضا

وحكي أن بعض الأنبياء بكى حتى عمي، وصام حتى فني، وصلى حتى ضني، فأوحى الله تعالى إليه: أما ناري فقد أمنتك منها، وأما جنتي فقد أبحت لك الدخول فيها، فما الذي تريد وما هذا البكاء.

قال: إلهي شوقًا إليك، فوعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها إليك. فأوحى الله تعالى إليه: يحق لمن اشتاق إلي أن يبكي الدماء عليّ.

وحكي: أن موسى لما أمره الله تعالى أن يأخذ معه سبعين رجلاً من أخيار قومه[2] ويأتي إلى الميقات فسار موسى وهو معهم، فمن شدة شوقه إلى مولاه خلفهم خلفه وسار وحده حتى صعد الجبل فلما غشيته الأنوار، نزلت عليه السكينة والوقار، وكلمه العزيز الجبار، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾[3] [طه: ٨٣، ٨٤].

---

(١) نحب فلان نحبًا، نذر نذرًا، والباكي: نحبًا، ونحيبًا، أعلن البكاء، انتحب الباكي: نحب، والنحب: أشد البكاء، ومنه: قضى نحبه.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]. قال ابن عباس: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختار سبعين رجلاً فبرزهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة، ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾. تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٥).

(٣) لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: يا موسى، اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، وواعده ربه ثلاثين ليلة، ثم أتبعها عشراً فتمت أربعين ليلة، أي يصومها ليلاً ونهاراً، فسارع موسى مبادراً إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ أي قادمون ينزلون قريبًا من الطور ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾، أي لتزداد عني رضًا ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٦).

قال: يا موسى ما هكذا يفعل الإنسان برفقائه، وأصحابه، ويتركهم ويمضي، قال: إلهي من شدة شوقي إليك لم أعرج إلا عليك ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

أزعجه شوقه إلى كلامه كالعطشان في المفازة لا يأخذه سكون، ولا قرار حتى سار إلى الملك الجبار، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، كانت الرؤية في قلب موسى فكتمها من علم الهيبة، فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ولم يقل: لأراك، فلما عيل صبره وضاق صدره صاح وأظهر المكتوم وباح قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال: يا موسى في الأول زعمت أنك تطلب رضاي، إنما جئت طالبًا لرؤيتي ولقائي.

موسى في الأول كان واقفًا في حضرة العبودية فلم ير نفسه أهلاً للرؤية، فلما غاب واستغرق في لذة الوصال فتكلم على لسان الدلالة بطلب الرؤية من ذي الجلال.

وقيل: كانت له زوجة فقالت له: أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس وسترت وجهها بيده وسجدت شكراً لله تعالى. وقالت لموسى: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، فقال لها: لك ذلك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

● **فائدة:**

نقل بعض أهل العلم: إن الله تعالى يخير المرأة المؤمنة يوم القيامة في أزواجها المؤمنين الذين تزوجتهم في الدنيا، فمن اختارته منهم كان زوجها في الجنة.

يا هذا إن لله عباداً لو فتشت قلوبهم لم تر فيها غير الله.

قال ولي الله إبراهيم بن أدهم [١]: كنت سائراً نحو بيت المقدس فلقيت ستة رجال فسلمت عليهم، وقلت لهم: أفيدوني شيئًا ينفعني الله تعالى به، فقالوا: انظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك.

قلت: زيدوني رحمكم الله. قالوا: انظر إلى كل ما حبه الله فاحببه، وكل ما يبغضه فابغضه.

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي البلخي الخراساني الزاهد، أحد الأعلام، كان من الأشراف، وكان أبوه شريفًا كثير المال والخدم والجنائب، وكان إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد وهو على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾، اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا، أخرج له البخاري في الأدب والترمذي، توفي سنة (١٦٢، ١٦١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ١٠٢)، التقريب (١/ ٣١)، الكاشف (١/ ٧٥)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٧٣)، الوافي بالوفيات (٥/ ٣١٨)، المجروحين (١/ ١٦٤، ١١٣).

قلت: زيدوني. قالوا: عليك بالدعاء والتضرع والبكاء في الخلوات والتواضع والخشوع والرحمة للمسلمين والنصح لهم.

فقلت: زيدوني. فقالوا: الله حل بيننا وبينه، فقد شغلنا عنك. فنظرت فلم أرهم رحمهم الله ونفعنا بهم والمسلمين، آمين. شعر:

لبيك لبيك يا سري ونجـــــواي ... لبيك لبيك يا قصدي ومـــــناي

يا عين عين وجودي يا مدى سكني ... يا منطقي يا عباراتي وأنبائــــي

يا غاية السؤل والمأمول يا أملــــي ... يا سؤل نفسي ويا ديني ودنـــياي

إن كنت بالعز عن عيني محتجـــبًا ... فالقلب يرعاك في الإبعاد والنائي

قال بعضهم: الخلق على ثلاثة أقسام: رهباني، ورباني، وجناني.

فالرهباني: الذي يعبده خوفًا من النار، والرباني: الذي يعبده لا خوفًا من النار ولا طمعًا في دار القرار، بل شوقًا إلى الملك الجبار، والجناني: الذي يعبده طمعًا في دار القرار، فإذا كان يوم القيامة يقال للرهباني: كنت تعبد خوفًا من النار، فأنجيناك منها، فينطق بلسان الحمد، يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

ويقال للرباني: إن كنت تعبد شوقًا إليّ، فها أنا فانظر إليّ بلا واسطة، ولا كيفية، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

ويقال للجناني: كنت تعبد طمعًا في الجنان ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٤٦]، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤].

كلهم يعبدون من خـــوف نار ... ويرون النجاة فضلاً جزيلا

أو لكي يسكنون الجنان فيسقوا ... من عيون مزاجــها زنجبيلا

ليس في الجنان يا قـــوم رأى ... أنا ما أبتغي بحِبي بديــــلا

وروي: أن ثلاثة من الأنبياء اشتاقوا إلى ثلاثة أشياء: أولهم: يعقوب، اشتاق إلى يوسف فقال: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [1] [يوسف :٨٤].

---

(١) أي أعرض يعقوب عن بنيه وقال متذكراً يوسف القديم: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ جدد له حزن الابنين الحزن الدفين، وقال عبد الرزاق بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال: لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع، ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أي ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق، قاله قتادة وغيره. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠١).

الثانيْ: موسى، اشتاق إلى الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾.

الثالث: محمد المصطفى ﷺ، اشتاق إلى العلي الأعلى، فكان قاب قوسين أو أدنى.

فكان ثمرة يعقوب الضر والعمى، وثمرة موسى النصب والعنا، وثمرة شوق المصطفى اللقاء ونيل المنى.

ولما اشتاق يعقوب أول مرة إلى يوسف صاح من شدة التأسف: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فلما عدم ندم ثم رجع وشكا إلى الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١) [يوسف: ٨٦].

ولما اشتاق موسى إلى الخضر لقي النصب والعناء قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف :٦٢]. فقال له الخضر في الآخر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

والمصطفى ما اشتاق في أول أمره إلا إلى الله فكأني في آخر أمره وابتدائه إلى الله، فمدحه الله في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يا هذا، الصلاة على النبي ﷺ في سائر الأوقات بعشر صلوات، والصلاة عليه في شهر شعبان كل صلاة بتسعمائة صلاة، من صلى عليه في شهر شعبان أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبًا ثلاثة أيام.

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي العبادة أفضل؟ قال: «**الصلاة عليَّ**».

وقال ﷺ: «**من نسي الصلاة عليَّ فقد خطأ طريق الجنة**»(٢)، ومراده ﷺ بالنسيان: الترك. قال: كان التارك للصلاة عليه يخطئ طريق الجنة، كان المصلي عليه سالكًا طريق الجنة، وجاءه جبريل فقال: يا رسول الله، لا يصلي عليك أحداً إلا ويصلي عليه سبعون ألفًا من الملائكة، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة.

وفي حديث: «**من صلى عليّ ألف صلاة لم يمت حتى يبشر بالجنة**».

خص الله تعالى رجب بالمغفرة، وخص شعبان بالشفاعة، وخص رمضان بالعتق من النار.

وخص رجب بالاستغفار، وجعل ثوابه المغفرة، وخص شعبان بالصلاة على النبي ﷺ وجعل ثوابها الشفاعة يوم القيامة، وخص رمضان بقراءة القرآن وكثرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وجعل ثوابها العتق من النار.

---

(١) أي أجابهم عما قالوا بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ﴾ أي همي وما أنا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة على النبي ﷺ، وقال في الزوائد: هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢١٨).

فجعل في رجب المغفرة لأنه شهر الاستغفار، وفي شعبان الشفاعة لأنه شهر المختار ﷺ(١)، وفي رمضان العتق من النار، لأن القرآن نسبة الجبار.

● **فائدة:**

خص الله تعالى المصطفى من الليالي بثمانية، هي أشرف الليالي عند الله تعالى: ليلة القدر، وليلة النحر، وليلة المن، وليلة انشقاق القمر، وليلة الإسراء إلى رب البشر، وليلة الخدمة، وليلة الرحمة.

فليلة القدر معروفة. وليلة النحر معروفةٌ أيضاً. وليلة المنّ: هي ليلة عيد الفطر. وليلة انشقاق القمر معروفة.

وليلة الإسراء هي ليلة السابع والعشرين من رجب (٢). وليلة الخدمة: هي الليلة التي قام فيها رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى في أمته.

وليلة الرحمة: هي ليلة النصف من شعبان.

فيا إخوتي، هذا شهر شعبان بركته مشهورة، وخيراته موفورة التوبة فيه من أعظم الغنائم الصالحة، والطاعة فيه من أكبر المتاجر الرابحة، شهر شعبان الذي جعله الله مضماراً لرمضان، ضمن للتائبين فيه الأمان، من عود نفسه فيه بالاجتهاد فاز في رمضان بحسن الاعتياد.

ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان إلا قليلاً (٣).

وكان رسول الله ﷺ يتهيأ لصيام شعبان، كما يتهيأ لصيام رمضان.

سأل سائل: أيهما أفضل، رجب أم شعبان؟

فأجاب بعضهم: إن الأخبار فيه متقاربة، فإن قيل: رجب من الأشهر الحرم، قيل: وذو القعدة من الأشهر الحرم، وفضائل شهر شعبان أكثر منه.

وإن قيل: أول ليلة من رجب تُحيى، قيل: وليلة النصف من شعبان تُحيى، وهي أفضل لقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

---

(١) حديث: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي»، أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥١٠)، والزبيدي في إتحاف (٣/ ٤٢٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٢٤، ٢٠٥).

(٢) الإسراء أقل ما قيل فيه: إنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً، وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين، وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨١)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٥٠)، وأبو داود (٢٣٣٦)، في الصوم، باب فيمن يصل شعبان برمضان، والنسائي (٤/ ٢٠٠-المجتبى)، في الصيام، باب صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي، والترمذي عقب الحديث رقم (٧٣٦)، كتاب الصوم، باب ما جاء في وصال شعبان برمضان، وأحمد في مسنده (٦/ ١٢٨، ١٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١٠)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٧).

فإن قيل: رجب شهر الله، قيل: هذا لا يدل على تفضيله عليه؛ لأن رمضان[١] شهر الأمة، وهو أفضل منه.

فإن قيل: حرمة رجب في الجاهلية والإسلام، قيل: الحكم لتعظيم الإسلام لا غير.

فإن قيل: في رجب كان المعراج بدء الوحي، وفي الجنة نهر يسمى رجب وقصر، وفيه فضائل كثيرة.

قلنا: هذه الأشياء بقوله ﷺ: «أفضل الصيام صيام شعبان، تعظيمًا لرمضان»[٢].

وعن أزهر بن سعيد[٣]، عن أمه أنها كانت تصوم رجب، فقالت لها عائشة رضي الله عنها: إن كنت صائمة شهرًا لا محالة فصومي شعبان، فإن فيه الفضل.

وقالت عائشة: يا رسول الله، إن أناسًا يصومون رجب، فقال لها: «فأين هم من صيام شعبان»[٤].

فيا من يقطع الليل بالنوم، والنهار بالفضول متى تلحق السابقين، همم القوم في مرضات المولى وهمم غيرهم في موافقة الهوى، كانت للقوم خلوات، وعند الغافلين مصادرات.

قيل: وقف أبو يزيد البسطامي ليلة إلى الصباح لا يستطيع أن يذكر الله بلسانه لما غلب عليه من الهيبة والإجلال، شعر:

وما تذكرتكم إلا نسيتكـــــم ... نسيان إجلال لا نسيان إهمال
إذا تذكرت من أنتم وكيف أنا ... أحللت ذكركم يأتي على بال

يا فارغ البيت من القوت هذه أيام اللقاط، يا مهجور ركعتان بعد النوم خير لك من ألف تجارة.

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٤): قالت طائفة: لا يقال : رمضان على انفراده بحال، وإنما يقال: شهر رمضان، هذا قول أصحاب مالك، وزعم هؤلاء أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فلا يطلق على غيره إلا بقيد، وقال أكثر أصحابنا وابن الباقلاني: إن كان هناك قرينة تصرفه إلى الشهر فلا كراهة، وإلا فيكره، قالوا: فيقال: صمنا رمضان ، قمنا رمضان، ورمضان أفضل الأشهر، ويندب طلب ليلة القدر في أواخر رمضان، وأشباه ذلك، ولا كراهة في هذا كله، وإنما يكره أن يقال: جاء رمضان ودخل رمضان وحضر رمضان، والمذهب الثالث مذهب البخاري والمحققين أنه لا كراهة، وهذا هو الصواب.

(٢) أخرجه الترمذي (٦٦٣)، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أزهر بن سعيد، الحرازي الحمصي الحميري، أخرج له البخاري في الأدب، وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٢٩)، وقيل: سنة (١٣٩)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ٥١، ٥٢)، الكاشف (١/ ١٠٢)، الثقات (٤/ ٣٨)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٤٥٦)، الجرح والتعديل (٢/ ٣١٢).

(٤) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٣٦٢).

قال بعضهم: رأيت فتحًا الموصلي يومًا يبكي، فإذ دموعه قد مازجها الدم.

قلت له: يا فتح بالله على ماذا بكيت الدم؟

فقال: لولا أنك حلفتني ما أخبرتك، بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله، وبكيت الدم خوفًا على الدموع أن يكون ما صحت لي.

فلما مات رأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: ما صنع بدموعك؟ قال: قربني ربي عز وجل، وقال : يا فتح، الدموع على ماذا؟

قلت: على الدموع أن لا تكون قد صحت لي. فقال: يا فتح، ما أردت بهذا كله، وعزتي لقد صعد إليّ حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة. شعر:

لقد غفرنا لك الذنوب اللواتـــي ... أنزلت من عيونك العبـــرات
قم وتب للإله وأحسن لقـــاه ... عالم السر منك والخافيـــات
لا تعد للذنوب واعبد إلهـــًا ... قادرًا قاهرًا عظيم الصفـــات
وابتهل [(١)] للإله وابك بدمـــع ... جاريًا في الحدود كالقنـــوات
فلعل الإله معطـــي العطايـــا ... عالم الغيب رافع الدرجـــات
أن يجازيك بالقبيح جمـــيلاً ... فهو حسبي وسامع الدعـــوات
قم وناج[(٢)] الإله في حندس الليل ... وابكِ لحكـــم الآيـــات
كل من تاب مخلصًا نال عـــزًا ... وغنًا في أرفع الدرجـــات
ثم صلِّ على النبي التهامـــي ... أحمد الطهر صاحب المعجزات
فعليه الإله صلى وسلـــم ... كلما لاح كوكب في الجهـــات

يا أخي رب زلة ساعة أورثت صاحبها حزنًا كثيرًا، حاسب نفسك قبل محاسبة رب العالمين، فمن حاسب نفسه ربح، ومن تفكر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يجتهد ندم، ومن صبر غنم ومن خاف سلم.

لا عز أعز من ترك المعاصي، ولا عقل كالتدبير، ولا طاعة أنفع من القناعة، ولا غائب أقرب من الموت، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا رسول أعدل من الحق، ولا فقر أذل من الطمع، ولا عطاء خير من المغفرة، ولا بشارة أحلى من العفو.

---

(١) ابتهل إلى الله: تضرع واجتهد في الدعاء.

(٢) ناجاه مناجاة، ونجاء: سارّه، تناجى القوم: تساروا، والنجوى: إسرار الحديث.

وعنه ﷺ أنه أمر بصيام آخر إثنين من شعبان، وقال: «من فعل ذلك غفر له» ، هكذا نقل ابن الجوزي في كتابه النور.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «شعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، وشعبان هو المكفر، ورمضان هو المطهر» [١] .

وعن حميد الطويل[٢]، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضل محمد ﷺ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله على سائر عباده»[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[٤]: «أتدرون لَمَ سمي شعبان شعبان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «لأنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان» ثم قال: «أتدرون لم سمي رمضان رمضان؟» . قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها».

وعن يزيد الرقاشي[٥]، عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا نظروا إلى هلال شعبان انكبوا على المصاحف يعرضونها، وأخرج المسلمون زكاة أموالهم ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام رمضان.

ودعا الولاة أهل السجون فمن كان عليه حد أقاموه عليه وإلا خلوا سبيله، فإذا نظروا إلى هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا.

---

(١) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٢٧٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٦)، وسيأتي تعليق العجلوني قريبًا.

(٢) حميد بن أبي حميد، أبو عبيدة ، أبو عبيد الطويل الخزاعي البصري، ثقة مدلس، وأخرج له الستة، توفي (١٤٢، ١٤٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٣٨)، تقريب التهذيب (١/ ٢٠٢)، الكاشف (١/ ٢٥٦)، الثقات (٤/ ١٤٨) ، التاريخ الكبير (٢/ ٣٤٨)، التاريخ الصغير (٢/ ٧٢، ٧٤)، الجرح والتعديل (٣/ ٩٦١)، ميزان الاعتدال (١/ ٦١٠) ، لسان الميزان (٧/ ٢٠٥)، الوافي بالوفيات (١٣/ ٣٩)، سير الأعلام (٦/ ١٦٣).

(٣) ذكره ابن حجر في تبيين العجب (٣٨، ٣٩).

(٤) أخرجه الشجري في أماليه (٤/ ١٠٢).

(٥) يزيد بن أبان، أبو عمرو، أبو عمر الرقاشي، البصري القاص الزاهد، ضعيف، أخرج له البخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه، توفي سنة (١١٠ إلى ١٢٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٦١)، الكاشف (٣/ ٢٧٤)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٢)، التاريخ الصغير (١/ ٣٠٨)، الجرح والتعديل (٩/ ١٠٥٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤١٨)، المغني (٧٠٨٢)، تراجم الأحبار (٤/ ٢٥٩)، الأنساب (٦/ ١٥٠)، الحلية (٣/ ٥٠)، ترغيب (٤/ ٥٨٠)، ضعفاء ابن الجوزي (٣/ ٢٠٦).

ويحكى عن سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: أنه كان يواظب على الصيام فمر يومًا بتمار وبين يديه رطب حسن ، فاشتهته نفسه، فرد شهوتها، فقالت له نفسه: فعلت بي كل بلية، من سهر الليالي وظمأ الهواجر فأعطني هذه الشهوة واستعملني في الطاعة كيف شئت. قال: فاشترى سهل من الرطب وقليل شواء وخبز ودخل موضعًا ليأكل، فدخل فيه رجلان يختصمان. فقال أحدهما: إني محق وأنت مبطل تريد أن أحلف لك أني محق، وأن الأمر على ما زعمت. قال: بلى فاحلف. قال: وحق الصائمين إني محق في دعواي.

فقال سهل: هذا مبعوث الحق تعالى أن هذا الصوت لي، ثم أخذ بلحيته وقال: بلغ شرفك وشرف صومك حيث تحلف العباد بصومك، فيقولون: وحق الصائمين، ثم تفطر على رطب وشواء وخبز، والله لا أفطر أبدًا، وعاد إلى الصوم حتى توفاه الله تعالى.

وهذا من فضل الصوم؛ اللهم اجعلنا من الصائمين القائمين، آمين يا رب العالمين.

وفي الحديث: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»[١].

فينبغي الإكثار من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ في شهر شعبان.

وحكي: أن رجلاً كان غافلاً عن الصلاة على النبي ﷺ فرآه في منامه فلم يلتفت إليه. فقال له: يا سيدي يا رسول الله أنت علي غضبان، قال: لا، فقال له: لم لا تنظر إليّ، فقال: إني لا أعرفك، فقلت: كيف لا تعرفني يا رسول الله وأنا من أمتك وقد ورد عن العلماء وروت عنك أنك أعرف بأمتك من الوالدة بولدها. فقال: صدقوا، ولكن إنك لا تذكرني بالصلاة عليّ وإن معرفتي بأمتي بقدر صلاتهم عليّ. ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلي على النبي ﷺ في كل يوم مائة مرة، ففعل ذلك. ثم رآه بعد ذلك في المنام فقال له : يا فلان إني أعرفك الآن، وأشفع لك يوم القيامة. وأنشد يقول -شعر-:

ألا يا رسول الله يا خير مرســــل ... عليك صلاة الله لا تتناهـــا
فيا فوز من صلى عليك من الورى ... صلاة من الأكوان فاح ثناها
عليك صلاة الله ما سار راكـــب ... إلى طيبة بالذكر طاب رباهـا
عليك صلاة الله يا أشرف الـــورى ... محلاً ويا أعلى البرية جاهـــا

---

(١) تقدم تخريجه، وفي حديث: «شعبان شهري، ورمضان شهر الله، وشعبان المطهر، ورمضان المكفر» الذي تقدم تخريجه، قال العجلوني بعد ذكر الحديث: رواه الديلمي عن عائشة مرفوعًا، ورواه أيضًا الديلمي عن أبي سعيد الخدري، رفعه بلفظ : «شهر رمضان شهر أمتي، ترمض فيه ذنوبهم، فإذا صامه عبد مسلم ولم يكذب وفطره طيب خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها».

وفي الحديث: إن الشبلي رحمه الله لما ظنوا به جنونًا وأدخلوه المارستان أتاه جماعة فقال لهم: إيش أنتم؟ قالوا: نحن محبوك يا أبا بكر، فرماهم بالحجارة، فهربوا، فقال لهم: يا كذابون أين المحبة، لو صدقتم في محبتكم لما هربتم، رحمه الله، وأنشد يقول -شعر-:

سقى الله قوم من شراب وارده ... فهاموا بها ما بين باد[١] وحاضر

يظنهم الجهال جنوا وما بهم ... جنون سوى حب على القوم ظاهر

وأخرج أبو داود والضياء عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[٢].

وحكي: أن الشيخ أبا حسين النوري رحمه الله دخل في الماء ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه ومشى، ثم بعد ساعة رجع اللص بالثياب وقد شلت يده، فلبس النوري ثيابه وقال: إلهي رددت علي ثيابي فاردد عليه. فعوفي اللص لوقته، ثم مضيا متصاحبين رحمهما الله.

وأنشد يقول:

أيها العادلون في الحب مرسلاً ... حاش لي عن هواه أن أتسلى

كنت أسلو وقد تزايد وجدي ... وتبدلت بعد عزي ذلا

قيل: تبلى فقلت: تبلى عظامي ... وسط لحدي وحبكم ليس يبلى

حبكم قد شربته في فؤادي ... من قديم الزمان مذ كنت طفلا

● حكاية:

قيل: كان لإبراهيم بن أدهم[٣] اثنان وسبعون عبدًا، قال: فلما تاب إلى الله تعالى ورجع إليه أعتق جميعهم، ثم إن واحدًا من هذه العبيد شرب الخمر يومًا فسكر فلقي

(١) باد، البيداء: الفلاة، وهي الصحراء.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٥٩)، والشجري في أماليه (٢/ ١٤٠، ١٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٨٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠).

(٣) فيما روى إبراهيم عن نفسه في قصة زهده جاء فيها: والله لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربي، فرجعت إلى أهلي فخليت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي فأخذت منه جبة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أيامًا، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصيصة فعملت بها فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإن المباحات والعمل الكثير فأتيتها، فعملت بها أنظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فمكثت في البستان مدة فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناظور، اذهب فائتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فكسر رمانة فوجدها حامضة، فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها، فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم، زاد على هذا فانصرف، فلما كان من الغد ذكر=

إبراهيم، فقال له: يا رجل دلني على بيتي. فقال له إبراهيم: نعم أدلك، ثم قاده إلى مقبرة من المقابر، فلما رأى العبد المقابر ضرب إبراهيم ضربًا شديدًا، وقال له: قلت لك دلني على بيتي، فدليتني على المقابر. فقال له إبراهيم: يا قليل العقل، يا سيء الفعال، هذا بيت الحقيقة وغيره مجاز.

قال: فبدأه بالضرب أيضًا، وكان يضربه بالسوط، فكان كلما يضربه ضربة يقول: غفر الله لك.

فبينما هو على تلك الحالة إذ جاء رجل فقال للعبد: تضرب مولاك الذي أعتقك، وكان العبد لا يعرف أنه مولاه، فقال: من هذا؟ فقال الحاضرون: هذا مولاك إبراهيم بن أدهم. فلما علم أنه مولاه نزل عن فرسه واعتذر إليه، فقال إبراهيم: قبلت وعفوت وتجاوزت عنك.

ثم قال له: يا مولاي ضربتك وآذيتك وأنت تدعو لي بدعاء حسن، وتقول في كل ضربة: غفر الله لك. فقال: كيف لا أدعو لك دعاءً حسنًا وأنت تكون سببًا إلى دخول الجنة بضربي على ذلك. وأنشد يقول شعر:

ملوك البرايا[١] ليس يشقى جليسهم ... لهم بيض رايات العـــلا في المواقف
حبو وحظوا خصوا اصطفوا ثم قربوا ... ودلوا وعلوا فوق كل الطــوائــف

روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم القيامة**»[٢].

وحكي: أن عمر بن عبدالعزيز[٣] رضي الله عنه أرسل أصحابه في زمن خلافته إلى الروم لأجل الغزو، فانهزم أصحابه وأسر منهم عشرون نفرًا، وأمر قيصر الروم واحدًا منهم أن يدخل في دينه ويعبد الصنم. وقال له: إن دخلت في ديني وسجدت للصنم أجعلك أميرًا في بلدة عظيمة، وأعطيك العلم والخلع والكئوس والنوبة، وإن لم تدخل في ديني ضربت عنقك

=صفتي في المسجد فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عنق من الناس، فلما رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (١٦٠-١٧٠).

(١) البرية: الخلق، جمعها: البرايا.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٥١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٠).

(٣) الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن كلاب، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي الأموي رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ستين، عام توفي معاوية أو بعده بسنة، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، كانت خلافته تسعة وعشرين شهرًا، كأبي بكر الصديق، توفي رحمه الله سنة (١٠١)، تاريخ الإسلام، وفيات (١٠١-١١٠).

بالسيف فقال له: لا أبيع الدين بالدنيا فضرب عنقه، فدار رأسه في الميدان وهو يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [1] [الفجر: ٢٧-٣٠].

فأخذ قيصر رجلاً ثانيًا وأمره مثل الأول فأبى وقال: لا أبيع الدين بالدنيا، فإن كان لك ولاية على قطع الرأس ليس لك ولاية على قطع الإيمان، فأمر بقطع رأسه فقُطع فدار في الميدان وهو يقرأ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ (٧) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾، ثم سكت، فغضب قيصر غضبًا شديدًا فأمر بتقديم ثالث فقدم إليه فقال: ما تقول أنت هل تدخل في ديني أجعلك أميرًا في مصر كذا وصاحب علم وكئوس، فأدركته الشقاوة فقال: دخلت في دينك واخترت الدنيا على الآخرة، فقال قيصر لوزيره: اكتب له ما يريد وأعطه خلعًا وكئوسًا وعلمًا. قال: قل له: إن كنت صادقًا في كلامك فاقتل لنا رجلاً من أصحابك فنصدقك، فأخذ السيف الشقي وضرب واحدًا من أصحاب فقتله، فأمر الملك الوزير أن يكتب له ما سأل.

فقال الوزير للملك : هذا ليس من العقل والفطنة، أن تصدق كلامه وما رعى حق أخيه الذي نشأ معه، فكيف يرعى حقًا؟! فأمر الملك بقتله فقُطع رأسه فدار في الميدان وهو يقرأ: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، ثم سكت في طرف الميدان ولم يقرب من الرأسين، فصار إلى عذاب الله تعالى، نعوذ بالله من مثل هذا.

وأنشد في المعنى يقول شعرًا:

أفلح الزاهدون والعابـــدون ... إذ لمولاهم أجاعوا البطـــون
أسهروا الأعين القريحة فــيه ... فمضى ليلهم وهم ساهـــرون
حيرتهم محبة الله حـــتى ... حسب الناس أن فيهم جـــنون
هم ألباب ذو عقول ولكـــن ... قد شجاهم [2] جميع مـا يعرفـون

وأخرج الطبراني عن الحكيم: أن النبي ﷺ قال: «**الصبر والاحتساب من عتق الرقاب، ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب**»[3].

---

(١) أما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته ﴿رَاضِيَةٗ﴾ أي في نفسها ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي في جملتهم ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضًا، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك ههنا. تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠).

(٢) شجاه الأمر شجواً: حزنه، وشجاه تذكر الإلف شوقه، وهيج حزنه، والشجو: الهم والحزن.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٤٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤).

الباب الخامس والعشرون

في فضل نصف «شعبان» المكرم وقيام ليلته

قال الله تبارك وتعالى في كتابه المبين بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ (1) [الدخان: ١-٤].

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حمٓ﴾ يعني قضى الله بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقال آخرون: ﴿حمٓ﴾ يعني حُمّ الأمر إذا اشتد وعظم وتزايد. وقال آخرون: ﴿حمٓ﴾ اسم السورة لا تفسير له. وقال الآخرون: الحاء من حلمه، والميم من ملكه، كأنه يقول: بحق حلمي، وحق ملكي لا عذبت بالنار من قال: «لا إله إلا الله» مخلصًا.

وقال آخرون: ﴿حمٓ﴾ حرفان من اسم الرحمن (2).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: لكل كتاب سر، وسر القرآن في أوائل سورة الدخان.

وقال البغوي: قال السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿حمٓ﴾ اسم الله الأعظم، ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أقسم الله تعالى بكتابه الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا

---

(١) يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإنه نص القرآن أنها في رمضان. تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٧).

(٢) قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها، حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. وقاله الشعبي والثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان ، ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها، فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور، قال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر، ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة : ﴿الٓمٓ﴾ السجدة ، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ ، وقال الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : إنه قال : ﴿الٓمٓ﴾ ، و﴿حمٓ﴾ ، و﴿الٓمٓصٓ﴾ ، و﴿صٓ﴾، فواتح افتتح الله بها القرآن، وكذا قال غيره عن مجاهد، وقيل: هي أسماء من أسماء الله تعالى، فقال الشعبي: فواتح السور من أسماء الله تعالى، إلى غيره من الأقوال. انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٥، ٣٦).

مُنذِرِينَ﴾، اختلفوا في هذه الليلة فقال بعضهم: هي ليلة القدر، وقال بعضهم: هي ليلة النصف من شعبان.

الإنزال في ليلة القدر هو القرآن، والإنزال في ليلة النصف من شعبان هو الأمر الحكيم، لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

وقال قوم: أنزل الله تعالى في ليلة القدر مصالح العباد وفي ليلة النصف من شعبان مصالح المعاش، لأن الله تعالى يقدر فيها الموت والحياة والصحة والمرض، وهذا من أسباب المعاش، ويقدر في ليلة القدر السلام والتحية والرحمة، وهذا من مصالح العباد.

نقل البغوي في تفسيره بسنده: أن رسول الله ﷺ قال: «**ينـــزل الله جل جلاله ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسانًا في قلبه شحن أو مشركًا بالله**»[١].

وقال في طهارة القلوب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه :يكتب في ليلة النصف من شعبان اسم من يولد، ومن يموت، ومن يقف بعرفة في تلك السنة.

فإن الرجل ليتزوج ويبني البنيان وقد خرج اسمه في ديوان الموتى.

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه إلا أن يكون من الظلمة أو المتجاهرين بالمعاصي**» .

وقال أبو هريرة[٢] رضي الله عنه: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فتحت أبواب السموات السبع، ووقف على كل باب ملائكة يستغفرون للمسلمين، فيغفر الله تعالى لكل مسلم إلا من كان مصراً على كبيرة.

وعن معاذ بن جبل[٣] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يطلع الله على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**»[٤]، رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه.

---

(١) أخرجه الشجري في أماليه (٢/ ١٠٨)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٥٢٢٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٧)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ١٩٧)، وبنحوه انظر الترمذي في سننه (٧٣٩)، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وابن ماجه (١٣٩٠)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٩١-باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧١)، والشجري في أماليه بلفظ آخر (٢/ ١٠٠)، وأخرجه أيضًا بلفظ آخر ابن ماجه (١٣٨٨)، وسيأتي قريبًا.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو، أبو عبدالرحمن الخزرجي الأنصاري المدني الجشمي، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ومات بالشام، أخرج له الستة، توفي سنة (١٨) بالشام، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦)، التقريب (٢/ ٢٥٥)، التاريخ الكبير (٧/ ٣٥٩)، الثقات (٣/ ٣٦٨)، أسد الغابة (٥/ ١٩٤)، سير الأعلام (١/ ٤٤٣).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٩)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨٠)، (٢/ ٢٣، ٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٩٨٠-موارد)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٤٤).

وروى البيهقي من حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه الليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب، ولا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر» فذكر الحديث بطوله [(١)].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحن وقاتل نفس».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه، فتحرك، فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته، قال: «يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبي ﷺ قد خاس بك؟» ، قلت: لا والله يا رسول الله، ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك. فقال: «أتدرين أي ليلة هذه؟» [(٢)] قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم». رواه البيهقي من طريق ابن الحارث عنها، وقال: هذا مرسل جيد. يعني أن العلاء [(٣)] لم يسمع عائشة، والله أعلم.

يقال: «خاس به»، إذا غدره ولم يوفه. ومعنى الحديث: أظننت أني قد غدرت بك، وذهبت في ليلتك إلى غيرك، وهو بالخاء المعجمة والسين المهملة.

وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت الليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر» [(٤)]، رواه ابن ماجه.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩١)، (٣/ ٣٤٣، ٤٥٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٧).

(٢) الحديث بنحوه أخرجه الترمذي (٧٣٩)، وسيأتي بلفظه، وابن ماجه (١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ١٩١- باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان.

(٣) العلاء بن الحارث بن عبدالوارث، أبو وهب، أبو محمد الحضري، الدمشقي، صدوق، فقيه لكن رمي بالقدر، وقد اختلط، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٣٦)، انظر ترجمته تهذيب التهذيب (٨/ ١٧٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٩١)، الكاشف (٢/ ٣٥٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٥٠٦، ٥١٣)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٣٢٧)، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٥٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩٨)، المغني (٤١٧٥)، تراجم الأحبار (٣/ ١٧٧)، المعين (٥٢٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٣٨٨)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٩١-باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف ابن أبي يسرة. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٧١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣١، ١٦٤).

● **فائدة:**

لليلة النصف من شعبان عند العلماء سبعة أسماء مشهورة: ليلة التشريف، وليلة الصك، وليلة البراءة، وليلة الشفاعة، وليلة مباركة، وليلة التقدير، وليلة الرحمة.

وليلة التشريف: فقد سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى شرف بها نبينا محمداً ﷺ في شهره وجميع أمته، جاءه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله تعالى قد شرفك بهذه الليلة في شهرك [(١)].

وأما ليلة الصك: فهو أن الله تعالى يكتب فيها لكل عبد وأمة صكًا -يعني ورقة- برزقه وشقاوته وسعادته إلى العام القابل. وأنشدوا في المعنى شعراً:

ليت شعري ليلة النصف هل ... أكون من سعداء أم أشقـــياء

أم أكون من جملة الموتـــى أم ... أكون في عصابة الأحـــياء

وأما ليلة البراءة : فقد سميت بذلك، لأن الله تعالى يكتب فيها براءتين: براءة للكفار من الرحمن أن الله بريء من المشركين ورسوله، وبراءة للمؤمنين من النار أولئك عنها مبعدون.

وأما ليلة الشفاعة: فقد سميت بذلك لأن النبي ﷺ يشفع فيها لأمته من أول الليل إلى آخره، فكان للمصطفى شفاعتان: في الدنيا وشفاعة في الآخرة، فالشفاعتان اللتان في الدنيا الأولى: ليلة المعراج. والثانية: ليلة النصف من شعبان.

وأما ليلة الرحمة: فإن الله تعالى يفتح ليلة النصف من شعبان أبواب الرحمة لأمة محمد فلا تزال تلك الأبواب مفتحة من المغرب إلى انشقاق الفجر.

وأما ليلة التقدير: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(٢)] [الدخان: ٤]، يعني محكمًا، من الحسنات والسيئات، وأمر الحياة والممات، ليلة النصف يقطع الله الآجال والأرزاق ويقدرهما ويقسمهما في ليلة النصف من شعبان من السنة الجديدة من العام الجديد، فينسخ الله من اللوح المحفوظ نسخة فيها ما هو مقدر من الخير والشر والنصر والظفر والعز والذل، فيعطيها لجبريل عليه السلام أما رأيتم من كان في ذلك العام عزيزاً صار في هذا العام ذليلاً.

---

(١) روى الترمذي في سننه (٧٣٩)، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: ((أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟)) قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال: ((إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب)).

(٢) أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف، وقوله جل وعلا : ﴿حَكِيمٍ﴾ أي محكم لا يبدل ولا يغير، ولهذا قال جل جلاله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾. تفسير ابن كثير (١٣٨/٤).

أما رأيتم من كان أميراً سار أسيراً، أما رأيتم من كان مخدومًا صار خادمًا، أما رأيتم من كان وضيعًا صار رفيعًا، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[(١)] [الدخان: ٤].

وأنشدوا شعراً:

ألا مفكر في الدهر كم فيه عبرة ... تزيد ذوي الإيمان زهداً وإيمانـا
وأطيب طيب المرء تقواه ربـه ... يطيب به حينًا ودهراً وأزمانـا
إذا شئت أن تلقى من الله رحمة ... فلا تنس ذكر الله سراً وإعلانـا

قال: وينسخ نسخة الأمطار والأرزاق فيعطيها لميكائيل عليه السلام، وينسخ نسخة السعادة والشقاوة فيعطيها لإسرافيل، وينسخ نسخة الأمراض والأوجاع والحياة والممات فيعطيها لملك الموت عليه السلام، حتى إن الرجل ليتزوج وتحمل زوجته وقد أثبت اسمه في ديوان الموتى.

فيا عباد الله من تاب إلى الله أكرمه الله سبعة أشياء:

أولها: أن تستغفر له الملائكة، قال الله تبارك وتعالى إخباراً عنهم: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر:٧].

ثانيها: أن يحبهم الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ثالثها: أن يغفر لهم: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

رابعها: الفلاح، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

خامسها: الكفارة: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨].

سادسها: دخول الجنة: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم :٨].

وسابعها: القبول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[(٢)] [الشورى: ٢٥].

يا هذا؛ على العينين توبة، وعلى الأذنين توبة، وعلى اليدين توبة، وعلى اللسان توبة، وعلى الفرج توبة، وعلى البطن توبة، وعلى القلب توبة، وعلى الرجلين توبة:

فتوبة العينين: ترك النظر إلى المستحسنات. وتوبة الأذنين: ترك الاستماع إلى المنكرات. وتوبة اليدين: ترك الظلم وارتكاب الشهوات. وتوبة اللسان: ترك الغيبة وقذف المحصنات.

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) يقول تعالى ممتنًا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، كقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، تفسير ابن كثير (٤/ ١١٤).

وتوبة البطن: ترك الحرام والشبهات. وتوبة القلب: ترك السهو والغفلات. وتوبة الفرج: ترك فعل المحرمات. وتوبة الرجلين: ترك السعي إلى الخطيئات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، فيا غافل، يا ساهي، إياك والغفلات، وأنت مصر على العصيان، مقيم على الإثم والعدوان، متكلم بالغيبة والبهتان متعرض لسخط الرحمن، متمكن من قلبك الشيطان، فألقى فيه الغفلة والنسيان فأنساك نعيم الخلد والجنان، وقد علمتم أن شهركم هذا قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا أربع ليال أحبه الله تعالى، وحببه إلى قلوب عباده وإحيائه ليلتي العيد، وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»، (ومعنى: لا يكفر)[1]، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ أي: ضالاً كافراً فهديناه، وقيل: لا يحب الدنيا حتى لا يختارها على الآخرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[2] : «**أتاني جبريل ليلة النصف من شعبان فقال: يا محمد، هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء، وأبواب الرحمة، قم فصل وارفع يديك إلى السماء. فقلت: يا جبريل، وما هذه الليلة؟ قال: يا محمد، هذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة بابًا من أبواب الرحمة، فيغفر لجميع من لا يشرك به شيئًا إلا أن يكون ساحرًا أو مداهنًا أو مشاحنًا، أو مدمن خمر، أو مصرًا على الزنا، أو آكل الربا أو عاقًا لوالديه، أو منانًا بصدقة أو قاطع رحمه؛ هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا**» .

ثم إن النبي ﷺ خرج إلى بقيع الغرقد[3]، فصلى وسجد، فبينما هو ساجد يبكي في سجوده وهو يقول: «**أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل ثناؤك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى**» ، فلما كان ربع الليل نزل جبريل فقال: يا محمد، ارفع رأسك، فرفع رأسه، فإذا أبواب الرحمة مفتوحة، وإذا على الباب الأول ملك ينادي: طوبى لمن ركع هذه الليلة. وإذا

---

(١) هكذا بالأصل الموجود بين أيدينا أثناء الصف، وأظنها : (ومعنى لم يمت قلبه: لا يكفر)، والله أعلم. «مكتب الصف».

(٢) رواه مسلم (١٠٣-٩٧٤)، كتاب الجنائز، ٣٥-باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، عن عائشة، من حديث طويل وليس فيه ذكر ليلة النصف من شعبان، بل فيه : «فإن جبريل أتاني حين رأيت» إلى أن قال: «فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» .

(٣) البقيع: قال ابن الأثير: البقيع من الأرض المكان المتسع، ولا يسمى بقيعًا إلا وفيه شجر أو أصولها، و«بقيع الغرقد»: موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد فذهب وبقي اسمه، وقال النووي: سمي «بقيع الغرقد» لغرقد كان فيه وهو ما عظم من العوسج.

على الباب الثاني ملك ينادي: طوبى لمن سجد في هذه الليلة. وإذا على الباب الثالث ملك ينادي: طوبى للذاكرين في هذه الليلة. وإذا على الباب الرابع ملك ينادي: طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة. وإذا على الباب الخامس ملك ينادي: طوبى لمن بكى من خشية الله تعالى في هذه الليلة. وإذا على الباب السادس ملك ينادي: طوبى للمسلمين في هذه الليلة. وإذا على الباب السابع ملك ينادي: هل من سائل فيعطى، هل من داع فيستجاب له، هل من تائب فيتاب عليه، هل من مستغفر فيغفر له؟

فقال النبي ﷺ: «يا جبريل إلى متى تفتح أبواب الرحمة؟» قال: من أول الليل إلى طلوع الفجر، فإن لله تعالى في ليلة النصف من شعبان عتقاء من النار أكثر من شعر غنم بني كلاب[١]، وفيها ترفع أعمال أهل الأرض من السنة إلى السنة، وفيها تقسم الأرزاق.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة فقلت لعائشة: عجلي، فإن النبي ﷺ وعد الناس أن يخبرهم عن فضل ليلة النصف من شعبان حتى أسمع، فقالت عائشة: أنا أخبرك بما يريد أن يقول للناس؛ كانت ليلتي ونوبتي فجاء ﷺ حتى دخل معي في الفراش، ثم انسل رسول الله ﷺ من فراشي فاستيقظت فأسأت به المظن، وظننت أنه ذهب إلى بعض أزواجه فخرجت، فإذا النبي ﷺ في المسجد يصلي فخفف القيام، وقرأ الحمد وسورة خفيفة، ثم ركع وسجد، فكان في سجوده إلى الليل، ثم قام إلى الركعة الثانية وقرأ فيها نحو قراءته في الأولى، ثم ركع وسجد، فكان في سجوده إلى الليل حتى ظننت أنه قد قضي، فمشيت حتى طعنت بأصبعي في أخمص قدميه، فتحرك ، فحمدت الله تعالى وسمعته يقول[٢]: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، هذه يداي التي جنيت بها على نفسي، فاغفر لي الذنب العظيم، إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم» . فقالت

---

(١) روى ابن ماجه في سننه (١٣٨٩)، كتاب إقامة الصلاة، ١٩١- باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع، رافع رأسه إلى السماء، فقال: «يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قالت: قد قلت: وما بي ذلك ولكن ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب» . وفي رواية الترمذي (٧٣٩)، في الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وفيه: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب» .

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٢٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٨٢)، (٥/ ٩٦)، وفي أخلاق النبي (١٨٧)/ ، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٧)، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٤)، وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: حميد – وهو ابن عطاء- متروك، وهو في مختصر سلاح المؤمن من تحقيقنا ط. دار الكتب العلمية، انظر ما يقول في الركوع والسجود.

عائشة: بأبي وأمي، أنت في واد ونحن في واد، فلما علم النبي ﷺ بمكاني فرغ من سجوده ودخل الحجرة فقال: «يا عائشة أتدرين ما هذه الليلة؟، هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله تعالى يغفر في هذه الليلة للمؤمنين إلا ستة نفر: مدمن خمر، ومصر على الزنا أو الربا أو عاق لوالديه أو (مصارم)[1] -يعني الذي لا يكلم أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام[2]- أو مصور أو فتان، وفيها ترفع أعمال العباد إلى الله تعالى، وفيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب» .

قلت: يا رسول الله، وما غنم بني كلب؟ قال: «ليس في العرب اليوم قوم أكثر غنمًا منهم، فتالله ليشهدن شهركم هذا على كل امرئ بما صنع فيه من عمل وليندمن المقصر على ما ارتكب فيه من الزلل، وسيقدم عليكم الشهر الشريف المعظم عند الله قدره الرفيع في الملة الحنيفية ذكره، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، وموسم الغفران الذي يرسل الله تعالى فيه سماء الإحسان، يبعث الله تعالى في أول ليلة منها ريحًا يقال لها: المثيرة، تهب من تحت العرش بالمنح النميرة، فتهتز أوراق بنحو الجنة وحلق المصاريع وتتزين بساتينها ومقاصيرها بكل بديع ويشرفن الحور العين من قصور عليين، ويقلن: ما هذه الليلة يا رضوان؟ فيجيب : يا خيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان» .

فقد ثبت في الصحيحين عن سيد البشر سيد ولد عدنان: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصفدت[3] الشياطين وفتحت أبواب الرحمة»[4].

وروى الطبراني في معجمه من حديث ابن مسعود ﷺ : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول -وقد أهل شهر رمضان-: «لو يعلم الناس ما في هذا الشهر من الخيرات لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»[5] .

---

(١) كذا بالأصل وأظنها: (مخاصم).

(٢) حديث: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»: أخرجه البخاري في الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ومسلم (٢٣، ٢٥)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، والترمذي (١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٥)، وأبو داود (٤٩١١، ٤٩١٤)، وابن ماجه (٤٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٧٦، ١٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٣).

(٣) صفدت: أي شدت وأوثقت بالأغلال، يقال: صفَدته وصفّدته، والصفد والصفاد: القيد.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٠)، ومسلم (١، ٢)، ١٣-كتاب الصيام، ١-باب فضل شهر رمضان، والترمذي في سننه (٦٨٢)، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، والنسائي (٤/ ١٢٧ -المجتبى)، كتاب الصيام، ٣-باب فضل شهر رمضان، وابن ماجه (١٦٤٢)، كتاب الصيام، ٢-باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤١)، والشجري في أماليه (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٦)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٩)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٥٣).

فقال رجل من خزاعة : حدثنا عنه يا رسول الله. قال: «إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول، فإذا دخل شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق الجنة، فتنظر الحور العين إلى ذلك، فقلن: يا ربنا اجعل لنا من عبادك أزواجًا.

قال: «فمن صام رمضان زوجه الله من الحور العين في خيمة من در مجوف، مما نعت الله ﷻ في كتابه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على كون الأخرى، وسبعون كونًا من الطيب ليس منها لون على لون الأخرى، لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء، على كل سرير سبعون فراشًا من الذهب بطائنها من إستبرق، وفوق سبعون فراش سبعون أريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفًا لحاجتها، وألف وصيف مع كل وصيف صحيفة من ذهب فيها لون من طعام يجد لآخر لقمة لذة لا يجدها لأولها على سرير من ياقوت أحمر» .

وعن أنس ﷺ: قال [1] : قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل جلت قدرته رضوان خازن الجنان فيقول: لبيك رب وسعديك، فيقول: اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين [2] على أمة محمد نبيي حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم».

ولله ﷻ في كل ليلة من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند غروبها عتقاء من النار عبيد وإماء، وله في كل سماء ملك له عرف تحت عرش رب العالمين وقوائمه في تخوم الأرض، وله جناح بالمشرق مكلل بالدر والجوهر، وجناح بالمغرب مكلل بالمرجان والدر والجواهر، ينادي: هل من تائب فيتاب عليه، هل من داع فيستجاب له، هل من مظلوم ينصره الله ﷻ، هل من مستغفر يغفر الله له.

فهو شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام[3]، شهر فضل الله به أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وجعله مصباح العام وأشرف قواعد الإسلام المشرقة بنوره الصيام والقيام، شهر أنزل الله سبحانه فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع ولا عمل فيه إلا مرفوع، ولا خير إلا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٧)، وكذلك في العلل المتناهية (٢/ ٤٢)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٥٢، ٥٣).

(٢) مردة الجن: جمع مارد، والمارد من الرجال: العاتي الشديد.

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣٣)، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، عن أبي هريرة : «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه...» الحديث.

مجموع، شهر السيئات فيه مغفورة، والأعمال فيه الحسنة موفورة، والتوبة فيه مقبولة، وقلوب المؤمنين فيه بالفوز والثواب مسرورة، شهر تنور فيه المساجد بالمصابيح وتصلى فيه الأوراد مع التراويح. فيا فوز من أخر صالح العمل، وترك القبيح، شهر أوله مغفرة وأوسطه رحمة، وآخره عتق من النار. يا هذا، الصوم على وجوه:

أولها: صوم اللسان عن ترك الغيبة والنميمة وفضول الكلام إلا في ذكر الله ﷻ.

الثاني: صوم السمع، وهو أن لا يسمع ما لا يحل سماعه.

الثالث: صوم العينين، وهو ترك النظر والغض عن محارم الله ﷻ.

الرابع: صوم اليدين، وهو أن يقبضهما فلا يمسك بهما إلا ما يحل له، وأن يبسطهما بالخير والصدقة وما كان لله تعالى.

الخامس: صوم البطن وهو أن يجنبه أكل الحرام.

والسادس: صوم القدمين، وهو أن لا يسعى بهما إلا في طاعة الله ﷻ.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها على الصراط يضعه الله في النار، وكشف الله عورته يوم القيامة**» .

والسابع: صيام الفرج، وهو القعود عن الفواحش؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**من زنا فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة ألف باب من جهنم، يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم وعقاربها**».

وقال رسول الله ﷺ: «**من زنا[١] بامرأة حرامًا جلد يوم القيامة مائة سوط من نار**».

وقال رسول الله ﷺ: «**من زنا بامرأة حرامًا أقامه الله يوم القيامة عريانًا عطشانًا**».

فهذا صيام الجوارح، وهو فرض على كل مسلم في كل صيام يصومه، سواء كان في رمضان أو في غيره، فرب صائم حرم على نفسه الطعام والشراب، وغذاه بالخطيئة وأشبعه.

ثبت في صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ قال[٢] : «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه أو شرابه**» .

---

(١) أجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب، ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم، فقالت طائفة: يجب الجمع بينهما فيجلد ثم يرجم، وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وإسحاق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وبعض أصحاب الشافعي. وقال جماهير العلماء: الواجب الرجم وحده، وحكى القاضي عن طائفة عن أهل الحديث أنه يجب الجمع بينهما إذا كان الزاني شيخًا ثيبًا، وهذا لا أصل له ، وحجة الجمهور أن النبي ﷺ اقتصر على رجم الثيب. النووي في شرح مسلم (١١/ ١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٦)، كتاب الصوم، ٨-باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، وأبو داود (٢٣٦٢)، كتاب الصيام، ٢٦- باب الغيبة للصائم، والترمذي (٧٠٧)، كتاب الصوم، باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم، وابن ماجه (١٦٨٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٢، ٥٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٠)، والشجري في أماليه (٢/ ٩٢).

فيا إخواني، صونوا جوارحكم عن المنكرات واستعملوها في الطاعات تفوزوا بنعيم الأبد في قرار الجنات والتمتع بالنظر إلى وجه جبار الأرض والسموات.

وأما الصوم الشرعي، فهو: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية قبل انشقاق الفجر. ولابد في كل ليلة من النية، ولو نوى في أول الليل وأكل بعده لم يضر لكن بشرط أن تكون النية قبل الفجر[١]. وبعض المذاهب يجوزه بنية واحدة من أول الشهر، فهذا حد الصوم شرعًا.

وأما في اللغة، فإنه : الإمساك، وكل من أمسك عن شيء فهو صائم عنه.

فينبغي في شهر رمضان الانعكاف على فعل الخير وتلاوة القرآن ، فقد نقل البخاري عن ابن عباس ﷺ قال[٢]: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

أجود: أفعل التفضيل وهو من الجود[٣]، معناه: أسخى الناس، فهو ﷺ لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الأمزجة، كانت فعاله أحسن الأفعال، وشكله أملح الأشكال، وخلقه أحسن الأخلاق، وكيف لا يكون كذلك وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات. وكان في رمضان يزيد فيه على غيره لأنه موسم الخيرات، ولأن الله تعالى يتفضل على عباده في شهر رمضان ما لا يتفضل في غيره.

قال النووي[٤]: في هذا الحديث فوائد:

---

(١) قال المالكية : للصيام ركنان، أحدهما: الإمساك، ثانيهما: النية، ورجح بعضهم أن النية شرط لا ركن , وقال الشافعية: أركان الصيام ثلاثة: الإمساك عن المفطرات، والنية، والصائم ، فمفهوم الصيام عندهم لا يتحقق إلا بهذه الثلاثة، وقد عرفت أن الحنابلة والحنفية يقولون: إن النية والصائم شرطان خارجان عن مفهوم الصيام، ولكن لابد منهما. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥)، (٣/ ٣٣)، ومسلم في الفضائل (٥٠-٢٣٠٨)، كتاب الفضائل، ١٢-باب كان النبي ﷺ أجود الناس ، والنسائي (٤/ ١٢٥-المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨٨، ٣٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٠٥)، وابن أبي شيبة في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٠).

(٣) قال النووي: أما قوله: و«كان أجود ما يكون»، فروي برفع «أجود» ونصبه، والرفع أصح وأشهر، و«الريح» المرسلة بفتح السين، والمراد كالريح في إسراعها وعمومها، وقوله: «كان يلقاه في كل سنة»، كذا هو في جميع النسخ، ونقله القاضي عن عامة الروايات والنسخ، قال: وفي بعضها: «كل ليلة» بدل سنة، قال: وهو المحفوظ لكنه بمعنى الأول لأن قوله «حتى ينسلخ» بمعنى كل ليلة، النووي في شرح مسلم (١٥/ ٥٦)، ط.دار الكتب العلمية.

(٤) انظر النووي في شرح مسلم (١٥/ ٥٦)، ط.دار الكتب العلمية.

منها: الحث على الجود في كل الأوقات، والزيادة منها في رمضان، وعند الاجتماع في الصالحين وأهل الفضل ومجالستهم وتكرير زيارتهم.

ومنها: استحباب الإكثار من قراءة القرآن في رمضان وغيره من العلوم الشرعية.

زاد بعضهم: كقراءة حديث النبي ﷺ والتفسير.

وفي الحديث دليل على أن القرآن أفضل من التسبيح ومن سائر الأذكار، وهذا واضح، فإنه إذا سبح إنما يحصل له بكل حرف حسنة، والقارئ للقرآن يحصل بكل حرف عشرة حسنات، والمستمع حسنة. فمن عجز عن حفظ شيء من القرآن فليقرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإنها أفضل من الذكر، «وتعدل ثلث القرآن»[1]، وفي الحلية لأبي نعيم: «من قرأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حرم الله لحمه على النار».

● **فائدة:**

نقل الإمام الخياطي في كتابه قال: روينا بسند عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا استهل شهر رمضان يستقبل القبلة ويقول[2]: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والرزق الحسن يا دفاع الأسقام، والعون على الصلاة والقيام والصيام وتلاوة القرآن، سلمنا لرمضان وسلمه منا حتى ينقضي، وقد رحمتنا وغفرت لنا وعفوت عنا». ويستحب أن يدعو عند استهلال شهر رمضان[3] بهذا الدعاء ويقوله في أول كل شهر.

● **فائدة:**

من قرأ في التراويح: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ حفظ إلى العام القابل، وذلك إذا فعله في أول ليلة. شعر:

---

(١) أخرج الترمذي (٢٨٩٦)، عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ من قرأ: الله الواحد الصمد فقد قرأ ثلث القرآن» ، وفي رقم (٢٨٩٩)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» . وابن ماجه في الأدب، باب ثواب القرآن، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، بلفظ: «سأقرأ عليكم ثلث القرآن ....» الحديث، وفيه: ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب. والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٥)، وأحمد في مسنده (١/ ١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٧٤-الموارد)، والدارمي في سننه (٢/ ٤)، والهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠٢).

(٣) في اختلاف المطالع وأن لكل بلد رؤيتهم روى مسلم في صحيحه (٢٨-١٠٨٧)، كتاب الصيام، ٥-باب بيان أن لكل بلد رؤيتهم، عن كريب لما قدم الشام إلى معاوية في حاجة لأم الفضل بنت الحارث إلى أن قال: فسألني ابن عباس رضي الله عنهما: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: ليلة الجمعة، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: أولا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

قل لأهل الذنوب والآثـــام قابلوا بالمتاب شهر الصـــيام
إنه في الشهور شهر جلـــيل واجب حقه وكيد الذمـــام
وأقلوا الكـلام فيه نهـــاراً واقطعوا ليله بطول القيـــام
واطلبوا العفو من إله عظـــيم ليس يخفى عليه فعل الآثـام
كم له فيه من إراحـــة ذنـب وخطايا من الأمور العظـــام
كم له فيه أيـــاد حســـان عند عبد يراه تحت الظـــلام
كم له فيه من عتيق شهـــيد أمر في جزاه أعلى مقـــام
إذا دعاه مذللاً بخضـــوع وخشوع ودمعة ذي انسجـام
أين من يحذر العذاب ويخشى أن يصير الجحيم مأوى اللئام
أين من يشتهي التلذذ بحـور في جنان الخلود بين الخـيام
التمس فيه ليلة القدر واتـرك اغتنامًا لها لذيذ المـــنام
واجتهد في عبادة الله واسـأل فضله عند غفوة النـــوام
يا لها خيبة لمن خاب فيـــها عن بلوغ المنى بدار الســلام
يا لها حسرة لمن كان فيـــها ساتر أنشره بثوب الظـــلام
يا إله الجميع أنت بحالـــي عالم فاهدني سبيل القـــوام
وأمتني على اعتقاد جمـــيل واتباع لملـــة الإســـلام

● **مسألة:**

على الصائم أن يصوم رمضان برؤية الهلال ويفطر برؤيته، كما قال ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت بينكم وبينه سحابة فعدوا شعبان ثلاثين يومًا**»[١]. ويحرم صوم يوم الشك قبل رمضان. ففي صحيح البخاري: «**من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم**»[٢]، وفي حديث آخر: «**من صام يوم الشك فقد عصى الله ورسوله**».

***

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩)، كتاب الصوم، ١١-باب قول النبي ﷺ..، ومسلم (٤، ٥-١٨، ١٩)، كتاب الصيام، ٣-باب لا تقدموا رمضان بصوم..، والترمذي (٦٨٤)، كتاب الصوم، باب ما جاء: لا تقدموا الشهر بصوم، ورقم (٦٨٨)، باب ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال والإفطار له. والنسائي (٤/ ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦ - ١٥٤-المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٦، ٢٥٨)، (٢/ ٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٠٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٢٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٠).

(٢) ذكر البخاري في صحيحه تعليقًا في كتاب الصوم، ١١-باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا»، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٢٤)، والترمذي (٦٨٦)، كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك، وأبو داود (٢٣٣٤)، في الصيام، باب كراهية صوم يوم الشك، والنسائي في الصيام، باب صيام يوم الشك.

الباب السادس والعشرون

في فضائل شهر رمضان المعظم وقدرته وحرمته

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣].

المعنى والله أعلم: يا أيها الذين آمنوا، صدقوا بالله ورسوله كتب عليكم الصيام.

والصيام بمعنى الإمساك، يقال: صامت الخيل إذا أمسكت عن السير، وعن العلف أيضًا. ومنه قول النابغة:

خيل صيام وخيل صائمة ... تحت العجاج وأخرى(تعكل)[1] للجماء

وفيه أقوال كثيرة، أصحها: أن معنى ﴿كُتِبَ﴾: أي فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التي سلفت قبلكم.

وقيل: إن النصارى فرض عليهم شهر رمضان في الإنجيل فكانوا يصومون شهراً، فمرض ملكًا من ملوكهم، فنذر إن فاق من مرضه ليزيدن في الصيام عشرة أيام، فصادف أن برأ من مرضه، فكانوا يصومون أربعين يومًا، فهلك ذلك الملك بعد مدة، وجاء ملك آخر فأكل لحمًا فأوجع فاه فاشتكى، فقالوا: إن برئت من هذا الألم زدنا في الصيام سبعة أيام، فبرأ فزادوا فيه، ثم إنه هلك، وجاء ملك آخر فقالوا: اجعلوا هذا الصيام في أيام معتدلة لا حر ولا برد وأكملوها خمسين، ففعلوا ذلك وخالفوا أمر الله تعالى، فحجبهم الله تعالى عن فضل هذا الشهر العظيم، لمخالفتهم الإله الكريم، وجعلهم من أصحاب الجحيم وجعل ثوابه لأمة النبي العظيم.

خاطب الله تعالى هذه الأمة بألطف خطاب حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2] [البقرة: ١٨٣]، لما أراد أن يكلفهم الصوم الشاق عليهم بدأهم بأخص أسماء المؤمنين، وأجل صفات العارفين، وأعلى مقام المحبين فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

ثم أوضح وزاد بيانًا فقال: ﴿أَيَّامًا﴾.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) يقول تعالى مخاطبًا للمؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله ﷻ، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة حسنة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ الآية. تفسير ابن كثير (١/ ٢١٣).

ثم زاد بيانًا فقال: ﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾.

ثم أوضح وزاد بيانًا فقال: ﴿شَهۡرُ﴾.

ثم بين وأوضح فقال: ﴿رَمَضَانَ﴾.

ثم مع فضله وكرمه رفق بعباده ويسر فقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

ثم أوضح وبين تمامه فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾.

فكأنه سبحانه وتعالى يقول: يا عبادي كتب الله عليكم الصيام شهراً، ووعدكم الثواب دهرًا، كتب الله على عبده الصيام والقيام، وكتب على نفسه الرحمة يوم تشقق السماء بالغمام، كتب عليكم صيام شهر رمضان، وكتب لكم كمال الرحمة والرضوان، كتب عليكم الإمساك عن الطعام والشراب، وكتب لكم على نفسه جزيل الثواب، كتب عليكم أن تصوموا له شهراً تصبرون فيه على الجوع والظمأ، وكتب لكم على نفسه أن يسقيكم من حوض نبيه المصطفى، كتب الله الصوم أيامًا معدودات، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات، كتب عليكم الصيام شهراً، وكتب لكم على نفسه بالحسنة عشراً.

وقد فرض الله سبحانه صوم رمضان على هذه الأمة بعد أن هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المشرفة، ومكث في المدينة سنتين، نزل فرض رمضان في شهر شعبان، ولم يفرض قبل رمضان صيام.

هذا مذهب الشافعي، وبعضهم قال: إنهم كانوا يصومون في المدينة يوم عاشوراء[1]، فلما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومونه، فسأل عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي نجا الله فيه موسى وأهلك فرعون، فنحن نصومه تعظيمًا لموسى. فقال ﷺ: «**موسى أخي وأنا أحق بموسى منكم**»، فصامه وأمر بصيامه، فلما فرض الله تعالى صوم رمضان ترك صوم

---

(١) قال النووي: اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء اليوم سنة ليس بواجب، واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان، فقال أبو حنيفة: كان واجبًا، واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين مشهورين: أشهرهما عندهم: أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبًا قط في هذه الأمة ولكنه كان متأكد لاستحباب، فلما نزل صوم رمضان صار مستحبًا دون ذلك الاستحباب. والثاني: كان واجبًا كقول أبي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل، فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول: كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء، ثم أمروا بصيامه بنية من النهار، ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه، وأصحاب الشافعي يقولون: كان مستحبًا فصح بنية من النهار، ويتمسك أبو حنيفة بقوله: أمر بصيامه، والأمر للوجوب، وبقوله: فلما فرض رمضان قال: «من شاء صامه ومن شاء تركه»، ويحتج الشافعية بقوله: «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه»، والمشهور في اللغة أن عاشوراء وتاسوعاء ممدودان، وحكي قصرهما.

عاشوراء[١]، وقال: ((إن الله تعالى فرض عليكم صيام رمضان، وأما عاشوراء: فمن شاء صامه ومن شاء تركه))[٢].

فيا إخواني، قد خصكم مولاكم بشهر الصيام وشرفكم بملة الإسلام، وجعلكم خير أمة أخرجت للأنام، وفضلكم بسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور، فأطيعوا مولاكم الكريم الغفور تفوزوا في الجنان بالولدان والحور.

فانتبه من نومك يا مغرور، فإن ربك كريم غفور. شعر:

شهر الصيام أتى بالخير والنعيم ... هنيتوا بالرضا يا أشرف الأمم
شهر شريف إله العرش شرفه ... على الشهور بغايات على الكرم
شهر بأوله عتق وآخره ... يا حسن مبتدأ فيه ومختتم
فيه لنا أنزل القرآن فاتضحت ... شرائع الدين من عرب ومن عجم

● **فائدة:**

سمى هذا الشهر رمضان لأنه يرمض[٣] الذنوب. وقيل: مأخوذ من حرارة الحجارة، سمي رمضان بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان من الذنوب غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً.

وقيل: سمي بذلك لشدة الحرارة فيه.

وقيل: رمض ورفض بمعنى واحد، يرفض قومًا إلى محل القربة، ويرفض آخرين إلى محل البعد والسخط، وهو شهر الإيمان، وشهر الإحسان، وشهر الغفران، وشهر رمضان في الدنيا مثل الجنة في العقبى سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وقيل: إن المولى ينظر

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: ((من شاء صامه ومن شاء تركه))، معناه: أنه ليس متحتمًا، فأبو حنيفة يقدره ليس بواجب، والشافعية يقدرونه ليس متأكدًا أكمل التأكيد، وعلى المذهبين فهو سنة مستحبة الآن من حين قال النبي ﷺ هذا الكلام، قال القاضي عياض: وكان بعض السلف يقول: كان صوم عاشوراء فرض وهو باقي على فرضيته لم ينسخ. قال: وانقرض القائلون بهذا، وحصل الإجماع على أنه ليس بفرض، وإنما هو مستحب، وروي عن ابن عمر كراهة قصد صومه وتعيينه بالصوم، والعلماء مجمعون على استحبابه، وتعيينه للأحاديث، وأما قول ابن مسعود: «كنا نصومه، ثم ترك»، فمعناه أنه لم يبق كما كان من الوجوب وتأكد الندب. النووي في شرح مسلم (٨/ ٥). ط.دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٢)، كتاب الصوم، ٦٩-باب صوم يوم عاشوراء، ومسلم في صحيحه (١١٣-١١٢٥)، كتاب الصيام، ١٩-باب صوم يوم عاشوراء، والترمذي (٧٥٣)، كتاب الصوم، باب ما جاء في الرخصة في ترك صوم يوم عاشوراء، والنسائي (٤/ ١٥٨-المجتبى)، وأحمد في مسنده(١/ ١٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٥).

(٣) رمض رمضًا: اشتد حره، يقال: رمضت الأرض اشتد عليها وقع الشمس، ورمض الصائم حر جوفه، من شدة العطش، ورمضت قدمه احترقت من الرمضاء، فهو رمض، وهي رمضة، أرمضه الحر: أحرقه.

إلى عباده، فمن لم ير عليه أثر رمضان قال: هذا عبد لا يعرف شهري، ومن لا يعرف شهري لا يعرف قدري، ومن لا يعرف قدري فسوف يدري.

يقول المولى جل جلاله: يا ملائكتي انظروا إلى الألسن اليابسة، كيف تبتل بذكري وتوحيدي وإلى الأحداق اليابسة كيف تدمع من خوفي وتهديدي وأُنشد في المعنى يقول:

الصوم جنة [١] أقوام مــن الـنار ... والصوم حصن لمن نخشى من الباري

والصوم ستر لأهل الخير كلهـــم ... الخائفون من الأوزار والعـــاري

فأصبحوا إلى جنان الخلد قد نزلـوا ... من بين حور وأشجار وأنهـــار

فائدة: الصوم على ثلاثة أقسام: صوم الروح، وصوم العقل، وصوم الجوارح.

فأما صوم الروح: فهو قصر الأمل، أي يقصر أمله عما هو طالبه من أمر الدنيا، فهذا يسمى صائماً؛ لأنه أمسك عنه، وأما صوم العقل فهو مخالفة الهوى، فمن صوّم الجوارح فهو الإمساك عن الطعام والشراب، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الطعام من الحلال فهو صائم رضي. ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم نقي. ومن صام عن القبائح، والذنوب وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم رشيد، ومن صام عن المنكر والأغيار، وأفطر على الفكرة والاعتبار، فهو صائم سعيد.

يا هذا أقبل الصوم [٢] وأنت مصر على ما يسخط الجبار من الآثام والأوزار، أتعمل بعمل أهل النار، فشهر الصوم شاهد عليك، والله سبحانه ناظر إليك فلا تجعل شهرك كسائر الشهور، فالمولى ينظر إلى قلوب عباده، فمن لم يره معظماً لهذا الشهر. قال: قال هذا عبد لا يعرف لشهري فضلاً، فأنا لا أعرف له عندي فضلاً. فانظر يا مسكين إذا قطعت نهارك

---

(١) حديث: «الصيام جنة» أخرجه البخاري (٣/ ٣١)، ومسلم في الصيام (١٦٢)، باب فضل الصيام، وأبو داود (٢٣٦٣)، والنسائي (٤/ ١٦٦، ١٦٧ -المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩٧).

(٢) في قوله ﷺ: «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي وأنا أجزي به»، اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى، فقيل: سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك، وقيل: لأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة، وقيل: لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ، قاله الخطابي، قال: وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء، وقيل: معناه: أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها، وقيل: هي إضافة تشريف كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ مع أن العالم كله لله تعالى. النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٥).

بالعطش والجوع، وأخليت ليلتك من السجود والركوع، أتظن أنك صائم وقائم، وأنت في جهالتك خارم، وفي ضلالتك دائم، أين أنت من التواضع والخشوع، أين أنت من المذلة لمولاك والخضوع، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والإيمان، كلا لا والله حتى تخلص النية وتجددها، وتكثر البكاء والحسرة، وتسيل الدموع والعبرة، وتسأل مولاك الإقالة والعثرة.

فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء. أين الصائمون والقائمون، أين المطيعون والعاملون، بادروا والله مع الصالحين، وانقلبوا مع المؤمنين، وحشروا مع النبيين والصديقين وبقينا نحن مع الجاهلين، وسكنا مع الفاسقين.

فصيامك يا مسكين مردود، وأنت رشدك معيب مفقود، وفي صلاحك غير موجود، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود أعمالك بالفسق موصولة وجوارحك للعصيان مبذولة، وألفاظك في الغيبة محصولة وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة.

وقيل: إن مثل هذه الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب إخوة يوسف، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك شهر رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

فيا هذا أنا أشير إلى إشارة، وهي لنا شارة لين. كان يوسف من حلمه وعلمه قد غفر لإخوته ما فعلوه معه حين قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]. فكذلك شهر رمضان فيه حلم الله وعفوه ورحمته ومغفرته، وعتق عباده من النار ما يغلب جميع الشهور، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار يغفرها الكريم الغفار.

● نكتة حسنة الإشارة فيها:

جاء أخوة يوسف معتمدين في سد الخلل وإزاحة الزلل بعد أن كانوا أصحاب الخطايا والزلل، فأحسن يوسف لهم الإنزال وأصلح لهم الأحوال، وبلغهم غاية الآمال وأطعمهم وأذن لهم إلى أهلهم بالرجوع وقال لغلمانه وفتيته: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] [يوسف: ٦٢]. فسد الواحد خلل أحد عشر[2].

---

(١) أي اجعلوا بضاعتهم التي قدموا بها ليمتاروا عوضًا عنها ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾، أي في أمتعتهم من حيث لا يشعرون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بها، قيل: خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها، وقيل: تذمم أن يأخذ من أبيه وإخوته عوضًا عن الطعام، وقيل: أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجًا وتورعًا لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٦).

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ الآية، يقول تعالى مخبرًا عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا بحيث يخرون له ساجدين=

ونحن نرجو من الله الكريم أن يذهب عنا في هذا الشهر الشريف ما فرطنا في سائر الشهور، ويصلح فيه فساد الأمور، ويختمه علينا بالفرح والسرور.

● **إشارة أخرى:**

كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً عنده حاضرين، وهو يطلع على أحوالهم ويسمع أقوالهم، فلم يرتد بصره بشيء من مسه لثيابهم. ولما جاءه قميص يوسف رد الله بصره، وصار بصره منيراً، فكذلك المذنب العاصي إذا شم رائحة رمضان، وجلس مع الذاكرين الله، لم يقم إلا مغفوراً له، ينظر بقلبه بعد العمى وإلى الإحسان بعد الطغيان.

● **تنبيه ينبه به النائم:**

قيل: إذا كان يوم القيامة والنبي ﷺ واقف عند الميزان، إذ جاءوا بالذين لم يوقروا شهر رمضان والملائكة يضربونهم وجهًا ودبراً. فيتعلقون بالنبي ويقولون: يا محمد المستغاث المستغاث بك. فيقول: «يا ملائكة ربي ما ذنوبهم؟» فيقولون: هؤلاء أدركوا شهر رمضان فعصوا الله فيه ولم يتوبوا وماتوا قبل التوبة[1].

قال: فيشفع لهم الحبيب المصطفى فيقول: «إلهي أقوام من أمتي». فيقول الله ﷻ له: يا محمد، إن لهم خصمًا قويًا. فيقول رسول الله ﷺ: «ومن خصمهم يا رب؟» فيقول الله تعالى: خصمهم شهر رمضان.

فيقول النبي ﷺ: «أنا بريء ممن خصمه شهر رمضان». فيقول الله تعالى: يا محمد، وأنا بريء ممن أنت بريء منه. فينطلق بهم إلى النار. وأنشد بعضهم:

أتعصي بعد شيب الرأس جهلاً ... كما قد كنت تعصيه غلامـــا
أراك من التهاون لا تبالـــي ... ولا ترعى الصلاة ولا الصيام
وتفرح بالفطور ولا تبالـــي ... حلالاً كان كسبك أو حرامـا
فشهر بالتلاهي قد تولـــى ... وربك منك ينتقم انتقامـــا

=إجلالاً واحترامًا وإكرامًا فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠).

(١) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٩)، وفيه: «بعدًا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له فيه».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النيران»(١).

وعن عبدالمنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه أنه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى إني افترضت الصيام على عبادي وهو شهر رمضان، فمن وافى يوم القيامة، ولقيني في صحيفته عشر رمضانات فهو من المحبين، ومن لقيني وفي صحيفته عشرون رمضانًا فهو عندي من الأبرار، ومن لقيني وفي صحيفته ثلاثون رمضانًا، فهو من أفضل الشهداء عندي ثوابًا يوم القيامة.

وإني آمر حملة عرشي أن يمسكوا عن العبادة إذا دخل شهر رمضان ليس من صائم في رمضان يدعو بدعوة إلا أمنوا على دعائهم، وإني آليت على نفسي أن لا أرد دعوة صائمي رمضان (٢).

يا موسى، إني ألهم في شهر رمضان السموات والأرضين والجبال والشجر والدواب أن يستغفروا لصائمي شهر رمضان.

يا موسى، اطلب ثلاثة ممن يصوم رمضان فصل معهم وتقلب معهم، وكل واشرب معهم، فإني لا أنزل عذابي ونقمتي في بقعة فيها ثلاثة يصومون رمضان.

يا موسى، أتدري من أقرب خلقي إليّ؟ قال: لا أدري. قال: الذي إذا غضب لم يلعن على والديه ولا على ذي قرابة إذا قطعوه.

يا موسى، ألا وإن الله تعالى يقول لصائمي رمضان من أجله: ارجعوا إلى رحالكم ومنازلكم مغفورًا لكم.

قد رضيت عنكم، وجعلت ثوابكم من صيامكم وجوائزكم يوم فطركم أن أعتقكم من النار، وأن أحاسبكم حسابًا يسيرًا، وأن أوسع عليكم الرزق في الدنيا ما عشتم، وأن أخلف عليكم نفقاتكم، وأن أقيلكم العثرة، وأن أستركم يوم القيامة على رءوس الأشهاد.

---

(١) الحديث مشهور وقد تقدم تخريجه، وقال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته، ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم، قال: ويحتمل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم ليصيرون كالمصفدين ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس، ويؤيد هذا رواية: «فتحت أبواب الرحمة» ، انظر النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٥).

(٢) حديث: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة»، أخرجه الشجري في أماليه (٢/ ١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٠)، وابن حجر في المطالب العالية (٩٩٤).

وإني قد أقسمت بعزتي أن لا تسألوني بعد موقفكم هذا، ومجمعكم وصيامكم شهركم شيئًا من آمر آخرتكم إلا أعطيتكم، ولا تسألوني شيئًا من أمر دنياكم إلا نظرت لكم فيه.

يا موسى، قل للمؤمنين لا يستعجلوني لإجابة دعائهم إذا دعوني، لا يبخلوني باليسير، فإني أبغض البخل لأني أجود على من أعطى وأكرم من يسأل فكيف أبخل أنا؟

يا موسى، إذا سألتني عن إفطارك في شهر رمضان فلا تدع شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا سألتنيه، فإنه ليس من صائم سألني مسألة عند إفطاره ويدعوني إلا استجبت له وأعطيته ما سأل. فإنه لا يتعاظمني أن أعطي عبدي كلما سألني عظيمًا كان أو حقيرًا.

يا موسى، لا تدع شيئًا إلا سألته حتى الملح لأهلك، والعلف لثورك وحمارك وشاتك.

يا موسى، إنه لم يزل في الأرض أبدال أقيم بهم الأرض فلولا الأبدال لدمرت الأرض والدنيا، وأهلها هم أصفيائي من خلقي وأوليائي وخيرتي، بهم تقوم الدنيا، وكلما مات منهم ميت أبدلت مكانه مثله، وهم أربعون رجلاً كلهم إليّ منيب وأنا الغفور الرحيم.

● **فائدة:**

نقل أنه إذا استيقظ المؤمن من نومه في شهر رمضان ليلاً وذكر الله تعالى، يقول له ملكًا: قم بارك الله فيك، قم رحمك الله، فإذا قام دعا له فراشه، فيقول: اللهم أعطه الفرش المرفوعة، فإذا لبس ثيابه دعا له لباسه فيقول: اللهم ألبسه حلل الجنة.

وإذا لبس نعله دعا له نعله فيقول: اللهم ثبت قدمه على الصراط [(١)] ، وإذا أخذ بيده الإناء الذي فيه الماء ليتوضأ دعا له الإناء فيقول: اللهم أعطه أكواب الجنة. فإذا توضأ دعا له الماء فقال [(٢)] : اللهم طهره من الذنوب والخطايا.

وإذا أحرم بالصلاة ووقف بين يدي الله ﷻ دعا له المكان الذي يصلي فيه وقال: اللهم وسع عليه لحده ونور مضجعه، وينظر الله تعالى إليه بالرحمة. ويقول له: عبدي منك الدعاء ومني الإجابة، منك السؤال ومني النوال.

ونقل عن الجنيد [(٣)] رحمه الله –وكان الجنيد من كبار الصوفية– قال: دخلت على خالي سري السقطي –نفعنا الله به– فرأيت بين يديه كوزًا مكسوراً من خزف. قال: فقلت:

---

(١) رواه الزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٦٧)، بلفظ: «اللهم ثبت قدمي على الصراط» .

(٢) أخرجه النسائي (١/ ١٩٨، ١٩٩-المجتبى)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٩).

(٣) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل، البغدادي، القواريري، الخزاز، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه رحمه الله ، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وتفقه على أبي ثور، وسمع من الحسن بن عرفة=

ما هذا؟ فقال: هذا كوز كنت أبرد فيه الماء لإفطاري، ثم إني رأيت الليلة في منامي حوراء من حور الجنة لم أر أحسن منها فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء البارد في الكيزان، ويصبر حتى يسقيه الرحمن في الجنان، ثم إنها قامت وكسرت الكوز كما ترى.

● **حكاية:**

حكي أن مجوسيًا رأى ابنه يأكل في رمضان فضربه وقال له: لم تحفظ حرمة المسلمين، أتأكل في رمضان جهرًا؟! قال: ثم مات ذلك المجوسي بأيام قلائل فرآه بعض الأولياء في النوم وهو على سرير العز في الجنة، فقال له: ألست كنت مجوسيًا؟ قال: نعم، ولكن لَمَّا كان وقت وفاتي سمعت نداء من قبل الله تعالى: يا ملائكتي بشروا عبدي المجوسي أني قد هديته للإسلام لاحترامه لشهر رمضان، فمت على التوحيد ونقلني الكريم من دار جحيمه إلى دار نعيمه.

ويستحب تعجيل الإفطار، لأن النبي ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: إن أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرًا**»[(١)] .

ويستحب استحبابًا مؤكدًا التصدق في شهر رمضان على الفقراء والمساكين.

ويستحب التسحر كل ليلة لأن رسول الله ﷺ قال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»[(٢)] . وفي حديث آخر: «**صلوات الله على المتسحرين**» .

ويستحب تأخير السحور، لأن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من أخلاق الأنبياء: تأخير السحور، وتعجيل الفطور، ووضع اليمين على الشمال في الصلاة**».

وهنا بشارة: سئل الحسن البصري: هل يقبل الله صومنا وهو معيوب؟ فقال: إذا لم يجد غير المعيوب فيقبله بكرمه، فقد حكي أن أعرابيًا قدم مكة في زمن عبدالملك بن مروان وتوطن بها ثم إنه زرع بها قثاء في غير أوانها، فلما أدركت أهداها إلى عبدالملك، وظن أن

=وغيره. واختص بصحبة السري السقطي، والحرمي، وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، وروى أبو نعيم بسنده عنه قوله: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به، توفي سنة (٢٩٨)، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٢٩١-٣٠٠).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣٨، ٧٨)، كتاب الصوم، باب بركة السحور في غير إيجاب، ومسلم (٤٥) كتاب الصيام، ٩-باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، والترمذي (٧٠٨)، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل السحور، والنسائي في الصيام ، وابن ماجه (١٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٧)، (٣/ ٣٢، ٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٨، ٩).

ليس عنده منها شيء، فقال له عبدالملك: كن ضيفنا في هذه الليلة، وكان لعبد الملك بساتين وفيها قثاء كثيرة قد أدركت. فقال عبد الملك لغلامه: فَرّجه على البستان الفلاني ، فأدخله فرأى في البستان قثاء كثيرة، فخجل واستحيى ذلك الرجل من هديته التي أتى بها إلى عبدالملك، وأراد الهروب، فدعاه عبدالملك وأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال له: إنك جئتنا راجيًا الخير فينا فلا نخيبك. وكذلك العبد يوم القيامة يأتي بصيام معيوب ويرى صيام غيره غير معيوب، فيخجل، فيقول الله تبارك وتعالى له : يا عبدي جئتني راجيًا فلا أخيبك ولك الجنة وزيادة وأنا أكرم الأكرمين.

يقول الله تعالى: أنا الجواد ومني الجود، وأنا الكريم ومني الكرم. شعر:

يا سيد الكونين يا من حـــبه ... حقًا أقام بمهجتي وفـؤادي
يا ربنا فبحقه وبجاهـــــــه ... وبآله الأنجاد والأمجـادي[1]
اغفر لنا كل الذنوب تفضلاً ... يا خير مدعو وخير جـواد
يا رب صلِّ على النبي محمد ... ما سار مشتاق بليل هـــاد

اللهم إن كنت لا ترحم في هذا الشهر إلا من أظهر لك في صيامه، فمن للمقصر المذنب إذا أغرق في بحر ذنوبه وآثامه.

إلهي إن كنت لا ترحم إلا المطيعين فمن للعاصين. إلهي، إن كنت لا تقبل إلا العاملين فمن للمقصرين، إلهي، ربح الصائمون، وفاز القائمون، ونجا المخلصون، ونحن عبيدك المذنبون فارحمنا برحمتك، وجُد علينا بعفوك ومنتك، واغفر لنا أجمعين يا رب العالمين.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾، سمي الشهر رمضان لأنه يرمض الذنوب، وقد تقدم ذلك.

وقوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فيه أربعة أقوال:

---

(١) في التوسل روى مسلم في صحيحه حديث الغار (١٠٠-٢٧٤٣)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، ٢٧-باب قصة أصحاب الغار والتوسل بصالح الأعمال، عن ابن عمر. وقال النووي: استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم، وفيه فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم، وفيه فضل العفاف، والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليهما والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصًا، وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٧)، ط. دار الكتب العلمية.

أحدها: أنه أنزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن في شهر رمضان ليلة القدر إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك على نبيه محمد ﷺ نجومًا متفرقًا.

القول الثاني: أنزل القرآن بفرض صيامه.

الثالث: أنزل القرآن أي أنزل فضله.

الرابع: ابتدأ فيه بإنزال القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ البينات: هي الآيات الواضحات، والفرقان: الفارق بين الحق والباطل.

وفي الخبر[١]: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناديًا: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، وفيه عتقاء من النار وذلك كل ليلة**».

وكان النبي ﷺ إذا دخل رمضان أعطى لكل فقير، وأطلق كل أسير[٢].

● فائدة:

ذكر أبو جعفر في كتاب العرش: عن كعب: قال الله تعالى لموسى بن عمران: إني آمر حملة العرش وحملة الكرسي أن يمسكوا عن العبادة إذا دخل رمضان، وأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأن يقولوا كلما دعا صائم له: آمين، فإني آليت على نفسي أن لا أرد دعوة صائم رمضان.

● تنبيه:

من عمل سوءًا في شهر رمضان من انتهاك المحارم أو زنا أو سرق، فلن يقبل منه هذا الشهر الشريف، ولعنه الله والملائكة إلى مثله من الحول، فإن مات قبل رمضان فليبشر بالنار، فاتقوا رمضان، فإن الحسنات تضاعف فيه، وكذلك السيئات.

---

(١) تقدم تخريج الحديث، وقال النووي: قال القاضي: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عمومًا كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة، وأبواب لها، وكذلك تغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات، ومعنى صفدت: غللت. النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٥).

(٢) روى مسلم (٥٠-٢٣٠٨)، كتاب الفضائل، ١٢-باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

● **تنبيه ثاني:**

من أفطر من رمضان يومًا من غير عذر ولا مرض ولا رخصة لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه [١].

● **تحذير:**

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بالذين لم يوقروا رمضان والملائكة يضربوهم وجهًا وظهرًا فيتعلقون بي ويقولون : يا محمد، بك المستغاث. فأقول: يا ملائكة ربي ما ذنوبهم؟ فيقولون: إن هؤلاء أدركوا شهر رمضان فعصوا الله فيه ولم يتوبوا فأخذهم الله بالموت، فأقوم فأشفع لهم فأقول: إلهي، فيقال لي: إن لهم خصمًا قويًا، فأقول: ما هو؟ فيقول الله تعالى: خصمهم شهر رمضان، فينطلق بهم إلى النار**».

وقال بعض الفضلاء: يجيء شهر رمضان يوم القيامة في أحسن صورة فيسجد بين يدي الله، فيقول الله تعالى: ماذا تريد؟ سل حاجتك، خذ من عرف خدمتك، فيأخذ من عرف بحقه، فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى: ما تريد؟ فيقول: أن تتوج هذا، فيتوج بألف تاج، ثم يشفع في سبعين ألف من أصحاب الذنوب، ثم يزوج ألف حوراء مع كل حوراء سبعون ألف وصيفة، ثم يركب على نجيب فيرف إلى الجنة.

وقال بعضهم: الدنيا حجاب العبد عن الله، فالدنيا عبارة عن أربعة أشياء: الطعام والشراب والجماع والنوم، فإذا صام بالنهار وقام بالليل في التراويح فقد رفض الدنيا، ووصل إلى المولى.

قال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم: كان رسول الله ﷺ إذا دخل رمضان أعطى كل سائل وأعتق كل مملوك، وأطلق كل أسير [٢]، فقلت: يا رسول الله، إنا نراك تفعل

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٩٦)، كتاب الصيام ، باب التغليظ في من أفطر عمداً، والترمذي (٧٢٣)، كتاب الصوم، باب ما جاء في الإفطار متعمداً. وابن ماجه (١٦٧٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٨، ٤٧٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٠٥)، وعقب الحديث رقم (٧٢٤)، في كفارة الفطر في رمضان قال الترمذي: والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم في من أفطر في رمضان متعمداً من جماع، وأما من أفطر متعمداً من أكل أو شرب فإن أهل العلم قد اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم: عليه القضاء والكفارة، وشبهوا الأكل والشرب بالجماع، وهو قول سفيان الثوري، وابن المبارك وإسحاق، وقال بعضهم: عليه القضاء ولا كفارة عليه؛ لأنه إنما ذكر عن النبي ﷺ الكفارة في الجماع ولم تذكر عنه في الأكل والشرب، وقالوا: لا يشبه الأكل والشرب الجماع وهو قول الشافعي وأحمد. وقال الشافعي لمن كان عليه كفارة الفطر من جماع: إن كانت حالته مثل الرجل الذي تصدق عليه النبي ﷺ وقال له: «خذه فأطعمه أهلك» أن يأكله، وتكون الكفارة عليه دينًا فمتى ما ملك يومًا ما كفّر.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٢٥).

هذا في شهر رمضان بأضعاف ما تفعله في غيره، فقال: «إن هذا الشهر شهر لا يرد الله فيه سائلاً، يعطي السائلين، ويعتق المذنبين، فأنا أحب أن أعتق الأسرى وأعطي الفقراء إذ أمر المولى في رمضان بالصدقة على الفقراء، كيف لا يفعل هو ذاك بنا وهو أهل الجود والكرم».

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «لو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لبشرتا من صام رمضان بالجنة» [1].

يقول الله تعالى: يا عبادي، فرضي عليكم مؤقت، وعطائي لديكم مؤبد، عبادتكم لي تارة بعد تارة، ونعمتي عليكم قرارة، خدمتكم لي غير بالغة، ونعمتي عليكم سابغة، خدمتكم لي مع التقصير، وعطيتي لكم مع التوفير، أوجبت عليكم رمضان صياماً معدوداً وأوجبت لكم على نفسي عطاءً ممدوداً، لأنني أنا دائم الوجود بلا حد ولا حدود.

شهر رمضان في الشهور مثل القلوب في الصدور، شهر الصيام مثل الأنبياء في الأنام، شهر الصوم في العباد مثل الحرم في البلاد، فالحرم من دخله كان آمنًا من المهلكات، ورمضان من صامه سلم من الدركات، شهر رمضان في الدنيا مثل الجنان في العقبى، وفي الجنان سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وفي شهر رمضان بذل المجهود، وطلب المعبود، وحفظ الحدود، وإظهار الكرم والجود، وفي الجنان فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

وفي شهر رمضان الأذكار المسموعة في المجالس المجموعة، وفي الجنان الفرش المرفوعة، وفي شهر رمضان المنابر الموضوعة. شهر تصفد فيه الشياطين[2] وتظهر البراهين. شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران. شهر يخفف فيه عن المملوك، ويرق فيه قلب الغني للصعلوك. شهر تزهر فيه القناديل، ويتلى فيه التنزيل، ويغفر فيه الكثير والقليل، ويفسح فيه للمسافر والعليل. شهر المساجد منورة، والمحاريب معطرة، والسيئات مكفرة، والحسنات ميسرة، والأذيال مشمرة، والأبرار مطهرة، والخيرات موفرة. شهر ما مثله في الشهور، فيه رضا المهيمن الغفور. شهر عظيم به الإسلام مبتسم فيه العطايا، وفيه الجود والكرم. شهر عظيم به الرحمن أكرمنا، والبيت قد اكتسى والحل والحرم. شهر الصيام، وشهر الخير قاطبة وليس في ليلة من ليله ظلم. شهر له في كتاب الله تقدمة على الشهور، وقد سعى له القدم.

---

(١) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٢٦٨)، وابن عدي في الضعفاء (٧/ ٢٥١٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٩٢).

(٢) وفي رواية لمسلم (٢-١٠٧٩)، كتاب الصيام، ١-باب فضل شهر رمضان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال[(١)]: «**إن لله تعالى في كل ليلة عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار**».

وإذا كان ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعتق الله في ساعة منهما ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان في آخر الشهر أعتق الله تعالى فيه من النار بقدر ما عتق من أول الشهر إلى آخره.

يا هذا، الويل لك إن كان الله لم ينظر إليك، الويل لك إن كان صيامك مردوداً عليك.

قيل: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إني أفطرت يومًا من شهر رمضان متعمداً، فقال: «**اذهب فصم سنة**»، فذهب وصام، ثم أتى الحول الثاني فسأله، فقال: «**اذهب فصم سنة أخرى**»، فذهب وفعل، ثم عاد في الثالثة فسأله، فقال: «**صم سنة أخرى**»، فصام بعض سنة فمات فيها، فجاء بعض أهله فقالوا: يا رسول الله، إن الذي أمرته بصيام سنة وسنة وسنة قد مات. فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، مات ولم يدرك صيام ذلك اليوم الذي فاته في رمضان، لو عاش مائة سنة فصامها ما أدرك فضل ذلك اليوم**» [(٢)].

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾.

وفي شهر رمضان عشرون خصلة ليست في غيره من الشهور: حرمتان، وعصمتان، ونعمتان، ورخصتان، وبشارتان، وبركتان، وليلتان، وهديتان، وفرحتان.

فالحرمتان: حرمة القرآن ، وحرمة شهر رمضان. روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه مر في أول ليلة من شهر رمضان، فرأى القناديل تزهر، وكتاب الله تعالى يتلى في المساجد، فقال : نور الله لك يا ابن الخطاب [(٣)] قلبك كما نورت مساجد الله بالقرآن.

---

(١) الحديث أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٣، ١٥٦)، (١٠/ ٢١٦)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٥٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٥٧)، (٩/ ٣١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٧).

(٢) انظر ما تقدم من حديث أبي داود والترمذي قريبًا وفيه: «من أفطر يومًا من رمضان، من غير رخصة ولا مرض، لم يقض عنه صوم الدهر كله، وإن صامه» ، أبو داود (٢٣٩٦)، والترمذي (٧٢٣).

(٣) لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ضحك الحق، ونطق الصدق، وخبت نيران النفاق، وخفتت جمرة الكفر، وانطمس الباطل، وظهر الحق، وحببت سنة رسول الله وسنة أبي بكر وخسأ الشيطان. كان يدور في الأسواق والأزقة والشوارع والدرة على عاتقه وكانت والله درته أهيب من سياطكم هذه، فكان يسعى مع اليتيم والأرملة والمسكين والضعيف، ويقف على الصبيان والمشيخة ويأخذ للعبد من الحر، والضعيف من القوي، والمهين من الشديد، والقليل من الكثير، احتسابًا وطلبًا للثواب من الله، لا يأخذه في الله لومة لائم، وكان قد جعل رزقه الذي يغذيه ويتغذى به كل يوم ثلاثة أقراص من شعير خشن الطحين غليظه، وكان يأكلهن بملح جريش وربما أكلهن بغير ملح، زهداً، فإذا خاف على نفسه الإقتار أكل الزيت والتمر، وربما أكل=

وجد فيما أنزل الله تعالى في بعض الكتب : إني أعطيت أمة محمد ﷺ حرمتين، من اعتصم بواحدة منهما نجا من عذاب الدارين، وهما: القرآن وشهر رمضان.

والعصمتان: عصمة من الشيطان، وعصمة من النيران، وذلك للخبر المروي: «يا مالك أغلق أبواب النيران، يا جبريل انزل إلى الأرض فغل من فيها من مردة الشياطين» .

وأما النعمتان: فنعمة الدنيا بالتوفيق للتصديق، ونعمة الآخرة بحصول المغفرة.

وأما الرخصتان: فرخصة الإفطار لأهل المرض والأسقام بالإفطار، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، نظر إلى ثلاث إشارات فقال: عندي أنا أعلم إذا كنت مريضًا أو مسافراً بأن جسمك يلحقه النقص والمشقة في الصوم، فرخصت لك الإفطار، أنقص أنت من حقي ولا تنقص من نفسك.

والثانية: رخص لك أن تفطر في السفر والمرض ثم تقضي بعد ذلك متفرقًا ليكون أسهل عليك إتمامًا لإحسانه إليك.

الثالثة: أن تفطر عند العذر في الأيام الطوال الصائفة وتقضي في الأيام القصار الباردة، لأنك عبد ضعيف، وهو مولى لطيف. قال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وأما البشارتان: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، كأنه يقول: رخصت للمريض الإفطار، وكذلك لأهل الأسفار، هذا لطفي بكم في هذه الدار، كيف لا ألطف بكم في تلك الدار مع حصول الجوار، وقرب المزار أعطيتكم في سفر الدنيا التخفيف وأعطيتكم في سفر العقبى التشريف، أعطيتكم في الدنيا اليسير، وفي سفر الحساب اليسير، في سفر الدنيا رخصة الإفطار وفي سفر العقبى قضاء الأوطار.

في سفر الدنيا رفع المشاق، وفي سفر العقبى سرور التلاق: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وأما البركتان: فبركة النور وبركة السحور، قال رسول الله ﷺ: «استيعنوا على الصيام بطعام السحر، وبقيلولة النهار على قيام الليل» [1] .

=الشيء من السمن، وشرب اليسير من اللبن، ويعجبه لبن اللقاح، ويأكل من عنق البعير، قالت عائشة: فلما كان بعد ذلك وفتح الله على المسلمين كان يأمر كل جمعة تأتي فيسخن جزوراً، ويأمر فيفرق أطابتها على المساكين من المهاجرين والضعفاء من الأنصار ويترك لآل عمر العنق، قالت : وكان عمر يقول لنفسه: الجوع أهون من ورود نار أعالجها لا موت فيها ولا روح ولا فرح ولا تخرجون منها، وما أنتم بمستعتبين. انظر مختصر كتاب الموافقة (ص٩٣-٩٤) من تحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٣٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٤٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٧٦٠٣).

وقال أبو الدرداء: من مناقب الخير: التبكير في الإفطار والتبليغ في السحور، ووضع الأيدي على الأيدي في الصلاة.

وقال ﷺ: ((**الجماعة بركة، والثريد بركة، والسحور بركة، فإنه يزيد في القوة، وهو من السنة**))(١)؛ لقوله ﷺ: ((**تسحروا ولو على جرعة ماء، تسحروا صلوات الله على المتسحرين**))(٢).

● **فائدة:**

لو لم يكن في السحور فضيلة إلا أن يقول الرجل: «بسم الله والحمد لله»، أو يقول: «لا إله إلا الله» لكان فيه فضل كبير، فكيف وهو سنة البشير النذير.

وأما الليلتان: ليلة البدر، وليلة القدر.

وأما الهديتان: العبادة وهو قائم، والتسبيح وهو صامت، فقد قال رسول الله ﷺ: ((**نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف**)) .

وأما الفرحتان: فرحة عند الإفطار، وفرحة عند لقاء الملك الجبار.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

جاء في الخبر: ((**إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من قبل الله ﷻ: أين الصائمون؟ فيقدمون من بين الخلائق فتناولهم الملائكة كاسات مختومة، ختامها مسك؛ الكأس مختوم: هذا شراب طاهر من الرب الطاهر. فيشربون ويروون، والخلائق كلهم عطاش**)) .

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

فيا عباد الله، واصلوا فضل الصيام في ليلة بصلاة القيام (٣) ، صلاة التراويح من السنة ومصليها يستوجب من الله الجنة.

من أحب الإمام عمر رضي الله عنه فليصل التراويح كما بذلك أمر.

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٩٧٦)، وذكره الهندي في كنز العمال (٤٠٧١٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٨٤-موارد)، وعبدالرزاق في مصنفه (٧٥٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٩٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٦٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ١٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٠).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٢٠٠٩)، كتاب صلاة التراويح، ١-باب فضل من قام رمضان، ومسلم (١٧٣-٧٥٩)، كتاب صلاة المسافرين ، ٢٥-باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**)) .

فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب ﷺ هذه التراويح [١] من حديث سمعه مني، قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى موضعًا حول العرش يسمى: حظيرة القدس، وهو من النور، فيه ملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، يعبدون الله تعالى حق عبادته لا يفترون ساعة، فإذا كان ليالي شهر رمضان استأذنوا ربهم أن يترلوا إلى الأرض فيصلون مع بني آدم، فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا»، فقال ﷺ عند ذلك: نحن أحق بهذا الفضل، فجمع الناس على صلاة التراويح.

فقدرها عظيم وثوابها جسيم. وقد صلاها رسول الله ﷺ ليالي، ثم انقطع فانتظروه أن يخرج إليهم فلم يخرج، فلما كان من الغد قالوا: يا رسول الله ﷺ انتظرناك البارحة فلم تخرج؟ قال: «خشيت أن أداوم عليها فتفرض عليكم» [٢] .

وسئل علي بن أبي طالب ﷺ عن صلاة التراويح في شهر رمضان فقال: بخ بخ لمن رزقه الله قيام ذلك الشهر؛ من قام أول ليلة -يعني التراويح- خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

والليلة الثانية: يغفر الله لأبويه.

والليلة الثالثة: يناديه الملك: استأنف العمل، فقد غفر الله لك ما مضى من ذنوبك.

والليلة الرابعة: يكتب الله له أجر من قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

والليلة الخامسة: يعطيه الله تعالى ثواب من صلى في المسجد الحرام، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى.

والليلة السادسة: يعطيه الله ثواب من صلى في البيت المعمور، ويستغفر له كل حجر ومدر.

الليلة السابعة: يعطيه الله تعالى أجر من أدرك موسى ونصره على فرعون.

---

(١) روى البخاري (٢٠١٠)، في كتاب صلاة التراويح، ١-باب فضل من قام رمضان، عن عبدالرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون – يريد آخر الليل- وكان الناس يقومون أوله. وفي البخاري (٢٠١٢)، ومسلم (١٧٨-٧٦١)، كلاهما عن عائشة في عدم خروج النبي ﷺ للمسجد في الليلة الرابعة ليصلي بالناس التراويح وفيه: أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد فإنه لم يخف عليَّ مكانكم ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها» فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ١٦٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٤١٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٠٢)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٢٥١).

الليلة الثامنة: كان كمن أدرك قتال بدر، يعني من المؤمنين.

الليلة التاسعة: كان كمن عبد الله تعالى كعبادة داود نبي الله عليه السلام.

الليلة العاشرة: يرزقه الله السلامة في الدنيا والآخرة ويشفع في سبعين ألفًا وزيادة.

الليلة الحادية عشر: يخرج من الدنيا ريانًا، ويبعث من قبره وهو ريان، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف.

الليلة الثانية عشر: يكتب الله له أجر سبعين حجة وسبعين عمرة مقبولة.

الليلة الثالثة عشر: يعط من الثواب ما يعطى عمار بيت المقدس ومن جاوره من النبيين والصالحين.

الليلة الرابعة عشر: كان كمن أدرك ليلة القدر وصلى فيها بين الباب والمقام إلى الصباح.

والليلة الخامسة عشر: كمن استجاب الله دعوته وقضى حوائجه.

الليلة السادسة عشر: يخرج من قبره يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

الليلة السابعة عشر: لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة.

الليلة الثامنة عشر: كان كمن كفاه الله هم الدنيا والآخرة.

الليلة التاسعة عشر: تزوره الملائكة كل يوم في بيته.

الليلة العشرون: لم يخرج من الدنيا حتى يرى النبي ﷺ ويبشره بالجنة.

الليلة الحادية والعشرون: كان كمن أطعم ستين مسكينًا أو أكساهم.

الليلة الثانية والعشرون: كان كمن سقى الظمآن في الهجير.

الليلة الثالثة والعشرون: كان كمن اشترى أسارى أمة محمد ﷺ وأعتقهم.

الليلة الرابعة والعشرون: يعطيه الله كتابه بيمينه.

الليلة الخامسة والعشرون: يبعث الله ملك الموت في أحسن صورة فيسلم عليه ويبشره بالنعيم الذي لا يفنى.

الليلة السادسة والعشرون: كان كمن اشتاقت إليه.

الليلة السابعة والعشرون: يأمر الله تعالى رضوان أن يفتح له أبواب الجنان.

(الليلة الثامنة والعشرون: ....) [١].

الليلة التاسعة والعشرون: كان كمن كتب الله له من الأجر كثواب أيوب وستر عليه سيئاته وأنساها حفظته.

---

(١) غير موجودة بالأصل.

فإذا كان ليلة الثلاثين أمر الله تعالى مناديًا ينادي من عنان السماء: هؤلاء عتقائي من عذابي، وعزتي وجلالي قد أجرتهم من ناري. ثم يأمر الله تعالى أن يكتب لكل عبد وأمة براءة من النار وجواز على الصراط.

ثم قال علي بن أبي طالب ﵁: إن شهر رمضان لأمة محمد، فطوبى لمن رزقه الله صيام شهر رمضان وقيام لياليه. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

● فائدة:

نقل ذلك من «مجمع الزهور» لابن رجب: قال ابن عباس ﵁: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى البحرين، فيهم أبو موسى، فبينما نحن في اللجة إذ نادى مناد من فوقنا: يا أهل السفينة أخبركم بقضاء قضاه الله تعالى على نفسه؟ فصاح أبو موسى: قد ترى مكاننا فأخبرنا إن كنت مخبرًا. فقال: إن الله تعالى قضى على نفسه من يعطش لله في يوم ظمأ أو يوم حر سقاه الله يوم القيامة [(١)]. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**يدعى الناس يوم القيامة إلى الجنة فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، وإن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، وإن كان من أهل الصوم دعي من باب الريان**)) [(٢)] . فقال أبو بكر: بأبي وأمي، وهل يدعى أحد من الأبواب كلها؟ قال: ((**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**)) .

● فائدة:

قال عبدالله بن رباح [(٣)] : خرجنا في سفر فنزلنا براهب من الرهبان، فلما نزلنا عنده أخرج لنا طعامًا ودعا إلى الأكل، فاجتمع أصحابي كلهم، واعتزلت أنا عنهم، فقال لي الراهب: ما شأنك، لم لا تتقدم فتأكل مع أصحابك من هذا الطعام؟

---

(١) انظر البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، كتاب الصوم، ٤-باب الريان للصائمين، عن أبي هريرة ﵁، وفي آخر الحديث: روى البخاري (١٨٩٦)، كتاب الصوم، ٤-باب الريان للصائمين، ومسلم (١٦٦)، كتاب الصيام، ٣٠-باب فضل الصيام، عن سهل عن النبي ﷺ قال: ((إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم...)) الحديث، والترمذي (٧٦٥)، في الصوم، باب ما جاء في فضل الصوم، عن سهل بن سعد، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) عبدالله بن رباح أبو خالد الأنصاري المدني، البصري، ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة ، توفي (١٠٠) تقريبًا. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٠٦)، تقريب التهذيب (١/ ٤١٤)، الكاشف (٢/ ٨٤)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٨٤)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٤٣)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٦٣)، طبقات ابن سعد (١/ ١٨٢)، الثقات (٥/ ٢٧).

قلت: إني صائم. فقال: ألا أحدثك بحديث يكون لك عونًا على صيامك؟ قلت: بلى. قال: إني أجد في كتاب الله المنزل على نبيه: أن الله تعالى يجمع الصائمين يوم القيامة فيظلهم في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويقرب إليهم من موائد الجنة فتوضع بين أيديهم فيقال: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾. كلوا فطال ما جعتم، واشربوا فطال ما عطشتم، وانظروا إليّ فطال ما سهرتم، وافرحوا فطال ما حزنتم، واضحكوا فطال ما بكيتم، واستريحوا فطال ما تعبتم ، كلوا من الزنجبيل، واشربوا من السلسبيل، وانظروا إلى الجليل، كلوا من موائد الطعام، واشربوا يا معاشر الصوام، وانظروا إلى وجه العليم العلام، وادخلوا إلى دار السلام، واسكنوا القصور والخيام، وتمتعوا بالحور والخدام، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن الرجل يوم القيامة ليشرف على أهل النار فيناديه الرجل فيها: يا فلان، أما تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك، فأخبرني من أنت؟ فيقول: أنا الذي استسقيتني في اليوم الفلاني فأسقيتك أتذكر ذلك اليوم؟ قال: بلى والله قد عرفتك الآن وعلى مكافأتك اليوم أشفع[1] لك بها عند ربك**)) .

قال: ((**فيدخل ذلك الرجل على الله تعالى في زروة فيقول: يا رب إني أشرفت على النار فناداني رجل: يا فلان أما تعرفني؟ فقلت: لا والله، فقال: أنا الذي أسقيتك شربة من الماء فعرفته، وقد قصدتك يا إلهي أسألك أن لا تضيع عمله وشفعني فيه، فإنك لا تضيع أجر من أحسن عملاً لوجهك الكريم، يا أكرم الأكرمين، فيقول الله تعالى: اذهب فأخرجه من النار، وأدخله الجنة، فقد وهبته لك، وإني لا أضيع أجر من أحسن عملاً**)) .

***

(١) قال القاضي عياض رحمه الله: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وأمثالها، وبخبر الصادق ﷺ فقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، وإخراج من استوجب النار. النووي في شرح مسلم (٣/ ٣١)، ط. دار الكتب العلمية.

الباب السابع والعشرون

في فضائل ليلة القدر[1]

قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2] [القدر: ١].

اعلموا أسعدنا الله وإياكم أن في القرآن ست سور لا يخالطها حكم ولا قصة ولا أمر ولا نهي.

أحدها: سورة يوسف عليه السلام، في قصة يوسف.

الثاني: سورة القارعة في ذكر القيامة.

والثالث: سورة الفيل في ذكر الفيل والطير الأبابيل.

والرابع: سورة تبت في ذكر أبي لهب.

والخامس: سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صفات الله تعالى.

والسادس: سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ في ذكر ليلة القدر.

قال المفسرون في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، أي جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى إلى الأرض في شهر رمضان لشرفه، فأنزلت الصحف أوّل ليلة من رمضان، والتوراة أنزلت من السماء لست ليال من رمضان، والإنجيل لثلاثة عشر ليلة، والزبور لثمانية عشر ليلة، والقرآن لأربع وعشرين ليلة ، نزل به جبريل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في تلك الليلة، وجعله في بيت العزة، ثم نزل به جبريل نجومًا في نيف وعشرين سنة، فكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ في شهر رمضان حتى يقرأ عليه جميع ما نزل به في تلك السنة.

فإن قيل: التوراة والإنجيل والزبور والصحف نزلت جملة واحدة والقرآن أنزل متفرقًا؟

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٠١٧)، كتاب فضل ليلة القدر، ٣-باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ((تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)) .

(٢) وقال العلماء: سميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به، وتقديره له، وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها، وأجمع من يعتد به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر، للأحاديث الصحيحة المشهورة، النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٦).

فالجواب عنه: أن التوراة نزلت جملة واحدة فصارت عقوبة على بني إسرائيل، حيث عرضت عليهم فلم يقبلوها، فرفع الجبل فوق رءوسهم. وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف : ١٧١]، فقبلوها كرهًا.

والقرآن نزل نجمًا نجمًا، فصار سبب الرحمة لهم، وذلك أن جبريل نزل بالآية والآيتين، فقبلته أمة محمد ﷺ لا كرهًا.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، ولم يقل في يوم القدر؟

فالجواب عنه : أن تمام الأنس وكمال السرور في الليالي دون الأيام. قال تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، يعني وهي قراءة للقرآن وكرامات الأنبياء كانت بالليل.

ألا ترى في قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾، وفي قصة لوط: ﴿نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

وفي قصة موسى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾.

وهكذا خص الله تعالى النبي ﷺ بخمس ليال: ليلة المعراج، وليلة البراءة، وليلة القدر، وليلة انشقاق القمر، وليلة الجن. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، فالليل أُنسُ المحبين وقرة عين المشتاقين.

واختلف العلماء في هذه الليلة، فمنهم من قال[1]: إنها ليلة السابع والعشرون؛ روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ إذ ذكروا ليلة القدر، ومعهم ابن عباس فتكلم كل رجل منهم بما سمع فيها، وابن عباس لم يتكلم وهو ساكت،

---

(١) قال القاضي: واختلفوا في محلها، فقال جماعة: هي متنقلة، تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى، وهكذا، وبهذا يجمع بين الأحاديث، ويقال: كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها، قال: ولحو هذا قول مالك والثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم. قالوا: وإنما تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، وقيل: بل هي في كله، وقيل: إنها معينة فلا تنتقل أبدًا، بل هي ليلة معينة في جميع السنين لا تفارقها، وعلى هذا قيل: في السنة كلها ، وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه، وقيل: بل في شهر رمضان كله، وهو قول ابن عمر وجماعة من الصحابة، وقيل: بل في العشر الوسط والأواخر، وقيل: في العشر الأواخر، وقيل: تختص بأوتار العشر، وقيل: بأشفاعها، كما في حديث أبي سعيد، وقيل: بل في ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، وهو قول ابن عباس، وقيل: تطلب في ليلة سبع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وحكي عن علي وابن مسعود ، وقيل: ليلة ثلاثة وعشرين وهو قول كثيرين من الصحابة وغيرهم، وقيل: ليلة أربع وعشرين وهو محكي عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة، وقيل: ليلة سبع وعشرين وهو قول جماعة من الصحابة، وقيل: سبع عشرة وهو محكي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضًا ، وقيل: تسع عشرة، وحكي عن ابن مسعود أيضًا وحكي عن علي أيضًا، وقيل: آخر ليلة من الشهر. شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٧)، ط. دار الكتب العلمية.

فقال له عمر ﷺ: ما تقول يا ابن عباس؟ فقال: إن الله وتراً يحب الوتر، فخلق أعضاء الإنسان سبعة، وجعل أرزاقهم من سبعة، وجعل ما يقع من الإنسان في السجود على سبعة، وقسم المواريث بينهم على سبعة، وجعل أيام الدنيا تدور على سبعة، وحرم من نكاح الأقارب سبعة، وأعطى نبيه المثاني سبعة، وطاف رسول الله ﷺ بالبيت سبعًا، وبين الصفا والمروة سبعًا، والجمرات سبعة، فقال: إنها في السبع الأواخر، فتعجب عمر وقال: يا قوم من كان يروي فليرو رواية ابن عباس.

ويقال: عدد كلمات هذه السورة ثلاثون، فقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ هي الكلمة السابعة والعشرون، فدلت أنها ليلة السابع والعشرين.

وقيل: إن الله تعالى أخفى ثلاثة في ثلاث: أخفى الأرزاق في الاكتساب، وأخفى رضاه في الطاعات، وأخفى ليلة القدر في شهر رمضان.

وروي عن جعفر بن محمد [(١)] أنه قال: من قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ سبع مرات بعد العشاء الآخرة عوفي من شر ما ينزل من السماء إلى الأرض حتى يصبح، ولو حلفت لصدقت أن قارئها لا يفرغ من قراءتها حتى يكتب له براءة من النار. ومن قرأها عند طلوع الشمس صلت عليه سبعين صلاة، وترحم عليه سبعين رحمة، وما قرأها أحد في بقعة من بقاع الأرض إلا أسكن الله فيها ملكًا يستغفر له إلى يوم القيامة، وتباعد عنه الشياطين مسيرة ألف عام.

وقال بعض العلماء: ما أدري كيف يقضي دين من عليه دين وهؤلاء يقرأوها.

وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ قال: «**حجوا واعتمروا، وصلوا وصوموا وارجو لقارئها مثل أجوركم**» [(٢)].

وقال ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على قارئها في كل ليلة جمعة سبع مرات**».

وقال ﷺ: «**لا أدري كيف صلاة من لا يقرأ فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾**» [(٣)].

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾؟

---

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبدالله القرشي الهاشمي العلوي المدني الصادق، صدوق، فقيه، إمام ، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، توفي (١٤٨، ١٤٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٣٢)، الكاشف (١/ ١٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٩٨)، سير الأعلام (٦/ ٢٥٥)، الحلية (٣/ ١٩٢)، طبقات الحفاظ (٧٢)، نسيم الرياض (١/ ٩٧).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٦٦).

(٣) من علامة ليلة القدر ما رواه مسلم (٢٢٠)، كتاب الصيام، ٤٠ -باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، عن أبي بن كعب وفيه: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ: «إنها تطلع يومئذ لا شعاع لها».

فالجواب: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: عرض على النبي ﷺ أعمار الأمم الذين كانوا قبله وأعمار أمته، فكأنه استقل أعمار أمته مخافة أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، أنزل الله تعالى إليك خيراً من ذلك، قال: «وما ذاك يا جبريل؟» قال: ليلة القدر خير من ألف شهر[1].

وفي الخبر: «إذا كان ليلة القدر يبعث الله تعالى جبريل مع ألف ملك، وميكائيل كذلك، ومعهم لواء الحمد فينصب على ظهر الكعبة، وله أربع ذوائب: ذؤابة بالمشرق، وذؤابة بالمغرب، وذؤابة تحت العرش، وذؤابة تحت الكرسي مكتوب فيه: أمة مذنبة ورب غفور» .

● **فوائد:**

الأولى: في مستدرك الحاكم بسنده، قال: حدثني مرثد عن أبيه قال: قلت لأبي ذر: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر ليلة القدر؟ قال: نعم، قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أم في غيره؟ [2] قال: «بل في رمضان» . قلت: يا رسول الله، أخبرني أهي مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «لا، بل إلى يوم القيامة» . قلت: يا رسول الله، أخبرني في أي رمضان هي؟ قال: «في العشر الأواخر، ولا تسألني عن شيء بعد هذا» ، فقلت: أقسمت عليك بحقي عليك يا رسول الله، أي عشر هي؟ قال: فغضب غضباً ما غضبه عليّ قبل، ولا بعد مثله، وقال: «لو شاء الله لأطلعكم عليها، التمسوها في السبع الأواخر، ولا تسألني عن شيء بعدها».

الثاني: أخفى الله تعالى خمسة أشياء في خمسة أشياء: أخفى الله الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس[3]. وأخفى الاسم الأعظم في الآيات. وأخفى الصالحين بين المؤمنين.

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٠٢٣)، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، عن أنس عن عبادة ابن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» .

(٢) قال القاضي: وشذ قوم فقالوا: رفعت لقوله ﷺ حين تلاحى الرجلان: «فرفعت»، وهذا غلط من هؤلاء الشاذين لأن آخر الحديث يرد عليهم، فإنه قال: «فرفعت وعسى أن يكون خيرًا لكم فالتمسوها في السبع أو التسع»، هكذا هو في أول صحيح البخاري، تقدم قبل هذا، وفيه تصريح بأن المراد برفعها رفع بيان علم عينها، ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها. النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٧).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢٠٦)، كتاب المساجد، ٣٦-باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، عن عبدالله ابن مسعود، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا» . وقال النووي: اختلف العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الصلاة الوسطى المذكورة في القرآن، فقال جماعة: هي العصر، وممن نقل هذا عنه: علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبو أيوب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة... وغيرهم، قال الترمذي: هو قول أكثر العلماء من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم، وقال الماوردي من =

وأخفى الساعة الشريفة في يوم الجمعة وهي ساعة الإجابة. وأخفى ليلة القدر في ليالي رمضان.

والحكمة في ذلك أن يصلي العبد خمس صلوات ويقول: عسى أن أدرك ساعة الإجابة، ويدعو بالقرآن كله ويكرم جميع الفقراء، ولا يعصي الله تعالى في يوم الجمعة، ويحيي العشر الأخر من شهر رمضان.

الثالثة: قاعدة حسنة ذكرها الشيخ القدوة العارف بالله أبو الحسن الجوني، قال: إذا كان صوم رمضان برؤية الهلال مثلاً ليلة الخميس، فمن الخميس للخميس للخميس الثالث خمسة عشر يومًا، فتكون ليلة القدر والعلم عند الله ليلة الجمعة الثالث والعشرين منه، وإذا كان الصوم بالرؤية ليلة الجمعة، فمن الجمعة إلى الجمعة إلى الجمعة الثالثة خمسة عشر يومًا، تكون ليلة القدر ليلة الجمعة التاسع والعشرين منه، وإذا كانت الرؤيا ليلة السبت[1] فتكون ليلة القدر ليلة الجمعة الحادي والعشرين، وإذا كانت الرؤية ليلة الإثنين، فمن الإثنين إلى الإثنين إلى الاثنين الثالث خمسة عشر يومًا، فتكون ليلة القدر ليلة الجمعة التاسع عشر، هكذا وجد في مجمع الزهور لابن رجب.

وإذا كانت الرؤية ليلة الثلاثاء، فتكون ليلة القدر ليلة الجمعة الخامس والعشرين منه.

وإذا كانت الرؤية ليلة الأربعاء، فمن الأربعاء إلى الأربعاء إلى الأربعاء الثالث خمسة عشر يومًا، فتكون ليلة القدر ليلة الجمعة السابع عشر، هكذا قال والله أعلم.

الرابعة: إن لليلة القدر علامات، فمن علاماتها: أنها ليلة طلقة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها، فمن أدركها فليطل في الدعاء والتمني وليقل: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»[2].

وينبغي أن لا يعلم بها أحدًا، وأن يدعو بما أحب واختار من عز الدنيا والآخرة.

وقال الشافعي: يستحب أن يكثر فيها من الدعوات المهمات للمسلمين، ويستحب أن يقومها لقوله ﷺ[3]: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[4].

=أصحابنا : هذا مذهب الشافعي رحمه الله لصحة الأحاديث فيه، وقالت طائفة: هو الصحيح، وممن نقل هذا عنه عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وقال طائفة: هي الظهر، وغيرهم: المغرب، وقال غيرهم: العشاء، مختصر من شرح مسلم للنووي (٥/ ١٠٩).

(١) هكذا بالأصل الذي بين أيدينا في الصف، ولعل الصواب أن يكون: «فمن السبت إلى السبت إلى السبت الثالث خمسة عشر يوماً».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٣)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (١٧٦-٧٦٠).

(٤) وأخرجه أيضًا الترمذي (٦٨٣)، كتاب الصوم ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، والنسائي (٤/ ١٥٧-المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤١، ٢٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٠، ١٠٦).

● وهذه فوائد:

الأولى: روي أن موسى عليه الصلاة والسلام لما ناجى ربه قال: يا رب هل أكرمت أحدًا مثل ما أكرمتني؛ أسمعتني كلامك شفاهًا؟! فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، إن لي عبادًا أخرجهم في آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان، أكون إليهم أقرب منك؛ فإن كلمتك وبيني وبينك سبعون ألف حجاب، فإذا صلت أمة محمد وابيضت شفاههم، واصفرت ألوانهم رفعت الحجب عنهم عند إفطارهم. فطوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه في رمضان فإني لا أجازيهم دون لقائي، ولخلوف فم الصائم عندي أطيب من ريح المسك.

فإذا قاموا ليلة القدر غفرت لهم ذنوبهم [١].

الثانية: من قرأ سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأعطي ليلة القدر.

الثالثة: قال السمرقندي في مقدمته: روي أن رسول الله ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إلى آخرها، كتب الله له ثواب عبادة خمسين سنة صيام نهارها، وقيام ليلها، فإن قرأها مرتين أعطاه الله تعالى ما يعطي الخليل والكليم والحبيب، فإن قرأها ثلاث مرات فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء بلا حساب ولا عذاب**» [٢].

الرابعة: في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، قال الشعبي [٣] وغيره: تقديره: إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك يا محمد في ليلة القدر.

روي أن نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في جبل حراء في ابتداء نبوته، وهو يتعبد في غار حراء بمكة، كان ابتداء نزوله في العشر الأواخر من شهر رمضان، وسماها بليلة القدر، أي ليلة الحكم؛ لأن الله تعالى يحكم فيها لكل من يحج في ذلك العام إلى بيته الحرام،

---

(١) ما ورد في البخاري ومسلم، قال النووي في قوله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»: هذا مع الحديث المتقدم: «من قام رمضان»، قد يقال: إن أحدهما يغني عن الآخر؟ وجوابه أن يقال: قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران وإن لم يقم غيرها، النووي في شرح مسلم (٦/ ٣٧)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٦٧).

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الحميري الكوفي الهمداني، ثقة مشهور، فقيه، فاضل، أخرج له الستة، توفي سنة (١٠٩، ١٠٥، ١٠٤)، انظر ترجمته في التهذيب (٥/ ٦٥)، التقريب (١/ ٣٨٧)، وقد تقدمت ترجمته بأوسع من هذا من قبل.

فيأمر الملائكة فيكتبون لهم سجلات وتواقيع كما يكتب الملك التشريف لمن يأمر له بوظيفة أو إقطاع أو ولاية أو غير ذلك.

قال: فتخرج التواقيع بأسماء من حج وأسماء أبائهم فلا يترك منهم أحداً، ولا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم واحد، كما حكم الله تعالى وقدر لهم، وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم.

وسميت ليلة القدر لجلالة قدرها وعظمتها.

وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ هذا تفخيم لها ، نقل البخاري في صحيحه عن سفيان بن عيينة أنه قال: كل ما كان في القرآن: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أعلمه به، وكل ما في القرآن من قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فإنه لم يعلمه به[1].

وكلام العلماء في تسميتها بهذا الاسم كثير لا ينحصر، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، والألف شهر عبارة عن ثمانين سنة وثلاثة أعوام وثلث عام.

أي أن هذه الليلة تعدل ألف شهر [2] لم يكن فيها ليلة القدر، وهي مدة خلافة بني أمية.

وقيل: إن رجلاً حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر [3] ، فتعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، التي حمل الرجل فيها السلاح. يقوم الليل حتى يصبح، ويجاهد العدو بالنهار حتى يمسي.

وقيل: عنى بالألف شهر جميع الدهر.

---

(١) عدا قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾، فقد أدراه بهذا.

(٢) روى الترمذي في سننه (٣٣٥٠)، كتاب التفسير، باب من سورة القدر، عن الحسن بن علي لما قال له رجل بعدما اصطلح مع معاوية: سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين، فقال: لا تؤنبني رحمك الله، فإن النبي ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ يا محمد، يعني نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ يملكها بنو أمية يا محمد، قال القاسم: فعددناها فإذا هي ألف شهر، لا يزيد يوم ولا ينقص.

(٣) روى ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر. وقال ابن جرير بسنده: عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٠).

وقيل: كان ملك سليمان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة، فهي خير من ذلك.

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[1] أي تهبط ملائكة كل سماء إلى الأرض يؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر.

تنزل الملائكة لبركة هذه الليلة، وتنزل معها البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيمًا له.

والروح، قيل: هو جبريل. ينزلون بإذن ربهم ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن جبريل عليه السلام ينزل ليلة القدر في كوكبة من الملائكة، ومعه لواء أخضر فيركبه على الكعبة.

ثم تنصرف الملائكة في الناس فيسلموا على كل قائم وقاعد وذاكر وراكع وساجد إلى أن يطلع الفجر.

الخامسة: اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيراً. قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني [2] رحمه الله: تحصّل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولاً كما وقع نظر ذلك في صلاة الجمعة. وقد اشتركا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما، ونحن نذكر ذلك باختصار:

القول الأول: إنها وقعت أصلاً ورأسًا، حكاه المتولي.

القول الثاني: إنها خاصة بسنة واحدة، وقعت تلك السنة في زمن رسول الله ﷺ، حكاه الفاكهاني.

القول الثالث: إنها خاصة لهذه الأمة، ولم تكن في الأمم قبلهم، جزم به ابن حبيب من المالكية.

ونقله عن الجمهور صاحب العدة من الشافعية.

---

(١) أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وأما الروح فقيل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم ضرب من الملائكة. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣١).

(٢) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، المصري الشافعي، قال السيوطي عنه في تذكرة الحفاظ (٥٤٧): شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي، فبلغها وزاد، ولما حضر العراقي الوفاة قيل له: من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبا زرعة ، ثم الهيثمي..

القول الرابع: إنها ممكنة في جميع السنة، وهو مشهور عند الحنفية غير قاضي خان.

الخامس: إنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه. قال به بعض الحنفية وابن المنذر والمحاملي، وبعض الشافعية، ورجحه السبكي [1] في شرح المنهاج.

السادس: إنها أول ليلة في شهر رمضان لحديث رواه أنس، نقله ابن رزين.

السابع: إنها ليلة النصف من رمضان حكاه ابن الملقن في شرح العمدة.

الثامن: إنها في النصف الأخير من رمضان، حكاه السروجي الحنفي في شرحه.

التاسع: إنها ليلة سبع عشر من رمضان. رواه ابن أبي شيبة والطبراني.

العاشر: إنها مبهمة في العشر الأوسط، حكاه النووي وعزاه للطبراني، وقال به بعض الشافعية [2].

الحادي عشر: إنها ليلة ثمان عشرة. قرئ بخط القطب الجيلي في شرحه، وذكره ابن الجوزي في مشكله.

الثاني عشر: إنها ليلة تسعة عشر. رواه عبدالرزاق، وكذا الطبري والطحاوي[3].

الثالث عشر: إنها أول ليلة من العشر الأخيرة، وإليه مال الشافعي، وجزم به جماعة من الشافعية.

الرابع عشر: إن كان الشهر تامًا فهي ليلة العشرين، وإن كان ناقصًا، فهي ليلة إحدى وعشرين، وهو قول ابن حزم.

الخامس عشر: إنها ليلة اثنين وعشرين لحديث ورد فيه .

---

(١) هو الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي الأشعري، المتوفى سنة (٧٥٦).

(٢) انظر ما تقدم النووي في شرح مسلم والآراء المختلفة في ليلة القدر، وفي أي ليلة هي. وقال النووي في موضع آخر: وأكثر العلماء على أنها ليلة مبهمة من العشر الأواخر من رمضان، وأرجاها أوتارها وأرجاها ليلة سبع وعشرين وثلاث وعشرين وإحدى وعشرين، وأكثرهم أنها ليلة معينة لا تنتقل. وقال المحققون: إنها تنتقل فتكون في سنة ليلة إحدى، وليلة أخرى، وهذا أظهر، وفيه جمع بين الأحاديث المختلفة، انظر شرح مسلم للنووي (٦/ ٣٩).

(٣) الطحاوي هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الأزدي الحجري المصري الطحاوي الفقيه الحنفي، المحدث الحافظ ، أحد الأعلام، ولد سنة (٢٣٩)، وكان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً لم يخلف مثله، انتهت إلى أبي جعفر رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر أحمد بن أبي عمران، كان شافعيًا يقرأ على المزني فقال له يومًا: والله لا جاء منك شيء، فغضب من ذلك وانتقل إلى ابن أبي عمران، صنف رحمه الله الآثار، ومعاني الآثار، واختلاف العلماء، والشروط، وأحكام القرآن، توفي رحمه الله (٣٢١)، تاريخ الإسلام وفيات (٣٢١).

السادس عشر: إنها ليلة ثلاثة وعشرون. رواه مسلم[(١)] .

السابع عشر: إنها ليلة أربع وعشرين. رواه الطيالسي.

الثامن عشر: إنها ليلة خمسة وعشرين. عزاه ابن الجوزي في المشكل لأبي بكرة، وحكاه ابن العربي.

التاسع عشر: إنها ليلة ست وعشرين.

العشرون: إنها ليلة سبع وعشرين، وهذا عليه جمع كثير من الصحابة وغيرهم.

الحادي والعشرون: إنها ليلة ثمان وعشرين.

الثاني والعشرون: إنها ليلة تسع وعشرين، حكاه ابن العربي.

الثالث والعشرون: إنها ليلة الثلاثين، حكاه القاضي عياض.

الرابع والعشرون: إنها في أوتار العشر الأخيرة، وعليه يدل حديث عائشة، وهو أرجح الأقوال، وقال به المزني وابن خزيمة وجماعة من علماء المذهب.

الخامس والعشرون: إنها تتنقل في العشر الأخير كله، قاله أبو قلابة، ونص عليه مالك والنووي وأحمد وزعم الماوردي أنه متفق عليه.

السادس والعشرون: إن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين.

السابع والعشرون: إنها ليلة سبع وعشرون.

الثامن والعشرون: إنها تنتقل في السبع الأواخر.

التاسع والعشرون: إنها تنتقل في النصف الأخير.

الثلاثون: إنها ليلة ستة عشر أو سبعة عشر أو تسعة عشر.

الحادي والثلاثون: إنها ليلة سبعة عشر أو إحدى وعشرين، رواه سعيد بن منصور.

الثاني والثلاثون: إنها أول ليلة من رمضان أو آخر ليلة منه.

الثالث والثلاثون: إنها أول ليلة أو تاسع ليلة أو سابع عشر أو إحدى وعشرين، أو آخر ليلة. رواه ابن مردويه.

الرابع والثلاثون: إنها ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، لحديث ابن عباس: لسبع يمضين أو لسبع يبقين.

الخامس والثلاثون: إنها ليلة إحدى وعشرون أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين.

---

(١) انظر الحديث (٢١٨-١١٦٨)، كتاب الصيام، ٤٠-باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، عن عبدالله بن أنيس أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبحها أسجد في ماء وطين» قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه.

السادس والثلاثون: إنها منحصرة في السبع الأواخر[(١)] من رمضان.

السابع والثلاثون: إنها ليلة اثني وعشرين أو ثلاث وعشرين[(٢)].

الثامن والثلاثون: إنها في أشفاع العشر الأوسط أو العشر الأواخر[(٣)].

التاسع والثلاثون: إنها الليلة الثالثة من العشر الآخر أو الخامسة منه، رواه الإمام أحمد.

القول الأربعون: إنها ليلة السابع من أول النصف الثاني، والله أعلم.

وقال ابن العربي: الصحيح أنها لا تعلم، وأنكر هذا النووي وقال بظاهر من الأحاديث بإمكان العلم بها، وأخبر بها جماعة من الصالحين.

وقال جماعة من العلماء: من وفقه الله لقيامها فقامها ولم تظهر له حصل له الثواب المرتب على قيامها[(٤)]. قال به جماعة من الصالحين.

(وقال جماعة من العلماء: من وفقه الله لقيامها فقامها ولم تظهر له حصل له الثواب المرتب على قيامها)[(٥)].

قال به جماعة من العلماء، ورده آخرون، وأنشدوا في المعنى:

يا رجال الليل جدوا ... ربَّ داع لا يُــــرد

ما يقـــوم الليل إلا ... من لـــه عزم وجد

فليلة القدر عند المحبين هي ليلة الحضرة بأنس مولاهم، اسمع يا من ضاع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر، فإنها بالعمر كله.

---

(١) الحديث في البخاري (٢٠١٥)، كتاب فضل ليلة القدر، ١-باب فضل ليلة القدر، عن ابن عمر. ومسلم (٢٠٥- ١١٦٥)، كتاب الصيام، ٤٠-باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها.

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢١٧)، كتاب الصيام، ٤- باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، عن أبي سعيد الخدري: قال اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان ، يلتمس ليلة القدر قبل أن تبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر، فأمر بالبناء فأعيد ، ثم خرج على الناس فقال: «يا أيها الناس، إنها كانت أبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»، قال: قلت: يا أبا سعيد، إنكم أعلم بالعدد منا، قال: أجل، نحن أحق بذلك منكم، قال: قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها ثنتان وعشرون، وهي التاسعة ، فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة.

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) قال النووي: واعلم أن ليلة القدر موجودة كما سبق بيانه، فإنها ترى ويتحققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث، وأخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، وأما قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صفرة: لا يمكن رؤيتها حقيقة، فغلط فاحش، نبهت عليه لئلا يغتر به والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٨/ ٥٣).

(٥) مكررة.

إخواني المعول على القبول فكم قائم محروم، وكم نائم مرحوم، هذا نام وقلبه ذاكر، وهذا قام وقلبه فاجر.

العناية إذا ساعدت ألحقت القائم بالنائم، ولكن العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات والاجتهاد في الأعمال الصالحات، وكل ميسر لما خلق له.

لو قام المذنبون في هذه الأسحار على قدم الإنكار ورفعوا قصصهم إلى من يعلم الأسرار لسامحهم وغفر لهم، وهو العزيز الكريم الغفار، شعر:

يـــا رب عبـــدك قـــد أتـــاك ... وقد أساء وقـــد هفـــا
يكفـــيك مـــنه حـــياؤه ... من ســوء مـــا قـــد أسلفـــا
حمـــل الذنـــوب على الذنـــوب ... المـــوبقـــات وأســـرفـــا
وقد استجـــار بذيـل عفـــوك ... مـــن عقـــابك ملحفـــا
يا رب فاعـــف وعافـــه ... فلأنت أولى مـــن عفـــا
يا أيها العبد قـــم لله مجتـــهداً ... وانهض كما نهضوا من قبلك السعدا
هذه ليال الرضا وافت وأنت على ... فعل القبيح مصر ما جلوت صرا
طوبى لمن مرة في العمـــر أدركت ... ونال منها الذي يبغيه مجتـــهدا
فليلة القدر خير قال خالقـــنا ... من ألف شهر فيهناً من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزلـــه ... بعلمه وبهذا النص قـــد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمـــن ... يرى من الكشف كي يعطى بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك مـــن ... عند المهيمن لن يحصي لهم عددا
يا فوز عبد رآها إنـــه رجـــل ... قد عاش في الدهر عيشًا ناميًا رغدا
وفاز بالأمن والقرآن مغتبطـــًا ... ونال مـــا يرتجي من ربه أبـــدا
فاطلب من الله إن وافيتها سحـراً ... جنان عدن تكن من جملة السعدا
وابك ونح وتضرع في الدجا أسفًا ... ولذ بجاه شفيع المذنبين غـــدا
خير البرية من عرب ومن عجـم ... محمد خير مبعوث بدين هُـــدا
الهاشمي الذي شاعت رسالـــته ... جهرًا وأسخى الورى بالمكرمات بدا
هو البشير النذير المستضاء بـــه ... ومن بإحسانه عم الوجود بـــدا
وإنه خير من يمشي على قـــدم ... وخير من كان مولودًا ومن ولـدا
صلى عليه إله العرش ما طلعـت ... شمس وما سار سارٍ في الفلا وحدا

اللهم لا تحرمنا هذه الليلة العظيمة، ووفقنا لقيامها والعمل فيها بما تحب وترضى برحمتك يا أرحم الراحمين.

الباب الثامن والعشرون

في صدقة الفطر والتكبير وفضل صلاة العيد

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل الخروج إلى الصلاة**» (١).

قال بعضهم: سميت صدقة الفطر زكاة (٢)، لأنها تزكي النفس وتطهرها، فزكاة الفطر واجبة على القادر وهو من فضل من قوته وقوت من تلزمه نفقته وقت إيجاب الزكاة، فإن لم يفضل من نفقته شيء لم يلزمه شيء لأنه غير قادر، وتجب بغروب الشمس ليلة العيد من آخر يوم من رمضان لأنها طهرة للصائم، كما قال النبي ﷺ: «**صدقة الفطر طهرة من الرفث واللغو وطعمة للمساكين**».

● **وفيه مسائل:**

الأولى: إذا قدر على إخراج الفطرة فالسنة أن يؤخرها عن صلاة العيد؛ لأن النبي ﷺ أمر أن تؤدى قبل الخروج إلى المصلى (٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٣)، كتاب الزكاة، ٧٢- باب فرض صدقة الفطر، عن ابن عمر، ومسلم في صحيحه (١٢-١٦)، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير. والترمذي (٦٧٥)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في صدقة الفطر، وأبو داود (١٦١١، ١٦١٢)، كتاب الزكاة باب كم يؤدى في صدقة الفطر، والنسائي (٥/ ٤٨، ٥١-المجتبى).

(٢) قال النووي: اختلف الناس في معنى: (فرض) فقال جمهورهم من السلف والخلف: معناه ألزم وأوجب. فزكاة الفطر فرض واجب، واجب عندهم لدخولها في عموم قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولقوله: «فرض» وهو غالب في استعمال الشرع بهذا المعنى، وقال إسحاق بن راهويه: إيجاب زكاة الفطر كالإجماع، وقال بعض أهل العراق وبعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعي وداود في آخر أمره: إنها سنة ليست واجبة، وقال أبو حنيفة: هي واجبة ليست فرضًا بناء على مذهبه. النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٠).

(٣) في وقت وجوبها فيه خلاف للعلماء، فالصحيح من قول الشافعي أنها تجب بغروب الشمس ودخول أول جزء من ليلة عيد الفطر، والثاني: تجب لطلوع الفجر ليلة العيد، وقال أصحابنا: تجب بالغروب والطلوع معًا، فإن ولد بعد الغروب أو مات قبل الطلوع لم تجب، وعن مالك روايتان كالقولين، وعند أبي حنيفة تجب بطلوع الفجر، قال المازري: وفي قوله الفطر من رمضان دليل لمن يقول: لا تجب إلا على من صام من رمضان ولو يومًا واحدًا، قال: وكان سبب هذا أن العبادات التي تطول ويشق التحرز منها من أمور تفوت كما لها جعل الشرع فيها كفارة مالية بدل النقص كالهدي في الحج والعمرة. النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٠، ٥١).

المسألة الثانية: يحرم على القادر أن يؤخرها عن يوم العيد، لقوله ﷺ: «اغنوهم عن الطلب في هذا اليوم»[١].

الثالثة: إذا خرج يوم العيد وفات وانقضى صارت قضاء، فيلزمه قضاؤها لأنه أخرجها عن الوقت.

الرابعة: إذا كان الزوج معشراً فالأصح المنصوص من مذهب الشافعي كما قال النووي: لا يلزم الحرة أن تخرج عن نفسها.

الخامسة: إذا كانت المرأة ناشزة من زوجها لا يجب على الزوج لها نفقة، ولا يجب عليه فطرتها.

السادسة: إذا هرب للإنسان عبد أو أمة وانقطع خبره فالمذهب أنه يجب على سيده إخراج زكاة الفطر عنه، فيخرج عن كل واحد ممن يلزمه نفقته صاعًا من بر وهو القمح، والصاع قدحان بالمصري سالمًا من الطين والغلت والعيب، ولا يخرج في مصر إلا القمح وفي غيرها يجوز مما هو قوتهم حتى من اللبن والسمك واللحم.

قال النووي: الواجب: السليم ، فلا يجوز العتيق المتغير الطعم ولا اللون ولا الرائحة، ولا المسوس ولا المدود؛ لأنه تعالى طيب لا يقبل إلى طيبًا؛ ولا تجزئ قيمته عند الشافعي، وتجزئ عند الإمام أبي حنيفة دراهم، ولا يجزئ الدقيق، ولا الخبز ولا السويق[٢] ، ولا يجوز تأخير الزكاة عن يوم العيد، لكن إذا خرج عنها بالنية وقال: هذه لفلان، ولم يتيسر له الاجتماع بمن سماهم فإن هذا جائز لأنه لم يؤخر إخراجها عن يوم العيد، في المعنى نص على ذلك أصحاب الشافعي، ويستحب الإخراج قبل الغدو إلى المصلى لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

ويجوز إخراج زكاة الفطر في شهر رمضان على سبيل التعجيل؛ لأن هذا خير ولا يذم في الخير عجول.

قال في شرح المهذب: جوزها الإمام مالك وأبو حنيفة وأحمد إلى فقير واحد فقط.

---

(١) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٨٣)، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٣٢)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٣٢).

(٢) اختلف في النوع المخرج، فأجمعوا أنه يجوز البر والزبيب والتمر والشعير إلا خلافًا في البر لمن لا يعتد بخلافه، وخلافًا في الزبيب لبعض المتاخرين، وكلاهما مسبوق بالإجماع، مردود به، وأما الأقط فأجازه مالك والجمهور، ومنعه الحسن، وقال مالك على الخمسة كل ما هو عيش أهل كل بلد من القطاني وغيرها، ولم يجز عامة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازه أبو حنيفة. النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٢).

وقال في رحمة الأمة في اختلاف الأئمة: يجوز فطرة جماعة على مسكين واحد وأن يدفعها للفقراء المحتاجين الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين للآخرة. فقد قال النبي ﷺ: «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي»[١]؛ لأن التقي [٢] يستعين بما دفعته له على التقوى فيكون شريكًا له في طاعة ربه، وكان بعضهم يطعم طعامه الصوفية، ويقول: هؤلاء شغلهم عبادة الله تعالى، فإذا طرقهم تشتت شملهم فإذا رددت همة واحد منهم إلى الله تعالى كان ذلك أحب أن تعطى ألف نفس ممن همه الدنيا وجمعها.

ونقل بعضهم: إنه كان يخص بجميع معروفه أهل العلم ، فكان لا يتصدق ولا يدفع زكاته إلا لهم، فسألوه في ذلك فقال: لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء، فإذا اشتغل أحد منهم بحاجة يتفرغ للعلم فتفريغهم للعلم أفضل، وينبغي للذي يأخذ منك لا يشكر إلا الله، فإن الله تعالى هو الذي سخرك أن تعطيه، لأن الله هو المعطي المانع، وهو الضار النافع، وقيل: أرسل النبي ﷺ بعض الصدقة إلى بعض الفقراء، وقال للذي معه الصدقة: «احفظ ما يقول»، فلما أتى له بما معه أخذه منه وقال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره. ثم قال: اللهم إنك لم تنسني فاجعلني لا أنساك . قال: فجاء القاصد وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسر بذلك وقال: «رد الحق إلى أهله» [٣] .

وينبغي أن يدفع معروفه إلى أقاربه وذوي رحمه ليكون صدقة وصلة؛ لأن في صلة الرحم والقرابة الثواب العظيم الذي لا يخفى على كل أحد.

● **فائدة:**

مكث أبو جعفر الحداد نفعنا الله ببركاته عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار، فيتصدق به على الفقراء، ويصوم.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٨٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٤٩، ٢٥٢٢ -موارد)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٢٨)، (٦/ ٨٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار على هامش الإتحاف (١/ ٢٦٩).

(٢) قال النووي: لا تخرج إلا عن مسلم فلا يلزمه عن عبده وزوجته وولده ووالده الكفار وإن وجبت عليه نفقتهم، وهذا مذهب مالك والشافعي وجماهير العلماء، وقال الكوفيون وإسحاق وبعض السلف: تجب عن العبد الكافر، وتأول الطحاوي قوله: (من المسلمين) على أن المراد بقوله: (من المسلمين) السادة دون العبيد، وهذا يرده ظاهر الحديث. النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٢).

(٣) قال الحنفية في صدقة الفطر: الوجوب، ويشترط لوجوبها أمور ثلاثة: الإسلام والحرية وملك النصاب الفاضل عن حاجته الأصلية ولا يشترط نماء النصاب ولا بقاؤه. وقال الحنابلة: زكاة الفطر واجبة بغروب شمس ليلة عيد الفطر على كل مسلم يجد ما يفضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته بعدما يحتاجه من مسكن وخادم ودابة وثياب وكتب علم وتلزمه عن نفسه وعمن تلزمه مؤنته من المسلمين، فإن لم يجد ما يخرجه لجميعهم بدأ بنفسه فزوجته فرقيقه فأمه فأبيه فولده فالأقرب فالأقرب. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٥٣٤).

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «زينوا أعيادكم بالتكبير» (١)، رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

وعن سعد بن أوس الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة» (٢)، رواه الطبراني.

● **مسألة:**

الأخذ من الزكاة أفضل من الأخذ من صدقة التطوع، وإذا ترك المستحق أخذها بلا عذر أثم. وقال الجنيد والخواص: الأخذ من الصدقة أفضل.

وأما صلاة العيد فهي سنة (٣). وأول عيد صلاه النبي ﷺ عيد الفطر، في السنة الثانية من الهجرة، وفيها فرضت زكاة الفطر، قاله الماوردي رحمه الله.

ولا يشترط للعيد مثل ما يشترط للجمعة، لكن تشرع جماعة، وهو الأفضل، وللمنفرد أن يصليها في البلد وخارج البلد.

وقت صلاة العيد: ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، والسنة أن تؤخر حتى ترتفع الشمس كرمح. وصلاة العيد ركعتان، وتعجل في الأضحى لأجل التضحية، وتؤخر في الفطر عنها قليلاً وينادى لها: الصلاة جامعة، وإذا نوى يقول في نيته إن كان الفطر: أصلي صلاة عيد الفطر، وإن كان الأضحى: أصلي صلاة عيد الأضحى، ثم يكبر تكبيرة الإحرام.

فإذا فرغ أتى بدعاء الافتتاح، ثم يكبر سبع تكبيرات غير تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام، وهذه التكبيرات ليست فرضًا ولا بعضًا حتى لو تركها

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٢١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٩٦)، والشجري في أماليه (٢/ ٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤٣).

(٣) هي عند الشافعي وجمهور أصحابه وجماهير العلماء سنة مؤكدة، وقال أبو سعيد الإصطخري من الشافعية: هي فرض كفاية، وقال أبو حنيفة: هي واجبة، فإذا قلنا: فرض كفاية فامتنع أهل موضع من إقامتها قوتلوا عليها كسائر فروض الكفاية، وإذا قلنا: إنها سنة لم يقاتلوا بتركها كسنة الظهر وغيرها، وقيل: يقاتلون لأنها شعار ظاهر. قالوا: وسمي عيدًا لعوده وتكرره، وقيل: لعود السرور فيه، وقيل: تفاؤلاً بعوده على من أدركه كما سميت القافلة حين خروجها تفاؤلاً: سالمة، وهو رجوعها وحقيقتها الراجعة، النووي في شرح مسلم (٨/ ١٤٩).

الإمام أو المأموم أو المصلي وحده عمدًا أو سهوًا فصلاته صحيحة ولا سجود عليه، ويجهر الإمام في الركعتين[(١)].

ثم بعد الصلاة يخطب خطبتين، فإذا فرغ الإمام من الخطبتين فلكل إنسان أن يذهب من طريق غير الطريق التي أتى منها اقتداء بفعله ﷺ.

● **مسألة:**

ما الحكمة في أنه ﷺ كان إذا صلى العيد مضى من طريق غير الطريق التي أتى منها؟

● **فيه فوائد:**

الأولى: أنه كان يذهب من طريق طويلة لأجل كثرة الحسنات في خطاه، ويرجع من طريق قصيرة.

الثانية: إنه ما كان يذهب من طريق ويرجع من أخرى إلا ليتبرك به أهل الطريقين.

الثالثة: إنما كان يفعل ذلك ليستفتى فيفتي من سأله.

الرابعة: إنما كان يفعل ذلك ليتصدق على فقراء الطريقين.

الخامسة: إنما كان يفعل ذلك ليزور أقاربه فيها.

السادسة: إنما كان يفعل ذلك ليشهد له الطريقان.

السابعة: إنما كان يفعل ذلك ليغيظ المنافقين.

الثامنة: إنما كان يفعل ذلك خوفًا من أن يكيده منافق.

التاسعة: إنه ما كان يمر من طريق إلا فاحت في تلك الطريق رائحة كرائحة المسك.

العاشرة: إنما كان يفعل ذلك ليساوي بين الأوس والخزرج؛ لأنهم كانوا يتفاخرون بمروره عليهم ﷺ.

الحادية عشرة: إنما كان يفعل ذلك تفاؤلاً بتغير الحال إلى المغفرة والرضا من الله ﷻ.

الثانية عشرة: إنما كان يفعل ذلك ليخفف الزحام.

وهذا كل من سنته ﷺ.

---

(١) قال الشافعية: صلاة العيد ركعتان كغيرها من النوافل سوى أنه يزيد ندبًا في الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام ودعاء الافتتاح وقبل التعوذ والقراءة سبع تكبيرات يرفع يديه إلى حذو المنكبين في كل تكبيرة، وفي الثانية بعد القيام خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام. وقال الحنابلة: يكبر ست تكبيرات في الأولى وفي الثانية: خمس تكبيرات، ووافقه المالكية , أما الحنفية فقالوا: في الأولى ثلاث تكبيرات، وكذا في الثانية . (الفقه ١/ ٢٧٩، ٢٨٠)، وقد أجملهم النووي فانظر شرح مسلم للنووي (٦/ ١٥٧)، ط. دار الكتب العلمية.

قال النووي في رياض الصالحين: إن سائر العبادات مثل الجمعة والصلاة وغيرهما يستحب الذهاب لها من طريق والرجوع من أخرى، وهي فائدة حسنة.

● **فائدة:**

التهنئة بالعيد مباحة.

● **فائدة:**

يستحب الغسل ليوم العيد لما روى ابن عباس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يغتسل يوم الفطر، ويوم الأضحى، ووقت الاغتسال بعد نصف الليل الأول.

فائدة أخرى: يستحب إحياء ليلتي العيد بالصلاة والعبادة لقول النبي ﷺ: «من أحيى ليلة العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»(١)، رواه الدارقطني.

واختلف العلماء في قوله: «لم يمت قلبه»، فمنهم من قال: لم يفزع من أهوال يوم القيامة، يوم تفزع القلوب.

ومنهم من قال: لم يمت قلبه، أي لم يشتغل بحب الدنيا؛ لأن من أحب الدنيا مات قلبه؛ لحديث: «لا تدخلوا على هؤلاء الموتى»، قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ قال: «هم الأغنياء». ومنهم من قال: لم يمت، يعني: أن الله تعالى يحفظه من الشرك.

قال في الروضة: يحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل.

وقال القاضي حسين: صلاة العشاء في جماعة (٢)، وينوي أن يصلي الصبح في جماعة، وينام، فإذا فعل ذلك فقد أحيى ليلة العيد.

وقد وقع في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٨٢)، كتاب الصيام، باب فيمن قام في ليلتي العيدين، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٩٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٤١٠)، (٥/ ٢٠٦)، والعراقي في المغني (١/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٦).

(٢) في فضل صلاة الجماعة روى مسلم في صحيحه (٢٧٢-٦٤٩)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩-باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة ....» الحديث بطوله، وفي حديث (٢٤٥-٢٤٩): «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا» .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٠-٦٥٦)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٦-باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، عن عثمان بن عفان، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨، ٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٤)، (٣/ ٦١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٧).

قال الشافعي: وبلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة، وليلة العيد، وليلة النصف من شعبان، وأول ليلة من شهر رجب، وينبغي الحث على الطاعات في ليلة العيد، ومنع المعاصي.

فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال[(١)]: «**من عصى الله ليلة -أو قال: في يوم عيد- فكأنما عصى الله ليلة -أو قال: في يوم- الوعيد، ومن عصى الله وهو يضحك أدخله النار وهو يبكي**» .

● **فائدة:**

قال ابن رجب في لطائفه: في ليلة العيد تفرق خلع العتق، والمغفرة على العبيد، فمن ناله منها شيء فله عيد، وإلا فهو مطرود بعيد، فكل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا، هو لهم عيد في الآخرة في الجنة، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم في يوم الجمعة، ويوم الجمعة يدعى في الجنة: يوم المزيد، ويوم العيد والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة.

وفي هذين اليومين يعني العيدين يشارك النساء [(٢)] الرجال كما يشهدون العيدين مع الرجال.

وأما خواص أهل الجنة، فكل يوم لهم عيد يرون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيًا.

يا هذا كم من صائم يعطى يوم العيد المزيد، وكم من صائم يحق عليه الوعيد، كم من صام هذا الشهر على التمام، ثم أقبل يوم العيد على شرب المرام، وركوب الخطايا والآثام.

يقول الله تعالى لملائكته: خذوا صوم هذا العبد وصلاته فاضربوا بهما وجهه واكتبوه في ديوان الأشقياء، وامحوه من ديوان الأولياء.

حكي: أنه مر رجل من بعض الصالحين يوم العيد على جماعة يشربون الخمر، فوقف عليهم وسلم فردوا عليه أحسن رد، فقال: يا قوم، أي يوم هذا؟ قالوا: يوم العيد، فقال لهم: لا يخلو حالكم من أمرين: إما أن يكون صومكم وصلاتكم قُبلتا منكم، أو ردّتا عليكم. فإن

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٥٢)، وفي الأسرار المرفوعة للقاري (٣٥٣).

(٢) قال النووي : قال أصحابنا: يستحب إخراج النساء غير ذوات الهيئات والمستحسنات في العيدين دون غيرهن، وأجابوا عن إخراج ذوات الخدور والمخبأة بأن المفسدة في ذلك الزمن كانت مأمونة بخلاف اليوم، ولهذا صح عن عائشة رضي الله عنها: لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل. قال القاضي عياض: واختلف السلف في خروجهن للعيدين، فرأى جماعة ذلك حقًا عليهن ، منهم أبو بكر وعلي وابن عمر، وغيرهم رضي الله عنهم، ومنهم من منعهن ذلك منهم: عروة والقاسم ويحيى الأنصاري ومالك وأبو يوسف، وأجازه أبو حنيفة مرة ومنعه مرة. شرح مسلم للنووي (٦/ ١٥٥، ١٥٦).

كان قُبلتا فيجب عليكم الشكر لله، وما هذا فعال الشاكرين. وإن كان قد ردتا عليكم ، فيجب عليكم البكاء والحزن، وما هذا أفعال النادمين.

قال: فتابوا على يديه بأجمعهم رحمهم الله أجمعين.

ودخل رجل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم العيد فوجده يأكل خبزاً خشنًا، فقال: ما هذا الذي تأكله يا أمير المؤمنين في يوم العيد؟ فقال: اليوم عيد من قبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه، ثم قال: اليوم عيد وغداً لنا عيد، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد.

وقف عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بعد الصلاة يوم العيد فقال: «اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فإن كنتُ من المحسنين فارحمني، وإن لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة، فاغفر لي، وإن لم أكن مستحقًا لشيء من ذلك فأنا صاحب مصيبة، وقد قلت: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾، اللهم فارحمني».

وقف بشر الحافي [1] يوم العيد في طرق الناس، فقيل له : ألا تتوسع الصفوف؟ فقال: هذا موقف السائل الضعيف، فلما انصرف الناس صاح: إلهي جئنا نرضيك، فياليتنا لا نعصيك. اللهم ارحمنا، اللهم مسني الضر يا رب العالمين. شعر:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا

فقر وصبر هما ثوباي تحتهما ... قلب يرى ألفة الأعياد والجمعا

خير الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم الزيادة في الثوب الذي خلعا

لا كنت إن كان لي قلب يحن إلى ... شيء سواك ولو قطعتني قطعا

قيل: دخل بعض الصحابة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم عيد، فوجده يبكي، فقال له : يا أمير المؤمنين، ما هذا البكاء في مثل هذا العيد تفعل هكذا؟ فقال عمر: أتدري يا أخي لمن يكون العيد؟ لمن غفر الله له، وأمن من يوم الوعيد.

---

(١) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، أبو نصير المروزي المعروف بالحافي الزاهد البغدادي، ثقة، قدوة ، أخرج له أبو داود في مسائله والنسائي في مسند علي، توفي (٢٢٧). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٤٤)، تقريب التهذيب (١/ ٩٨)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٨٥)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٥٦)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٨)، العبر (١/ ٣٩٩)، الحلية (٨/ ٣٣٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ١٤٦)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩)، شذرات الذهب (٢/ ٦٠)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٧).

● فائدة:

الأعياد أربعة: عيد المغفرة، وعيد الزينة، وعيد المائدة، وعيد الجائزة.

فعيد المغفرة: لإبراهيم ، قال الخليل على سبيل الطمع: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[1] [الشعراء : ٨٢]. المصطفى قال له المولى ابتداء من غير طمع: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] [الفتح: ٢].

وأما عيد الزينة: فهو لموسى حيث قال ذلك حين خرجت السحرة في ذلك اليوم جاحدين، وبالله كافرين، ولسيف الجفاء متقلدين، جاءتهم العناية من رب العالمين، فخروا بأجمعهم لله ساجدين.

أصبحوا سحرة كفرة، وأمسوا كرامًا بررة.

عند الغداة كانوا كافرين ساحرين، وعند الضحى صاروا ساجدين، ومن النار آمنين.

عند الظهر صاروا مؤمنين، وعند العصر صاروا متوكلين، وعند المغرب صاروا في عليين.

عند الغداة يقول لهم فرعون : ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف :١١٤]، وعند العشاء يقول لهم: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]، قالوا: ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [3] [الشعراء: ٥١].

هذا طمع من سجد بعد أن سحر، وآمن بعد أن كفر، فكيف لا يطمع في هذا الغفران من ولد على الإيمان، وتربى على الإيمان. شعر:

ظني جميل بخـــالقـــي فأنـــا ... أرجوه من حيث كنت أخشاه

إذا دعانـــي إلـى محاسبـتي ... جئت بألا إله إلا هـــــو

وأما عيد المائدة: فهو لعيسى حيث قالوا له: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [4] [المائدة : ١١٢]، الآية. فلما دعا نزلت من السماء سفرة عليها

---

(١) أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٩).

(٢) هذا من خصائصه ﷺ لا يشاركه فيها غيره، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ.

(٣) أي ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان، فقتلهم كلهم. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٦).

(٤) المائدة هي الخوان عليه طعام، فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم: اتقوا الله ولا تسألوا هذا، فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين ، ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ أي نحن محتاجون إلى الأكـل منـها : ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقًا لنا من السماء. المرجع السابق (٢/ ١١٨).

سمكة مشوية، ما غيرها نار ولا دخان، بل قال لها الجليل: كوني، فكانت، وحولها خبز ما خبزه خباز، وزيتون ورمان، ومن سائر البقول خلا البصل والكراث، وعند رأس السمكة ملح، وعند ذنبها خل، تحملها الملائكة من السماء، وهم ينظرون إليها حتى وضعت في الأرض فأكل منها إثنا عشر ألف رجل وامرأة، ولم ينقص منها شيء، ما أكل منها فقير إلا استغنى، ولا مريض إلا عوفي، ولا صاحب عاهة إلا زالت عنه، ولا امرأة عقيم إلا حملت ذلك، ثم رفعت (١).

هذه مائدة لطيفة أكلوا منها هذه الخلائق العظيمة، فكيف تكون مائدة الرحمة يوم القيامة إذا بسط بساط العدل، لا يبقى أحد إلا استحق بعمله النار، ثم يقول الله تعالى: يا ملائكتي، اطووا بساط العدل، وابسطوا بساط الفضل والكرم، فتدخل ذنوب العصاة في حواشي ذلك البساط. شعر:

يـــا مـــن له رحمة إذا ذكـــرت ... أطمعت المذنبين في كرمـــه

وأما عيد الجائزة: فهو للمصطفى، وهو عيد الفطر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ (٢) [الأعلى: ١٤، ١٥]، شعر:

يا ليلة العيد عودي بالسرور لـــنا ... فإنني هائم في ليلة العـــيد

يا هذا ما ينفعك خروجك للمصلى ... وأنت بالعصيان تبارز المـولى

ليس العيد لمن لبس الجـــديد ... إنما العيد لمن خاف الوعـــيد

ليس العيد لمن تطيب بالمسك والعود ... إنما العيد لمن يتوب ولا يعود

ليس العيد لمن أطعـم وسـقـــى ... إنما العيد لمن تاب واتقـــى

وأنشد شعر:

أنا ما أهتم بالعيد وشغلي بذنوبي ... إنما العيد لمن فاز بوصل من حبيبي

فيا إخواني ودعوا شهر رمضان أحسن توديع، وشيعوه أحسن تشييع، فلا يدري أحد منا إن كان يعيش إلى مثله، السلام على شهر القرآن، شهر التجاوز فيه عن الذنوب والعصيان، شهر

---

(١) روى أبو جعفر بن جرير بسنده عن ابن عباس وفيه: قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء، عليها سبعة أحوات، وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم. وكذا رواه ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس بنحوه ، وعند ابن أبي حاتم بسنده عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: ((نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم، وأمروا أن لا يخونوا وألا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير)) ، كذا رواه ابن جرير . تفسير ابن كثير (٤/ ١١٩).

(٢) أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالاً لشرع الله، وقال البزار بسنده عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ: ((هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها والاهتمام بها)) مختصر من تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠١).

المحاريب فيه منورة والدموع فيه مقطرة، والقناديل في المساجد مزهرة، والعيون لأجل الله ساهرة، إذا رأوا هلال شوال يكون في دار قوم الفرح والسرور، وفي دار قوم النوح والثبور، يخرج الناس يوم العيد: واحد ثيابه بيض نقية، وآخر ثيابه وسخة دنية، فكم متأهب ليوم فطره يصبح يوم العيد في قبره، قد فارق الإخوان وعُدم الخلان.

أين الذين كانوا معكم في عيدكم الماضي، فذهبوا، أين الذين كانوا في مثل هذا العيد قد فرحوا وطربوا، أملوا أملاً جديداً، وتوهموا البقاء فبنوا مشيداً، فاختطفهن ريب المنون، فأبلى منهم ما كان جديداً، (وتعاينوا) [١] من هول العرض مقاماً شديداً، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

واحد راكب وآخر ماشي، كذلك خروج الناس من قبورهم، قوم مشاة، وقوم ركبانًا. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وأنشد الشبلي رحمه الله يوم العيد يقول:

الناس بالعيد قد سروا وقد فرحوا ... وما سررت بغير الواحد الصمد
لما تيقنت أني لا أشــاهدكــــم ... غمضت طرفي فلم أنظر إلى أحد

إن لله في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار [٢]، وفي ليلة العيد يعتق الله تعالى فيها عدد ما أعتق في أول الشهر إلى آخره.

وفي يوم العيد يبعث الله تعالى الملائكة، فتقف في المساجد والطرقات ينادون بأعلى أصواتهم: يا أمة العربي محمد ﷺ هلموا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، فإذا خرجوا من المصلى باهى الله تعالى بهم ملائكة السماء، ويقول: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ يقولون: يا مولانا جزاءه أن يوفى أجرته. فيقول الله تعالى: يا ملائكتي، إني جعلت ثواب رمضان رضاي ومغفرة، أشهدكم أني قد غفرت لهم، وأنشد:

قد أسأنا وظلمنا وعصينا وشردنــا ... رب غفرانك يا رب بالغفران زدنــــا
كيف لا نبكي لشهر مر بالغفلة منا ... نحن في بحر الخطايا والمعاصي قد غرقــنا
رمضان كنت نوراً بيننا نزهر حسنًا ... فكأنا قد فقدناك وزال النور عــــنا
قد أسأنا وظلمنا وعصينا وشردنــا ... رب غفرانك فبالغفران يا رب زدنــــا

اللهم اختم شهرنا بغفرانك، وعد علينا بألطاف إحسانك، وتغمدنا برحمتك ورضوانك، واجعل مآلنا إلى جنابك، واجعل رمضان شاهداً لنا بأداء فرضك، ولا تخزنا

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٩١).

لقبائح أعمالنا يوم عرضك، وبدل ذنوبنا يوم تبدل سماؤك وأرضك، ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد ولم يرضك.

اللهم ألهمنا الشكر على صيامك الأيام الماضية، وأهلَّ شهر رمضان علينا أعوامًا متوالية. وارزقنا الزهد في الدنيا الفانية، وارفع منازلنا في جنة عالية، قطوفها دانية، واجعلنا ممن تناديه غدًا في الدار الباقية: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ برحمتك يا أرحم الراحمين.

فصل في صيام ستة أيام من شوال

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» [١]، وإياكم وارتكاب المعاصي [٢]، فهي مذهبة للنعم، وموجبة لمرتكبها حدود النقم.

ما كثر الزنا في قوم إلا سلط الله عليهم الفقر، ولا نقصوا المكيال والميزان، إلا أمسك عنهم القطر، ولا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أخذوا بيدي القهر، ولا فشا فيهم الظلم إلا أهلكهم الله لآخر الدهر.

وإياكم والزنا، فإنه يذهب بركة المال، واحذروا شهادة الزور، فهي أكبر الأعمال (.....) [٣]، المظالم فإن ربكم حكم عدل ليس بظلام.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر**» [٤].

اختلفوا في صفة صيامها على ثلاثة أقوال:

---

(١) أخرجه البخاري في الحدود، باب إثم الزناة، ومسلم (١٠٠-٥٧)، كتاب الإيمان، ٢٤-باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي في الإيمان، باب ما جاء: لا يزني الزاني وهو مؤمن، رقم الحديث (٢٦٢٥)، والنسائي (٨/ ٦٤، ٦٥-مجتبى)، وابن ماجه في السنن (٣٩٣٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٦)، (٣/ ٣٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٨٦)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٢٤٩)، وعبد الرزاق (١٣٦٨٨).

(٢) قال النووي: إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة. النووي في شرح مسلم (٢/ ٣٧).

(٣) بياض بالأصل.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٤-١١٦٤)، كتاب الصيام، ٣٩-باب استحباب صوم ستة أيام..، وأبو داود في الصيام، باب في صوم ستة..، رقم (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صيام ستة أيام..، وابن ماجه (١٧١٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤١٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٩٧)، والدارمي في سننه (٢/ ٢١).

أحدها: أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة. وهو قول الإمام الشافعي، لما روي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «من صام ستة أيام متتابعة، فكأنما صام السنة»[١]، أخرجه الطبراني.

ثانيها: لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله، وهو قول الإمام أحمد.

ثالثها: لا يصام عقيب يوم الفطر، فإنها أيام أكل وشرب، ولكن يصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض، ثم أيام البيض أو بعدها.

ففي الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها[٢]: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شعبان وشوال كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل أو نقص، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة.

وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال. ولهذا نهى رسول الله ﷺ أن يقول الرجل: صمت رمضان كله أو قمته كله.

وقيل لبشر: إن قومًا يتعبدون ويجتهدون في رمضان. فقال: بئس القوم قوم لا يعرفون الله حقًا إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها، وكان رسول الله ﷺ عمله ديمة.

وكان لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، وكان ﷺ يقضي ما فاته من أوراده من رمضان في شوال، وترك في عام اعتكاف العشر الأواخر من رمضان[٣]، ثم قضاه في شوال، فاعتكف العشر الأول منه.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب (٢/ ١١٠)، وابن ماجه بنحوه (١٧١٥)، كتاب الصيام، باب صيام ستة أيام من شوال .

(٢) قال النووي في صيام ستة من شوال: فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وداود وموافقيهم في استحباب صوم هذه الستة، وقال مالك وأبو حنيفة : يكره ذلك، قال مالك في الموطأ: ما رأيت أحدًا من أهل العلم يصومها، قالوا: فيكره لئلا يظن وجوبه، ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح ، وإذا ثبتت السنة لا تترك لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها ، وقولهم: «قد يظن وجوبها» ينتقض بصوم عرفة وعاشوراء وغيرهما من الصوم المندوب. قال أصحابنا: والأفضل أن تصام الستة متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرقها أو أخرها من أوائل شوال إلى أواخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يصدق أنه أتبعه ستًا من شوال. النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٥).

(٣) الاعتكاف في اللغة: الحبس والمكث واللزوم، وفي الشرع: المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ويسمى الاعتكاف جوارًا، وذكر مسلم الأحاديث في اعتكاف النبي ﷺ العشر الأواخر من رمضان، والعشر الأول من شوال ففيها استحباب الاعتكاف، وتأكد استحبابه في الشعر الأواخر من رمضان. شرح مسلم للنووي (٨/ ٥٤).

هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير الآجال، ويواقيت الأعمال، ثم ينقضي سريعًا وتجلى جميعًا، والذي أوجدها وابتدعها دائم باق لا يحول ولا يزول ولا تغيره الحوادث ولا الدهور، ولا الليالي ولا الشهور.

فسبحان من قلب عباده في وظائف الخدم، ليسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم فيها بالجود والكرم.

ولما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام، التي أولها شهر رجب الفرد الحرام، وآخرها شهر رمضان المخصوص بالتعظيم والاحترام، أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة التي هي أشهر الحج إلى بيت الله الحرام.

فكما أن «من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه»، كذلك: «من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[١]، فما يمضي على المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله عليه فيها وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقرب بها إلى مولاه، وهو راج وخائف.

المحب لا يمل من التقرب بالطاعات إلى مولاه ولا يطلب إلا قربه ورضاه، كل وقت يخليه العبد من طاعة الله فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه حسرة.

ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبًا بعدها، النكسة أصعب من المرض.

ارحموا عزيز قوم[٢] بالمعاصي ذل، وغني قوم بالذنوب افتقر.

يا هذا إذا طالبتك نفسك بالمعاصي في شوال فذكرها بأن رب شوال هو رب رمضان، يقول الله تعالى: عبدي أكثر من ذكري، ولا تأمن من مكري، عبدي استعد ليوم التقاضي إذا كنت أنا القاضي، وحكمي فيه ماضٍ، كيف يكون حالك إذا حبطت أعمالك، وخابت آمالك. عبدي لو أمرت الثياب أن تطير عن العصاة لافتضحوا، ولو أمرت الحيطان أن تزول عنهم لانتهكوا. وعزتي لو كان للذنب رائحة ما جلس أحد إلى أحد. وعزتي لو اطلع عليك أحد من خلقي لما ستر عليك، ولكن بكرمي أستر وأعطي، وأنت عن بابي تحيد وتبطئ، عبدي كم غدرة لك في الديوان، ولولا التفضل والإحسان لأهلكتك قبل هذا الأوان.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود وعزتي لو عصتني البقة لضيقت عليها سعة السماء، ولو أطاعتني الفيلة لوسعت عليها عيون الشباك. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٩)، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٢٦١)، وابن خزيمة (٢٥١٤).

(٢) «ارحموا عزيز قوم ذل» رواه الزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٥٢)، ولكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

الباب التاسع والعشرون

في صوم يوم عرفة لمن لم يكن بها، وما جاء في النهي عنه لمن كان بها حاجا، وفي صيام شهر الله المحرم، وفي صوم يوم عاشوراء والتوسعة فيه على العيال، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر سيما الأيام البيض، وصوم الإثنين والخميس، وصوم الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد ، وما جاء في تخصيص الجمعة بالصوم أو السبت ، وفي صوم يوم وإفطار يوم - وهو صوم داود عليه السلام - ونهي المرأة أن تصوم تطوعا وزوجها حاضر إلا بأذنه ، ونهي المسافر عن الصوم إذا كان يشق عليه، وجواز الإفطار له وإن لم يشق عليه الصوم، والاعتكاف

أما صوم عرفة

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: ((يكفر السنة الماضية والباقية)) [(١)] .

رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي ولفظه: إن النبي ﷺ قال: ((صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله)) .

ورواه ابن ماجه أيضًا عن قتادة بن النعمان [(٢)] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة بعده)) [(٣)] .

وعن عطاء الخراساني أن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما دخل على عائشة رضي الله عنها يوم عرفة وهي صائمة، والماء يرش عليها ، فقال لها عبد الرحمن: أفطري،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦-١١٦٢)، كتاب الصيام، ٣٦-باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، والترمذي (٧٤٩)، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل عرفة، وابن ماجه (١٧٣٠)، كتاب الصيام، باب صيام يوم عرفة، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٣١)، والشجري في أماليه (٢/ ٦٤، ٨٣، ٨٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٣٠).

(٢) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر أبو عمر، الأنصاري الظفري الأوسي، صحابي شهد بدراً وهو أخو أبي سعيد لأمه، أخرج له البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (٢٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٧)، التقريب (٢/ ١٢٣)، الكاشف (٢/ ٣٩٧)، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٢)، الثقات (٣/ ٣٤٤)، أسد الغابة (٤/ ٣٨٩)، الإصابة (٥/ ٤١٦)، الاستيعاب (٢/ ١٢٧٤)، سير الأعلام (٢/ ٣٣١)، أسماء الصحابة الرواة (٢٣١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٣١)، كتاب الصيام، ٤٠-باب صيام يوم عرفة.

فقالت: أفطر وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله»[(١)]. رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين»[(٢)]. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه، ومن صام عاشوراء غفر له سنة»[(٣)]، رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وعن مسروق أنه دخل على عائشة رضي الله عنها يوم عرفة فقال: اسقوني، فقالت: يا غلام اسقه عسلاً، ثم قالت: وما أنت يا مسروق بصائم؟ قال: لا إني أخاف أن يكون يوم الأضحى. فقالت عائشة: ليس ذلك إنما عرفة يوم يعرف الإمام، ويوم النحر يوم ينحر الإمام؛ أوَمَا سمعت يا مسروق أن رسول الله ﷺ كان يعدله بألف يوم[(٤)]. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، والبيهقي.

وفي رواية للبيهقي قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «صيام يوم عرفة كصيام ألف يوم»[(٥)].

وعن سعيد بن جبير قال: سأل رجل عبدالله بن عمر عن صوم يوم عرفة، فقال: كنا ونحن مع رسول الله ﷺ نعدله بصوم سنتين[(٦)]. رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وهو عند النسائي بلفظ: «سنة».

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن صيام يوم عرفة، فقال: «يكفر السنة التي أنت فيها، والسنة التي بعدها»[(٧)]، رواه الطبراني في الكبير.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ١٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٢).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٧٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤١٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٢).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٠)، وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ١٤١).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٣١).

(٦) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٧٢).

(٧) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٩٦)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ٢١١).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة [١]. رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه، ورواه الطبراني في الأوسط، عن عائشة.

قال الحافظ : اختلفوا في صوم يوم عرفة بعرفة، فقال ابن عمر: لم يصمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان، وأنا لا أصومه.

وكان مالك والثوري يختاران الفطر.

وكان ابن الزبير وعائشة يصومان يوم عرفة، وكان إسحاق يميل إلى الصوم، وكان عطاء يقول: أصوم في الشتاء، ولا أصوم في الصيف.

وقال قتادة: لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء.

وقال الشافعي: يستحب صوم يوم عرفة لغير الحاج، فأما الحاج فأحب إليّ أن يفطر لتقويته على الدعاء.

وقال أحمد بن حنبل: إن قدر على أن يصوم صام، وإن أفطر فذلك يوم يحتاج إلى القوة [٢].

وأما صوم شهر الله المحرم

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» [٣] ، رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والترمذي والنسائي، ورواه ابن ماجه باختصار ذكر الصلاة.

وعن علي ﷺ سأله رجل فقال: أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال له: ما سمعت أحدًا يسأل عن هذا إلا رجلاً سمعته يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده فقال: يا رسول الله، أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: «**إن كنت صائمًا**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٤٠)، كتاب الصوم، باب في صوم عرفة بعرفة، وابن ماجه (١٧٣٢)، كتاب الصيام، باب صيام يوم عرفة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٣٤)، والحلية لأبي نعيم (٣/ ٣٤٧).

(٢) قال النووي: مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجمهور العلماء استحباب فطر يوم عرفة بعرفة للحاج، وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وابن عمر والثوري، قال: وكان ابن الزبير وعائشة يصومانه، وروي عن عمر ابن الخطاب وعثمان بن أبي العاص، وكان إسحاق يميل إليه، وكان عطاء يصومه في الشتاء دون الصيف، وقال قتادة: لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء، واحتج الجمهور بفطر النبي ﷺ فيه، ولأنه أرفق بالحاج. النووي في شرح مسلم (٨/ ٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢-١١٦٣)، كتاب الصيام، ٣٨-باب فضل صوم المحرم، وأبو داود (٢٤٢٩)، كتاب الصوم، باب في صوم المحرم، والترمذي (٤٣٨)، في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة الليل، والنسائي (٣/ ٢٠٧- المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤، ٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (/ ٢٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٣)، (٢/ ١١٤).

بعد شهر رمضان فصم المحرم فإنه شهر الله، فيه يوم تاب على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين»[١]. رواه عبدالله بن الإمام أحمد عن غير أبيه.

والترمذي من رواية عبدالرحمن بن إسحاق[٢] وهو أبو شيبة، عن النعمان بن سعد، عن علي وقال: حديث حسن غريب.

وعن جندب بن سفيان ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن أفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم»[٣]، رواه النسائي والطبراني بإسناد صحيح.

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يومًا من المحرم فله بكل يوم ثلاثين يومًا»[٤]، رواه الطبراني في الصغير، وهو غريب، وإسناده لا بأس به.

وأما صوم يوم عاشوراء والتوسع فيه على العيال

عن أبي قتادة ﵁: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية»[٥]، رواه مسلم وغيره، وابن ماجه ولفظه: قال: «صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده».

وعن ابن عباس ﵄: أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه[٦]، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والنسائي (٣/ ٢٠٦-المجتبى) والترمذي (٧٤١)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم المحرم.

(٢) عبدالرحمن بن إسحاق بن سعد بن الحارث، أبو شيبة الواسطي، الأنصاري الكوفي، ضعيف، أخرج له أبو داود والترمذي، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ١٣٦)، تقريب التهذيب (١/ ٤٧٢)، الكاشف (٢/ ١٥٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٢٥٩)، الجرح والتعديل (٥/ ١٠٠١)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٤٨)، لسان الميزان (٧/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣-١١٦٣)، كتاب الصوم، ٣٨-باب فضل صوم المحرم، وأبو داود (٢٤٢٩)، في الصوم، باب في صوم المحرم، والنسائي (٣/ ٢٠١-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٣٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٩)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٢٠).

(٥) رواه مسلم (١٩٦-١١٦٢)، كتاب الصيام، ٣٦-باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، والترمذي (٧٥٢)، كتاب الصوم، باب ما جاء في الحث على صوم يوم عاشوراء، وابن ماجه (١٧٣٨)، كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٦)، والبيهقي (٤/ ٢٨٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٨).

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء، ومسلم في صحيحه (١٣٣-١١٣٤)، كتاب الصيام، ٢٠-باب أي يوم يصام في عاشوراء.

وعنه أنه سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: ما علمت أن رسول الله ﷺ صام يومًا يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم، ولا شهرًا إلا هذا الشهر، يعني رمضان، رواه مسلم[١].

وعنه أن النبي ﷺ لم يكن فضّل يومًا على يوم بعد رمضان إلا عاشوراء. رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس ليوم فضلاً على يوم في الصيام إلا شهر رمضان، ويوم عاشوراء»[٢]. رواه الطبراني في الكبير ، والبيهقي، ورواة الطبراني ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عاشوراء غفر له سنة»[٣]، رواه الطبراني بإسناد حسن وتقدم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر سنته»[٤]. رواه البيهقي وغيره من طرق، وعن جماعة من الصحابة، وقال البيهقي: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة، والله أعلم.

وأما صوم ثلاثة أيام من كل شهر

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاث من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»[٥]. رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: «أوصاني خليلي بثلاث، لن أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن لا أنام حتى أوتر»[٦]، رواه مسلم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»[٧]، رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣١-١١٣٢)، كتاب الصيام، ١٩-باب صوم يوم عاشوراء، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٥) ، والشجري في أماليه (١/ ١٩٠)، (٢/ ٨٥، ٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٤٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٧٥٢)، وقد تقدم، والشجري في أماليه (٢/ ٨٣، ٨٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ٢١٠، ٢١١).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب (٢/ ١١٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٨١)، كتاب الصوم، ٦-باب صيام أيام البيض، ومسلم (٨٥-٧٢١)، كتاب صلاة المسافرين، ١٣-باب استحباب ركعتي الضحى، والترمذي (٧٦٠)، في الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر

(٦) أخرجه مسلم (٨٦-٧٢٢)، كتاب صلاة المسافرين، ١٣-باب استحباب صلاة الضحى. قال النووي: حديث أبي هريرة وحديث أبي الدرداء فيه الحث على الضحى وصحتها ركعتان، والحث على صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وعلى الوتر. النووي في شرح مسلم (٥/ ١٩٩).

(٧) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام ، ومسلم (١٩٧)، كتاب الصيام، ٣٦-باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صام نوح عليه السلام الدهر كله إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود عليه السلام نصف الدهر، وصام إبراهيم عليه السلام ثلاثة أيام من كل شهر، صام وأفطر»(١)، رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله»(٢)، رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صيام الدهر وإفطاره»(٣)، رواه أحمد بإسناد صحيح، والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر»(٤)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وحر الصدر: بفتح الواو والحاء المهملة بعدهما راء هو غشه وحقده ووسواسه.

وروي عن ميمونة بنت سعد(٥) رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله، افتنا عن الصوم؟ فقال: «من كل شهر ثلاثة أيام، من استطاع أن يصومهن فإن كل يوم يكفر عشر سيئات، وينقي من الإثم كما ينقي الماء الثوب». رواه الطبراني في الكبير.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر»، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ اليوم بعشرة أيام(٦). رواه أحمد والترمذي، واللفظ له وقال: حديث حسن.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧١٤)، في الصيام، باب ما جاء في صيام نوح عليه السلام، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٠)، والهيثمي في المجمع (٣/ ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧)، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأبو داود (٢٤٢٥)، كتاب الصوم، باب في صوم الدهر، والنسائي (٤/ ٢٠٩-المجتبى)، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٢١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٦)، (٥/ ٣٤، ٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٤٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٤٧، ٩٤٨-موارد)، والنسائي (٤/ ٢٠٨-مجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣، ٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٣)، (٦/ ٣٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٩٤٩-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢١).

(٥) ميمونة بنت سعد رضي الله عنها، خادمة النبي ﷺ، لها حديث، ويقال: ميمونة بنت سعيد، أخرج لها أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، انظر ترجمتها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٤)، تقريب التهذيب (٢/ ٦١٤)، الثقات (٣/ ٤٠٨)، الإصابة (٨/ ١٢٩)، الكاشف (٣/ ٤٨٢)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٧٧، ٣٧٥)، الخلاصة (٣/ ٣٩٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٧٦٢)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وابن ماجه (١٧٠٨)، كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأحمد في مسنده (٥/ ١٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢١).

وفي رواية للنسائي: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد تم صوم الشهر أو فله صوم الشهر» (١).

وعن عمرو بن شرحبيل، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يذهب وحر الصدر: صوم ثلاثة أيام من كل شهر» (٢)، رواه النسائي.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال له: «بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل، فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظًا، ولعينك عليك حظًا، وإن لزوجك عليك حظًا، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر»، قلت: يا رسول الله، إن لي قوة، قال: «فصم صوم داود عليه السلام، صم يومًا وأفطر يومًا»، فكان يقول: يا ليتني أخذت بالرخصة(٣). رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثًا، فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»(٤). رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، وزاد ابن ماجة: فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فاليوم بعشرة أيام (٥).

وعن عبدالملك بن قدامة بن ملحان، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة. قال: وقال: «هو كهيئة الدهر»(٦)، رواه أبو داود والنسائي.

وعن جرير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، وأيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»(٧)، رواه النسائي بإسناد جيد، والبيهقي.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٢١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٢).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٦)، (٥/ ٣٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام، ومسلم (١٩٣)، كتاب الصيام، ٣٥-باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.

(٤) أخرجه الترمذي (٧٦١)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، والنسائي في الصيام، باب ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٥٨).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٤٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠١).

(٦) أخرجه أبو داود (٢٤٤٩)، كتاب الصوم، باب في صوم الثلاث من كل شهر، والنسائي (٤/ ٢٢٥)، في المجتبى، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٨)، والترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ١٢٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٥).

(٧) أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٨، ٢٢١-المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٣٦)، (٥/ ٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢١)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨٢).

وعن ابن عمر ﷺ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الصيام فقال: «عليك بالبيض ثلاثة أيام من كل شهر»[1]، رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات.

وأما صوم الإثنين والخميس

فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[2]، رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان يصوم الإثنين والخميس، فقيل: يا رسول الله، إنك تصوم الإثنين والخميس؟ فقال: «إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين، يقول: دعهما حتى يصطلحا»[3]. رواه ابن ماجه، ورواته ثقات.

ورواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذي باختصار ذكر اليوم، ولفظ مسلم: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال في كل إثنين وخميس، فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»[4].

وفي رواية له: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء» الحديث، رواه الطبراني ولفظه: قال «تنسخ دواوين الأرض في دواوين أهل السماء في كل اثنين وخميس، فيغفر لكل مسلم لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء».

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم، إلا يومين، إن دخلا في صيامك إلا صمتهما؟ قال: «أي يومين؟» قلت: يوم الإثنين ويوم الخميس؟ قال: «ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[5]، رواه أبو داود والنسائي، وفي إسناده رجلان مجهولان: مولى قدامة، ومولى أسامة.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٤٧)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤)، (٣/ ٤٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٦)، والترمذي في الشمائل (١٥٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٤٠)، كتاب الصيام، باب صيام يوم الإثنين والخميس، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٢٤، ١٢٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٥)، (٣/ ٤٥٨).

(٥) انظر الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٥).

وعن جابر ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويرد أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا» (١) . رواه الطبراني ورواته ثقات.

وعن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الإثنين والخميس (٢) . رواه النسائي وابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن غريب، والله أعلم.

وأما صوم الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد، وما جاء في النهي من تخصيص الجمعة بالصوم أو السبت:

روي عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الأربعاء والخميس كتب له براءة من النار» (٣) ، رواه أبو يعلى، وروي عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له بيتًا في الجنة، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره» (٤) ، رواه الطبراني في الأوسط، ورواه في الكبير من حديث أبي أمامة.

وروي عن أنس بن مالك ﵁: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له قصرًا في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، وكتب له براءة من النار» (٥) ، رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي.

وروي عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الأربعاء والخميس ويوم الجمعة، ثم تصدق يوم الجمعة بما قل أو كثر، غفر له كل ذنب عمله حتى يصير كيوم ولدته أمه من الخطايا»(٦)، رواه الطبراني في الكبير والبيهقي.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة أيام عددهن من أيام الآخرة لا تشاكلهن أيام الدنيا»(٧)، روه البيهقي.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٩٦، ٢١٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٢-المجتبى)، وابن ماجه في السنن (١٧٣٩)، والترمذي (٧٤٥)، في الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٣).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٤/ ٢٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٦)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٥).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٦).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٠٠)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٩).

(٧) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٦)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٤١).

وهذا الحديث على تقدير وجوده محمول على ما إذا صام يوم الخميس قبله، أو عزم على صوم يوم السبت بعده.

وعن عبيدالله بن مسلم القرشي عن أبيه قال: سألت أو سئل النبي ﷺ عن صيام الدهر فقال: «**لا إن لأهلك عليك حقًا، صم رمضان والذي يليه، وكل أربعاء وخميس، فإذا أنت قد صمت الدهر وأفطرت**»[(١)]. رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

قال عبد العظيم المنذري رحمه الله: ورواته ثقات.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم**»[(٢)]، رواه مسلم والنسائي.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده**»[(٣)]، رواه البخاري واللفظ له ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

وفي رواية لابن خزيمة: «**إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده**»[(٤)].

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال: «**أصمت أمس؟**» قالت: لا، قال: «**أتريدين أن تصومي غدًا؟**» قالت: لا. قال: «**فأفطري**»[(٥)]، رواه البخاري وأبو داود.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٤٨)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الأربعاء والخميس، وأبو داود (٢٤٣٣)، كتاب الصوم، باب في صوم شوال، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٦٨)، وابن حبان في صحيحه (١٢٨٧-موارد).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨-١١٤٤)، كتاب الصيام، ٢٤-باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردًا، والحاكم في مستدركه (١/ ٣١١)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصوم، ٦٣-باب صوم يوم الجمعة، رقم الحديث (١٩٨٥)، ومسلم (١٤٧-١١٤٤)، كتاب الصيام، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردًا، والترمذي (٧٤٣)، كتاب الصوم، ما جاء في كراهية صوم يوم الجمعة وحده، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٢)، وأبو داود (٢٤٢٠).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٣٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣٠، ٥٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٥٤)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٩٨٦)، كتاب الصوم، ٦٣-باب صوم يوم الجمعة، وأبو داود (٢٤٢٢)، كتاب الصوم، باب الرخصة في ذلك.

وعن محمد بن عباد قال: سألت جابراً وهو يطوف بالبيت: أنهى النبي ﷺ عن صيام الجمعة ؟. قال: نعم ورب هذا البيت [١] ، رواه البخاري.

وعن عامر بن لُدين [٢] الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموا إلا أن تصوموا قبله أو بعده**» [٣] ، رواه البزار بإسناد حسن.

وعن عبدالله بن سيرين قال: كان أبو الدرداء يحيي ليلة الجمعة ويصوم يومها، فأتاه سلمان وكان النبي ﷺ آخى بينهما، ونام عنده، فأراد أبو الدرداء أن يقوم ليلته فقام إليه سلمان فلم يدعه حتى نام وأفطر، فجاء أبو الدرداء إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «**يا عويمر سلمان أعلم منك، لا تخص ليلة الجمعة بصلاة، ولا يومها بصيام**»[٤]. رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

وعن عبدالله بن بسر، عن أخته الصماء [٥] رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه**»[٦]، رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن خزيمة في صحيحه أيضًا عن عبدالله ابن بسر عن عمته الصماء أخت بسر أنها كانت تقول: نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم السبت، ويقول: «**إن لم يجد أحدكم إلا عودًا أخضر فليفطر عليه**».

اللحاء بكسر اللام، وبالحاء المهملة ممدودًا، هو القشر، وهذا النهي إنما هو عن إفراده بالصوم لما تقدّم من حديث أبي هريرة: «**لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده**»[٧]، فجاز إذًا صومه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٨٤)، كتاب الصوم، ٦٣-باب صوم يوم الجمعة.

(٢) عامر بن لدين، أبو سهل، وقيل: أبو بشر الأشعري، وثقه ابن حبان وقال: عداده في أهل الشام، وقال أبو نعيم في الصحابة: معدود في تابعي أهل الشام، وقال العجلي: شامي تابعي ثقة، روى عن أبي هريرة، وعنه أبو بشر المؤذن، أخرج له أحمد في مسنده، انظر ترجمته في تعجيل المنفعة (٥٠٦)، التاريخ الكبير (٦/ ٤٥٣)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٢٧)، الثقات (٥/ ١٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣)، والترغيب للمنذري (٢/ ١٢٧).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (٨٠٣).

(٥) الصماء بنت بسر المازنية رضي الله عنها، لها صحبة وحديث، أخرج لها أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، انظر ترجمتها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣١)، التقريب (٢/ ٦٠٣)، أسد الغابة (٧/ ١٧٥)، الإصابة (٧/ ٧٤٨)، أعلام النساء (٢/ ٣٥٢)، الكاشف (٣/ ٤٧٥).

(٦) أخرجه أبو داود (٢٤٢١)، كتاب الصوم، باب النهي أن يخص يوم السبت بصوم، والترمذي (٧٤٤)، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم السبت، وابن ماجه (١٧٢٦)، كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام يوم السبت، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٨٩)، (٦/ ٣٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٤٠-موارد).

(٧) الحديث تقدم قريبًا.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أكثر ما كان يصوم من الأيام يوم السبت ويوم الأحد، كان يقول: «إنهما يوما عيد للمشركين، وأنا أريد أن أخالفهم» [(١)]، رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وأما صوم يوم وإفطار يوم، وهو صوم داود عليه السلام

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك لتصوم النهار، وتقوم الليل»، قلت: نعم. قال: «إنك إذا فعلت ذلك هجمت على عينيك، ونفهت له النفس، لا صام من صام الأبد، صوم ثلاثة أيام من الشهر[(٢)]، صوم الشهر كله». قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك؟ قال: «فصم صوم داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى».

وفي رواية: «ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي الليل؟! فلا تفعل، فإن لعينك حظًا، ولنفسك حظًا، ولأهلك حظًا، فصم وأفطر، وصل ونم، وصم من كل عشرة أيام يومًا، ولك أجر تسعة».

قال: فإني أطيق أقوى من ذلك يا نبي الله. قال: «فصم صيام داود»، قال: وكيف كان يصوم يا نبي الله؟

قال: «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى».

وفي أخرى: قال النبي ﷺ: «لا صوم فوق صوم داود عليه السلام شطر الدهر، صم يومًا وأفطر يومًا» [(٣)]، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وفي رواية لمسلم [(٤)] أن رسول الله ﷺ قال له: «صم يومًا ولك أجر ما بقي». قال: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «صم ثلاثة أيام ولك أجر ما بقي»، قال: إني أطيق أكثر

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٥٩).

(٢) كأنه يقول: يستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر، وهي وسطه، وهذا متفق على استحبابه وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقد جاء في حديث في كتاب الترمذي وغيره، وقيل: هي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر، قال العلماء: ولعل النبي ﷺ لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعينها، ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها. النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، كتاب الصوم، باب صوم داود عليه السلام، ومسلم (١٨٧-١١٥٩)، كتاب الصيام، ٣٥-باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا، والترمذي (٧٧٠)، كتاب الصوم، باب ما جاء في سرد الصوم.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢)، كتاب الصيام، ٣٥-باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.

من ذلك. قال: «صم أفضل الصيام عند الله صوم داود ﷺ، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا» . قلت: إني أطيق أفضل من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك»[١].

وفي رواية للنسائي: «صم أحب الصيام إلى الله ﷻ صوم داود: كان يصوم يومًا ويفطر يومًا» [٢] .

وفي رواية لمسلم قال: كنت أصوم الدهر، وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فلما ذُكرت للنبي ﷺ قال: فأرسل إليّ فأتيته، فقال: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟». فقلت: بلى يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير. قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» فقلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «فإن لزوجتك عليك حقًا ولزورك عليك حقًا ولجسدك عليك حقًا، فصم صوم داود [٣] نبي الله فإنه كان أعبد الناس» . قلت: يا نبي الله، وما صوم داود؟ قال: «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا» ، قال: «واقرأ القرآن في كل شهر» قال: قلت: يا رسول الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرين» ، قال: قلت: يا نبي الله ، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشر» ، قال: قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا» [٤] .

وعنه ﷺ أنه قال: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يفطر يومًا ويصوم يومًا»[٥].

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

قوله: هجمت العين، بفتح الهاء والجيم، أي غارت وظهر عليها الضعف.

وقوله: نقمت النفس، بفتح النون وكسر الفاء، أي كلت وملت وأعيت.

وقوله: لزورك بفتح الزاي هو الزائر والواحد والجمع فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٦)، كتاب الصوم، ٥٦-باب صوم الدهر.

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٢١٥-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٠).

(٣) في قوله ﷺ في فطر يوم وصوم يوم وقوله: «لا أفضل من ذلك» : قال النووي: اختلف العلماء فيه فقال المتولي من أصحابنا وغيره من العلماء: هو أفضل من السرد لظاهر الحديث، وفي كلام غيره إشارة إلى تفضيل السرد، وتخصيص هذا الحديث بعبد الله بن عمرو، ومن في معناه، وتقديره لا أفضل من هذا في حقك. النووي في شرح مسلم (٨/ ٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ومسلم (١٨٢-١١٥٩)، كتاب الصيام، ٣٥-باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.

(٥) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ومسلم (١٨٩)، كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، وأبو داود (٢٤٤٨)، كتاب الصوم، باب في صوم يوم وفطر يوم، والنسائي (٣/ ٢١٤)، (٤/ ١٩٨-المجتبى)، وابن ماجه (١٧١٢)، كتاب الصيام، ٣١-باب ما جاء في صيام داود ﷺ، والبيهقي في السنن (٣/ ٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (٨٧٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣١).

وأما نهي المرأة أن تصوم تطوعًا وزوجها حاضر إلا بـأذنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» ، رواه البخاري ومسلم [١] وغيرهما، ورواه أحمد بإسناد حسن وزاد: «إلا رمضان» ، وفي بعض روايات أبي داود غير رمضان، وفي رواية الترمذي وابن ماجه: «لا تصم المرأة وزوجها شاهد يومًا من غير شهر رمضان إلا بإذنه»[٢].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثًا من الكبائر» [٣] ، رواه الطبراني في الأوسط.

وفي الطبراني حديث عن ابن عباس، عن النبي ﷺ وفيه: «ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها» ، والله تعالى أعلم.

وأما نهي المسافر عن الصوم [٤] إذا كان يشق عليه وترغيبه في الإفطار

عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: «أولئك العصاة» ، وفي رواية : فقيل له: إن بعض الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينظروا فيما فعلت؟ فدعا بقدح من ماء بعد العصر، الحديث [٥] ، رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها، ومسلم (٨٤)، في الزكاة، ٢٦-باب ما أنفق العبد من مال مولاه، وأبو داود (٢٤٥٨)، كتاب الصوم، باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها.

(٢) أخرجه الترمذي (٧٨٢)، كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم المرأة إلا بإذن زوجها.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٠).

(٤) اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض أهل الظاهر: لا يصح صوم رمضان في السفر، فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية، ولحديث: «ليس من البر الصيام في السفر» ، وفي الحديث الآخر: «أولئك العصاة» ، وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى: يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزئه. النووي في شرح مسلم (٧/ ١٩٨).

(٥) رواه مسلم (٩٠-١١١٤)، كتاب الصيام، ١٥-باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، قال النووي: في قوله : «أولئك العصاة، أولئك العصاة» ، هكذا مكرر مرتين، وهذا محمول على من تضرر بالصوم أو أنهم أمروا بالفطر أمراً جازمًا لمصلحة بيان جوازه، فخالفوا الواجب، وعلى التقديرين لا يكن الصائم اليوم في السفر عاصيًا إذا لم يتضرر به. النووي في شرح مسلم (٧/ ٢٠١).

وكراع: بضم الكاف، والغميم بفتح العين المعجمة، وهو موضع على ثلاثة أميال من عُسفان.

وعنه قال: كان النبي ﷺ في سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه، وقد ظلل عليه فقال: «ما له؟»، قالوا: رجل صائم، فقال رسول الله ﷺ: «ليس البر أن تصوموا في السفر»(١). زاد في رواية: «وعليكم برخصة الله التي رخص لكم»، وفي رواية: «ليس من البر الصوم في السفر»(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وفي رواية النسائي: أن رسول الله ﷺ مر برجل في ظل شجرة يرش عليه الماء، قال: «ما بال صاحبكم؟» قالوا: يا رسول الله، صائم، قال: «إنه ليس من البر أن تصوموا في السفر، وعليكم برخصة الله التي رخص بكم فاقبلوها»(٣).

وعن عمار بن ياسر ﷺ، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فسرنا في يوم شديد الحر، فنزلنا في بعض الطريق فانطلق رجل منا فدخل تحت شجرة، فإذا أصحابه يلوذون به، وهو مضطجع كهيئة الوجع، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «ما بال صاحبكم؟» قالوا: صائم. فقال رسول الله ﷺ: «ليس من البر أن تصوموا في السفر عليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها»(٤)، رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

وعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: سار رسول الله ﷺ فنزل بأصحابه، وإذا ناس قد جعلوا عريشاً على صاحبهم، وهو صائم فمر به رسول الله ﷺ فقال: «ما شأن صاحبكم أوجع؟» قالوا: لا يا رسول الله، ولكنه صائم، وذلك في يوم حرور.

فقال رسول الله ﷺ: «لا بر أن يصام في سفر»(٥)، رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) يأتي تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، كتاب الصوم، باب قول النبي لمن ظلل عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، ومسلم (٩٢-١١١٥)، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، وأبو داود (٢٤٠٧)، كتاب الصوم، باب اختيار الفطر، والترمذي (٧١٠)، كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في السفر، والنسائي (٤/ ١٧٦، ١٧٧-المجتبى)، وابن ماجه (١٦٦٤)، كتاب الصيام، باب ما جاء في الإفطار في السفر، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٩)، (٥/ ٤٣٤)، والحاكم (١/ ٤٣٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه النسائي (٤/ ١٧٦-المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٣).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٨٧)، (١٢/ ٣٧٤).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٨٧).

وعن كعب بن عاصم الأشعري[١] ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من البر الصيام في السفر» . رواه النسائي وابن ماجه[٢] بإسناد صحيح.

وعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر»[٣]، رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

وعن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صائم رمضان في السفر كمفطر في الحضر»[٤].

رواه ابن ماجه مرفوعًا هكذا، والنسائي بإسناد حسن إلا أنه قال: كان يقال: الصيام في السفر كالإفطار في الحضر.

وفي رواية: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»[٥] .

قال الحافظ: قول الصحابي: كان يقال كذا، هل يلحق بالمرفوع أو الموقوف؟

فيه خلاف مشهور بين المحدثين والأصوليين، ليس هذا موضع بسطه ، لكن الجمهور على أنه إذا لم يضفه إلى زمن النبي ﷺ يكون موقوفًا، والله أعلم.

وعن أبي طعمة[٦] قال: كنت عند ابن عمر فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبدالرحمن ، إني أقوى على الصيام في السفر. فقال ابن عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يقبل رخصة الله ﷻ كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة»[٧] ، رواه أحمد والطبراني في الكبير.

وعن ابن عمر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه»[٨] ، رواه أحمد بإسناد صحيح.

---

(١) كعب بن عاصم أبو مالك الأشعري، البغوي، صحابي، نزل مصر، له حديثان، أخرج له النسائي وابن ماجه، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب(٨/ ٤٣٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٤)، الكاشف (٣/ ٨)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٢١)، الجرح والتعديل (٧/ ١٦٠)، أسد الغابة (٤/ ٤٨٠)، الثقات (٤/ ٣٥٢)، الإصابة (٥/ ٥٩٧)، الاستيعاب (٢/ ١٣٢١).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ١٧٦-المجتبى)، وابن ماجه (١٦٦٤)، كتاب الصيام، ١١-باب ما جاء في الإفطار في السفر.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٦٥)، كتاب الصيام، ١١-باب ما جاء في الإفطار في السفر، وابن حبان في صحيحه (٩١٢-الموارد).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٦٦)، كتاب الصيام، ١١-باب ما جاء في الإفطار في السفر، والنسائي (٤/ ١٧٦).

(٥) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٠٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٤٤٦).

(٦) أبو طعمة الأموي مولى عمر بن عبدالعزيز، سكن مصر، مقبول، ولم يثبت أن مكحولاً رماه بالكذب، أخرج له أبو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن ماجه، انظر ترجمته في التهذيب (١٢/ ١٣٧)، التقريب (٢/ ٤٤٠).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٧١)، (٤/ ١٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٣).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٥-الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٤٠).

وعن الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه» (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» (٢).

رواه البزار بإسناد حسن، والطبراني وابن حبان في صحيحه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، فمنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر»(٣)، رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ لست عشر مضت من رمضان، فمنا من صام ومنا من أفطر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم(٤).

وفي رواية: يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفًا فأفطر فإن ذلك حسن (٥)، رواه مسلم وغيره.

قال الحافظ: اختلف العلماء أيهما أفضل في السفر: الصوم أم الفطر (٦)؟

فذهب أنس بن مالك رضي الله عنه إلى أن الصوم أفضل.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٥٩٠)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٥-٩١٣-موارد)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٠-١١١٩)، كتاب الصيام، ١٦-باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل، والنسائي (٤/ ١٨٢-المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (٩٣-١١١٦)، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، وأبو داود (٢٤٠٦)، كتاب الصوم، ٤٣-باب الصوم في السفر، والترمذي (٧١٢)، في الصوم، باب ما جاء في الرخصة في السفر.

(٥) أخرجه مسلم (٩٦)، في الصوم.

(٦) قال مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون: الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة، ولا ضرر، فإن تضرر به فالفطر أفضل، واحتجوا بصوم النبي ﷺ وعبدالله بن رواحة وغيرهما، وقال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحاق وغيرهم: الفطر أفضل مطلقًا، وحكاه بعض أصحابنا قولاً للشافعي وهو غريب، واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر، وبحديث مسلم في آخر الباب: «هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه» ، وظاهره ترجيح الفطر.

وحكي ذلك أيضًا عن عثمان بن أبي العاص [١]، وإليه ذهب إبراهيم النخعي وسعيد ابن جبير والثوري وأبو ثور وأصحاب الرأي.

وقال مالك [٢] والفضيل بن عياض والشافعي: الصوم أحب إلينا لمن قوي عليه.

وقال عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والأوزاعي وأحمد بن حنبل[٣] وإسحاق بن راهويه[٤]: الفطر أفضل.

وروي عن عمر بن عبدالعزيز وقتادة ومجاهد: أفضلهما أيسرهما على المرء.

واختار هذا القول الحافظ أبو بكر بن المنذر، وهو قول حسن والله تعالى أعلم.

***

---

(١) عثمان بن أبي العاص، أبو عبدالله الثقفي الطائفي، صحابي شهير، استعمله النبي ﷺ على الطائف، وأخرج له مسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (٥٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٨)، تقريب التهذيب (٢/ ١٠)، الكاشف (٢/ ٢٥١)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢١٢)، الثقات (٣/ ٢٦١)، الإصابة (٤/ ٤٥١).

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان، أبو عبدالله الأصبحي المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبار المثبتين حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، أخرج له الستة، توفي سنة (١٧٩)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٥)، التقريب ٠٢/ ٢٢٣)، الكاشف (٣/ ١١٢)، الجرح والتعديل (١/ ١١)، (٢/ ٩٠٢)، سير الأعلام (٨/ ٤٨)، طبقات ابن سعد (٩/ ١٦٨)، نسيم الرياض (٢/ ١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ١٧٤).

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل، حافظ ، ثقة، أحد الأئمة الأربعة، وكان حجة، قال عنه الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني: إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة.

(٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر، أبو يعقوب، أبو محمد الحنظلي بن راهويه، المروزي، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير، أخرج له الستة عدا ابن ماجه، توفي (٢٣٧، ٢٣٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٢١٦)، تقريب التهذيب (١/ ٥٤)، الثقات (٨/ ١١٥)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٣٧٩)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٠٩)، ميزان الاعتدال (١/ ١٨٢)، لسان الميزان (٧/ ١٧٤)، نسيم الرياض (١/ ٣٥١)، سير النبلاء (١١/ ٣٥٨)، الوافي بالوفيات (١/ ١٩٩)، شذرات الذهب (٢/ ٨٩)، حلية الأولياء (٩/ ٢٣٤).

الباب الثلاثون

في فضل الاعتكاف وأحكامه

وهو في اللغة: اللبث والحبس والملازمة على الشيء خيراً كان أو شراً.

وفي الشرع: اللبث بمسجد من شخص مخصوص بنية [1].

وهو من الشرائع القديمة، قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥].

والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، أي : مقيمون. وقوله ﷺ: **((من اعتكف عشرًا في رمضان كان كحجتين وعمرتين))**[2]، رواه البيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان معتكفًا في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبًا حزينًا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ، لفلان عليّ حق ولاء وحرمة صاحب هذا (العبد) [3] ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت. قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب -فدمعت عيناه- وهو يقول: **((من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها، كان خيرًا من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث جنات، أبعد مما بين الخافقين))** [4]. رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له والحاكم مختصراً، وقال : صحيح الإسناد.

قال الحافظ: وأحاديث اعتكاف النبي ﷺ مشهورة في الصحاح.

---

(١) أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب، وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان، ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيهم أن الصوم ليس بشرط لصحة الاعتكاف، بل يصح اعتكاف المفطر، ويصح اعتكاف ساعة واحدة ولحظة واحدة، وضابطه عند أصحابنا مكث يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، هذا هو الصحيح. النووي في شرح مسلم (٨/ ٥٤).

(٢) أخرجه البيهقي (٤/ ٣١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٢).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٩٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٢)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٦٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٦).

وأركان الاعتكاف [١] أربعة: لبث ، ونية، ومعتكف، ومعتكف فيه.

وهو مستحب في كل وقت لإطلاق الأدلة، وهو في رمضان آكد، وفي العشر الأخير منه آكد لمواظبته ﷺ على الاعتكاف فيه، وله شرطان بمعنى ركنان:

(١) النية في ابتدائه كغيره من العبادات، ويجب في النذر ذكر الفريضة ليتميز عن التطوع، وعلم من اعتبار النية فيه أن لا يصح من الكافر أصليًا كان أو مرتدًا، ولا من زائل العقل بجنون أو غيره، ولا من صبي غير مميز لأنهم لا نية لهم.

(٢) واللبث في المسجد زمنًا يزيد على الطمأنينة، فلا يصح في غير مسجد ولا في مسجد لجنب، لأن كلا منهما لا يسمى اعتكافًا [٢] .

ولا يخرج من الاعتكاف المنذور إلا لحاجة الإنسان، كأن نذر اعتكاف مدة متتابعة بما يعد به خارجًا كالخروج من المعتكف بجميع بدنه، أو بما اعتمد عليه من الرجلين أو اليدين أو الرأس، بخلاف ما لو خرج لحاجة الإنسان من بول أو غائط، وإن كثر خروجه لقضائها.

ولا يشترط في جواز الخروج لجواز لقضاء الحاجة بل لضرورة أو عذر من حيض أو نفاس، أو مرض لا يمكن المقام معه، كأن يشق معه الإقامة لحاجته إلى الفراش أو الخادم، أو الطبيب، أو يخاف معه تلويث المسجد لوجود العذر في جميع ذلك، بخلاف ما لا يشق غالبًا كالحمَّى الخفيفة والصداع ونحوهما.

فلا يجوز الخروج معه، وإذا خرج بما يعد به خارجًا غيره كالخروج بالرأس أو اليدين أو رجل لم يعتمد عليها، فلا يضر.

---

(١) ينبغي لكل جالس في المسجد لانتظار صلاة أو لشغل آخر من آخرة أو دنيا أن ينوي الاعتكاف فيحسب له ويثاب عليه ما لم يخرج من المسجد، فإذا خرج ثم دخل جدد نية أخرى، وليس للاعكاف ذكر مخصوص ولا فعل آخر سوى اللبث في المسجد بنية الاعتكاف، ولو تكلم بكلام دنيا أو عمل صنعة من خياطة أو غيرها لم يبطل اعتكافه. النووي في شرح مسلم (٨/ ٥٥).

(٢) في أحاديث الاعتكاف بيان أنه لا يصح إلا في المسجد لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه إنما اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة، لاسيما النساء لأن حاجتهن إليه في البيوت أكثر، وهذا الذي ذكرناه من اختصاصه بالمسجد وأنه لا يصح في غيره هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور، سواء الرجل أو المرأة، وقال أبو حنيفة: يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها، وهو الموضع المهيأ من بيتها لصلاتها، قال: ولا يجوز للرجل في مسجد بيته، وكمذهب أبي حنيفة قول قديم للشافعي ضعيف عند أصحابه، وجوزه بعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعي للمرأة والرجل في مسجد بيتها. المرجع السابق (٨/ ٥٥)، ط.دار الكتب العلمية.

وإذا خرج بأحد رجليه واعتمد عليهما على السواء فيظهر أنه لا يضر؛ لأن الأصل عدم الخروج.

ويبطل بالوطء عامًا في الفرج من عالم بالتحريم في المسجد أو خارجه[1]، وخرج بالوطء عامدًا وطء الناسي والجاهل للتحريم إن قرب إسلامه أو نشأ بعيدًا عن العلماء.

ولو باشر فيما دون الفرج بطل اعتكافه إن أنزل، وإلا فلا؛ كالصوم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

(١) اختلف الجمهور المشترطون: المسجد العام، فقال الشافعي ومالك وجمهورهم: يصح الاعتكاف في كل مسجد، وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه، وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها، وقال الزهري وآخرون: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة، ونقلوا عن حذيفة بن اليمان الصحابي اختصاصه بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والأقصى، وأجمعوا على أنه لا حد لأكثر الاعتكاف، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٨/ ٥٥)، ط. دار الكتب العلمية.

الباب الحادي والثلاثون

في تشويق الحاج وما يتعلق به وفضله
وذكر مراحل الحجاج وزيارة قبر النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: ((من ملك زادًا وراحلة يبلغانه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا))(١).

فأجيبوا داعي الله، واغتنموا المسير إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلم يبق إلا أيامًا قلائل ويمنع البحر راكبه والبر سالكه، واعلموا أن الله تعالى قد فرض الحج على كل مسلم من أهل الاستطاعة، فليتزود العبد التقوى، ويركب مطايا الإخلاص بأزمة الهمم العالية، وتحروا نفقاتكم من خالص الأموال، وتعلموا المناسك لتأتوا بها على الكمال، واحذروا التفاخر والتكاثر والرياء والاستعلاء وأذية المسلمين عند الازدحام وارحموا الفقير، وأكرموا الرفيق، والزموا الأدب مع الله في حقه وخلقه بالاحتشام، وحافظوا على أداء صلاتكم فلا عذر لمكلف في ترك شيء من الصلوات في المسير، ولا في المقام، وادخلوا حرمه خاشعين خاضعين، واسكبوا عند رؤيته دموعكم السجام، فهناك تسفح عبرات الحب وتقسم نسمات القرب، وتنزل الرحمة، ويؤذن للواردين في الاغتنام.

وروي: أن النبي ﷺ أحرم على ناقته ماسكًا بيده الزمام ولبى وحج واعتمر وطاف وسعى بين الصفا والمروة، ووقف بعرفة، وذكر الله عند المشعر الحرام، ورمى الجمرات، وبين المناسك للأنام.

فاغتنموا بركات تلك الأوقات، فقد اغتنمها قبلكم الملائكة الكرام، وتشبهوا بأقوام ساروا بأشباحهم إلى البيت وجادوا بأرواحهم إلى رب البيت وشاهدوه ببصائر القلوب والأحلام.

---

(١) أخرجه الترمذي (٨١٢)، كتاب الحج، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، وقال الترمذي: حديث غريب وفي إسناده مقال. وأخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٦٧)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٤١٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٩).

فإن لم تكونوا منهم ولا معهم فكونوا مع المحبين لهم طول الدوام، ولا تيأسوا أيها المخلفون، فلعل أن تكونوا منهم بعد هذا العام.

وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «الخارج من بيته يؤم البيت الحرام، فإن له بكل خطوة تخطوها راحلته حسنة، وتمحى بها سيئة».

وقال ابن إسحاق: لم يبعث الله نبيًا بعد إبراهيم إلا وقد حج البيت، وقد حج رسول الله ﷺ بعدما هاجر حجة الوداع.

قال ابن إسحاق: وقد حج أبو بكر رضي الله عنه واعتمر، وحج عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميرًا في خلافته كلها، وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها، واعتمر عمر في خلافته ثلاث عُمَرَ. وحج عثمان رضي الله عنه واعتمر[1].

أما علي رضي الله عنه فلم يعلم عدد حجه قبل ولايته ولا في زمن ولايته، وقد اشتغل عن الحج بما وقع في أيامه، وحج معاوية بالناس، وأقام ابن الزبير يحج قبل ولايته، وبعد ولايته ثمان حجج متوالية، رضي الله عنهم أجمعين.

وحكى الإمام أبو الفضل عياض في كتاب الشفا عن بعض الشيوخ بالمغرب أن قومًا أتوه وأعلموه أن كنانة قتلوا رجلاً وأضرموا عليه النار، فلم تعمل فيه، وبقي أبيض البدن. فقال: لعله حج ثلاث حجج؟ فقالوا: نعم. قال: حديث: «إن من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار»[2].

وفضل النفقة في الحج كفضل النفقة في سبيل الله؛ فعن بريدة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمائة درهم»[3].

ونقل الشيخ بدر الدين بن جماعة في مناسكه الكبرى، قال: روي أن عبدالله بن المبارك دخل الكوفة ليحج، فإذا بامرأة على مزبلة تنتف بطة، فوقع في نفسه أنها ميتة، فوقف وقال: ما هذه، أهذه ميتة أم مذبوحة؟ قالت: بل هي ميتة، وأنا أريد أن آكلها أنا وعيالي، فقال: إن

---

(١) الحج فرض عين على كل حر مسلم مستطيع، واختلف العلماء في وجوب العمرة، فقيل: واجبة، وقيل: مستحبة، وللشافعي قولان، أصحهما: وجوبها، وأجمعوا على أنه لا يجب الحج ولا العمرة في عمر الإنسان إلا مرة واحدة إلا أن ينذر فيجب الوفاء بالنذر بشرطه، وإلا إذا دخل مكة أو حرمها لحاجة لا تتكرر من تجارة أو زيارة ونحوهما، ففي وجوب الإحرام بحج أو عمرة خلاف العلماء، وهما قولان للشافعي ، أصحهما: استحبابه، والثاني: وجوبه بشرط أن لا يدخل لقتال ولا خائفًا من ظهوره وبروزه، واختلفوا في وجوب الحج هل هو على الفور أو التراخي؟ فقال الشافعي وأبو يوسف وطائفة: هو على التراخي إلا أن ينتهي إلى حال يظن فواته لو أخره عنها، وقال أبو حنيفة ومالك وآخرون: هو على الفور ، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٨/ ٦١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٧١) بنحوه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٧).

الله تعالى قد حرم الميتة، وأنت يا هذه تأكليها؟! فقالت: يا هذا، انصرف عني، فلم يزل يراجعها بالكلام، فلما زاد عليها قالت: إن لي أطفالاً ولهم ثلاثة أيام لم أجد ما أطعمهم به، قال: فانصرف ثم جعل على بغلة نفقة وكسوة، وزاداً وجاء فطرق الباب، ففتحت فنزل عن البغل، وضربه فدخل البيت، ثم قال للمرأة: هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لكم، ثم أقام حتى رجع الحاج، فجاءه قوم يهرعون ويهنئونه بالحج. فقال: ما حججت السنة؟ فقال له بعض الناس: سبحان الله، ألم أودعك نفقتي ونحن ذاهبون. وقال آخر: ألم تسقني بموضع كذا وكذا. وقال آخر: ألم تشتر لنا كذا وكذا, فقال: ما أدري ما تقولون، أما أنا فلم أحج العام. فلما كان من الليل ونام، رأى في منامه قائلاً يقول: يا عبدالله يا ابن المبارك، إن الله قد قبل صدقتك وإنه بعث ملكًا على صورتك فحج عنك، فأنشد بعضهم يقول:

قل لمن بدنياه تشاغـــل ... واقتنى فيها ضياعـــــا
اخرج إلى الفقراء وسل ... عن فتية باتوا جياعـــا
إن لله عبــــــاداً ... كشفوا فيه القناعـــــا
هل رأيتم أحـــداً قـــد ... عامل الله فضاعـــــا
من دنـــا لله شـــبراً ... سوف يدنيه ذراعـــــا

قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الحاج من بيته كان في جزاء ربه، فإن مات قبل أن يقضي نسكه غفر له، وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألفًا فيما سواه»[1]، رواه الترمذي.

وفعل الخير في السفر إلى الحاج أفضل من فعل غيره، فإن الحاجة في غيره أيسر.

وكان لزبيدة زوجة الرشيد أمير المؤمنين آثار حسنة بطريق الحجاج من جهة العراق من إجراء العيون، وبناء المصانع وغير ذلك.

وروي عن عبدالله بن المبارك أنه رآها في المنام فقال لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة.

---

(١) لم أقف عليه بالترمذي ، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٠)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٠٩).

وأما ما جاء في ثواب من حج عن أبويه أو قضى حقا عنهما، فأنه يبعث مع الأبرار

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج عن أبيه وعن أمه فقد قضى عنه حجه وكان له فضل عشر حجج»[١].

وعن زيد بن أرقم ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه ومنهما، واستبشرت أرواحهما وكتب عند الله بارًا»[٢]. أخرجهما الدارقطني.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من حج عن ميت كتب للميت حجه، وللحاج سبع حجات[٣]. وفي رواية: وللحاج براءة من النار.

أخرجه (أبو ذر)[٤]، وفضل الله واسع ونسأله المزيد من فضله.

وأما ما جاء فيمن قد مات بمكة أو غيرها من الحرم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات في هذا الوجه من حاج أو معتمر لم يعرض، ولم يحاسب، وقيل له: ادخل الجنة»[٥]، رواه الدارقطني، وقاله ابن جماعة في مناسكه الكبرى، وذكره الحسن البصري رحمه الله في رسالته المعروفة عن النبي ﷺ، لكن لفظه: «من مات في حج أو عمرة لم يعرض...».

وفيها: أن النبي ﷺ قال: «من مات بمكة فكأنما مات في سماء الدنيا، ومن مات في أحد الحرمين حاجًا أو معتمرًا بعث يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب»[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج حاجًا فمات كتب الله أخره إلى يوم القيامة»، أخرجه أبو ذر.

---

(١) أخرجه الدارقطني في السنن (٢/ ٣٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٢٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٢)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ١٦)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٨٢٣).

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن (٢/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٢).

(٤) كذا بالأصل.

(٥) أخرجه الدارقطني في السن (٢/ ٢٩٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٧١، ٤٤٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٩٨)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١١٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٧٢).

(٦) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٨٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٤٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢١٩)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٧٣).

(٧) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨)، والزيلعي في نصب الراية (٣/ ١٥٩)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠٩٤)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٤٥).

وفي تاريخ الأزرقي: من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر زائرًا كان مضمونًا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر. وفي حديث: «**من مات بإحدى الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين**»[١] .

وسبب الشوق الذي يقع بالمؤمنين : ما روي أن الله تعالى أخذ الميثاق من بني آدم ببطن نعمان –وهي عرفة– فاستخرجهم هناك ونثر بين يديه كهيئة الذر، ثم كلهم، فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، وكتب إقرارهم في رق وأشهد فيه بعضهم على بعض وألقمه الحجر الأسود.

ومن أجل ذلك استحب لموافيه أن يقول: «**اللهم إيمانًا بك وتصديقًا ووفاءً بعهدك**»، وهذا منزع إلى معنى حب الوطن، أي أول وطن، وقيل في ذلك:

كم من منزل في الأرض يسكنه الفتى ... وحنينـــه أبـــدًا لأول منـــــزل

وقيل لذي النون المصري رحمه الله: أين أنت من قوله سبحانه وتعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ قال: كأنه بأذني.

ويروى: أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى الكعبة عند بنائها: إني خالق بشرًا يحنون إليك حنين الحمام، وأنشد:

وإني لمجلوب إلى الشـــوق كلمـــا ... تنفس بـــاك أو تـــألم ذو وجــــد

فما شرب العشـــاق إلا بقيتــــي ... ولا وردوا في الحـب إلا على وردي

وخرجت أم أيمن[٢] رضي الله عنها من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء، فوقفت والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول: وا ضعفاه، هذه حسرة من انقطع عن البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت.

ويروى: أنه حج رجل من أهل الصلاح فرأى فيما يرى النائم كأن أعمال الحج تعرض على الله تعالى، فقيل: فلان ، فقال: يكتب حاجًا، وقيل: فلان، قال: يكتب تاجرًا، حتى بلغ إليه فقال: يكتب تاجرًا، فقلت في نومي: ولم كتبت تاجرًا؟ فقال: حملت معك كبة غزل تبيعها على أهل مكة.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤١٦).

(٢) أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته واسمها بركة، من كبار المهاجرات، توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر وهي أم أسامة بن زيد ، تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة (١١). من مناقب أم أيمن: قال جرير بن حازم: سمعت عثمان بن القاسم يقول: لما هاجرت أم أيمن أمست بدون الروحاء فعطشت وليس معها ماء، فدلي عليها من السماء دلو فشربت ، فكانت تقول: ما عطشت بعدها، ولقد تعرضت للعطش فأصوم في الهواجر فما عطشت. المرجع السابق.

وحكي عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال: عزمت سنة من السنين على الحج، فبينما أنا في الطريق، وإذا أنا بصوت موزون من كبد محزون وهو يقول: إلهي لا إليك أوصلتني، ولا إلى أهلي تركتني، قال: فتقدمت إليه، وسلمت عليه فقال: وعليك السلام يا جنيد، فقلت: ومن أعلمك بأني الجنيد؟ فقال: التقت روحي وروحك في الهواء فأعلمني باسمك من يعلم السر والنجوى. ثم قال: سألتك بالله ألا أقمت عندي هذه الليلة، فإذا أنا مت فغسلني وكفني في ثيابي واطلع على هذه الرابية، وناد: الصلاة على الغريب يرحمكم الله، فإذا صليتم علي ودفنتموني ورحلتم، وتركتموني وسرت إلى مكة وقضيت حجك فارجع إلى بغداد واسأل عن درب الزعفراني، وتسأل عن أمي وابني، فإذا وجدتهما فأخبرهما بموتي، وقل لهما: الغريب يقرؤكما السلام ويقول لكما: لا إلى بيته، ولا معكما تركني.

قال الجنيد: فلما جن الليل حن الشاق وأنشد يقول شعراً:

فارقت أحبابًا عليّ أعـــــزة ... كانوا بقلبي في أعــز مكانـــــي
ما كنت أول من مضت أحبابه ... وجرت عليـــه نوائب الحدثاني
الدهر لا يبقى بحال واحـــــد ... لابـد من فــرح وأحزانـــــي

قال الجنيد[1]: ثم مات فغسلته وكفنته، وصعدت على الرابية، وناديت الصلاة على الغريب، فإذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق.

فلما صلينا عليه ودفناه وانصرفنا وقضيت حجي، ثم رجعت إلى بغداد، سألت عن درب الزعفراني ودخلت إليه، فإذا أنا بصبيان يلعبون، وصبي معهم، فلما رآني قام إليّ وعانقني، وقال: يا عماه لعلك جئت تخبر بموت أبي؟ فقلت: وا عجباه، ومن أعلمه بذلك، ثم سرت معه إلى العجوز، فضرب الباب، وإذا عجوز قد خرجت وفي يدها سبحة وفي رقبتها سبحة وهي تسبح بأنواع التسابيح لله تعالى، فلما رأتني قالت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً يا جنيد، أين مات ولدي، لعله مات بعرفة؟، قلت: لا. قالت: لعله مات بمنى؟ قلت: لا. قالت: لعله مات بشجرة أم غيلان؟ قلت: نعم، فصاحت وا ولداه، إلهي لا إلى بيتك أوصلته، ولا معي تركته، إلهي ألحقني به، وصاحت صيحة خرجت روحها، فلما رآها الولد رفع بصره إلى السماء وقال: إلهي لا مع والدي سيرتني ولا بجدتي آنستني، إلهي فألحقني بهما، إنك على كل شيء قدير، وصاح صيحة فخر ميتًا، رحمة الله عليهم أجمعين. شعر:

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل: كان أبوه قواريرياً يعني زجاجاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، اختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم ، تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١-٣٠٠).

ونفس محب الله نفس ذليلـة وأي محب لا يكون ذليـــلا
إذا اشتغلت نفس المحب بحبها فليس محال أن تريد دليــــلا

وخرج إبراهيم بن أدهم(١) سنة من السنين حاجًا إلى بيت الله الحرام، فعدل عن الطريق والقافلة، فإذا هو بصبي يتعثر في أذياله، قال إبراهيم: فقلت في نفسي : بالله العجب، بادية تبدأ وبر أفقد، وصبي صغير، إن هذا لأمر عجيب.

قال: فدنوت منه وسلمت عليه، وقلت: إلى أين يا صبي تريد؟ قال: إلى بيت الله الحرام، قلت: إنك صبي لم يجر عليك القلم والأحكام؟ فقال: إليك عني يا عم ، قد مات من هو أصغر مني. فقلت: أسرع في خطاك لعلك تلحق القافلة، والمنزل بوقت. فقال: علي المشي وعليه البلاغ، ألم تقرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فقلت له: ذاهبًا إلى البيت الحرام بلا زاد ولا راحلة؟ فقال: زادي ثقتي بربي، وراحلتي رجلاي التي أمشي عليهما. فقلت: سألت عن الطعام والشراب؟ فقال: سبحان الله يا عم، لو أن رجلاً من إخوانك وصديقًا من أصدقائك دعاك إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك طعامًا أو شرابًا إلى منزله؟ قلت: لا. فقال: إن الذي دعاني إلى منزله هو الذي يطعمني إذا شاء ويسقيني إذا شاء.

ثم ولى الصبي عني فتبعته، فرأيت قد استقبله شاب لم أر أحسن منه وجهًا، عليه ثياب خضر، فسلم عليه وصافحه. قال إبراهيم: فتركت المسير، وأقبلت على الشاب وقلت له: سألتك بالله من هذا الصبي؟

فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لا.

قال: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٢)، المعروف بـ: «زين العابدين».

قال: فتركت الشاب، وأقبلت على الصبي وقلت: بحق آبائك الطاهرين إلا أخبرتني من هذا الشاب الذي سلم عليك؟

قال: أبو العباس الخضر عليه السلام، يأتيني كل يوم سبعين مرة يسلم عليّ.

---

(١) من أقواب إبراهيم بن أدهم: وأي دين؟ لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحب إليه من التطاول. وقال: والله ما الحياة بثقة يرجى نومها، ولا المنية بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني ومن العيش الباقي بالعيش الفاني. تاريخ الإسلام وفيات (١٦٠-١٧٠).

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، الهاشمي، المدني، زين العابدين، القرشي، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل، مشهور، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥)، الكاشف (٢/ ٢٨٢)، الجرح والتعديل (٦/ ٩٧٧)، الحلية (٣/ ١٣٣)، سير الأعلام (٤/ ٣٨٦)، البداية والنهاية (٩/ ١٠٣)، نسيم الرياض (٣/ ٤٧٢)، تراجم الأحبار (٣/ ١٠٩)، الثقات (٥/ ١٥٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[١].

رواه البخاري ومسلم، ورواه ابن حبان في صحيحه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال عند الله تعالى: إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور»[٢].

قال أبو هريرة: حجة مبرورة تكفر خطايا سنة [٣].

المبرور: قيل هو: الذي لا تقع فيه معصية.

وقد جاء من حديث جابر مرفوعًا: «إن بر الحج: إطعام الطعام، وطيب الكلام».

وعند بعضهم: «إطعام الطعام وإفشاء السلام».

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» [٤]. رواه البخاري ومسلم.

الرفث: بفتح الراء والفاء جميعًا، وروي عن ابن عباس أنه قال: الرفث ما روجع به النساء.

وقال الأزهري: الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة فيما يتعلق بالجماع.

وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءً إلا الجنة»[٥]، رواه مالك والبخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، كتاب الإيمان، ١٨-باب من قال: إن الإيمان هو العمل، ومسلم في صحيحه (١٣٥-٨٣) كتاب الإيمان، ٣٦- باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. والترمذي (١٦٥٨)، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء أي الأعمال أفضل. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٤-الموارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٢، ١٥٩١-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٢، ٢٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٢٠١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢١)، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ومسلم (٤٣٨-١٣٥٠)، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٤)، والبيهقي في السنن (٥/ ٢٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٣)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧١) والترمذي (٨١١)، بلفظ: «غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٣٤٦)، والبخاري (١٧٧٣)، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، ومسلم في صحيحه (٤٣٧-١٣٤٩)، كتاب الحج، ٧٩-باب ما ذكر في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، والترمذي (٩٣٣) كتاب الحج، باب ما ذكر في فضل العمرة وابن ماجه (٢٨٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٣، ٥/ ٢٦١)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٣).

وعن ابن شماسة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وقال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، ابسط يمينك لأبايعك، فبسط يده، فقبضت يدي فقال: «ما لك يا عمرو؟». قال: أردت أن أشترط. قال: «تشترط ماذا؟». قال: أن يغفر لي. قال: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»[١]. رواه ابن خزيمة في صحيحه هكذا مختصراً، ورواه مسلم [٢] وغيره أطول منه.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني جبان، وإني ضعيف. فقال: «هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج» [٣] رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورواته ثقات.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ترى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكن أفضل الجهاد: حج مبرور»[٤]. رواه البخاري وابن خزيمة ولفظه: قالت: قلت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟ قال: «عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «الحج جهاد الكبير والصغير» [٥].

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاءً إلا الجنة»، قيل: وما بره؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام»[٦]. رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[٧]، رواه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٢-١٢١)، كتاب الإيمان، ٥٤- باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢٠)، كتاب الحج، ٤-باب فضل الحج المبرور، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢٩٠١)، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٦٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٩٠٢)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٤). والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٢٠)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٠٠).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٧).

(٧) أخرجه الترمذي (٨١٠)، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، وابن حبان في صحيحه (٩٦٧-موارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٢)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥)، والهيثمي في المجمع (٣/ ٢٧٧)، وابن ماجه (٢٨٨٧)، كتاب=

وفي رواية للبيهقي: «فإن متابعة بينهما يزيد في الأجل وينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير الخبث».

وعن أبي موسى رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيت، -أو قال: من أهل بيته- ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (١)، رواه البزار.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (٢): «ما ترفع إبل الحاج رِجْلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله له بها حسنة أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة». رواه البيهقي وابن حبان في صحيحه.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «من جاء يؤم البيت الحرام، فركب بعيره فما يرفع البعير خفًا ولا يضع خفًا إلا كتب الله بها حسنة، ومحا عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة، حتى إذا انتهى إلى البيت فطاف وطاف بين الصفا والمروة، ثم حلق أو قصر إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إن آدم أتى البيت ألف أتية لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه» (٤)، رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم» (٥). رواه البزار ورواته ثقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله؛ إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم» (٦). رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

=المناسك، باب فضل الحج والعمرة، والنسائي كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، والزبيدي في إتحاف المتقين (٤/ ٤٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٣٠)،/ قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٢).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٧٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٢)، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧)، والشجري في أماليه (٢/ ٥٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٢٠).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٢)، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، وابن حبان في صحيحه (٩٦٤-موارد) وانظر ما قبله.

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «يغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج» [١]، رواه البزار والطبراني في الصغير وابن خزيمة في صحيحه والحاكم ولفظهما قال: «اللهم اغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج» [٢]. وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين، ويرفع في الثالثة» [٣]، رواه البزار والطبراني في الكبير، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

قال ابن خزيمة: «ويرفع في الثالثة» يريد بعد الثالثة.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما أهبط الله آدم من الجنة قال: إني مهبط معك بيتًا أو منزلاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي، فلما كان زمن الطوفان رفع، وكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه، فبوأ لإبراهيم، فبناه من خمسة أجبل: حراء، وثبير، ولبنان، وجبل الطور، وجبل الخير، فتمتعوا منه ما استطعتم» [٤]. رواه الطبراني موقوفًا، ورجال إسناده رجال الصحيح.

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للكعبة لسانًا وشفتين، ولقد اشتكت فقالت: يا رب قلّ عوادي، وقلّ روادي، فأوحى الله ﷻ: إني خالق بشرًا خشعًا سجدًا يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها» [٥]. رواه الطبراني في الأوسط.

وروي عن أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «إن داود ﷺ قال: إلهي، ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك؟ قال: لكل زائر حق على المزور، حقًا يا داود إنّ لهم عليّ أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم» [٦]. رواه الطبراني في الأوسط أيضًا.

وروي عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما راح مسلم في سبيل الله مجاهدًا أو حاجًا مهلاً وملبيًا إلا غربت الشمس بذنوبه وخرج منها» [٧]، رواه الطبراني في الأوسط أيضًا.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢٨، ٥٤١).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦١)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١١٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٤١)، وابن حبان في صحيحه (٩٦٦-موارد)، والمنذري في الترغيب (٢/ ١٦٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٧٣).

(٤) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٤٦)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٦١)، وفي الإتحافات السنية (٢٦٠).

(٥) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨).

(٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٦٦).

(٧) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٧٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١١).

قصيدة في ذكر منازل الحاج الشريف، قال:

نسيم سرى من أرض نجد فأحيانـــا   وهيج أشواقًا وأورث أشـجـانـــا
وذكرنا أيــام نـجـــد فليتـــنا   هناك دفنـاه يــا طيب مثـــوانـــا
إلى بركة لما ســـروا فاض أدمعـــي   وأمسيت ولهانًا فقـــيرًا وحيرانـــا
وساروا إلى نحـــو الويـب بزعمهـم   وكل بروض الكيس أصبح فرحانـــا
فيا حاديًا عج بالمصارع مسرعـــــًا   وجد إلى نحو السويس مطايانـــــا
قباب لنا لاحت وها نحـل بــــدت   وفي عقبات السطح عمدًا وإيمانـــا
إلى حقد مع وادي شعيب وأعـــين   قصدنا ليروى كل من كان ظمآنـــا
كفافه قد جئنا (وعنتر) (١) نبتغـــي   ووجه الرضا يا صاح بالخبر وافانــا
مفازه نبط ماؤها يذهـــب الظمـــأ   وفي ينبع تلقى نخيـــلاً وغيطانـــا
أتينا إلى الدهناء وقد زاد شوقـــنا   إلى بدر ثم جاز فضـــلاً وبرهـانـــا
وفي رابغ يا صــــاح لما نظرتـــنا   ثيابًا خلعناها ليكــــرم قربـانـــا
وفي بطن مرو لو نزلـــنا كأنـــنا   نطير من الأفراح ســـرًا وإعلانـــا
نشقنا نسيمًا مـن معالم مكـــــة   فأنعش أرواحًا وعطّـــر أكوانـــا
نزلنا على المعلا فيـا طيـب مـــنزلا   نزلنا ففارقنا همومـــًا وأحزانـــا
وقيل أبشروا هذا العروس بدت لكـم   وحسن محياهـــا تجـــلا وقرآنـــا
ولما رأيناهـــا تعـــالى ضجيجـــنا   فيا ساعة أضحى بها القلب فرحانـــا
خضعـــنا لها ذلاً لعـــز جمالهـــا   وحق لنا أن نبذل الروح شكـــرانـــا
قضينا طوافًا ثم سعيـــًا وبعـــد ذا   أتينا منا قصدًا لنطلب غفـــرانـــا
فيا ليلة تبـنا بمشعـــر ذكـــــره   ورحمة رب العرش يا صاح تغشاهـــا
ولا عيد إلا أن يكون علـــى منـى   فما كان أهنأ عيدنا وضحـــايانـــا
وفي عرفات قـــــد وقفنا لربـــنا   نشاوى سكارى قد نشرنا خطايـــانـا
فنادى بنا أهلاً ضيوفي تباشـــــروا   أنلتكموا جودًا وعفوًا وغفرانـــــا
قضينا مناسكنا وقد جاد ربـــــنا   علينا بغفـــران وجـــــود أوانا
ومن بعد ذا ســـرنا إلى أرض طـــيبة   إلى مـــن عليه الله أنـــزل قرآنـــا
إلى خير خلق الله أعني محمــــــدًا   ومن فاق كل الخلق حسنًا وإحســـانا
قطعنا إليه كل بر وصحـــــــرة   ومن شوقنا لم يطرق النوم أجفانـــا

---

(١) كذا بالأصل.

ولما بدا وادي العقيق رأيتـــــنا نشاوى سكارى من لذيـذ محيانـــا
دخلنا وسلمنا وقلنا نبيـــــــنا ذنوبًا وأوزارًا حملـــــنا وعصيانـــا
بروضته تبنا فـــيا طيـب ليلـــــة قطعنا بها أنسًا ونورًا وقـــرآنـــــا
فيا ســـيد الكونين يا علم الهـــدى ويا من حوى عزًا ويا من حوى شانا
فلولاك لم نسع ولولاك لم نســـــر ولولاك لم نهجر ديارًا وأوطـــــانا
ولولاك ما كان الوجود بأســـــره ولم يخلق الرحمن في الأرض إنســـانا
أقل عبيد الله أرجوك شافعـــــًا إذا قمت من لحدي رهينًا وحـــيرانـــا
ترى شمع الأيـــام منك بعـــودة وانظر ذاك الحي والأثـل والبــــانا
فإن مت من شوقي إليك بحســـرتي فخطوا على قبري قضى وهو شهوانا
عليك سلام الله ما هبت الصـــبا وما ناح قمري على الدوح نشوانـــا

وأما زيارة قبر النبي ﷺ

فإذا خرج من مكة قاصدًا المدينة المشرفة فيسن له أن ينوي في ذهابه زيارة قبر خير الخلائق أجمعين [1]. فإذا دخل الحرم الشريف، فينبغي أن يكون خاضعًا متواضعًا متطهرًا ويستحضر في قلبه أن سيد المرسلين حي حاضر، فيكون على أهبة من المهابة اللائقة بالحضور بين يديه ﷺ، فإذا بلغ الحجرة الشريفة وقف متأدبًا خاضعًا قبالة وجهه ﷺ وعلامة ذلك المسمار الفضة فيقف قبالته.

ويسلم على النبي ﷺ سلامًا بليغًا لائقًا بتلك الحضرة الشريفة فيقول: السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام

---

(١) لا ريب في أن زيارة مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام من أعظم القرب وأجلها شأناً، فإن بقعة ضمت خير الرسل وأكرمهم عند الله لها شأن خاص، ومزية يعجز القلم عن وصفها، على أن الغرض الصحيح من زيارة القبور هو تذكر الآخرة، وقد بين الفقهاء آداب السلام على النبي ﷺ في حالة زيارة مسجده ، وزيارة المساجد الأخرى، قالوا: إذا توجه لزيارة المصطفى ﷺ يكثر من الصلاة والسلام عليه مدة الطريق ويصلي في المساجد التي يمر بها وهي عشرون مسجداً متى أمكنه ذلك، وإذا عاين حيطان المدينة يصلي على النبي ﷺ ويقول: اللهم هذا حرم نبيك فاجعله وقاية لي من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب، ويغتسل قبل الدخول وبعده إن أمكنه ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ويدخلها متواضعاً ، عليه السكينة والوقار، وإذا دخل المسجد يصلي عند منبره ركعتين، ثم يتوجه إلى قبره ﷺ فيقف عند رأسه الشريف مستقبل القبلة، ثم يقول: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله ، فقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في أمر الله حتى قبض الله روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها، انظر الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦١٤ – ٦١٦).

عليك يا أفضل رسل الله، السلام عليك يا خاتم النبيين، ويكثر منه إكثاراً لائقًا بتلك الحضرة الشريفة.

ثم يتأخر قليلاً إلى جهة يمينه قدر ذراع فيسلم على سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ فيقول: السلام عليك يا سيدي أبي بكر، السلام عليك يا صهر رسول الله ﷺ وخليفته، السلام عليك يا صاحب رسول الله ﷺ وأنيسه في الغار، ويكثر من ذلك.

ثم يتأخر جهة يمينه قدر ذراع فيسلم على سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فيقول: السلام عليك يا سيدنا عمر بن الخطاب ، السلام عليك يا فاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، السلام عليك يا من أعز الله به الإسلام، السلام عليك يا صهر رسول الله ﷺ، ويكثر من ذلك.

ويزور السيدة فاطمة رضي الله عنها [(١)] فيقول: السلام عليك يا سيدتنا فاطمة بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت المصطفى، السلام عليك يا زوجة عليّ المرتضى، السلام عليك يا أم الحسن والحسين السيدين الكريمين سيدا شباب أهل الجنة، اشفعي لنا عند أبيك، وأبوك يشفع لنا عند الله بالتوبة والمغفرة والرضوان، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثم يعود إلى موقفه الأول قباله وجه سيدنا رسول الله ﷺ ويعيد السلام المتقدم مع الإكثار منه.

ويدعو بما أحب دنيا ودينًا وما يتعلق بأمر الشفاعة وأمر الآخرة أولى وأحق.

ويستحب أن يصلي ركعتين بين المنبر والقبر [(٢)]. فقد ثبت أنه روضة من رياض الجنة.

وأن يكثر الصدقة على فقراء المدينة.

ثم يتوجه إلى البقيع إن أمكن فيقول: سلام عليكم دار قوم مؤمنين، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام عن عائشة أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ودفنت ليلاً وقال في الرياض النضرة (١/ ١٥٦): عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف ، فلما وضعت ليصلى عليها قال علي ﷺ: تقدم يا أبا بكر، قال: وأنت شاهد يا أبا الحسن؟ قال: نعم، تقدم فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين ودفنت ليلاً.

(٢) حديث: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»: أخرجه البخاري (١١٩٥) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ٥- باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم كتاب الحج، ٩٢ -باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم (٥٠٢-١٠٥٥)، ومالك في الموطأ (١/ ١٩٧)، حديث رقم (١٠)، والترمذي (٣٩١٦)، كتاب المناقب، ٦٨- باب في فضل المدينة.

ثم يسلم على سيدنا عثمان بن عفان فيقول: السلام عليك يا جامع القرآن، السلام عليك يا من استحت منه ملائكة الرحمن ورحمة الله وبركاته.

ثم يسلم على السيد إبراهيم بن رسول الله ﷺ ومن معه فيقول: السلام عليك يا سيدي إبراهيم يا ابن رسول الله ﷺ، يا ابن حبيب الله. والسلام عليك يا سيدي سعد بن أبي وقاص. والسلام عليك يا سيدي أبا عبيدة بن الجراح(١). والسلام عليك يا سيدي عثمان بن مظعون. والسلام عليكم يا من بشرهم النبي ﷺ بالجنة ورحمة الله وبركاته.

ثم يقول: السلام عليك يا سيدي العباس (٢)، السلام عليك يا طيب الأنفاس، والسلام عليك يا سيدي الحسن بن علي ؓ، والسلام عليك يا سيدي زين العابدين، والسلام عليك يا سيدي محمد الباقر، والسلام عليك يا سيدي جعفر الصادق.

ثم يقول: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ورحمة الله وبركاته، ثم يسلم على السيد عقيل ؓ فيقول: السلام عليك يا سيدي عقيل، يا ابن عم رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، ثم يسلم على أزواج النبي ﷺ فيقول: السلام عليكن يا أزواج حبيب الله، السلام عليكن يا من اخترن الله ورسوله ورحمة الله وبركاته.

ثم يسلم على السيدة صفية بنت عبدالمطلب (٣)، فيقول: السلام عليك يا سيدتنا صفية بنت عبدالمطلب، السلام عليك يا عمة رسول الله ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أبو عبيدة بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين، وأحد الرجلين اللذين عينهما أبو بكر للخلافة يوم السقيفة. ولي إمرة أمراء الأجناد بالشام، وكان من السابقين الأولين، شهد بدراً ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في المغفر في وجنة رسول الله ﷺ يوم أحد بأسنانه رفقاً بالنبي ﷺ، فانتزعت ثنيتاه فحسن ذهابهما فاه، حتى قيل: ما رؤي أحسن من هتم أبي عبيدة، وقد انقرض عقبه، وقال راشد بن سعد وغيره: إن عمر قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته، فإن سألني الله لم استخلفته؟ قلت: إني سمعت نبيك يقول: «إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، وتوفي رضي الله عنه بطاعون عمواس بالأردن، انظر وفيات سنة (١٨)، بتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم أبو الفضل عم النبي ﷺ، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وحضر بدراً فأسره المسلمون، ثم فدى نفسه وأسلم وقدم مكة، وله أحاديث، عاش (٨٨) سنة، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع، وقال أنس: قحط الناس فاستسقى عمر بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا »، قال: فسقوا. تاريخ الإسلام وفيات (٣١-٤٠).

(٣) صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة، تزوجها الحارث بن حرب بن أمية فتوفي عنها، وتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير حواري رسول الله ﷺ والسائب وعبدالكعبة، والصحيح أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ سواها، توفي ت سنة (٢٠)، ودفنت بالبقيع ، تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٠).

ثم يسلم على السيدة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، فيقول: السلام عليك يا سيدتنا فاطمة بنت أسد، السلام عليك يا من اضطجع رسول الله ﷺ في قبرها، وألبسها قميصه بعد موتها ورحمة الله وبركاته.

ثم يسلم على الإمام مالك، والإمام نافع [1] رحمهما الله فيقول: السلام عليك يا سيدي مالك بن أنس، السلام عليك يا شيخ المذهب، والسلام عليك يا سيدي نافع، السلام عليك يا شيخ القراء، السلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

ثم يقول: السلام عليك يا سيدي إسماعيل بن جعفر [2] الصادق ورحمة الله وبركاته.

ثم يسلم على أسد الله حمزة، ومن حوله من الشهداء[3]، ويسلم على عبدالله بن جحش، ويقول: السلام عليكم يا شهداء أحد، يا من أنزل الله مدحهم في القرآن ورحمة الله وبركاته.

ثم يتوجه إلى قباء ويصلي فيه ركعتين، ويدعو بما أحب.

***

(١) نافع أبو عبدالله الفقيه مولى ابن عمر المدني العدوي القرشي، ثقة ثبت ، فقيه مشهور، أخرج له الستة، توفي سنة (١١٧)، أو بعدها (١٢٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٤١٢)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٦)، الكاشف (٣/ ١٩٧)، تاريخ البخاري الكبير (٨/ ٨٤)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٧٠)، وتاريخ الثقات (٤٤٧)، تراجم الأحبار (٤/ ١١٦)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٩٥)، البداية والنهاية (٩/ ٣١٩)، معرفة الثقات (١٨٣٨)، معجم طبقات الحفاظ (٧٩).

(٢) إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، يعد في المدنيين ليس به بأس، انظر الجرح والتعديل (١/ ١٦٣).

(٣) ذكر الشهداء الذهبي في تاريخ الإسلام في غزوة أحد فقال: من المهاجرين: حمزة، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وعثمان بن عثمان ولقبه شماس. ومن الأنصار من الأوس: عمرو بن معاذ، والحارث بن أوس بن معاذ والحارث بن أنس ابن رافع وعمارة بن زياد بن السكن وغيرهم ذكرهم الذهبي. ومن الخزرج: عمرو بن قيس النجاري وابنه قيس، وثابت بن عمرو، وعامر بن مخلد، وأبو هبيرة بن الحارث، وعمرو بن مطرف ... إلى آخره ، تاريخ الإسلام، غزوة أحد سنة (٣هـ).

الباب الثاني والثلاثون

في فضل ذكر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال الإمام الحناطي في كتابه: إن الله تعالى وعد ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء: وعد من ذكره أن يذكره، ومن وفى بعهده أن يوفي بعهده، ومن تفسح في المجلس أن يفسح له. فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

يعني أوفوا بعهدي في دار محبتي على بساط كرامتي أوف بعهدكم في دار كرامتي على بساط مجاهدتي.

وقيل: أوفوا بعهدي على وجه الأرض، أوف بعهدكم إذا كنتم في بطن الأرض، وقوله: ﴿تَفَسَّحُوا۟[1] فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ٥٨]، في القبر، لأنه ليس في موضع أضيق من القبر.

قال ثابت الشيباني[2] رحمة الله عليه: إني أعلم متى يذكرني ربي؟ فقال له أصحابه: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، واعلموا أن الأغذية قوت الأجسام وذكر الله قوت الأرواح والقلوب.

---

(١) روى البخاري (٨/ ٧٥) ومسلم (٢٨-٢١٧٧)، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا».

(٢) ثابت بن محمد، أبو محمد، ويقال: أبو إسماعيل العابد الشيباني الكناني الكوفي، صدوق زاهد، يخطئ في أحاديث، توفي سنة (٢١٥)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ١٤)، تقريب التهذيب (١/ ١١٧)، الكاشف (١/ ١٧٢)، التاريخ الكبير (٢/ ١٧٠)، الجرح والتعديل (٢/ ١٨٤٨)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٦٦)، الترغيب (٤/ ٥٦٨)، الثقات (٨/ ١٥٨).

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتي إني أحب أهل لا إله إلا الله، فقربوهم مني»، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «لأهل الذكر أربع خصال[1]: تغشاهم الرحمة، وتنزل عليهم الملائكة، وتحف بهم السكينة، ويذكرهم الله فيمن عنده».

وقيل: إن موسى عليه السلام قال: يا رب، أين أجدك؟ قال: في بيوت الذاكرين، يقول الله عز وجل: يا موسى إذا قمت من فراشك كل يوم فاذكرني، وإذا نظرت إلى يمينك فاذكر جنتي ونعمائي، وإذا نظرت إلى شمالك فاذكر ناري وعقابي، وإذا نظرت إلى فوقك فاذكر جلالي ونقمتي، وإذا نظرت إلى تحتك فاذكر قدرتي وعجائبي وضيق القبر، وإذا نظرت قدامك فاذكر الحساب، وإذا نظرت خلفك فاذكر الموت وسكراته فإنك مطلوب.

وأنشد يقول:

والله ما خدرت رجلي ولا عثرت   إلا ذكرتك حتى يذهب الحذر
وما ذكرتك والأسقام تقلقني   إلا تكشف مني السقم والضرر

قال موسى: يا ربي وإلهي، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. وأنشد يقول:

بذكر الله ترتاح القلوب   وإن بذكره الدنيا تطيب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم: ما يقول عبادي؟»، قال: «يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟»، قال: «يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تحميدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فما يسألون؟» قال: «فيقولون: يسألونك الجنة» قال: «وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصًا عليها وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة»[3].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥١)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٣٧٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم في صحيحه (٢٥-٢٦٨٩)، كتاب الذكر والدعاء، ٨-باب فضل مجالس الذكر، والترمذي (٣٦٠٠)، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض، والنسائي (٣/ ٤٣-المجتبى)، والترغيب للمنذري (٢/ ٤٠١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠).

(٣) قال النووي: في هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم والله أعلم، قال القاضي عياض رحمه الله: وذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان:=

قال: «فممَّ يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون من النار» قال: «فيقول: وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة» قال: «فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم». قال: «فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» (1) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سيارة فضلاً (2)، يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء». قال: «فيسألهم الله ﷻ، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟! قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك، يا رب. قال: وهل رأو ناري؟! قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟، قالوا: ويستغفرونك». قال: «فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا». قال: «فيقولون: رب فيهم فلان، عبد خطاء، إنما مرّ فجلس معهم».

= أحدهما: -وهو أرفع الأذكار وأجلها-: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه، ومنه الحديث: «خير الذكر الخفي»، والمراد به هذا. والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه، وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث، النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣، ١٤).

(١) وأخرجه أيضاً: أحمد في مسنده (٢/ ٣٨٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٢٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٤، ٢٩٨)، وفي مشكاة المصابيح (٢٢١٧).

(٢) أما السيار فمعناه: سياحون في الأرض، وأما فضلاً فضبطوه على أوجه: أحدها: وهو أرجحها وأشهرها في بلدنا: فضلاً بضم الفاء والضاد.

والثانية: بضم الفاء وإسكان الضاد ورجحها بعضهم، وادعى أنها أكثر وأصوب.

والثالثة: بفتح الفاء وإسكان الضاد. قال القاضي: هكذا الرواية عند جمهور شيوخنا في البخاري ومسلم.

والرابعة: فضل بضم الفاء والضاد ورفع اللام على أنه خبر مبتدأ محذوف.

والخامسة: فضلاء، بالمد جمع فاضل، قال العلماء: معناه على جميع الروايات: أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم وإنما مقصودهم حلق الذكر.

وأما قوله ﷺ: «يتبعون»، فضبطوه على وجهين: أحدهما بالعين المهملة من التتبع وهو البحث عن الشيء والتفتيش. والثاني: «يبتغون» بالغين المعجمة من الابتغاء وهو الطلب وكلاهما صحيح. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣)، ط. دار الكتب العلمية.

قال: «فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

وعن أبي واقد الحارث بن عوف[٣] ﷺ: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد. قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله، فآواه الله. وأما الآخر فاستحيى، فاستحيى الله منه. وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[٤] رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، ومسلم في صحيحه (٢٥-٢٦٨٩)، كتاب الذكر والدعاء، ٨-باب فضل مجالس الذكر، والنسائي في المجتبى (٣/ ٤٣)، والترمذي في سننه (٣٦٠٠)، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩-٢٧٠٠)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١١-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي (٣٣٧٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٢)، وأبو داود في سننه (١٤٥٥)، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، وابن ماجه (٢٢٥)، في المقدمة ١٧-باب فضل العلماء، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٠٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٨).

(٣) أبو واقد الليثي، اسمه الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل: عوف بن الحارث، أخرج له: البخاري في الأدب، له صحبة ورواية، وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر وشهد فتح مكة، وكان يكون بالمدينة وبمكة، وبمكة توفي. روى عنه: عطاء ابن يسار، وسعيد بن المسيب، وعروة، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وبسر بن سعيد وأبو مرة مولى عقيل المدنيون، توفي سنة (٦٨)، وله (٨٥) سنة. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٨٦)، أسد الغابة (٦/ ٣٢٥)، الاستيعاب (٤/ ١٧٧٤)، الكاشف (٣/ ٣٨٧)، الكنى والأسماء (١/ ٥٩)، الإصابة (٧/ ٤٥٥)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢١٠)، العقد الثمين (٨/ ١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب من قعد حيث انتهى به المجلس، ومسلم (٢٦-٢١٧٦)، كتاب السلام، ١٠-باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، وإلا وراءهم، والترمذي (٢٧٢٤)، كتاب الاستئذان، باب ٢٩-ما جاء في كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئًا، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨٣)، وابن عبدالبر في التمهيد (١/ ٣١٥)، والعراقي في المغني (٢/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، ومسلم (٢١-٧٧٩)، كتاب صلاة المسافرين، ٢٩-باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٥)، (٤/ ١٠٦)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٩٣، ٤٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٩، ١٩٥)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥، ٦).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري ومسلم [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» ، رواه مسلم.

قال النووي: وروي: «المفردون» بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد.

وعن عبدالله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» [(٢)]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى» [(٣)].

قال الحاكم أبو عبدالله: إسناده صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم (٤-٢٦٧٥)، كتاب الذكر والدعاء، ١-باب الحث على ذكر الله تعالى، والترمذي (٣٥٩٦)، في كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، بلفظ: قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: «المستكثرون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً» ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٣، ٢٠٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٢٥٣)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه (٣٧٩٣)، في الأدب، باب فضل الذكر، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٣١٧-موارد)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، كتاب الدعوات، باب منه – ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه (٣٧٩٠)، كتاب الأدب ، باب فضل الذكر، وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، ومالك في الموطأ (١/ ٢١١)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٩٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٢)، وابن عبدالبر في التمهيد (٦/ ٥٨)، وقال الحافظ ابن حجر : هذا حديث مختلف في رفعه ووقفه، وفي إرساله ووصله، وأفاد بعض تلامذة الحافظ عنه أنه حديث صحيح موقوف اللفظ، وهو مرفوع حكمًا لأنه لا مجال للرأي فيه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[١]: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمالٍ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[٢]، رواه البخاري ومسلم.

قوله ﷺ: «يظلهم الله في ظله»، يعني: في ظل عرشه.

وقال القرطبي: إنه ظل يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم، يعني يوم القيامة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»[٣]، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفي كتاب الترمذي عن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، قلت: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة»[٤].

---

(١) قال النووي: قال القاضي: إضافة الظل إلى الله إضافة ملك وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا: ظل العرش، كما جاء في حديث آخر مبينًا، والمراد «يوم القيامة» إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش، وقد يراد به هنا ظل الجنة وهو نعيمها والكون فيها كما قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾، قال القاضي: وقال ابن دينار: المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف من المكاره في ذلك الموقف، قال: وليس المراد ظل الشمس. قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان، يقال : فلان في ظل فلان، أي في كنفه وحمايته , وقال: وهذا أولى الأقوال وتكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب والكرامة وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله. شرح مسلم للنووي (٧/ ١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (١٤٢٣)، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ومسلم في صحيحه (٩١-١٠٣١)، كتاب الزكاة، ٣٠-باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي (٢٣٩١)، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي (٨/ ٢٢٣- المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، وابن عبدالبر في التمهيد (٢/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥)، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤١٠)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٢٤)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٠)، والنسائي (٤٠٤) في عمل اليوم والليلة، وابن حبان (٢٣٢١-موارد)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، كتاب الدعوات، ٥-باب منه- ما جاء في فضل الذكر، عن أبي سعيد الخدري وابن ماجه في سننه كتاب الأدب، باب فضل الذكر، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١١)، (/ ٧٥)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٣٩٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٨٩)، (٣/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٠٥)، والمشكاة (٢٢٨٠)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وفي كتاب الترمذي أيضاً عن النبي ﷺ، عن الله ﷻ أنه يقول: «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقٍ قرنه»(١).

● **فائدة:**

قال الجوهري: القرن بالكسر: كفؤك في الشجاعة.

وذكر البيهقي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة»(٢).

وذكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»(٣).

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله ﷻ»(٤).

وذكر البيهقي مرفوعًا من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «لكل شيء سقالة وإن سقالة القلوب ذكر الله ﷻ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ﷻ»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع»(٥).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله ﷻ.

وذكر بعض العلماء: إن في الذكر أكثر من مائة فائدة، وأنا أذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر منها:

الفائدة الأولى: إن الذكر يطرد الشيطان ويقمعه.

الثانية: أنه يرضي الرحمن ﷻ.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٥)، وفي البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٥٢)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٤٦).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٦٢).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، كتاب الزهد، ٦٢-باب منه – ما جاء في حفظ اللسان، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢١، ٤٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٣٨)، والإتحاف للزبيدي (٧/ ٤٦٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٦٢)، والعراقي في المغني (١/ ٧٠).

(٥) وفي رواية أخرى أخرجها التبريزي في مشكاة المصابيح برقم (٢٢٨٦)، بلفظ: صقالة.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة: أنه يقوي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والنضرة.

التاسعة: أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة، فقد جعل الله تعالى لكل شيء سببًا، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن يناله محبة الله ﷻ، فليلهج بذكره، فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه (١).

وروي أن السيد الجليل سهل بن عبدالله التستري رحمه الله كان يسهر بالليل ينظر إلى صلاة خاله محمد بن سوار رحمه الله فقال له خاله: قم يا بني ارقد، فقد شغلت قلبي، فكان لا ينتهي ويسهر لينظر إلى صلاة خاله.

فلما رأى خاله ذلك قال له: يا سهل ألا تذكر الله الذي خلقك، فقال: كيف أذكره؟ قال: قل في نفسك من غير أن تحرك لسانك إذا جنك الليل: الله معي، الله شاهدي، الله ناظر إليّ، ففعل ذلك ليالي ثم قال له خاله: قل ذلك الكلام في نفسك كل ليلة سبع مرات، فلبث على ذلك مدة، ثم قال له خاله: قل ذلك في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فلبث يقول ذلك زمانًا، قال سهل: فوقع في قلبي لذلك حلاوة، فأخبرت خالي فقال لي: يا سهل، من كان الله معه وشاهده وناظراً إليه، فكيف يعصيه.

---

(١) وهذا فيما روي عنه ﷺ في حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان، كما روى مسلم (١-٨) في كتاب الإيمان، ١-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، عن عمر بن الخطاب وفيه: «فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال النووي: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً بما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال ﷺ: «اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان» ، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من تلبيسه بشيء من النقائص احترامًا لهم، واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعًا عليه في سره وعلانيته. قال القاضي عياض: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال. شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٢).

وكان سهل حينئذ صغير السن، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾: المؤمن يذكر الله تعالى كثيراً؛ لأنه يذكر الله تعالى بقلبه فيسكن جميع جوارحه إلى ذكره فلا يبقى منه عضواً إلا هو ذاكره في المعنى.

وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم ﷺ: أن موسى عليه السلام قال: يا رب، قد أنعمت عليّ كثيرًا فدلني أن أشكرك كثيراً، قال: اذكرني كثيراً، فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً، وإذا نسيتني فقد كفرتني[1].

وذكر البيهقي أيضًا في شعب الإيمان عن عبدالله بن سلام ﷺ قال: قال موسى[2]: يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله ﷻ إليه: أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري. قال: يا رب، إني أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها، قال: وما هي؟ قال: أكون جنبًا، أو على الغائط، أو إذا بلت، قال: وإن كان؟ قال: يا رب وما أقول؟ قال: تقول: سبحانك وبحمدك، جنبني الأذى، سبحانك وبحمدك نقني من الأذى.

قلت: ينبغي لمن أراد أن يذكر الله ﷻ وهو في مكان الخلاء أن يذكره في نفسه ولا يتلفظ به.

الحادية عشر: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره، فإنه اتقاه في أمره ونهيه، وجعل ذكره شعاره، فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار.

وهذا هو الثواب والأجر والذكر يوجب له القرب من الله تعالى، والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

وقال كعب ﷺ: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك، فقال: يا موسى، أنا جليس من ذكرني[3]، قال: إني أكون على حال أجلك عنها، قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجنابة، قال: اذكر على كل حال.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٠).

(٢) روى ابن حبان (٣٤٢٤- موارد) بلفظ: علمني شيئًا أذكرك به، والحاكم (١/ ٥٢٨)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤١٥).

(٣) أخرجه السيوطي في الدرر المنتثرة (٢٥، ٢٦).

وقال عبيدالله بن عمر ﷺ: تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير لك من جبال الدنيا تحوي معه ذهبًا.

وقال الحسن رحمه الله: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين كانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(١)]. قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس.

قال: ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم[(٢)]، أين الذين كانوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾. قال : فيقومون فيتخطون رقاب الناس.

قال: ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الحمادون لله على كل حال؟

قال: فيقومون وهم كثير، ثم تكون التبعة والحساب فيمن بقي».

قال: وأتى رجل أبا مسلم الخولاني -رحمه الله-، فقال له: أوصني يا أبا مسلم، قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة. فقال: زدني، فقال: اذكر الله حتى يحسبك الناس من ذكر الله مجنونًا [(٣)] .

وقيل: كان أبو مسلم رحمه الله يكثر ذكر الله، فرآه رجل يذكر الله تعالى، فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم رحمه الله فقال: ليس هذا بالجنون يا ابن أخي ولكن هذا دواء الجنون.

الثانية عشر: إن في القلب قسوة لا يزيلها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

وذكر حماد بن زيد[(٤)] عن المعلى بن زياد أن رجلاً قال للحسن رحمه الله: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذبها بالذكر، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت

---

(١) ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٩٠)، وابن حجر في لسان الميزان (٦/ ٤٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٣)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٢٠-موارد)، (٨١٦-الإحسان).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٥٨٥٧، ١٥٨٢٩)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٤٣٩)، (٧/ ٣٩٦).

(٤) حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزدي، البصري الأزرقي، ثقة، ثبت فقيه، أخرج له الستة توفي (١٧٩)، وله (٨١) سنة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٩)، تقريب التهذيب (١/ ١٩٧)، الكاشف (١/ ٢٥١)، الجرح والتعديل (٣/ ٦١٧).

به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذبت قسوة القلب بمثل ذكر الله ﷻ.

الثالثة عشر: إن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله.

وقال مكحول[١]: ذكر الله شفاء وذكر الناس داء. وأنشد:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحيانًا فننتكس

الرابعة عشر: إن الذكر أصل موالاة الله ﷻ ورأسها، والغفلة أصل معاداته وأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه تعالى حتى يحبه فيواليه. ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه.

قال الأوزاعي رحمه الله: قال حسان بن عطية[٢]: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره، فهذه المعاداة سببها الغفلة.

ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله تعالى، ويكره من يذكره، فحينئذ يتخذه الله عدوًا، كما اتخذ الذاكر وليًّا.

الخامسة عشر: أنه ما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل ذكره، فالذكر جلاب للنعم، دفاع للنقم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، وفي القراءة الأخرى: ﴿يدفع﴾.

فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وأكثر ذكرًا كان دفع الله عنه، ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص ذكرًا بذكر، ونسيانًا بنسيان. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

والذكر رأس الشكر، والشكر جلاب للنعم، موجب للمزيد. قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك.

---

(١) مكحول، أبو عبدالله، أبو أيوب، الشامي الفقيه الدمشقي، الهذلي، ثقة كثير الإرسال مشهور، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٣)، الكاشف (٣/ ١٧٢)، التاريخ الكبير (٨/ ٢١)، الجرح والتعديل (٨/ ١٨٦٧)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٧)، الحلية (٥/ ١٧٧)، تراجم الأحبار (٣/ ٣٦٧)، سير الأعلام (٥/ ١٥٥).

(٢) حسان بن عطية، أبوبكر المحاربي، مولاهم الدمشقي الفقيه، العابد، ثقة، فقيه، عابد، أخرج له الستة، توفي سنة (١٢٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥١)، تقريب التهذيب (١/ ١٦٢)، الكاشف (١/ ٢١٧)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٣)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠٤٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٧٩)، لسان الميزان (٧/ ١٩٦)، رجال الصحيحين (٣٦١)، سير الأعلام (٥/ ٤٤٦)، الثقات (٦/ ٢٢٣).

السادسة عشر: إن الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله وملائكته عليه فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢].

فهذه الصلاة منه تعالى ومن ملائكته إنما هي على الذاكرين له كثيراً، وهذه الصلاة منه تعالى ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تعالى، ومن ملائكته وأخرجوا من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم، فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من فضله وخيره وبالله التوفيق.

السابعة عشر: أن من شاء أن يسكن في رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة في الدنيا.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال[١]: «**يا أيها الناس، ارتعوا في رياض الجنة**» قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «**مجالس الذكر**»[٢]، ثم قال: «**اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه**».

الثامنة عشر: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس في مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلسًا يذكر الله تعالى فيه.

التاسعة عشر: إن الله تعالى يباهي ملائكته بالذاكر، كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد ﷺ عن معاوية عن رسول الله ﷺ، فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنه ومحبته له، وإن له مزية على غيره من الأعمال.

العشرون: إن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك كما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبدالرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير[٣] الحضرمي،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٩، ٣٥١٠)، كتاب الدعوات، باب (٨٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥٠)، والبيهقي في السنن (١/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٢)، والشجري في أماليه (١/ ٦١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٢، ١٣).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٩٤)، بلفظ: «مجالس ذكري».

(٣) عبد الرحمن بن جبير بن نفير، أبو حميد الحضرمي الحمصي، الشامي، ثقة، أخرج له: البخاري في الأدب، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١١٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ١٥٤)، تقريب التهذيب (١/ ٤٧٥)، الكاشف (٢/ ١٥٩)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٦٧)، الجرح والتعديل (٥/ ١٠٤١)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٣٣)، الثقات (٥/ ٧٩).

عن أبيه، عن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله تعالى ﷻ يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك» .

الحادية والعشرون: إن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله، فالمقصود بها ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

قيل: المصدر مصاف إلى الفاعل، أي لأذكرك بها.

وقيل: مضاف إلى المذكور، أي لتذكرني بها، واللام على هذا لام التعليل، وقيل: هي اللام الوقتية، أي أقم الصلاة عند ذكري لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

والأظهر أنها لام التعليل، أي أقم الصلاة لأجل ذكري، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره، وإذا ذكر العبد ربه تعالى، فذكر الله تعالى له سابق على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسلمان وأبي الدرداء وابن مسعود وعطية رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[1] [العنكبوت: ٤٥] أن المعنى: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

الثانية والعشرون: إن ذكر الله تعالى يسهل الصعب وييسر العسير، ويخفف الميثاق، فما ذكره الله ﷻ على صعب إلا هان، ولا عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم.

الثالثة والعشرون: إن ذكر الله تعالى يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ، فإنه بحسب ذكره يجد الأمن، وتزول مخاوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كان ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، والله المستعان.

الرابعة والعشرون: إن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق

---

(١) قال ابن كثير: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ قال: لها وجهان، قال:ذكر الله عندما حزب، قال : وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه، وقال ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وفي آخره قال: لكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما امر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه. انظر ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٣٠).

فعله بدونه، وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا [١] رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين، ويكبرا أربعًا وثلاثين لما سألته فاطمة الخادم، وشكت إليه بما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك، وقال: «**إنه خير لكما من خادم**» ، فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم، وذكر تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك أثرًا وهو: أن الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟! فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما قالوها حملوه.

وذكر ابن أبي الدنيا هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد [٢] ، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا شيخنا: أنه بلغهم أن أول ما خلق الله تعالى حين كان عرشه على الماء حملة العرش؛ قالوا: ربنا لِمَ خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: ربنا من يقدر على حمل عرشك، وعليه عظمتك وجلالك ووقارك، قال: لذلك خلقتكم، فأعادوا ذلك عليه مرارًا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوا ذلك فحملوه.

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل الميثاق والدخول على الملوك، ومن يُخاف، وركوب الأهوال.

ولها تأثير في دفع الفقر كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وداعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدًا**» [٣] .

---

(١) الحديث أخرجه عن علي: البخاري (٦٣١٨)، كتاب الدعوات، ١١-باب التكبير والتسبيح عند المنام، ومسلم (٨٠-٢٧٢٧)، كتاب الذكر والدعاء، ١٩-باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وأبو داود (٢٩٨٨، ٢٩٨٩)، في الخراج، باب بيان مواضع قسم الخمس، والترمذي (٣٤٠٨)، ٤٩-كتاب الدعوات، باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام، والنسائي في عشرة النساء، باب الخادم للمرأة، وفي مختصر سلاح المؤمن للذهبي (ص ١٦٧) من تحقيقنا ط. دار الكتب العلمية.

(٢) الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبو الحارث، الفهمي الإمام ، شيخ إقليم مصر وعالمه، أحد الأعلام، أصبهاني الأصل، ثقة، ثبت، إمام مشهور، وكان كبير الديار المصرية ورئيسها ومحتشمها وعالمها، وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته، وكان الشافعي يتأسف على فوات لقيه، قال محمد بن سعد: كان الليث قد استقل بالفتوى في زمانه. وقال الذهبي: ومناقب الليث كثيرة، وعلمه واسع، توفي رحمه الله سنة (١٧٥)، وقد روى له الستة، انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٧١-١٨٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، تقريب التهذيب (٢/ ١٣٨)، الكاشف (٣/ ١٣)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٢٤٦)، الجرح والتعديل (٧/ ١٠١٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٢٣)، سير الأعلام (٨/ ١٣٦)، الحلية (٧/ ٣١٨)، الثقات (٧/ ٣٦)، تراجم الأحبار (٣/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٩).

وكان حبيب بن مسلمة (١) يستحب إذا لقي العدو أو ناهض حصنًا قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقيل: إنه ناهض يومًا حصنًا فانهزم الروم، وقالها المسلمون وكبروا فانصدع الحصن.

الخامسة والعشرون: إن أعمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القتر والغبار من روية سبقهم فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا محمد بن عجلان قال: سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذكر فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذين يتلونها.

***

(١) حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب بن ثعلبة، أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو مسلمة، القرشي الفهري المكي، مختلف في صحبته ويرجح أن له صحبة، أخرج له أبو داود وابن ماجه. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ١٩٠)، تقريب التهذيب (١/ ١٥٠، ١٥١)، الكاشف (١/ ٢٠٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٣١٠)، الإصابة (٢/ ٢٣)، أسد الغابة (١/ ٤٤٢)، الوافي بالوفيات (١١/ ٤٣٠)، سير الأعلام (٣/ ١٨٨).

الباب الثالث والثلاثون

يذكر فيه ابتداء خلق النبي ﷺ ومولده(1)

ذكر أبو الربيع البستي، عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ألقى الله تعالى على آدم عليه السلام ريح العطاس فعطس، فألهمه الله تعالى أن قال: الحمد لله. فقال الله تعالى: يرحمك الله يا آدم. قال: ثم ألقى عليه ريح العطاس فعطس عطسة أخرى، فحمد الله تعالى فقال له الله تعالى: يرحمك ربك أبا محمد، فألهم الله تعالى آدم عليه السلام أن قال: يا رب لِمَ سميتني آدم؟ قال: لأني خلقتك من أديم الأرض. قال: لِمَ كنيتني أبا محمد؟ قال الله تعالى: ارفع رأسك، فرفع آدم عليه السلام رأسه، فرأى نور محمد ﷺ شبحًا تحت العرش، فقال آدم عليه السلام : يا رب ما هذا الشبح النور؟ قال: هذا شبح سرادق نور خلق من ذريتك اسمه في السماء: أحمد، وفي الأرض: محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا، ولا طولاً ولا عرضًا، قال: يا رب لما سميته في السماء: أحمد، وفي الأرض: محمدًا؟ قال : سميته في السماء أحمد؛ لأنه أحمد من حمدني، وسميته في الأرض محمداً؛ لأني جعلت كل من يحمدني يحمده.

وعن علي بن أبي طالب أيضًا كرم الله وجهه أنه قال: قلت: يا رسول الله، ممَ خلقت؟ فأطرق النبي ﷺ إلى الأرض وعليه عرق كالجمان، فقال: «يا علي، لما عرج بي إلى السماء وكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليَّ ربي ما أوحى، قلت: يا رب ممَ خلقتني؟ فقال: يا محمد، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي، ولا رفعت هذه الخضراء، ولا بسطت هذه الغبراء، فقلت: يا رب، ممَ خلقتني؟ فقال: يا محمد، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت جنتي ولا ناري، فقلت: يا رب ممَ خلقتني؟ قال: يا محمد، إني لما نظرت إلى صفاء بياض نوري الذي خلقته بقدرتي وأبدعته بحكمتي، وأضفته تشريفًا له إلى عظمتي استخرجت منه جزءًا فقسمته ثلاثة أجزاء: فخلقتك أنت وأهل بيتك من القسم الأول. وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني. وخلقت من أحبكم من القسم الثالث. فإذا كان يوم القيامة عاد كل ذي حسب ونسب إلى حسبه ونسبه، ورددت ذلك

---

(1) روى الترمذي (٣٦١٩)، كتاب المناقب، باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ بسنده عن قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. وقال الترمذي : حديث حسن. وفي صحيح مسلم (١٩٨)، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، عن أبي قتادة: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الإثنين؟ فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل عليّ» .

النور إلى نوري وأدخلتك أنت وأهل بيتك وأصحابك وأزواجك ومن أحبكم جنتي برحمتي فأخبرهم بذلك عني» .

وروي: أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده[١]، وخلق نور محمد ﷺ بيده، وأمر الرب عز وجل النور فطاف حول العرش قبل خلق آدم عليه السلام بخمسمائة عام.

وروي عن سهل بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: لما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح نفخة باسم محمد ﷺ فكناه : أبا محمد .

وروي عن سهل أيضًا رضي الله عنه أنه قال: لما أراد الجليل جل جلاله أن يخلق محمداً ﷺ أظهر من نوره نوراً أضاء له الملكوت، فلما بلغ العظمة سجد.

وعن سهل أيضاً رضي الله عنه أنه قال: لما أراد الجليل جل جلاله خلق محمدٍ في بطن أمه آمنة في شهر رجب ليلة جمعة، أمر في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح أبواب الفردوس، وينادي مناد في السموات والأرضين: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة ليستقر في بطن أمه الذي يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً.

وقد ولد ﷺ عام الفيل في شهر ربيع الأول[٢] لاثنتي عشرة خلت منه، ليلة الاثنين، وفي تلك الليلة نبئ، وتوفي ﷺ يوم الإثنين.

والصحيح: أن النبي ﷺ ولد يوم الإثنين وفيه نبئ، وصح ذلك في صحيح مسلم [٣]، عن النبي ﷺ.

وروي: أن أمه ﷺ[٤] آمنة رأت في منامها قائلاً يقول لها: إنك قد حملت بخير البرية وسيد العالمين، فإذا ولدته فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة: حامد، وفي الإنجيل: أحمد، وعلقي عليه هذه التميمة. قالت: فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٥٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٤٢)، والآجري في الشريعة (٣٢٣)، والطبري في تفسيره (٩/ ٧٨)، وفي تاريخه (١/ ٩٦).

(٢) انظر تاريخ الإسلام للإمام الذهبي في السيرة العطرة في مولده المبارك ﷺ.

(٣) تقدم حديث مسلم قريبًا.

(٤) أخرج أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧)، عن خالد بن معدان عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأيت أمي حين حملت بي كأن نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» . وعن العرباض في مسند أحمد (٤/ ١٢٧)، (٤/ ١٢٨): أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إني عبدالله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى لي، ورؤيا أمي التي رأت» ، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام.

النسخة: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وكل خلق زائد، من قائم أو قاعد، عن السبيل عائذ، عن الفساد جاهد، من نافث أو عاقد، من كل جن مارد، يأخذ بالمراصد، في طرق الموارد، أنهاهم عنه بالعلي الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكف التي لا ترى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطرقونه ولا يضرونه في ليل ولا نهار، ولا مقعد ولا مقام، أول الليل وآخر الأيام.

وروي: أن أمه ﷺ آمنة كانت تحدث عن نفسها وتقول: إنه أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر وأنا نائمة فوكزني برجله فقال: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين (طرًا)[1]، فإذا ولدته فسميه محمداً، واكتمي شأنك ما استطعت، فكانت تحدث عن نفسها وتقول: فأخذني ما يأخذ النساء من الطلق ولم يعلم بي قومي ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في منزلي، وعبد المطلب في طوافه إذ سمعت (......)[2] عظيمة وأمراً شديداً، فهالني ذلك، فرأيت جناح طائر أبيض قد مسح فؤادي، فذهب عني الرعب وكل وجع أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنًا، وكنت عطشى فتناولتها وشربتها فأضاء منها نور عليّ، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي، فبينما أنا أتعجب وأقول: يا غوثاه من أين علمت بي هؤلاء؟ فاشتد الأمر عليّ، وأنا أسمع (الوجبة)[3] أعظم وأكبر وأهل إذ أنا بديباج أبيض قد مد ما بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: أخفوه عن أعين الناس.

قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة وإناء يرشح منه عرق كالجمان أطيب ريحًا من المسك الأذفر[4]، قالت: وأنا أقول: ليت عبدالمطلب يدخل، وعبد المطلب تلك الليلة في الكعبة غائب عني، قالت: ثم رأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد الأخضر، وأجنحتها من الياقوت، قالت: وكشف الله تعالى عن بصري في تلك الساعة فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) بياض بالأصل.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) روى الذهبي في تاريخ الإسلام عن خريم بن أوس بن حارثة: هاجرت إلى رسول الله.... وفيه: فسمعت العباس يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، قال: «قل لا يفضض الله فاك» ، فقال:

من قبلها طبت في الظـلام وفي ... مستودع حيث يخصف الورق

إلى أن قال:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضـــاءت بنورك الأفـــق

انظر تاريخ الإسلام في مولده المبارك ﷺ.

أعلامًا مضروبة منها علم في المشرق وعلم في المغرب، وعلم في ظهر الكعبة، وأخذني المخاض واشتد بي الأمر جدًا، وكأني مسندة إلى أركان النساء حتى كثرت علي، وكأن الأيدي معي في البيت، وأنا لا أدري شيئًا، فلما ولدت محمدًا ﷺ وخرج من بطني، نظرت إليه، فإذا هو ساجد لله تعالى، رافع يده إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء، قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته فغيبته عني برهة، فسمعت قائلاً يقول: طوفوا محمد مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار كلها، حتى يعرفه جميع الخلائق كلهم باسمه وصفته، ويعرفوا بركته أنه لي حبيب، لا يبقي شيء من الشرك إلا ذهب به، ثم انجلت عني في أسرع من طرفة عين، فإذا أنا به مدرجًا في ثوب صوف أبيض، أشد بياضًا من اللبن، وتحته جريدة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، فإذا قائل يقول: قد قبض محمد مفاتيح النصرة ومفاتيح الدنيا ومفاتيح النبوة، ثم أقبلت سحابة أعظم من الأولى ولها نور، وأسمع منها صهيل الخيل، وخفقان الأجنحة، وكلام الرجال حتى غشيته فغيبت عني وجهه أطول وأكثر من المرة الأولى، فسمعت مناديًا ينادي وهو يقول: طوفوا بمحمد جميع الأرضين، وعلى موالد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطير والوحش، وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، واغمسوه في جميع أخلاق النبيين.

ثم انجلت عني في أسرع من طرفة العين، قالت: فنظرت فإذا هو قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيًا شديدًا، ينبع من تلك الحرير ماء معين، وإذا بقائل يقول: بخ بخ، قبض محمد على الدنيا كلها، لم يبق خلق من خلقها إلا دخل في قبضته بإذن الله، إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قالت آمنة: فبينا أنا أتعجب من ذلك إذ أنا بثلاث نفر ظننت أن الشمس والقمر يطلعان من خلال وجوههم وفي يد واحد منهم إبريق فضة، وفي الإبريق ريح كريح المسك، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء لها أربع نواح، وعلى كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء، وإذا قائل يقول: يا حبيب الله، اقبض على أي ناحية شئت منها.

قالت: فنظرت فإذا هو قابض على وسطها، فسمعت قائلاً يقول: قبض على الكعبة ورب الكعبة، أما إن الله قد جعلها لك قبلة ومسكنًا مباركًا.

ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء، قد طويت طيًّا شديدًا، فنشرها فأخرج منها خاتمًا تحار أبصار الناظرين دونه، فأخذه صاحب الطست، وأنا أنظر إليه فغسله بماء الإبريق سبع مرات، ثم ختم بالخاتم بين كتفيه ختمًا واحدًا، ولفه في الحريرة واستدار عليه بخيط من المسك الإذفر، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذلك رضوان خازن الجنة عليه السلام.

قالت: وقرأ في أذنه كلامًا كثيرًا لم أفهمه، وقبل بين عينيه، وقال له : أبشر يا محمد، فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، وأنت أكثرهم علمًا وأشجعهم قلبًا، معك مفاتيح النصر، وقد أعطيت الأمن من الخوف والرعب، ولا يسمع أحد بذكرك إلا وجل قلبه وخفق وهو لم يرك يا حبيب الله.

قالت: ثم رأيت رجلاً، قد أقبل نحوهم حتى وضع فاه على فيه، فجعل يزقه كما تزق الحمامة فرخها، فكنت أنظر إلى ابني يشير بأصبعيه يقول: زدني، فزقه ساعة، وقال له : أبشر يا حبيب، فما بقي حلم إلا وقد أعطيته، ثم احتمله وغيبه عني ساعة، فخرج عقلي وذهب، ثم قلت: ويح قريش، والويل لها ما ترى كل ما أنا في ليلتي، وولادتي أرى ما أرى، ويصنع بابني ما يصنع فلا يقربني أحد من قومي، إن هذا لهو العجب العجيب.

قالت: فبينما أنا كذلك إذ قد رد إليّ وهو كالقمر ليلة البدر، وريحه تسطع كالمسك، وهو يقول: خذيه إليك وقد طافوا به المشرق والمغرب، وعلى موالد النبيين أجمعين. والساعة كان عند أبيه آدم فضمه إليه، وقبل بين عينيه وقال له: أبشر يا حبيبي، فأنت سيد ولدي من الأولين والآخرين[1]، فناولنيه ومضى وهو يقول: يا عز الدنيا وشرف الآخرة، لقد استمسكت بالعروة الوثقى، فمن قال مقالتك وشهد بشهادتك يحشر يوم القيامة تحت لوائك، وفي زمرتك، فلم أره بعد تلك المرة.

وروت عائشة رضي الله عنها: أن يهوديًا كان بمكة، وكان يبيع العطر، فجاء فوقف على كفار قريش منهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وغيرهما من المشايخ. فقال اليهودي: هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقالوا كلهم: لا نعرف. وقالوا لليهودي: ما ولد فينا مولود. فقال اليهودي: أما إذا أخطأكم فبفلسطين، فقاموا وتفرقوا وعجبوا من قول اليهود.

فلما رجعوا إلى منازلهم سألوا فقالوا: نعم ولد فينا لعبد الله بن عبد المطلب ابنٌ،

---

(١) حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»: أخرجه مسلم (٣-٢٢٧٨)، في الفضائل، والترمذي (٣١٤٨)، كتاب تفسير القرآن، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨١)، (٣/ ٢)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٣٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٧)، الموارد، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٢٥).

فقاموا بأجمعهم فجاءوا إلى اليهودي فقالوا: إنه ولد فينا الليلة مولود، فقال اليهودي: فأرونيه، فذهبوا به إلى آمنة أم النبي ﷺ فقالوا لها : أخرجي ابنك الذي ولدتيه، فأخرجته، فلما نظر اليهودي[١] إلى الخاتم وقع مغشيًا عليه، فتعجب كفار قريش حتى أفاق من غشيته فقال اليهودي: أفرحتم يا معشر قريش، أما والله ليسطون بكم سطوة تخرج خبره من المشرق، وتخرج خبره من المغرب، لقد ذهبت والله نبوة بني إسرائيل.

وعن حسان بن ثابت[٢] رضي الله عنه أنه قال: والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين، أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا يصرخ: يا معشر يهود، حتى اجتمعوا إليه، قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي يولد به.

وروى يحيى بن عروة عن أبيه: أن نفرًا من قريش منهم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل[٣]، وعبدالله بن جحش[٤]، وعثمان بن الحويرث، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدًا، وكانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ويأكلون، ويشربون الخمور، ويعكفون عليه. فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوبًا على وجهه فأنكروا ذلك، فأخذوه وردوه إلى حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلابًا عنيفًا، فأخذوه فردوه إلى حاله، ثم انقلب الثالثة.

---

(١) قال تعالى عن اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال ابن عباس: إن يهودًا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو، أبو عبدالرحمن، الأنصاري، النجاري، المدني، الخزرجي، شاعر الرسول، صحابي مشهور، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي (٥٤، ٥٥)، وله (١٢٠ سنة)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢٤٧)، تقريب التهذيب (١/ ١٦١)، الكاشف (١/ ٢١٦)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٩)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠٢٦)، أسد الغابة (٢/ ٥)، الإصابة (٢/ ٦٢)، سير الأعلام (١/ ٥١٢)، الاستيعاب (١/ ٣٤١)، الوافي بالوفيات (١١/ ٥١٦).

(٣) زيد بن عمرو بن نفيل، أبو سعيد العدوي القرشي، وقع ذكره في سند حديث علقه البخاري في الترجمة النبوية ويقال في الصحابة، ويقال: لم يدرك البعثة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٤٢١)، أسد الغابة (٢/ ٢٩٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٠٠٠)، الإصابة (٢/ ٦١٣)، طبقات ابن سعد (١/ ١٦١، ١٦٢)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٨).

(٤) عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر، الأسدي، حليف بني عبد شمس، أخرج له أحمد في المسند، صحابي أسلم قديمًا قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا واستشهد يوم أحد وجدع أنفه وأذنه، ودفن هو وحمزة في قبر واحد وولي رسول الله ﷺ تركته واشترى لولده مالاً بخيبر. انظر ترجمته في الجرح والتعديل (٥/ ٢٢)، الثقات (٣/ ٢٣٧)، تعجيل المنفعة (٥٢٨).

فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموه، فقال عثمان بن الحويرث: ما له قد أكثر التنكيس، إن هذا لأمر حدث، وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فجعل عثمان يقول:

أيا صنم العيد الذي صف حوله   صناديد من وفد بعيد ومن قريب
تنكست مقلوبًا فما زال قل لنا   أتاك سفيه أم تنكست بالعتب
فإن كان من ذنب أتينا فإننا   نبوء بإقرار ونلوي عن الذنب
وإن كنت مغلوبًا ونكست صاغرًا   فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال: فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله، فلما استوى هتف بهم هاتف وهو يقول:

تردى لمولود أنارت بنوره   جميع فجاج الأرض في الشرق والغرب
وخرت له الأوثان طرًا وأرعدت   قلوب ملوك الأرض خوفًا من الرعب
ونار جميع الفرس ناخت وأظلمت   وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها   فلا مخبر عنهم بصدق ولا كذب
قال قصي ارجعوا ضلالكم   وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرحب

قال: فلما سمعوا ذلك منه خلصوا نجيًا، فقال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضم على بعض. فقالوا: أجل، فقال لهم ورقة بن نوفل: تعلمون والله ما قوم على دين، لقد أخطأوا المحجة وتركوا دين إبراهيم، ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر، يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين.

قال: فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنفية دين إبراهيم، فأما ورقة فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علمًا.

وأما عثمان بن الحويرث، فصار إلى قيصر، وتنصر وحسنت منزلته عنده.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج، فحبس، ثم إنه خرج بعد ذلك، فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الحيرة، فلقي بها راهبًا فأخبره بالذي طلب، فقال له الراهب: إنك لتطلب دينًا ما تجد من يحملك عليه، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية. فلما قال له ذلك، رجع يريد مكة، فعدت عليه لخم فقتلوه.

وحكي: أن قريشًا كانت في شدة وضيق من الزمان، فلما حملت برسول الله ﷺ أمه اخضرت الأرض في تلك السنة، وحملت الأشجار، وأتاهم الوفد من مكان، وأخصبت أهل مكة خصبًا عظيمًا ببركة رسول الله ﷺ، فسميت تلك السنة سنة الفتح والافتتاح، وعبد المطلب يومئذ صاحب أحكام قريش، ونطقت في الليلة التي حمل فيها برسول الله ﷺ كل دابة

لقريش فقالت: حمل بمحمد ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها.

ولم يبق كاهن في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا احتجب عن صاحبه أي من الجن. وأخرج علم الكهانة، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، والملك يخر ساجدًا لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضًا، وفي كل شهر من شهوره نداء في السماء والأرض: أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض.

فبقي في بطن أمه تسعة أشهر لا تشكو به ألمًا ولا ما يعرض للنساء عند الحمل، ومات أبوه وهو في بطن أمه(١)، وقيل: بعد أن ولد بشهرين، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبينا ونبيك يتيمًا، فقال الله جل جلاله للملائكة: أنا له وليٌّ وحافظٌ وناصرٌ ﷺ صلاة وتسليمًا كثيرًا.

***

(١) قال الذهبي: توفي عبدالله بالمدينة غريبًا، وكان قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها مريضًا راجعًا من الشام، فروى محمد بن كعب القرظي وغيره: أن عبدالله بن عبدالمطلب خرج إلى الشام إلى غزة تحمل تجارات، فلما قفلوا مروا بالمدينة وعبدالله مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضًا مدة شهر، فبلغ ذلك عبدالمطلب، فبعث إليه الحارث وهو أكبر ولده، فوجده قد مات، ودفن في دار النابغة أحد بني النجار والنبي ﷺ حمل على الصحيح. انظر تاريخ الإسلام في السيرة العطرة، وفاة عبدالله بن عبدالمطلب.

الباب الرابع والثلاثون

يذكر فيه رضاع رسول الله ﷺ وفصاله وما ظهر من كراماته وبركاته

قال أبو الربيع البستي رحمه الله: روي في بعض الأخبار: أن الله جل جلاله لما أراد برسول الله ﷺ أن يرضع في بني سعد بن بكر مسّت الناس شدة عظيمة، وكانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية رضي الله عنها تحدث عن نفسها وتقول: كان الناس في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ في شدة عظيمة، وكنا نحن أهل بيت أشد الناس فقراً وجهداً وضراً. وكنت أنا امرأة طوافة، أطوف البراري والجبال والفقار، وأطلب النبات وحشيش الأرض، وكنت أصيب مثل ما تصيب أخواتي اللاتي يخرجن معي أو أقل منهن، وكنت أقنع وأصبر وأقول: أحمد ربًا أنزل بي هذا الجهد والبلاء.

قالت: فبينما كذلك وقد خرجنا قومًا إلى الصحراء، فجعلت لا أمر بشيء من الحشيش والنبات إلا استطال لي فرحًا، فأقمت كذلك أيامًا، ثم إني ولدت في بعض الليالي، ولم أكن ذقت شيئًا منذ سبعة أيام، قالت: فكنت ألتوي كما تلتوي الحية من شدة الجهد والجوع، فلا أدري أجهد نفسي شكراً أم جهداً لولادة، فيغشى عليَّ في بعض الأحايين حتى لا أدري أجهد نفسي شكراً أم جهداً لولادة، فيغشى علي في بعض الأحايين حتى لا أدري أفي السماء أنا أم في الأرض من شدة الجوع، فبينما أنا ذات ليلة نائمة إذ أتاني آت في منامي فحملني فقذف لي في جوفي ما أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وأزكى رائحة من الزعفران، وألين من الزبد، فقال لي: اشربي وأكثري من هذا الماء فشربت كثيراً.

ثم قال لي: زيدي، فازددت، ثم قال لي: ارتوي، فارتويت، ثم قال: أتعرفين؟ قلت: اللهم لا، فقال: أنا الحمد الذي كنت تحمدين الله في السراء والضراء، وعلى كل أمورك وحالاتك، ولكن انطلقي إلى بطحاء مكة، فإن لك فيها رزقًا واسعًا، وستؤتين بالرزق الواسع والنور الساطع، والهلال البدري، واكتمي أمرك ما استطعت، ثم ضرب بيده على صدري وقال: دري أدر الله لك اللبن، وأجرى لك الرزق.

قالت حليمة [1] رضي الله عنها: فاستيقظت من نومي وأنا أكثرهن لبنًا، لا أطيق حمله من كثرته ولا أطيق أن أقل ثدي كأنه الحجر العظيم، ويسيل منه لبن يقطر كقطر الروايا.

---

(١) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، هي التي أرضعت النبي ﷺ وأخذته معها إلى أرضها فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين، ثم ردّته إلى أمه. تاريخ الإسلام، حديث النبي ﷺ عن نفسه.

وإن الرجال حولي من بني سعد ونساؤهم في ضيق من العيش وجهد جهيد من شدة الزمان، إنما كنا نرى البطون لاصقة إلى الظهور والألوان قد تغيرت.

وكان يسمع في كل دار أنين كأنين المرضى من شدة الجوع، تكاد الدمعة تجري إذا بلت العيون، ولا يرى في الجبال نبات فكن النساء يعجبن مني ويقلن: يا بنت أبي ذؤيب إن لك لسانًا عظيمًا، وذلك أنك أصبحت تشبهين بنات الملوك، ولقد فار قناك بالأمس في تغير من اللون وضيق من العيش، فكنت لا أجد جوابًا، ولا أدري كلامًا، وكنت قد أمرت بذلك في المنام، وكنت أكتم شأني.

قالت حليمة رضي الله عنها: فلما كان ذات يوم صعدنا ذروة الجبل نطلب الحشيش والنبات على عادتنا، فبينما نحن في ذروة الجبل إذ سمعنا مناديًا ينادي: ألا إن الله قد حرم على نساء بني سعد أن يلدن في هذه السنة لأجل مولود يولد في قريش، هو النور الساطع والضياء اللامع، فطوبى لثدي يرضعه، فبادرن إليه يا نساء بني سعد.

قالت حليمة رضي الله عنها: فلما سمع النساء المنادي تركن ما كن يطلبن من معاشهن، وانحدرن من ذروة الجبل، ثم جعلن يخبرن أزواجهن بما سمعن، فعزم الناس على الخروج إلى مكة، فخرجوا وكانوا في جهد وضيق حال.

قالت حليمة رضي الله عنها[1]: فخرجت أنا على أتان لي وأنا أسمع في جوفها قعقعة، ولقد كادت عظامها تبدو من سوء حالها وشدة هزالها.

قالت حليمة رضي الله عنها: وصاحبي معي، فجعل الناس يجدون في السير، وقال لي صاحبي: جدّي في السير، أما ترين الناس قد سبقوا.

قالت: فكنت لا أمرُّ بشيء من النبات إلا استطال لي فرحًا، وجعل كل ما أمر عليه ينادي هنيئًا هنيئًا لك يا حليمة. قالت: فكنت لا أقدر أن أمر وحدي لكثرة ما أسمع في ذلك إذ بدرني من العشب رجل كالنخلة الباسقة، وبيده حربة تلوح لمعانًا من النور، فرفع يده اليمنى فضرب بها بطن الحمارة ضربة، ثم قال لي: يا حليمة أبشري، فقد أنزل الله بشارتك،

---

(١) قالت حليمة: حزت في نسوة نلتمس الرضعاء بمكة على أتان لي قمراء قد أذمت بالركب، وخرجنا في سنة شهباء لم تبق شيئًا، ومعنا شارف لنا والله إن تبض علينا بقطرة، ومعي صبي لي لا نتام ليلنا مع بكائه، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة رضاعه من أبيه، وكان يتيمًا، فلم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًا، غيري، فقلت لزوجي: لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فأتيته فأخذته، فقال زوجي: عسى الله أن يجعل فيه خيرًا، قالت: فوالله ما هو إلا أن جعلته في حجري، فأقبل عليه ثدي بما شاء من اللبن، فشرب وشرب أخوه حتى رويا. المرجع السابق في السيرة العطرة.

مري فقد أمرني الرحمن أن أدفع عنك اليوم كل شيطان مريد وجبار عنيد.

قالت: فقلت لصاحبي: ألا تسمع ما أسمع، وتدري ما أدري، وترى ما أرى؟ فقال لي: لا أسمع شيئًا، ما لك كالخائفة الوجلة؟ فجعلت أمشي معهن حتى نزلنا قريبًا من مكة، فلما أصبحنا سبقني الناس إلى مكة.

قالت حليمة رضي الله عنها: فنزلت قريباً منها، وقلت لصاحبي: أنت رجل وأنا امرأة ادخل مكة واسأل فيها من أعظم الناس قدرًا وأعلاهم حظًا.

قالت: فمضى ثم رجع إليّ وقال: لقد مضيت وسألت فقيل لي: آل مخزوم، فقلت له: ارجع ثانية، فاسأل سؤالاً ثانيًا، فانصرف إلى مكة، ثم رجع إليّ، فقال لي: قد سألت ثانية فقيل لي: عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف. قالت: فقلت له : اقعد أنت في الرحل وأنهض أنا، فقال لي: افعلي ما شئت.

قالت حليمة رضي الله عنها: فمضيت أنا ودخلت مكة فوجدت نساء قومي قد سبقنني إلى كل رضيع بمكة.

قالت: فندمت أشد الندامة على دخول مكة، وقلت في نفسي: لو أقمت في منازل بني سعد لكان خيرًا لي.

قالت: فجعلت أدخل بيتًا وأخرج من آخر فلم أجد رضيعًا، فبينما أنا في غم شديد وكرب عتيد إذا بعبد المطلب ينادي بأعلى صوته: معشر المراضع ، هل بقي منكن امرأة لم تأخذ رضيعًا، فلما سمعت صوته قصدت نحوه فقلت: نعم، أيها الرجل المنادي.

فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا امرأة من بني سعد.

فقال لي: ما اسمك؟ قلت له: حليمة، قالت: فتبسم عبد المطلب، وقال: بخ بخ سعد خصلتان فيها خير الدهر وعز الأبد، ويحك يا حليمة، إن عندنا مولودًا غلامًا يتيمًا يقال له: محمد، وإني قد عرضته على نساء بني سعد فأبين أن يقبلنه وقلن: إنه يتيم، وما عند اليتيم من الخير. إنما نلتمس الكرامة من الآباء.

فقال: هل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به؟

قالت حليمة رضي الله عنها: فقلت له: ألا تذرني حتى أشاور صاحبي، قالت: فتعلق بي وقال لي: بالله لترجعني يا حليمة غير كارهة.

فقلت له: بالله لأرجعن إليك لا كارهة، فانصرفت إلى صاحبي فأخبرته بما جرى لي مع عبد المطلب، فكأن الله قد قذف في قلبه فرحًا وسرورًا، فقال لي: يا حليمة، خذيه، فوالله لئن فاتك محمد لا تفلحين أبد الآبدين ودهر الداهرين. فرجعت إلى عبد المطلب بعدما كنت عزمت أن لا أرجع إليه، ثم أدركتني حمية العرب، وقلت: يرجع قومي بالرضيع، وأرجع أنا

خائبة، والله لآخذنه وإن كان يتيمًا، فهذا عبد المطلب جده ليس في الآدميين أكمل جمالاً منه، وأن رؤياي التي رأيتها في المنام وتصديقها في اليقظة لا تذهب أبدًا باطلاً.

فانصرفت إليه فوجدته قاعداً ينتظرني، فقلت: هلم الصبي، فاستهل وجهه فرحًا، فقال لي: يا حليمة، وقد نشطت لأخذه؟ قلت: نعم، فأدخلني بيت آمنة، فإذا هي امرأة هلالية بدرية، كأن الكوكب الدري مضروب بأسارير جبينها، فلما رأتني قالت: أهلاً وسهلاً بك يا حليمة، ثم أخذت بيدي وأدخلتني البيت الذي فيه محمد ﷺ، فإذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضًا من اللبن يفوح منه ريح كريح المسك الأذفر، تحته حريرة خضراء، نائم على ظهره، يعض في النوم على أنامله.

قالت حليمة رضي الله عنها: فلما نظرت إليه ﷺ أشفقت عليه لحسنه وجماله أن أوقظه من نومه، وقد دنوت منه رويداً، فوضعت ثدي على صدره، ففتح عينيه ﷺ وتبسم ضاحكًا.

قالت: ونظرت نوراً بين عينيه قد أخذ أفق السماء وأنا أنظر إليه، فبادرته وغطيت وجهه بيدي لكي لا ترى أمه ذلك فتقبضه، فقبلت بين عينيه ﷺ وأعطيته ثدييَّ الأيمن، فشرب حتى روي، ثم حولته إلى الثدي الأيسر فأبى أن يشرب منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما أبى أن يشرب منه لأن الله تعالى ألهمه العدل في الرضاع، وذلك أنه علم أن له فيهما شريكًا فناصفه عدلاً.

قالت حليمة رضي الله عنها: فكان ثدي الأيمن لمحمد ﷺ، وثدي الأيسر لابني ضمرة، وكان ابني ضمرة لا يشرب حتى يشرب محمد ﷺ.

قالت حليمة رضي الله عنها: فلما أردت الخروج من عند آمنة قالت لي: فدتك نفسي يا حليمة، لا تخرجي من بطحاء مكة ثلاث ليال، فأقمت ثلاث ليال ومعي محمد ﷺ، فلما كانت الليلة الثالثة انتبهت في بعض الليل إلى حاجة لأصلح شيئًا من شأني، فإذا برجل عليه ثياب خضر، له نور ، قاعد عند رأسه، فقبل بين عينيه، قالت: فأنبهت صاحبي رويداً رويداً وقلت له : انظر إلى العجب، فلما نظر إليه قال: اسكتي واكتمي شأنك، فمنذ الليلة التي ولد فيها هذا الغلام أصبحت أحبار قريش على أقدامها لا يهنأ لها عيش النهار ولا نوم الليل.

قالت حليمة رضي الله عنها: فودع الناس بعضهم بعضًا، وودعت أنا آمنة، ثم ركبت أتاني وأخذت محمداً ﷺ بين يدي.

قالت حليمة رضي الله عنها: فنظرت الأتان قد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات، ورفعت رأسها نحو السماء، وجعلت تمشي حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي،

فكان النساء يتعجبن مني ويقلن لي وهن من ورائي: يا ابنة أبي حارثة، هذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا، فكانت تخفضك طوراً وترفعك طوراً؟ فأقول: بالله إنها لهي. فيتعجبن منها ويقلن: إن لها لشأنًا عظيمًا.

قالت: فكنت أسمع أتاني تنطق وتقول: والله إن لي شأنًا عظيمًا، قالت: فكنت أسمعها تقول: لأن بعثني الله بعد موتي ورد علي سمني بعد هذالي، ويحكن يا نساء بني سعد، إن كن لفي شغل وغفلة، وهل ترين من على ظهري خاتم النبيين وسيد المرسلين، وخير جبلة الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين.

قالت حليمة رضي الله عنها: فألقى الله سبحانه وتعالى في قلب كل من رآه محبته، وكثرت أغنامنا، وزادت أرزاقنا ببركته ﷺ وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلامًا جيدًا.

فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا [1] ، لما كنا نرى من بركته ﷺ، فكلمنا أمه وقلنا لها: لو تركتي ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه من وباء مكة.

قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا، فرجعنا به. فوالله بعدما قدمنا به بشهر، خرج يومًا مع أخيه بالأغنام، فبينما نحن جلوس إذ أتانا أخوه فقال لي ولأبيه: ذلك الغلام القرشي أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه.

قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتقعًا لونه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه.

فقلنا : ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني فشقا بطني، والتمسا مني شيئًا لا أدري ما هو.

قالت: فرجعنا به إلى خبائنا.

وفي رواية قالت: فأقبلت أنا وأبوه -يعني زوجها- فإذا به قاعد على ذروة الجبل

---

(١) قالت حليمة: فقدمنا على أمه فقلنا لها : ردي علينا ابني فإنا نخشى عليه وباء مكة، قالت: ونحن أضن شيء به مما رأينا من بركته، قالت: ارجعا به، فمكث عندنا شهرين فبينا هو يلعب وأخوه خلف البيوت يرعيان بهمًا لنا، إذ جاء أخوه يشتد قال: أدركا أخي قد جاءه رجلان فشقا بطنه ، فخرجنا نشتد فأتيناه وهو قائم منتقع اللون، فاعتنقه أبوه وأنا، ثم قال: ما لك يا بني؟ قال: أتاني رجلان فأضجعاني ثم شقا بطني، فوالله ما أدري ما صنعا، فرجعنا به، قالت: يقول أبوه: يا حليمة، ما أرى هذا الغلام إلا أن أصيب، فانطلقي فلنرده إلى أهله، فرجعنا به إليها، فقالت: ما ردكما به؟ فقلت: كفلناه وأدينا الحق، ثم تخوفنا عليه الأحداث، فقالت: والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما، فما زالت حتى أخبرناها ، قالت: فتخوفتما عليه؟ كلا والله إن لابني هذا شأنًا، إني حملت به فلم أحمل حملاً قط أخف منه ولا أعظم بركة، ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته، أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعاً يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء، دعاه والحقا شأنكما، قال الذهبي: هذا حديث جيد الإسناد، انظر تاريخ الإسلام في السيرة العطرة بالجزء الأول.

متربعًا شاخصًا بعينه نحو السماء يتبسم ويضحك، فأكببت عليه، وقبلت بين عينيه وقلت: فدتك نفسي، ما الذي دهاك؟ قال: خير يا أماه، بينما أنا الساعة قائم بين إخوتي إذا أنا برهط ثلاثة في يد أحدهم إبريق فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر مليء ثلجًا، فأخذوني من بين أصحابي وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فأضجعوني بعضهم إضجاعًا لطيفًا، ثم شق في صدري إلى عانتي، وأنا أنظر إليه، فلم أجد لذلك حسًا ولا ألمًا. ثم أدخل يده في جوفي فأخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها.

وقام الثاني فقال للأول: تنح، فقد أنجزت ما أمرك الله، فدنى مني وأدخل يده في جوفي وانتزع قلبي فشقه.

فأخرج منه علقة سوداء متلونة بالدم، فرمى بها وقال: هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله، ثم حشاه بشيء كان معه، ورده إلى مكانه، ثم ختمه بخاتم من نور، فأنا الساعة أجد برد الخاتم في مفاصلي وعروقي.

وقام الثالث إليهما فقال: تنحيا فقد أنجزتما ما أمركم الله به، ثم دنا الثالث مني فأمر بيده على ما بين مفارق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم الشق وأنا أنظر إليه، ثم أخذني فأنهضني من الأرض انتهاضًا لطيفًا، ثم تركني قاعدًا في مكاني هذا ثم جعلوا يطيرون طيرانًا حتى دخلوا خلال السماء، وأنا أنظر إليهم.

قالت: فقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك.

قالت: فاحتملناه، فقدمنا به إلى أمه.

فقالت: ما أقدمك يا ظئر، وقد كنت حريصة على مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ وتخوفت الأحداث عليه، فأديته عليك كما تحبين.

قالت: ما هذا شأنك؛ فاصدقيني.

قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها.

قالت: أتخوفت عليه الشيطان؟

قالت: قلت: نعم.

قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأنًا، أفلا أخبرك بخبره.

قالت: قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أن خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حملي قط، كان أخف ولا أيسر منه، فنزل حين وضعته، وإنه لواضع يده في الأرض رافع رأسه إلى السماء، وقائل يقول: دعيه

عنك وانطلقي راشدة.

قالت حليمة رضي الله عنها: فانتهيت به إلى منزلي فما أعلم أنه بقي منزل من منازل بني سعد إلا وقد شممت منه رائحة المسك الأذفر.

وكنا في كل يوم ينزل علينا رجلان أبيضان متلففان في ثيابهما، فلا يظهران.

فقال لي الناس: تردينه على عبدالمطلب وتخرجين من أمانتك.

قالت: فكنت عازمة على ذلك فسمعت مناديًا ينادي: هنيئًا لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد الله عليك النور والدين والبهاء والكمال.

قالت: فركبت أتاني، وحملت النبي ﷺ بين يدي، وأقبلت أسير حتى أتيت الباب الأعظم من باب مكة، وعليه جماعة يجتمعون، فوضعته ﷺ لأقضي حاجتي وأصلح شأني، فسمعت هرة عظيمة، فالتفت فلم أره، فقلت: معشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: أي الصبيان تطلبين؟ قلت: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب الذي نضّر الله به وجهي وأغنى عيلتي وأشبع جوعتي، ربيته حتى إذا أدركت سروري وأملي أتيت به لأرده على أهله وأخرج من أمانتي، أُختلس من بين يدي، قبل أن تمس قدماه الأرض، واللات والعزى لئن لم أرده لأرمين بنفسي من شاهق هذا الجبل ولأتقطعن إربًا.

قال الناس: إنا لنراك عانية، ومن أين كان معك شيء؟ قالت: قلت: الساعة، كان بين أيديكم، قالوا: ما رأينا شيئًا.

فلما آيسوني منه وضعت يدي على أم رأسي، وقلت: وا ولداه فأبكيت الجواري والأبكار ببكائي، وضج الناس معي بالبكاء حرقة لي. فإذا أنا بشيخ يتوكأ على عصى فقال لي: ما لك ما لك يا سعدية تبكين وتنتحبين؟ قلت: فقد ابني محمد. فقال لي: لا تبكي، فأنا أدلك على من يعلم علمه، وإن شاء أن يرده فعل. قالت: فقلت: فدتك نفسي، ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل، هو العالم بمكانه ادخلي عليه فاطلبي منه فإذا ما شاء أن يرده عليك رده.

قالت: فذريت بالشيخ وقلت: ثكلتك أمك كأنك لم تر ما نزل باللات والعزى في الليلة التي ولد فيها محمد. فقال: إنك لتهزأين وما تقولين، أنا أدخل إليه وأسأله أن يرده عليك.

قالت حليمة رضي الله عنها: فدخل وأنا أنظر فطاف بهبل أسبوعًا[1]، فسعى وهرول،

---

(١) اسبوعًا: اي سَبْع.

وقبل رأسه وناداه: يا سيداه لم تزل منتك على قريش قديمة، وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فاردده عليها إن شئت، وأخرج هذه الوحشة من بطحاء مكة، فإنها تزعم أن ابنها محمد قد ضل. قالت: فانكب هبل على وجهه ونطق، وقال: إليك عني أيها الشيخ، إنما هلاكنا على يدي محمد.

فأقبل الشيخ وأنا أسمع لأضراسه اصطكاكًا، وركبته ارتعادًا وقد ألقى عكازه من يده وهو يبكي ويقول: يا حليمة إن لابنك ربًا لا يضيعه فاطلبيه على مهل.

قالت: فخفت أن يبلغ الخبر لعبد المطلب فقصدت نحوه، فلما نظر إليّ قال لي: سعد نزل بك أم نحس؟

فقلت: بل النحس الأكبر، ففهمها مني فقال: لعل ابنك ضل منك؟ قالت: فقلت: نعم. فظن أن بعض قريش اغتالوه، فقتلوه، فسلَّ عبد المطلب سيفه وكان لا يثبت له أحد من شدة غضبه، ثم نادى بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، وكانت دعواهم في الجاهلية، فأجابته قريش بأجمعها، اركب نركب معك، فإن تسنمت جبلاً تسنمناه معك، وإن خضت بحرًا خضناه معك، قال: فركب وركبت قريش معه وأخذ على أعلى مكة، وانحدر على أسفلها. قالت: فلما أيس ولم ير شيئًا ترك الناس، فاتشح بثوب وارتدى بآخر وأقبل إلى البيت الحرام وطاف به أسبوعًا. ثم أنشد يقول:

باب رد الزاكي الممجد ... فرده واتخذ عندي يدا

قالت: فسمعنا مناديًا ينادي من جو السماء: معشر الناس لا تنتحبوا فإن لمحمد رب لا يخذله. فقال عبدالمطلب: أيها الهاتف، ومن لنا به؟ وأين هو؟ قال: بوادي تهامة عند شجرة اليهين.

فأقبل عبد المطلب[1] راكبًا متسلحًا، فلما كان في بعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل فسارا جميعًا. فبينما هما كذلك يسيران إذ هما بالنبي ﷺ قائمًا تحت الشجرة يجذب أغصانها ويمس الورق.

قال عبد المطلب: من أنت يا غلام؟

قال: محمد بن عبد الله، قال له عبد المطلب: فدتك نفسي أنا جدك، ثم حمله على

---

(١) عبد المطلب هو ابن هاشم بن بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم. الذهبي في تاريخ الإسلام بداية السيرة العطرة.

قربوس سرجه، ورده إلى مكة واطمأنت قريش بعد ذلك.

فلما اطمأن الناس جهز لي عبدالمطلب بأحسن جهاز وصرفني فانصرفت إلى منزلي وأنا بكل خير لا أحسن أصف كثرة خير.

وصار محمد ﷺ عند جده عبد المطلب.

قالت حليمة رضي الله عنها: ثم إن الله ﷻ القاني لما أراد من إتمام نعمته عليّ ومد لي في العمر حتى أدركت نبوته وهاجرت إلى المدينة المشرفة وظهر أمره ونصره الله تعالى، فأتيته أنا وزوجي وابني، فبسط لنا رداءه فقعد ﷺ في وسطه وأقعد زوجي عن يمينه على الرداء، وأقعدني عن يساره، وأقعد ابني ضمرة رضيعه بين يديه على الرداء إكرامًا لنا ﷺ(١).

● **فائدة عظيمة**

قال تاج الدين السبكي رحمة الله عليه: سمعت شيخي -يعني والده تقي الدين رحمه الله تعالى- وقد سئل عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلب النبي ﷺ (٢) في صغره حيث شق فؤاده وقول الملك: «هذا حظ الشيطان منك»: أن تلك العلقة خلقها الله تعالى في البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها، فأزيلت من قلبه ﷺ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطان فيه شيئًا(٣). قال: هذا معنى الحديث.

ولم يكن للشيطان فيه ﷺ حظ قط، وإنما الذي نفاه الملك أمر في الجبلات البشرية، فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٤٥)، كتاب الأدب باب في بر الوالدين، عن عمر بن السائب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه، فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام له رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه.

(٢) روى مسلم في صحيحه (٢٦١-١٦٢)، كتاب الإيمان، ٧٤- باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمَه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره)، فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. وفي رواية أخرى لمسلم (٢٦٥) وفيه: «فأتيت بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فشق من النحر إلى مراق البطن، فغسل بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانًا».

(٣) وروى النسائي (١/ ٢٢١-المجتبى) عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت وأنا في أهلي، فانطلق بي إلى زمزم فشرح صدري، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فحشي بها صدري» قال أنس: ورسول الله ﷺ يرينا أثره، «فعرج بي الملك إلى السماء الدنيا...» وذكر حديث المعراج. قال الذهبي في تاريخ الإسلام: هذا ليعرف أن جبريل شرح صدره مرتين: في صغره ووقت الإسراء به، (تاريخ الإسلام في السيرة العطرة).

قال تاج الدين: قلت له -يعني والده-: فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة [(١)]، وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها؟

قال: لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية، فخلقه تكملة للخلق الإنساني فلابد منه، ونزعه كرامة ربانية طرأت بعده.

وقد رأى الأخ شيخنا الإمام أبو حامد أحمد الوالد بعد موته في نومه وعليه أنوار وقع في نفسه أنها ببركات هذا البحث، انتهى والله أعلم.

***

(١) وفي لفظ آخر: أخرج مسلم في صحيحه (٢٦٣-١٦٣)، كتاب الإيمان، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري، ثم أطبقه...» الحديث. قال النووي: وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان، وهذه صفة الأجسام، فمعناه والله أعلم: أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما، فسمي إيمانًا وحكمة لكونه سببًا لهما، وهذا من أحسن المجاز والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٢/١٨٨)، ط. دار الكتب العلمية.

الباب الخامس والثلاثون

يذكر فيه ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ والإسراء به

روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه قال[1]: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاثة عشر سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وروى البخاري أيضًا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام[2] رضي الله عنه سأل رسول الله فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما يقول، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول»**.

قالت عائشة رضي الله عنها: وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[3].

● في هذا الحديث فوائد:

الأولى: قوله عن عائشة: هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق الحبيبة بنت الحبيب،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، عن ابن عباس. ومسلم في صحيحه (١١٧-٢٣٥١)، كتاب الفضائل، ٣٣-باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة. قال النووي: اتفقوا أنه ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة، وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة. وقيل: الهجرة، والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثًا وستين، وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة وهو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء. النووي في شرح مسلم (١٥/ ٨١)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أبو عبدالرحمن المكي، المخزومي القرشي الحجازي، صحابي، من مسلمة الفتح، أخرج له ابن ماجه، وله ذكر في الصحيحين، أنه سأل عن كيفية مجيء الوحي، توفي سنة (١٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ١٦١)، تقريب التهذيب (١/ ١٤٥)، الكاشف (١/ ١٩٨)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٥٨)، الجرح والتعديل (٣/ ٤٢٩)، أسد الغابة (١/ ٤١٦)، الإصابة (١/ ٦٠٥)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ١١١)، الاستيعاب (١/ ٣٠١)، الوافي بالوفيات (١١/ ٣٦٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١٩، ٤٢١)، البداية والنهاية (٧/ ٩٣)، الثقات (٣/ ٧٢)، أسماء الصحابة الرواة (٥٣٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي رقم (٣٢١٥)، كتاب بدء الخلق، ٦-باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. ومسلم في صحيحه (٨٧-٢٣٣٣)، كتاب الفضائل، ٢٣- باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي. قال النووي: أما الصلصلة هي الصوت المتدارك. قال الخطابي: معناه أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك. قال العلماء: والحكمة في ذلك أن يتفرغ سمعه ﷺ ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك، ومعنى: «وعيت»: جمعت وفهمت وحفظت. وأما الفصم، أي: يقلع وينجلي ما يتغشاني منه. النووي في شرح مسلم (١٥/ ٧٢).

كنيتها أم عبدالله، لم تأت بولد وإنما سميت بأم عبدالله من أجل أنها كنيت بابن أختها، سيدي عبدالله بن الزبير بن العوام من أختها أسماء(١)، فكنيت به لمحبتها إياه. وعائشة مأخوذة من العيش، و«عيشة» لغة فصيحة.

واسم أمها: أم رومان(٢) بضم الواو وفتحها، وعبدالرحمن شقيق عائشة، وبلغت من العمر خمسًا وستين سنة، وكانت من أكبر الفقهاء، وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية، روت ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث، روت عن خلق من الصحابة، وروى عنها جماعات، وماتت بعد الخمسين(٣)، ودفنت بالبقيع ليلاً وصلى عليها أبو هريرة.

ولها خصائص كثيرة ذكرها محمد بن رجب الزبيري في شرح البخاري، وسنذكرها إن شاء الله تعالى في مناقبها.

وكانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس بالشعر والطب والحديث، وقال أبو موسى: ما أشكل علينا شيء إلا سألنا عائشة فوجدنا عندها منه علمًا (٤).

وكانت تفتي على زمن الخلفاء الراشدين فمن بعدهم إلى أن ماتت رضي الله عنها.

● وهنا فوائد تتعلق بعائشة وفضلها:

الأولى: مات النبي ﷺ وخلف تسع نسوة كانت عائشة أفضلهن قطعًا.

ثانيًا: سئل العالم الكبير أبو بكر بن فورك(٥): خديجة أفضل أم عائشة؟ فقال: إن عائشة

---

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام، ذات النطاقين، التيمية القرشية، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة، توفيت سنة (٧٣، ٧٤)، أخرج لها الستة، انظر ترجمتها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٩٧)، التقريب (٢/ ٥٨٩)، الثقات (٣/ ٢٣)، أسد الغابة (٧/ ٩)، أعلام النساء (١/ ٣٦)، الإصابة (٢/ ٤٨٤)، الكاشف (٣/ ٤٦٤).

(٢) أم رومان الفراسية، زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبدالرحمن، صحابية يقال: اسمها زينب، وقيل: رعد، أخرج لها البخاري، انظر ترجمتها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٧)، التقريب (٢/ ٦٢١).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٤٧٥٣)، كتاب تفسير القرآن، ٩-باب ﴿ولولا إذ سمعتموه...﴾ عن ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني علي، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له. فقال : كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت الله. قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسيًا منسيًا.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣)، كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

(٥) أبو بكر بن فورك هو محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الإمام العلامة الصالح شيخ المتكلمين، قال ابن خلكان: أبو بكر الأصولي الأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدة ثم توجه إلى الري فسعت به المبتدعة – يعني الكرامية– فراسله أهل نيسابور فورد عليهم، ودعي إلى مدينة غزنة، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور فسم في الطريق فمات، سير الأعلام (١٧/ ٢١٤).

أقرأها النبي ﷺ السلام من جبريل[١]، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان نبيه.

فقيل له: فمن أفضل: خديجة أم فاطمة؟

فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن فاطمة بضعة مني، ولا أعدل بها أحدًا**»[٢].

● **فائدة:**

البضعة: بفتح الباء هي القطعة.

قال النبي ﷺ، لما خطب علي بن أبي طالب بنت أبي جهل وخرج ﷺ إلى المسجد خطب خطبة قال فيها، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر فضل ابنته فاطمة وقال: «**إنها بضعة مني**»، وقال: «**لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبدًا**»[٣].

● **فائدة:**

قال العلامة عمر بن دحية في كتاب (التنوير في مولد البشير النذير): من سب فاطمة فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها عليهما الصلاة والسلام.

وقد ورد في حديث[٤]: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم**» ففاطمة عليها السلام هي أصغر ولده ﷺ وأحبهم إليه وأحق أن تتقدم في الذكر.

● **تنبيه:**

قال الحافظ ابن دحية: ذكر بعض أهل العلم في قوله سبحانه وتعالى في سورة التحريم: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا﴾: ما الحكمة في ذكر الثيبات، قبل البكر؟

قال السهيلي: لأن زمان آسية امرأة فرعون قبل زمان مريم بنت عمران، وآسية ثيب،

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة والاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال، وباب إذا قال: فلان يقرئك السلام، ومسلم (٩١)، في فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، والترمذي (٣٨٨١، ٣٨٨٢)، في كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها. وابن أبي شيبة (١٢/ ١٣١)، والنسائي (٧/ ٧٠-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٦/ ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، ومسلم (٩٦)، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، وابن ماجه (١٩٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١٥-باب ذكر أصهار النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه (٩٥، ٩٦)، باب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت محمد ﷺ.

(٤) يأتي تخريجه عقب هذا.

ومريم بكر (١).

ولأن أزواج النبي ﷺ كلهن ثيب إلا عائشة، وأفضلهن خديجة، لأن خديجة لم تمت حتى بشرها رسول الله ﷺ ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (٢)، وأقرأها السلام من ربها، قال ابن دحية: ومن نال السلام من الله في الدنيا، فقد أمن من أهوال الموت، وأهوال القبر، وأهوال الحساب، وأهوال الصراط، وجميع أمور القيامة حتى تدخل ذلك البيت، والقصب هو: اللؤلؤ المجوف، فمن فضل خديجة أن الله لم يبتليها بالغيرة؛ لأنه ﷺ كان مقتصراً حتى ماتت ولم يتزوج عليها، ثم في الجنة تنفرد هي به في هذا البيت الموصوف، فهي فيه دون منازع لها، وهي تستحق ذلك لما فعلته معه قبل النبوة، فآوته وعالته وأعانته بمالها، فمن يقدر على وصف ما في ذلك البيت (٣).

ونقل الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش: قال آدم عليه الصلاة والسلام: مما فضل عليّ به ابني صاحب البعير محمد ﷺ: أن زوجته كانت له عونًا على تبليغ أمر الله، وإن زوجتي كانت لي عونًا على المعصية.

فحاصله: أن خديجة أفضل نساء رسول الله ﷺ، وعائشة أفضل من سائر أزواجه بعد خديجة، وفاطمة أفضل من خديجة لقوله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة» (٤).

وأما الذي سأل رسول الله ﷺ عن كيف يأتيك الوحي؟ هو: الحارث بن هشام أخو أبو جهل، وابن عم خالد بن الوليد، مات أخوه أبو جهل كافراً، وأسلم هذا يوم فتح مكة،

---

(١) أخرج الترمذي في سننه (٣٨٧٨)، كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» ، وقال الترمذي: حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٨)، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ومسلم في صحيحه (٧٢-٢٤٣٣)، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين، والترمذي (٣٨٧٦)، كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها، والنسائي في الكبرى في المناقب، باب مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

(٣) قال النووي: قال جمهور العلماء: المراد به: قصب اللؤلؤ المجوف، كالقصر المنيف، وقيل: قصب من ذهب منظوم بالجوهر، قال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف، قالوا: ويقال لكل مجوف: قصب، وقد جاء في الحديث مفسراً: «ببيت من لؤلؤة مجباه» وفسروه بمجوفة، قال الخطابي وغيره: المراد بالبيت هنا القصر، وأما الصخب، بفتح الصاد والخاء وهو الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب. شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٧٣)، كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ورقم (٣٨٩٣)، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، وقال الترمذي فيهما: حسن غريب.

وكان هذا هو الحارث من فضلاء الصحابة وخيارهم، وهو الذي أجارته أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب يوم فتح مكة.

فسأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال له النبي ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس**»، أي أوقاتًا، لأن الوقت هو الحين، والجرس صفة ناقوس صغير، أو جلجل أو صطل في داخله قطعة من نحاس، كالذي يعلق منكوسًا على البعير، فإذا تحركت النحاسة فأصابه الصطل، فيحصل له صلصلة، ثم قال: «**فيفصم**» بفتح الياء وسكون الفاء، «**وقد وعيت عنه ما قال**»: أي حفظت وجمعت. «**وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني**»، والملك: بفتح اللام يعني جبريل عليه السلام؛ لأن جبريل كان تارة يأتيه على صفة أعرابي، وتارة يأتيه على صفة دحية الكلبي[١]، ولو أنه يتمثل له في غير هذه لما كان يسعه مكان، لأن جبريل له ستمائة جناح إذا نشر(....)[٢] من جناحه سد بها ما بين المشرق والمغرب، وقد رآه النبي ﷺ مرتين في صورته التي خلقه الله تعالى فيها سادًا ما بين المشرق والمغرب[٣]، وقد رأته الصحابة على صورة دحية الكلبي من أجمل الناس فيأتي في صفته فيكلمه فيحفظ عنه جميع ما قاله، وكذلك قال: «**وقد وعيت عنه ما قال**»، أي: فهمت وجمعت وحفظت.

قوله: قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقًا.

فالجبين: هو غير الجبهة وهو فوق الصدغ، والتفصد هو: السيلان، وإن جبينه ﷺ ليسيل عرقًا.

وقد وقع في صحيح مسلم: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رءوسهم، فإذا انجلى عنه رفع رأسه[٤].

---

(١) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ القيس الكلبي الخزرجي، صحابي جليل، وكان رجلاً جميلاً، وقال النبي ﷺ: «يأتيني جبريل في صورة دحية»، أرسله النبي ﷺ بكتابه إلى قيصر، أخرج له: أبو داود، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٠٦)، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٥)، الإصابة (٢/ ٢٨٤)، سير الأعلام (٢/ ٥٥٠)، أسد الغابة (٢/ ١٥٩).

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) روى مسلم في صحيحه (٢٨٠-١٧٤)، كتاب الإيمان، ٧٦-باب في ذكر سدرة المنتهى، عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح، وكذا في رقم (٢٨١، ٢٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٩-٢٣٣٥)، كتاب الفضائل، ٢٣- باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، عن عبادة ابن الصامت، وفي رقم (٨٨-٢٣٣٤)، عن عبادة بن الصامت قال: كان نبي الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه.

● **ففي هذا الحديث الشريف فوائد:**

الأولى منها: أن الملائكة موجودون، فإن الفلاسفة والملاحدة ينكرون ذلك، فهذا الحديث الشريف يرد عليهم، بل والقرآن الكريم.

الثانية: إن في هذا الحديث الشريف دليلاً على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن كثير من المعاني.

الثالثة: أنه ﷺ كان يجيبهم على ما سألوه ويعلمهم. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. فكانت طائفة منهم تسأله عن المسائل، وطائفة تحفظ منه ما يقول، وطائفة منهم تبلغ أصحابهم الذين لم يحضروه، وما سمعوا من رسول الله ﷺ، حتى أكمل الله دينه ولله الحمد على كل حال.

● **الرابعة لهذا الباب وفيها فوائد:**

الأولى: قال بعض العلماء: كان سيدنا رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي صار بحالة التي تصيبه الحمى ويأخذ العرق من شدة الوحي ويحمر وجهه، وينحدر العرق على جبينه [(١)]، قاله ابن جبير وغيره.

وقد ذكر الإمام البخاري[(٢)] في كتاب التوحيد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات شيئًا مثل وقع الحديد على الصفا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكت الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الثانية: في خبر آخر: أول ما يرفع جبريل رأسه، فيكلمه الله سبحانه وتعالى بوحيه بما شاء بقدرته، ثم يمر جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر على سماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربكم سبحانه وتعالى؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون مثل ما قال جبريل، ثم ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ.

---

(١) انظر ما تقدم في مسلم.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له..﴾، الآية، وأطول من ذلك عن أبي هريرة (٤٨٠٠)، عن أبي هريرة في التفسير، باب سورة سبأ، وأبو داود (٤٣٣٨)، كتاب السنة، باب في القرآن، والترمذي (٣٢٢٣)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة سبأ.

الثالثة: نقل البغوي في تفسيره عن مقاتل والكلبي والسدي قال: كانت الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ خمسمائة سنة وخمسين سنة، وقيل: ستمائة سنة [١]، لم يبعث الله تعالى فيها نبيًا، ولم تسمع الملائكة فيها وحيًا، فلما بعث الله نبينا محمد ﷺ، كلم الله تعالى جبريل بالرسالة، فسمعت الملائكة ذلك ظنوا أنها الساعة؛ لأن محمدًا ﷺ عند أهل السموات من أشراط الساعة، قال: فصعقوا مما سمعوا خوفًا من أشراط الساعة، ولذلك قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» [٢]، وقرن بين أصابعه السبابة والوسطى.

وقوله في قولها: وإن جبينه ليتفصد عرقًا: كان رسول الله ﷺ واسع الجبين ربع القامة أزهر اللون مشرب الحمرة أزج الحاجبين، أقنى الأنف، كث اللحية، بارز العينين، سهل الخدين، شديد سواد الحدقة، مفلج الأسنان، يطأ الأرض بجميع قدميه.

● لطيفة:

قال عكرمة بن خالد: إن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الملائكة أكرم على الله، فقال: «جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط، وكل ورقة تنبت، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض الأرواح»، أخرجه أبو الشيخ، وأخرج أيضًا عن أبي سنان قال: اللوح المحفوظ معلق بالعرش فإذا أراد أن يوحي بشيء كتب في اللوح، فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل فينظر فيه فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل، وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبرئيل، فأول ما يحاسب به يوم القيامة اللوح، يدعى به، ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغت اللوح، فإذا قال: نعم، قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب، ثم كذلك.

وفي رواية أخرى عن وهب بن أبي ذر قال: إذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل ترعد

---

(١) اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي، فقال أبو عثمان النهدي، وقتادة في رواية عنه: كانت ستمائة سنة، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي، وعن قتادة خمسمائة وستون سنة، وقال معمر عن بعض أصحابه: خمسمائة سنة، وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام، عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة، والمشهور هو القول الأول، وهو أنها ستمائة سنة، ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (١٣٥)، في الفتن، باب قرب الساعة، والترمذي (٢٢١٤)، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وابن ماجه (٤٥، ٤٠٤٠)، والنسائي (٣/ ١٨٩)، والبيهقي (٣/ ٢٠٦، ٢١٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٤)،

فرائصه، فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل، فيدعى جبريل ترعد فرائصه، فيقول: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل، فيؤتى بالرسل، فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغنا الناس فهو قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف : ٦].

فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء، وعرف بها أيضًا أنه إنما يتلقى الوحي بواسطة إسرافيل.

وقيل: اشتهر عند بعض الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ، وهذا شيء لا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد[(١)]، قالت: قلت: يا رسول الله، هل يرقد الجنب؟ قال: «**ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل**»[(٢)].

فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى الأرض ويحضر موتة كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة ، ثم رأيت في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾. قال الأئمة: عن الضحاك: إن الروح هنا: جبريل، وإنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة.

وأخرج الطبراني في كتاب الفتن من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في وصف الدجال قال: فيمقّ بمكة، فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل، بعثني الله لأمنعه من حرم رسوله.

الرابعة: قال الحافظ برهان الدين الحلبي في شرح البخاري: اعلم أن في كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ سبع صور ذكرها السهيلي في روض الأنف وقد نقلنا ذلك باختصار:

الأولى: النوم، وقد قال إبراهيم: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فدل أن الوحي كان يأتيهم في المنام كما يأتيهم في اليقظة.

الثانية: أن ينفث في روعه الكلام نفثًا، لقوله ﷺ[(٣)]: «**إن روح القدس نفث في روعي**

---

(١) ميمونة بنت سعد خادمة النبي ﷺ، أخرج لها أصحاب السنن الأربعة، انظر التهذيب (١٢/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٨٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٥)، والسيوطي في حبائك في الملائك (١٩).

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١١٥١، ١١٥٢)، وابن عبدالبر في التمهيد (١/ ٢٨٤).

أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» .

وقال مجاهد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ (١) [الشورى: ٥١]، قال: هو أن ينفث في روعه بالوحي.

الثالثة: أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس كما تقدم أول الباب.

الرابعة: أن يتمثل له الملك رجلاً، فكان يأتيه في صورة دحية.

الخامسة: أن ينزل له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينشر منها اللؤلؤ والياقوت.

قوله: أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب، إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي(٢)، قال: «أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: فيما يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها على صدري -أي قلبي- وتجلى لي علم كل شيء، وقال لي: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الكفارات، فقال: وما هن؟ قلت: الوضوء عند المكروهات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقال: من فعل ذلك عاش حميدًا، ومات شهيدًا، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه» الحديث.

فهذه ستة أحوال.

السابعة: نزول إسرافيل بكلمات من الوحي قبل جبريل.

فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

قال السهيلي: لم أرَ أحداً كهذا الجمع ، قال في روض الأفكار، ومنه نقلت: قد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي: أن رسول الله ﷺ وُكل إسرافيل، فكان يترآى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي، ثم وكل به جبريل، فجاءه بالقرآن والوحي، وأنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين، والمشهور كما قاله ابن الملقن: أن جبريل ابتدأه بالوحي ﷺ، انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روح النبي ﷺ شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في الحديث: «إن روح القدس نفث....» الحديث، وقد تقدم قبل هذا، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها، تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٤)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة (ص)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣، ٣١٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

الباب السادس والثلاثون

يذكر فيه طرف من معجزات النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين [1]، حتى رأوا حراء بينهما [2].

وفي رواية معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: أراهم القمر مرتين انشقاقه، فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

وعن ابن مسعود [3] رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

وفي رواية الأسود، عن ابن مسعود رضي الله عنه: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر.

وفي رواية مسروق رضي الله عنه: أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفار قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فقال رجل: إن محمد إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر، هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك [4].

---

(١) كذا بالأصل، وفي البخاري (شقتين).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٦٨)، كتاب مناقب الأنصار، ٣٦-باب انشقاق القمر، وأيضًا البخاري (٣٦٣٧)، كتاب المناقب، ٢٧-باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر، ومسلم (٤٦-٢٨٠٢)، كتاب صفات المنافقين، ٨-باب انشقاق القمر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٩)، كتاب مناقب الأنصار ٣٦-باب انشقاق القمر، ومسلم (٤٣-٢٨٠٠)، ٤٤- كتاب صفات المنافقين، ٨-باب انشقاق القمر، وأحمد في مسنده (٣٧٧، ٤٥٦)، والترمذي (٢١٨٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣٣).

(٤) قال النووي: قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفين الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره. وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترًا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس ينامون غافلين، والأبواب مغلقة، وهم متغطون بثيابهم، فقل من يتفكر في السماء. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١١٩).

وعن الضحاك قال: قال أبو جهل: هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا، أرأوا مثل ذلك أم لا؟ فأخبروا أهل الآفاق أنهم رأوه منشقًا فقالوا -يعني الكفار-: هذا سحر مستمر. وفي بعض طرق الأعمش: ونحن بمنىً.

● **فائدة:**

يجوز صرف «منى» ومنعه، وهو بكسر الميم، والعامة تقول: مُنى، بضم الميم، جمع منية، وهو ما يتمنى. قال الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها من طريقين: أن النبي ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي ﷺ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصليت يا علي؟» . قال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»[(١)]. قالت أسماء رضي الله عنها: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر

قال: وهذان حديثان ثانيان، ورواتهما ثقات.

وقال الطحاوي: إن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء رضي الله عنها؛ لأنه من علامات النبوة.

وعن ابن إسحاق[(٢)]: لما أسري برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟، قال: «يوم الأربعاء»، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ وفاتت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بإناء فوضع يده ﷺ في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم[(٣)] .

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٩٧)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧١).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر، أبو عبدالله، كومان المدني، المطلبي، إمام المغازي الحرمي المديني، القرشي ، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٤٤). انظر ترجمته في التهذيب (٩/ ٣٨)، تقريب التهذيب (٢/ ١٤٤)، الكاشف (٣/ ١٩)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ١١١)، الجرح والتعديل (٧/ ١٠٨٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٤)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٨٨)، سير الأعلام (٧/ ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٩)، كتاب الوضوء، ٣٢- باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، والمناقب (٣٥٧٣)، ٢٥- باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه (٥-٢٢٧٩)، كتاب الفضائل، ٣- باب في معجزات النبي ﷺ.

وعنه أيضاً وقتادة: أتي بإناء فيه ماء يغمر أصابعه من الماء ولا يكاد يغمر قال: كم كنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائة (١).

وفي الصحيح من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا من معه فضل ماء»، فأتي بماء فصبه في إناء، ثم وضع كفيه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ (٢).

وفي حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق، وقال: أقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز.

وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة، وبارك (٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابي فقال: «يا أعرابي أين تريد؟» قال: إلى أهلي. قال: «هل لك في خير؟»، قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله». قال: ومن يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة المثمرة، وهي بشاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك»، قال: فدعوتها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا، فشهدت له أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها (٤).

عن بريدة رضي الله عنه: سأل أعرابي النبي ﷺ آية فقال: «قل لتلك الشجرة: رسول الله يدعوك».

قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها، وبين يديها وخلفها، فتقطعت العروق، ثم جاءت تخد الأرض، تخد عروقها مقبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقالت: السلام عليك يا رسول الله.

قال الأعرابي: ألمرها أن ترجع إلى منبتها، فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٩)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٣) انظر إلى ما رواه مسلم في صحيحه (٩-٢٢٨١)، كتاب الفضائل، ٣-باب في معجزات النبي ﷺ عن جابر: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم».

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٠)، وابن حبان في صحيحه (٢١١٠ - الموارد)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٢)، (٩/ ٦٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١٩٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٦١).

فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد لك؟ قال: «لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[١].

قال: فأذن لي أن أقبل يديك؟ قال: فأذن له.

عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي ﷻ»[٢].

وقيل: كان النبي ﷺ يخاف قريشًا، فلما نزلت هذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، استلقى ثم قال: «من شاء فليخذلني»[٣].

وقيل: كانت حمالة الحطب[٤] تضع العضات وهي جمر على طريق رسول الله ﷺ، فكان ما يطؤها إلا مثل كثيبًا أهيل.

وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ وذكرها بما ذكرها الله تعالى مع زوجها من الذم، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر ﵁ وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر ﵁ وأخذ الله بصرها عن النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه[٥].

وعن الحكم بن أبي العاص: تواعدنا على النبي ﷺ حتى رأيناه سمعنا صوتًا منكرًا خلفنا ظننا أنه ما بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشيًا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله.

ثم تواعدنا ليلة فجئنا حتى رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٢)، والهيثمي في الجمع (٤/ ٣١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٨)، والقرطبي في التفسير (٣/ ١٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة. والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٨)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٦٨١).

(٣) انظر القاضي عياض في الشفا (١/ ٦٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٩)، والطبري في تفسيره (٦/ ١٩٩).

(٤) هي زوجة أبي لهب، وكانت من سادات نساء قريش، وهي أم جميل واسمها: أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٤).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٤، ٥٦٥).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ: تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله ﷺ، فجئنا منزله فتسمعنا له فافتتح وقرأ: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ إلى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [١]، فضرب أبو جهم على عضد عمر ﷺ وقال: انج، وفرا هاربين، فكانت من مقدمات إسلام عمر ﷺ.

وذكر ابن إسحاق[٢] وغيره: أن أبا جهل جاء بصخرة إلى النبي ﷺ وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده، ويبست يداه إلى عنقه، وأقبل يرجع القهقري إلى خلفه، ثم سأله أن يدعو له، ففعل، فانطلقت يداه.

وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه، فسألوه عن شأنه فذكر: أنه عرض لي فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني.

فقال النبي ﷺ: «ذلك جبريل لو دنا لأخذه».

وعن جابر بن عبدالله ﷺ: كان المسجد مسقوفًا على جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك صوتًا كصوت العشار [٣].

العشار: هي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحدتها عشراً، ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة.

وفي رواية أنس ﷺ: حتى ارتج المسجد لخواره. وفي رواية سهل ﷺ: وكثر بكاء الناس لما رأوا ما به. وفي رواية المطلب وأبي ﷺ: حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنًا على رسول الله ﷺ»[٤]، فدفن تحت المنبر، فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتًا.

---

(١) اي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفًا. تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٥)، كتاب المناقب، ٢٥-باب علامات النبوة في الإسلام، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٩٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٢٩٥، ٣٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٦١)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥٦٥٤)، والنسائي (٣/ ١٠٢-المجتبى)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٧٤).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٥٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٧٧)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٥٨٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ١٧٧).

وقال أنس ﷺ: أخذ رسول الله ﷺ كفًا من الحصى فسبحن في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر ﷺ فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن [١].

وفي رواية أبي ذر: أنهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما.

وعن علي ﷺ: كنا بمكة مع رسول الله، فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله [٢].

وعن جابر بن سمرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ» [٣]، قيل: إنه الحجر الأسود.

روي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله» [٤].

وعن عبدالله بن عمر ﷺ: لم يكن النبي ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له.

وعن أنس ﷺ: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أحدًا، فارتجف بهم، فقال ﷺ: «أُثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» [٥].

وقد روي أنه ﷺ حين طلبته قريش قال له ثبير: اهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله. فقال حراء: إليّ يا رسول الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة، فلما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها

---

(١) بنحوه: أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، والترمذي (٣٦٣٣)، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٦)، كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٢٤)، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (٥/ ١٠٥)، والطبراني في الصغير (١/ ٦٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٤٢)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٥٨٩)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٥٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٩٢).

(٤) انظر الإتحاف للزبيدي (٧/ ١٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧٥)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، وباب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، وأبو داود في سننه، باب في الخلفاء، والترمذي (٣٦٩٧) كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، والنسائي في الكبرى كتاب المناقب، وأحمد في مسنده (١/ ١٨٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٤٠١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٢١).

ولا يمسها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ (١) الآية. فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم.

وخرج ﷺ تاجراً مع عمه فأتوا على راهب، وكان الراهب لا يخرج إلى أحد، فخرج وجعل يتخلل حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، يبعثه الله رحمة للخلق أجمعين.

فقال له أشياخ من قريش: من أعلمك؟ قال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً له، ولا تسجد إلا لنبي.

وفي القصة: أن النبي ﷺ أقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال الفيء إليه ﷺ (٢).

وروي عن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبًا، فقال: «ما هذا؟» قال: نبي. قال الأعرابي: واللات والعزى لا آمنت حتى يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدي النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب، من أنا؟» ، فأجابه بلسان فصيح يسمعه القوم جميعًا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: «فمن أنا؟» قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك. فأسلم الأعرابي وحسن إسلامه (٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما راعي غنم إذ الذئب تعرض لشاة منها، فأخذها الراعي منه ، فأقعى إليه الذئب وقال للراعي: ألا تتقي الله، حلت بيني وبين رزقي؟

قال الراعي: العجب، ذئب يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث بأنباء ما قد سبق، وأنت أعجب واقفًا على غنمك،

---

(١) أخرجه البخاري في المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، وفي كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، وفي كتاب التفسير، باب ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾. ومسلم في الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي في تفسير القرآن، باب من سورة الإسراء رقم الحديث (٣١٣٨).

(٢) قال النووي في باب معجزات النبي ﷺ: في هذه الأحاديث في نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام، هذه كلها معجزات ظاهرات وجدت من رسول الله ﷺ في مواطن مختلفة، وعلى أحوال متغايرة، وبلغ مجموعها التواتر إلى آخر كلامه، انظر النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣١).

(٣) أخرجه النسائي في كتاب السهو، باب (٢٠)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٥٩٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٠٦)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٤).

وتركت نبيًا لم يبعث الله نبيًا قط أعظم عنده منه قدرًا، قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه، وينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب، فتصير من جنود الله.

قال الراعي: من لي بغنمي؟، قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم إليه الرجل غنمه ومضى.

وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يقاتل، فقال النبي ﷺ: «**عد إلى غنمك تجدها بوفرها**»، فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها[(١)].

وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية [(٢)]، مع ذئب وجداه أخذ ظبيًا، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك، محمد بن عبدالله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار.

فقال أبو سفيان: واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفًا.

وعن أنس ﷺ: دخل النبي ﷺ حائطًا فجاء بعير فجذله مثله، ومثله في الجمل، وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل، فلما دخل النبي ﷺ دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يدي رسول الله ﷺ، فخطمه وقال: «**ما بين السماء والأرض شيء إلا يشهد أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس**» [(٣)].

وفي حديث الجمل: أن النبي ﷺ سألهم عن شأنه، فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه.

وفي رواية: أنه شكا كثرة العمل وقلة العلف.

وفي رواية: «**إنه شكا إليّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره**»[(٤)]، فقالوا: نعم.

وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة.

وعن أنس: أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر شجرة فنبتت باتجاه النبي ﷺ فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار.

وفي حديث آخر : أن العنكبوت نسجت على بابه، فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك، قالوا: لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه، والنبي ﷺ يسمع كلامهم، فانصرفوا.

---

(١) انظر الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ١٩٤).

(٢) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أبو وهب الجمحي، أسلم بعد الفتح وروى أحاديث وحسن إسلامه وشهد حنين واليرموك وكان أميرًا على كردوس. تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٤)، الإصابة (٥/ ١٤٥)، أسد الغابة (٣/ ٢٣).

(٣) أخرجه القاضي عياض في الشفا (١/ ٦)، والدارمي (١/ ١١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٧١٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٠٤، ٢٥٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ١٨١).

وعن عبدالله: قرب النبي ﷺ بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يومًا فازدلفت إليه بأيهن يبدأ.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ في صحراء فنادته ظبية: يا رسول الله، قال: «ما حاجتك؟» ، قالت: صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: «أوتفعلين؟» قالت: نعم.

فأطلقها، فذهبت ورجعت فأوثقها، فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال: أطلق هذه الظبية، فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ووجه النبي ﷺ مولاه سفينة [(١)] رضي الله عنه إلى معاذ رضي الله عنه باليمن، فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله ﷺ ومعه كتابه، فهمهم وتنحى عن الطريق. وأخذ ﷺ بأذن شاة لقوم من عبدالقيس بين أصبعيه، ثم خلاها، فصار لها ميسمًا، وبقي ذلك الأثر في نسلها بعد.

وروي أنه ﷺ أصاب بخيبر حمارًا فكلمه وقال له: اسمي: يزيد بن شهاب، فسماه النبي ﷺ: يعفورًا، وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه، فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم، وأن النبيّ ﷺ لما مات تردى في بئر جذعًا وحزنًا فمات.

وأتت إلى رسول الله ﷺ عنز وهو في عسكره، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماءهم زهاء ثلثمائة، فحلبها رسول الله ﷺ، فأروى الجند. ثم قال لرافع: «املكها» فربطها فوجدها قد انطلقت، رواه ابن رافع [(٢)] وغيره وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصلية سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، فأكل القوم فقال: «ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة» [(٣)] .

---

(١) سفينة أبو عبدالرحمن ويقال: أبو البختري، مولى رسول الله ﷺ، صحابي مشهور له أحاديث، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. انظر ترجمته في التقريب (١/ ٣١٢)، الكاشف (١/ ٣٧٩)، الجرح والتعديل (٤/ ١٣٩٢)، أسد الغابة (٢/ ٤١١)، التاريخ الصغير (١/١٨٨)، الإصابة (٣/ ١٣٢)، سير الأعلام (٣/ ١٧٢)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٤٠٥)، الثقات (٣/ ١٨٠).

(٢) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان أبو معاذ الزرقي الأنصاري، أبوه صحابي من أهل العقبة، وشهد رفاعة بدرًا، توفي أول خلافة معاوية، وأخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨١) ، تقريب التهذيب (١/ ٢٥١)، التاريخ الكبير (٣/ ٣١٩)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٣٦)، الإصابة (٢/ ٢٢٥)، الاستيعاب (٢/ ٤٩٧) ، الثقات (٣/ ١٢٥)، الكاشف (١/ ٣١١)، أسماء الصحابة الرواة (١١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥١٠، ٤٥١٢)، كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٤٦)، والطبراني (٢/ ٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٨٣)، والدارمي في السنن (١/ ٣٣).

فمات بشر بن البراء ﵁، فقال النبي ﷺ لليهودية : «**ما حملك على ما صنعت؟**» ، قالت: إن كنت نبيًا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت غيره أرحت الناس منك.

وفي رواية قالت: أردت قتلك، فقال: «**ما كان الله ليسلّطك عليّ**» ، فقالوا: نقتلها؟، قال: «**لا**». وفي رواية لأبي هريرة ﵁: فأعرض لها. وفي رواية جابر ﵁: ولم يعاقبها.

وفي رواية أنس ﵁ أنه قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي مات فيه: «**ما زالت أكلة خيبر تعادني، فالآن أوان قطع أبهري**»[1].

وحكى ابن إسحاق: إن المسلمين ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما اكترمه به من النبوة.

● **فوائد:**

قال الجوهري: والعداد هياج وجع اللديغ، وذلك إذا تمت له سنة مذ يوم لدغ اهتاج به الألم، والعدد مقصور منه.

وفي الحديث: «**ما زالت أكلة خيبر تعادني، فهذا أوان قطعت أبهري**»[2].

والأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه.

وروى فهر بن عطية ﵁: أن النبي ﷺ أتي بصبي قد شب ولم يتكلم قط، فقال: «**من أنا؟**» قال: رسول الله ﷺ.

وروي عن معرض بن معيقب قال: رأيت من النبي ﷺ عجبًا، جيء له بولد يوم وُلد... فذكر مثله، وهو حديث مبارك اليمامة، وفيه: فقال له النبي ﷺ: «**صدقت بارك الله فيك**» ، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب[3].

فكان يسمى مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع.

وعن أنس ﵁، عن أبي هريرة: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، ادع لأم أبي هريرة، فقال: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» ، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما صرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، وسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا

(١) أخرجه أبو داود (٤٥١٢)، في آخر كتاب الديات، والبيهقي في السنن الكبرى، وانظر ما تقدم من تخريجه في أوله، وكذلك القرطبي في تفسيره (٥/ ١٦٣)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٣٢٦٣)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٦٠٩).

(٢) انظر ما تقدم في التخريجات.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٤٤٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٩٥)، والقاضي في الشفا (١/ ٦١٣).

أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعًا وعجلت عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح فأخبرته، فحمد الله وأثنى عليه خيراً[(١)].

ورمي كلثوم بن الحصين[(٢)] يوم أحد في نحره، فبصق رسول الله ﷺ فيه فبرأ.

وتفل ﷺ على شجة عبدالله بن أنيس[(٣)] رضي الله عنه فلم تمد.

وتفل ﷺ في عين علي كرم الله وجهه يوم خيبر، وكان رمداً فأصبح بارئًا.

وأصيبت عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه يوم أحد فأتى النبي ﷺ وهي في يده فقال: «ما هذا يا قتادة؟» ، فقال: هذا ما ترى يا رسول الله، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك، فلم تفقد منها شيئًا» ، فقال: يا رسول الله، إن الجنة أجر جزيل وعطاء جليل، ولكني رجل مبتلى بحب النساء، فأخاف أن يقلن: أعور، فلا يردنني، ولكن ردها إليّ وتسأل الله لي الجنة.

فقال: «أفعل إن شاء الله يا قتادة»، ثم أخذها رسول الله ﷺ بيده وأعادها إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات، ودعا الله له بالجنة.

قال الراوي: فدخل ابنه على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال له عمر: من أنت يا فتى؟ قال في المعنى شعرًا:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فرد بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأحسن حالها ... فيا حسن ما عين ويا طيب ما يد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٨ - ٢٤٩١)، كتاب فضائل الصحابة، ٣٥ - باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٠)، وفي مشكاة المصابيح للتبريزي (٥٨٩٥).

(٢) كلثوم بن الحصين بن خالد بن المغيرة بن زيد بن أحمس بن غفار، أبو رهم الغفاري السمعي، صحابي مشهور، أخرج له البخاري في الأدب، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٣)، التقريب (٢/ ١٣٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٢٢٦)، الجرح والتعديل (٧/ ١٦٣)، الثقات (٣/ ٣٥)، أسد الغابة (٤/ ٤٩٣)، الإصابة (٥/ ٦١٧)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٣٤)، الاستيعاب (٢/ ١٣٢٧)، أسماء الصحابة الرواة (٨٤٨).

(٣) عبدالله بن أنيس، أبو يحيى الجهني، المدني، الأسلمي، صحابي شهد العقبة وأحدًا، وأخرج له البخاري في الأدب، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (٥٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ١٤٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٠٢)، الكاشف (٢/ ٧٣)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٤)، الجرح والتعديل (٥/ ١)، أسد الغابة (٣/ ١٧٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٩٨)، الإصابة (٤/ ١٥)، الثقات (٧/ ٩)، الاستيعاب (٣/ ٨٦٩).

ودفع ﷺ إلى عكاشة [(١)] ﷺ جذل حطب، وقال: «اضرب به» ، حين انكسر سيفه يوم بدر، فعاد في يده سيفًا صارمًا طويل القامة شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة، وكان هذا السيف يسمى: العون.

ودفع ﷺ إلى عبدالله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد -وقد ذهب سيفه- عسيب نخل، فرجع في يده سيفًا.

وزود ﷺ أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فخلوه فإذا به لبنًا وزبدة في فمه.

وأخذ ﷺ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه» ، فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم. انتهى والله أعلم بالصواب.

***

(١) عكاشة بن محصن الأسدي، أبو محصن من السابقين الأولين، دعا له النبي ﷺ بالجنة في حديث: «سبقك بها عكاشة» ، وهو بدري أحدي، استعمله النبي ﷺ على سرية الغمر فلم يلقوا كيدًا. ويروى عن أم قيس بنت محصن قالت: توفي رسول الله ﷺ وعكاشة ابن أربع وأربعين سنة، وقتل بعد ذلك بسنة ببزاخة في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة، وكان من أجمل الرجال، والصحيح أن بزاخة سنة إحدى عشرة، قتله طليحة الأسدي، وقد أبلى عكاشة يوم بدر بلاءً حسنًا، وانكسر في يده سيف، فأعطاه النبي ﷺ عرجونًا أو عودًا فعاد سيفه فقاتل به ثم شهد به المشاهد، روى عنه أبو هريرة وابن عباس، تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة (١١).

الباب السابع والثلاثون

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (1) [الأحزاب: ٥٦].

خص المؤمنين بالأمر بالصلاة عليه والتسليم ليثيبهم على ذلك.

وعن أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي رحمه الله قال: سمعت عبدوس ذي فرويه الرازي يقول لإنسان قليل نومه: إذا أردت أن تنام: اقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (2).

وقيل: إن النبي ﷺ قال: «**إذا العبد قال:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، **ناداه ملك: يا فلان، لا يسقط لك عند الله حاجة**».

● مسألة:

ما الحكمة في تأكيد السلام عليه ﷺ بالمصدر في الآية الشريفة دون الصلاة؟

قال الفاكهاني: لأن الصلاة تأكدت من الله والملائكة أولاً. وقال غيره: لما قدمت الصلاة حصل لها بالتقدم مزية، فحصل التأكيد للسلام بالمصدر، وإنما أضيفت الصلاة إلى الله وملائكته دون السلام لأنه من التسليم والانقياد، ولا يصح ذلك من الله وملائكته. قاله في «القول البديع في الصلاة على الشفيع».

---

(١) قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبركون. انظر البخاري تعليقًا كتاب التفسير، ٩-باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

(٢) قال ابن كثير: (٣/ ٥٢٣): المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعًا.

● **فائدة:**

قال في «القول البديع» أيضًا: عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال[1] : **«من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتبت غزاته بأربعمائة حجة»** فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد، فأوحى الله ﷻ: ما صلى أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة حجة.

وقال أبو الليث السمرقندي: ليس شيء من العبادات أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، لأن سائر العبادات قد أمر الله تعالى بها عباده، وأما الصلاة على النبي ﷺ فقد صلى هو تعالى بنفسه وأمر ملائكته بذلك، ثم أمر العباد بذلك.

وقال أحمد بن محمد اليماني قال: كنت بضّاعًا، فرأيت رجلاً والناس مجتمعون عليه فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا رجل كان يؤم بنا في شهر رمضان، وكان حسن الصوت بالقرآن، فلما بلغ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، قرأ: إن الله وملائكته يصلون على عليّ، فخرص وبرص وتجذم وعمي وأقعد، فهذا مكانه.

وفي كتاب الترمذي: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»**[2]. قال الترمذي: حديث حسن.

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن أوس بن أوس[3] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا من الصلاة عليّ فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ فيه»**. فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقولون: بليت؟. فقال: **«إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء»**[4].

قال النووي رحمه الله: أرمت، بفتح الراء وإسكان الميم، وفتح التاء المخففة.

---

(١) أخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٠٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٧٣)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٩-الموارد)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٢٤). والشجري في أماليه (١/ ١٣٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٥٠٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٠٠).

(٣) أوس بن أوس الصحابي الثقفي، أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي (٥٩)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٣٨١)، التقريب (١/ ٨٥)، الكاشف (١/ ١٤١)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٠٣)، أسد الغابة (١/ ١٧٠)، الثقات (٤/ ٤٣)، الإصابة (١/ ١٤٣)، حلية الأولياء (١/ ٣٤٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي (٣/ ٩١-المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٠٨٥)، كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة، وفي رقم (١٦٣٦)، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ. والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨)، (٤/ ٢٦٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٠-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٤٩).

قال الخطابي: أصله: أرممت، فحذفوا إحدى الميمين، وهي لغة لبعض العرب كما قالوا: ظللت أفعل كذا، أي ظلت في نظائر الملك.

قال غيره: إنما هو أرمت بفتح الراء والميم المشددة وإسكان التاء، أي أرمت العظام.

وفي سنن أبي داود بالإسناد الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(١).

وفي سنن أبي داود أيضًا بإسناد صحيح عن أبي هريرة أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليذ روحي حتى أرد عليه السلام»(٢).

وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ»(٣). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي كتاب الترمذي أيضًا: عن علي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ»(٤). قال الترمذي: صحيح أيضًا.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ كفارة لكم، فمن صلى عليّ صلى الله عليه»(٥).

وعن عمار ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله ملكًا أعطاه سمع العباد كلهم فما من أحد يصلي عليّ صلاة إلا بلغنيها، وإني سألت ربي ﷻ ألا يصلي عليّ أحد منهم صلاة إلا صلى الله عليه عشرًا مثلها، وإن الله ﷻ أعطاني ذلك»(٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم، فإذا صلوا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، عن أبي هريرة، وفي الأذكار النووية (١٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٩)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل»، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٤)، والشجري في أماليه (١/ ١٢٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل»، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠١)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٥١٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٨-الموارد).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٧).

(٦) ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٨٢٩).

على النبي ﷺ صلوا معهم حتى يفرغوا، ثم قال بعضهم لبعض: طوبى لهؤلاء يرجعون مغفورًا لهم»[(١)].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ[(٢)]: «من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكل الله ﷻ بذلك ملكًا يدخله على قبري كما تدخل عليكم الهدايا، إن علمي بعد موتي كعلمي في حياتي».

وذكر الشيخ أبو حامد القزويني في كتابه المسمى: (مفيد العلوم ومبيد الهموم) عن النبي ﷺ أنه قال: «حجوا حجة الفرض، فإنها تعدل عشرين غزوة، وإن غزوة بعد حجة تعدل عشرين حجة، وإن الصلاة عليّ تعدل هذا كله».

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة يوم الجمعة، فإنه أتاني جبريل آنفًا عن ربه ﷻ قال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عشرًا»[(٣)].

● **فائدة:**

آنفًا: أي الساعة.

وعن عبدالرحمن بن سمرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ[(٤)] يومًا ونحن في مسجد المدينة فقال: «رأيت البارحة عجبًا: رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد سلط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه منه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد (احتوشته)[(٥)] الزبانية والشياطين فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٦٨)، والحميدي في مسنده (١٨٧٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٢).

(٢) أخرجه السيوطي في الحبائك (٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه النسائي (٣/ ٩١-المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢١)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥٣٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٣).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٠٩).

(٥) كذا بالأصل.

ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا منع، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور.

ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: معشر المؤمنين كلموه فإنه كان واصلاً لرحمه، فكلمه المؤمنون وصالحوه.

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي النار وحرها وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقة فصارت سترًا على وجهه وظلاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذاه من أيديهم، وسلماه إلى ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلاً من أمتي ذهبت صحيفته قبل شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خفت ميزاته، فجاءته (أفراطه)[1] فثقلوا ميزانه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائمًا على شفير جهنم فجاءه وجله من الله تعالى فأنقذه منها.

ورأيت رجلاً من أمتي هوى إلى النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فاستنقذته من النار.

ورأيت رجلاً من أمتي يرعد على الصراط كما ترعد السعفة، فجاءته صلاته عليه فسكنت رعدته. ورأيت رجلاً من أمتي غلقت أبواب الجنة دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له أبواب الجنة»[2]، رواه أبو القاسم في ترغيبه.

السعفة: بفتح السين والعين المهملة، غصن النخلة، وهي الخوصة، والجمع: سعف.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبواه عنده الكبر، فلم يدخلاه الجنة»[3]. قال عبدالرحمن: وأظنه قال: «أو أحدهما».

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) انظر الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل»، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٨)، والشجري في أماليه (١/ ١٢٩).

● **فائدة:**

يقال: «أرغم الله أنف فلان»، أي ألصقه بالرغام، والرغام بفتح الراء: التراب. ورغم أنفه وهو دعاء عليه بالذلة.

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كتب عني علمًا وكتب معه صلاة عليّ لم يزل في أجر ما قُرئ ذلك»** (١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله تعالى لهم: أنتم أصحاب الحديث، طالما كنتم تكتبون الصلاة علي، انطلقوا بهم إلى الجنة»** (٢). وفي رواية أخرى: **«معهم المحابر وحبرهم خلوف يفوح»**.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين»، ثم صعد، فقال: «آمين»، ثم صعد، فقال: «آمين»، فسأله معاذ ﷺ عن ذلك فقال (٣): **«إن جبريل أتاني فقال: يا محمد، من سميت بين يديه، فلم يصل عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين»**. وقال في إدراك رمضان: **«فلم يقبل منه، فمات»** مثله، **«ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما»** مثله.

البر خلاف العقوق، والمبرة مثل، تقول: بررت والدي أو والدتي بكسر الراء، أبر بفتح الباء، فأنا بر، وجمعه أبرار، وجمعه: بررة، وفلان يبر خالقه، ويتبرره: يطيعه، وبر فلان في يمينه، أي صدق، وبر حجه، وبر الله حجه، وبر بالكسر في هذا كله.

وعن ابن مسعود ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»** (٤).

قلت: كذا ذكره القرطبي: يبلغوني، بنون واحدة، والفعل مرفوع، وكان أصله: يبلغونني، بنونين الأولى: نون الرفع، والثانية: نون الوقاية. فيجوز أن تكون الرواية بنون مشددة، ويجوز أن تكون بنون مخففة، وحذف إحدى النونين، وفي المحذوفة منهما خلاف.

وقد قرأ نافع: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ بنون واحدة مخففة، وقرأ ابن عامر: ﴿تأمرونني﴾ بنونين، من غير إدغام، وقرأ بالإدغام الباقون وهم: ابن كثير، وأبو عمر، والكوفيون، وعاصم، وحمزة والكسائي.

وغالب ما أذكره في هذا الباب من كتاب أبي محمد القرطبي ومن كتاب ابن ربيع السبتي.

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢٨)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٠٦).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٥).

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٩).

(٤) أخرجه النسائي (٣/ ٤٣-المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤١، ٤٥٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٢١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٩٢)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٩٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٧١).

وعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال[١]: «ما من عبد يصلي عليّ صلاة تعظيمًا لحقي إلا خلق الله من هذا القول ملك له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب يقول له: صل على عبدي كما صلى على نبيي عليه أفضل الصلاة والسلام إلى يوم القيامة».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، ولم يقل بالواحدة عشر، وقال: من صلى على محمد صلاة صليت بها عشرًا»[٢].

قلت: هكذا ذكره أبو محمد القرطبي ولا ينكر هذا من فضل النبي ﷺ، ولا يقال: كيف يكون ذكر النبي ﷺ من ذكر الله ﷻ؛ لأنا مأمورون بالصلاة على النبي ﷺ، فقد امتثلنا أمر الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عليّ مساء غفر له قبل أن يصبح، ومن صلى علي صباحًا غفر له قبل أن يمسي».

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة عليّ فإنها نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلى العبد عليّ ناد مناد: صلى الله عليك بها عشرًا، فيسمع أهل سماء الدنيا، فيقولون: صلى الله عليه بها مائة، فيسمع أهل السماء الثانية فيقولون: صلى الله بها مائتين، فيسمع أهل السماء الثالثة فيقولون: صلى الله عليها بها ألف مرة، فيسمع أهل السماء الرابعة فيقولون: صلى الله عليه بها ألفي مرة، فيسمع أهل السماء الخامسة، فيقولون: صلى الله عليه بها أربعة آلاف مرة، فيسمع أهل السماء السادسة فيقولون: صلى الله عليه بها ستة آلاف مرة، فيسمع أهل السماء السابعة فيقولون: صلى الله عليه بها سبعة آلاف مرة، فيقول الله تبارك وتعالى: دعوا ثواب هذا العبد عليّ، كما عظم نبيي وصلى عليه بطيب نفس، عليّ أن أغفر له كل ذنب».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقن السمع ثلاثة، فالجنة تسمع، والنار تسمع، وملك عند رأسي يسمع، فإذا قال عبد من أمتي: اللهم إني أسألك الجنة، قالت الجنة: اللهم أسكنه إياي، وإذا قال عبد من أمتي: اللهم أجرني من النار، قالت النار: اللهم أجره مني، وإذا سلم عليّ رجل من أمتي قال الملك الذي عند رأسي: يا محمد، هذا فلان يسلم عليك، فرد عليه السلام، ومن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه وملائكته

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٣٣١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه النسائي في السهو، باب (٥٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٢، ٢٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٤)، والشجري في أماليه (١/ ١٣٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢١٦).

عشرًا، ومن صلى عليّ عشرًا صلى الله عليه وملائكته مائة، ومن صلى عليّ مائة صلى الله عليه وملائكته ألف صلاة، ولم تمس جسده النار» .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بكاء الصبي إلى شهرين شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى أربعة أشهر الثقة بالله، وإلى ثمانية أشهر صلاة على النبي ﷺ» (١) ، خرجه الحافظ ابن عقاب الشاطبي.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة، فإن أربعة أشهر يشهد أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر يصلي عليّ، وأربعة أشهر يدعو لوالديه» (٢).

وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ: «في المهد أربعة أشهر توحيد، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم، وأربعة أشهر استغفار لوالديه» . خرجه الحافظ أبو القاسم عبد المحسن في كتاب العقائق والدقائق.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ذكرت بين يديه ولم يصل عليّ صلاة فليس مني، ولا أنا منه» ، ثم قال: «اللهم أوصل من وصلني واقطع من لم يصلني» .

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت: أخيط شيئًا في السحر، فسقطت الإبرة مني وطفئ المصباح، فدخل رسول الله ﷺ فأضاء البيت من وجه، ووجدت الإبرة، فقلت: يا رسول الله، ما أضوأ وجهك صلى الله عليك وسلم. فقال: «الويل لمن لم يرني يوم القيامة» . قلت: ومن الذي لا يراك يا رسول الله؟ . قال: «البخيل» (٣). قلت: من هو البخيل يا رسول الله؟ قال: «الذي إذا ذكرت عنده لم يصل عليّ» .

روي أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة تحت ظل عرش الله ﷻ يوم لا ظل إلا ظله». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «من فرج عن مكروب من أمتي، ومن أحيا سنتي، ومن أكثر من الصلاة عليّ» .

---

(١) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٧١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٥١)، وفي تذكرة الموضوعات (١٣٠).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٨)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٥١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٥٣)، وفي تذكرة الموضوعات للفتني (١١٠).

(٣) حديث: «البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ» أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل»، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠١) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢ / ٥١٠) ، وابن حبان في صحيحه (٢٣٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤).

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب»[١].

وعن كعب الأحبار[٢] ﷺ أنه قال: أوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ في بعض ما أوحى إليه: لولا من يعبدني ما أمهلت من يعصيني طرفة عين، يا موسى لولا من يشهد أن لا إله إلا الله لسيلت جهنم على الدنيا، يا موسى، إذا لقيت المساكين فاسألهم عما تسأل الأغنياء، فإن لم تفعل ذلك فاجعل كل شيء عملت تحت التراب. يا موسى، أتحب ألا ينالك من عطش يوم القيامة؟ قال: إلهي نعم. قال: فأكثر الصلاة على محمد.

روي في بعض الأخبار : «إن الله تعالى لما خلق آدم وفتح عينيه نظر إلى العرش فرأى اسم محمد ﷺ مكتوبًا على ساق العرش، فقال: يا رب هل أحد أكرم عليك مني؟ قال: نعم، هنا اسم نبي من ولدك أكرم عليّ منك، ولولاه ما خلقت السموات والأرض والجنة والنار، فلما خلق الله حواء من ضلعه رفع بصره فرأى خلقًا ما يشبه خلقه، وقد كان قد ركب الله فيه الشهوة، فقال عند ذلك: يا رب ما هي؟ قال: حواء، قال: فزوجنيها، قال: فأمهرها، قال: وما مهرها؟ قال: أن يصلى على صاحب الاسم عشر مرات، فكان ذلك صداق حواء »، ذكره صاحب كتاب الشرف.

قال وهب بن منبه[٣] رحمه الله: لما خلق الله ﷻ آدم ﷺ ، ونفخ فيه الروح، فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة، فإذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال: يا رب هل تخلق خلقًا أكرم عليك مني؟ قال: نعم، يا آدم، نبيًا من ذريتك من أجله خلقت الجنة والنار، فلما خلق حواء، قال: يا رب زوجني بها. قال: هات مهرها. قال: يا رب وما مهرها؟ قال: أن تصلي على محمد ﷺ عشر مرات، فكان المهر.

وقال الإمام الجليل أبو سفيان الثوري [٤] رحمه الله: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ لكفته، فإنه تصلي عليه الملائكة ما دامت في الكتاب.

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٩)، وفي تذكرة الموضوعات (٨٩)، وفي الأسرار المرفوعة (٢٣٥، ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٣٢٨).

(٢) هو كعب بن ماتع الحميري وقد تقدمت ترجمته.

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز، أبو عبدالله اليماني، الصنعاني، الذماري الأيناوي، ثقة أخرج له الستة عدا مسلم، توفي سنة (١١٤)، وتقدمت مصادر ترجمته من قبل.

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبدالله الثوري الكوفي، ثقة حافظ، فقيه، عابد، إمام حجة، وكان ربما دلس، أخرج له: أصحاب الكتب الستة توفي سنة (١٦١، ١٦٤)، التقريب (١/ ٣١١)، وتقدمت مصادر ترجمته بأوسع من ذلك من قبل.

وقال محمد بن سعيد بن مطرف الخياط الرجل الصالح رحمه الله: كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عدداً معلوماً أصلي على النبي ﷺ، وفي بعض الليالي قد أكملت العدد فأخذتني عيني وكنت ساكنًا في غرفة، وإذا بالنبي ﷺ وقد دخل عليّ من باب الغرفة فأضاءت نوراً به ﷺ، ثم أقبل نحوي وقال: هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة عليّ أقبله، فكأني أستحيي منه ﷺ أن أقبله في فيه، فاستدرت بوجهي وقبل خدي.

وروي: أن آدم عليه السلام له موقف في سفح العرش عليه بردان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق به إلى الجنة ومن ينطلق به إلى النار، فبينما آدم عليه الصلاة والسلام كذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد ﷺ ينطلق به إلى النار، فناداه يا أحمد، فيقول: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار[1]، فيشد مئزره ويهرع في أقفية الملائكة فيقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصي ما أمرنا، ونفعل ما نؤمر، فيستقبل العرش بوجهه وهو قابض على لحيته فيقول: «يا رب ألست وعدتني أن لا تخزيني في أمتي؟»، فيأتي النداء: أطيعوا محمداً وردوه إلى الموقف، فيخرج رسول الله ﷺ بطاقة بيضاء كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان وهو يقول: بسم الله، فترجح الحسنات على السيئات، فينادى: سعد وسعد جده، وأثقلت موازينه. انطلقوا به إلى الجنة، فيقول العبد: يا رسل ربي قفوا حتى أكلم هذا العبد الكريم، فيقول: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك، فمن أنت؟ فقد أقلتني عثرتي ورحمت عبرتي، فيقول: أنا نبيك محمد ﷺ، وهذه صلاتك التي كنت تصلي عليّ، وقد وفيتكها أحوج ما تكون إليها.

● **فائدة:**

قوله يهرع هو بضم الياء، وكسر الراء، يقال: هرع يهرع إهراعًا، إذا أسرع.

وفي بعض الكتب: أن رسول الله ﷺ قال يومًا: «رأيت البارحة في منامي كأني راقد ببقيع الغرقد، وأنا مسجى بردائي، وعن يميني علي بن أبي طالب مسجى في ردائه، وعن شمالي جعفر ذو الجناحين[2] مسجى في ردائي، وعند رأسي حمزة عمي، وعند رجلي عمي العباس مسجى في ردائه، ثم سمعت خفقة أجنحة الملائكة، فإذا بجبريل وميكائيل وإسرافيل

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٤٣٥)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه- باب ما جاء في الشفاعة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» .

(٢) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبدالله أبو المساكين، ابن عم الرسول، الطيار، الهاشمي ذو الجناحين، القرشي، صحابي جليل، أخرج له: النسائي في سننه، توفي يوم مؤتة سنة (٨)، انظر ترجمته في تقريب التهذيب (١/ ١٣١)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ١٨٥)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢، ٣، ٤)، الجرح والتعديل (٢/ ١٩٨٠)، الثقات (٣/ ١٤٩)، أسد الغابة (١/ ٣٤١)، حلية الأولياء (١/ ١١٤)، سير الأعلام (١/ ٢٠٦)، العبر (١/ ٩) ، الوافي بالوفيات (١١/ ٩٠)، تاريخ خليفة (٨٦، ٨٧).

وعزرائيل[١] مع ملائكة السموات، فقالت الملائكة: يا جبريل من هذا النائم في الوسط، فقال لهم: هذا سيد ولد آدم محمد، قالوا: فمن الذي عن يمينه؟ قالوا: هذا علي بن أبي طالب، أراه رابع الخلفاء -أو كلمة غيرها - قالوا: فمن هذا الذي عن شماله؟، قال: هذا جعفر ذو الجناحين يطير في الجنة كيف يشاء. قالوا: فمن ذا الذي عند رأسه؟ قال: هذا عمه حمزة أسد الله سيد الشهداء. قالوا: فمن ذا الذي عند رجليه؟ قال: هذا عمه العباس معدن العلم والحكمة، ومعه دربوك من درابك الجنة» -يعني ذريته لو رآها أهل الدنيا لذهب بأبصارهم فبسطه.

ثم قال: «يا محمد اجلس، ثم قال لي: ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن تشأ أعطيتك في الدنيا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وجعلت لك جبال تهامة ذهبًا وفضة تصير معك أينما سرت وتنزل معك أين ما نزلت». قال له: «يا حبيبي يا جبريل أُعمر في الدنيا أم أموت؟». قال: لابد من الموت ومن لقاء الله تعالى بعد الموت. قال: «يا حبيبي فما الرغبة في نعيم زائل، ودنيا فانية، إن الدنيا دار من لا دار له، وعز من لا عقل له، لا صحيحها سالم ولا نعيمها دائم» .

قال: فقال جبريل: تبارك الله رب العالمين، أتاني إسرافيل عن الله تعالى بهذا الكلام، فإن لم ترد الدنيا وزينتها يا محمد فإن الله يعطيك قبة في الجنة عرضها ثلاثمائة (ذراع)[٢] في طول خمسمائة عام لا علاق لها من فوقها، فيقلها ولا عمد لها من تحتها يرفعها قد حفتها رياح الكرامة، لا يدخل تلك القبة إلا من أكثر من الصلاة عليك يا محمد.

قال النبي ﷺ: «ثم انتبهت».

اللهم كما خصصته بالمقام المحمود وفضلته على كافة الأنبياء بالسبق في اليوم المشهود امنن علينا بسنته ولا تجعلنا من المطرودين من حوضه المورود، وارزقنا الخلود معه في دار الكرامة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

***

(١) هو ملك الموت ولم يأت اسم عزرائيل في أي من كتب الصحاح المعروفة.

(٢) كذا بالأصل، وهي : (عام).

الباب الثامن والثلاثون

في صفة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ

روى أبو محمد كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ علينا قيل: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١)، رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**»(٣)، رواه مسلم رحمه الله تعالى.

قال القاضي عياض: وقوله ﷺ: «**والسلام كما قد علمتم**»، هو ما علمهم في التشهد من قوله: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**».

قال الشيخ يحيى النووي رحمه الله: قد يستأنس لذلك بأن الإمام الشافعي رحمه الله كان يستعمل هذه العبارة ولعله أول من استعملها.

ولكن الصواب والذي ينبغي أن يجزم به أنه أفضله ما يقال عقب التشهد: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم» إلى آخره.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، كتاب تفسير القرآن، ٩-باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، وأبو داود (٩٧٦)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، والترمذي (٤٨٣، ٣٢٢٠)، والنسائي (٣/ ٤٥ن ٤٧ -المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٤٦).

(٢) ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٥-٤٠٥)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، وأبو داود (٩٨٠)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد. والترمذي (٣٢٢٠)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، والنسائي (٣/ ٤٥، ٤٧، ٤٨-المجتبى).

وقد ثبت في الصحيحين[1] أنهم قالوا: يا رسول الله ، كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد» إلى آخره[2].

قال بعض شيوخي: أي وهو ﷺ لأنه لا يختار لنفسه الشريفة إلا الأفضل الأكمل، وينبغي أن يكون أفضل منه ما ورد في أتم الروايات.

والاحتياط أن يقول ذلك مع ما ذكره المروزي، لكن في النفس من قولهم «ذكره»، فجعلوا الضمير للنبي ﷺ، وأصل هذه الصلاة على هذه الصفة أن الشافعي رحمه الله قال في أول كتاب الرسالة التي هي مقدمة كتاب الأم: وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه -أو قال عن ذكره- الغافلون.

والذي أعتقده: أن الشافعي رحمه الله إنما أراد بقوله ذكر الرب سبحانه وتعالى، لأنه الذي يضاف إليه في الاستعمال، فيقال: ذكر الله وسهى عن ذكر الله، فيكون الصواب أن يقال: اللهم صل على محمد كلما ذكرك الذاكرون وسها عن ذكرك الغافلون.

وقوله: «ولعل الشافعي أول من استعملها» يشير بذلك إلى ما حكي عن بعض الأئمة، كما ذكره أبو نعيم وغيره أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله، ابن عمك محمد بن إدريس هل خصصته بشيء؟ قال: نعم، سألت الله أن لا يحاسبه. قلت: لماذا يا رسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي علي صلاة لم يصل علي صلاة أحد بها قبله.

وذكر ما سبق عن الرسالة أو نحوه لفظ هذه الحكاية.

وذكر النووي في كيفية الصلاة على النبي ﷺ في فتاويه أن المختار أن يقول: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[3].

---

(١) روى البخاري (٤٧٩٧)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، ومسلم (٦٥-٤٠٥)، كتاب الصلاة، ١٧-باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد.

(٢) قال النووي: اختلف العلماء في الحكمة في قوله: «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم»، مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، قال القاضي عياض رضي الله عنه: أظهر الأقوال: أن نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته ليتم النعمة عليهم، كما أتمها على إبراهيم وعلى آله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ليبقى ذلك له دائمًا إلى يوم القيامة، ويجعل به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ. النووي في شرح مسلم (٤/ ١٠٧).

(٣) البخاري (٤٧٩٨)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ...﴾ الآية، عن أبي سعيد الخدري، وفيه: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبرهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم...» الحديث.

ودليل استحباب هذه الكيفية: أن الله تعالى قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

وذكر في الأحاديث الصحيحة أنهم قالوا: يا رسول الله، أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد**».

وعنه ﷺ الصلاة بروايات ثابتة في الصحيحين جميعًا وبعضها في مسلم خاصة وليس فيها خارج الصحيحين إلا قول «النبي الأمي»، فإنها في سنن أبي داود وغيره، بإسناد صحيح.

قال النووي في كتاب «الأذكار» في باب الصلاة على النبي ﷺ: الأفضل أن يقول: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

قال الشيخ برهان الدين القروي: إن كلام النووي في الروضة مخالف لكلام الرافعي فإنه قال في الروضة: أقل الصلاة على النبي ﷺ أن يقول: اللهم صل على محمد وصلى الله على رسوله.

وفي وجه: يكفي صلى الله عليه داخل الصلاة على الآل أن يقول: وآله، وأكملها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

قال الشيخ برهان الدين: وقد اشتهر أن يقال: اللهم صل على سيدنا محمد ولم أجد ذلك في حديث صحيح في حديث صفة النبي ﷺ وهو مخالف للنقل المتقدم، ولا شك أنه ﷺ سيدنا باعتبار الفضيلة وإنما يتبع في اللفظ المنقول، والله أعلم.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن الخضاب بالحناء، فقالت: كان سيدي رسول الله ﷺ يكره ريحه.

وعن بعض أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء**».

قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: «**أن تقولوا: اللهم صل على محمد وتسكتوا، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**».

وروي: أنه ﷺ قال لرجل: «**ما قلت البارحة من قول الخير؟**» قال: قلت: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء، وبارك على محمد وعلى آل محمد

حتى لا يبقى من البركات شيء، وارحم محمد وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمة شيء [(١)].

فقال ﷺ: «كذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون في أزقة المدينة».

وعن عبدالله بن عبدالحكم رحمه الله قال: رأيت الشافعي رحمه الله في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس، فقلت: بم بلغت هذه المنزلة؟ فقال لي قائل: بقولك بما في كتابك الرسالة من الصلاة على محمد نبيه ﷺ، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: قال لي: وصل على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كذلك كما رأيت.

وقال أبو الحسن الشافعي: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم فقلت: يا رسول الله بم جزي محمد بن إدريس الشافعي حين يقول في ذكر الصلاة عليك في كتاب الرسالة: وصل الله على محمد كلما ذكره ذاكر وغفل عن ذكره غافل.

قال: جزي أنه لا يوقف للحساب يوم القيامة.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى، فليقل: اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين، يا أرحم الرحمين.

وعن طاووس [(٢)] رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول: اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى.

وقال عمرو بن دينار [(٣)] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: إذا لم يوجد في البيت أحد فقل: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على البيت ورحمة الله وبركاته.

---

(١) قال القاضي عياض: ولم يجيء في هذه الأحاديث ذكر الرحمة على النبي ﷺ، وقد وقع في بعض الأحاديث الغريبة، قال: واختلف شيوخنا في جواز الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة، فذهب بعضهم وهو اختيار أبي عمر بن عبدالبر إلى أنه لا يقال، وأجازه غيره، وهو مذهب أبي محمد بن أبي زيد، وحجة الأكثرين تعليم النبي ﷺ الصلاة عليه وليس فيها ذكر الرحمة، والمختار أنه لا يذكر الرحمة. وقوله: وبارك على محمد وعلى آل محمد، قيل: البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: الثبات على ذلك من قولهم: بركت الإبل، أي ثبتت على الأرض ومنه بركة الماء، وقيل: التزكية والتطهير من العيوب كلها. النووي في شرح مسلم (٤/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) طاووس بن كيسان، أبو عبدالرحمن اليماني، الحميري الجندي، مولاهم الفارسي، الخولاني، الهمداني، اليمني، ثقة، فاضل، ويقال: اسمه ذكوان بن كيسان وطاوس لقب، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠١)، إلى (١٠٦). تهذيب التهذيب (٥/ ٨)، التقريب (١/ ٣٧٧).

(٣) عمرو بن دينار، أبو محمد المكي، الأثرم، الجمحي مولاهم، اليمني القرشي، الصنعاني عالم الحجاز، ثقة ثبت، أخرج له الستة، توفي سنة (١٢٥، ١٢٦)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨)، تقريب التهذيب (٢/ ٦٩)، الكاشف (٢/ ٣٢٨) تاريخ=

وعن ابن عباس ﷺ: المراد بالبيوت هنا المساجد.

قال النخعي رحمه الله: إذا لم يكن في المسجد أحد فقل: السلام على رسول الله ﷺ وإذا لم يكن في البيت أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وروى الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى: يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن في معناه: إذا ذكر رسول الله ﷺ أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم ولا يبالغ في الرفع مبالغة فاحشة.

وروي أنه ﷺ قال: «من صلى على روح محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور رآني في منامه، ومن رآني في منامه رآني يوم القيامة، ومن رآني يوم القيامة شفعت له، ومن شفعت له شرب من حوضي، وحرم الله جسده على النار» ، انتهى والله أعلم.

***

=البخاري الكبير (٦/ ٣٢٨)، الجرح والتعديل (٦/ ١٢٨٠)، الثقات (٣٦٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١١) ، البداية والنهاية (١٠/ ٢١).

الباب التاسع والثلاثون

في خصائصه ﷺ

وفيه ثمانية فصول: أربعة اختص بها عن جميع الأنبياء، وأربعة اختص بها عن أمته.

الفصل الأول

فيما اختص به في ذاته في الدنيا

اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقًا، وبتقدم نبوته، فكان نبيًا وآدم منجدل في طينته [(١)]، وبتقدم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: بلى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت، وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم وفي الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيين وآدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه والتبشير به في الكتب السابقة ونعته فيها، ونعت أصحابه وخلفائه وأمته، وحجب إبليس من الثمرات لمولده، وشق صدره في أحد القولين وهو الأصح، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم، وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله تعالى، وبأنه سمي من أسماء الله بنحو سبعين اسمًا، وبأنه سمي «أحمد» ولم يسم به أحد قبله، وقد عدت هذه الخصائص في حديث مسلم.

وبإظلال الملائكة له في سفره، وبأنه أرجح الناس عقلاً وبأنه أُتي كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا شطره، وبغطه ثلاثًا[(٢)] عند ابتداء الوحي، وبرؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها -عد هذه البيهقي-، وبانقطاع الكهانة بمبعثه وحراسة السماء من استراق السمع والرمي بالشهب -عد هذه ابن سبع-، وبإحياء أبويه حتى آمنا به، وبوعده من الله بالعصمة من الناس بالأسرى، وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو إلى قاب قوسين، ووطئه مكانًا لم يوطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له، وصلاته إمامًا بهم،

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧١، ٢٧٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٤١).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣)، كتاب بدء الوحي، ٣-باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، عن عائشة، وفيه: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ....» إلى آخر الحديث.

وبالملائكة، واطلاعه على الجنة والنار الكبرى، عد هذه البيهقي.

ورؤيته من آيات ربه الكبرى، وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى، ورؤيته للباري تعالى مرتين، وقتال الملائكة معه وسيرهم معه حيث شاء، ويمشون خلف ظهره، وبإيتائه الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على مر الدهور، ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب، وزيادة. وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره وميسر للحفظ ونزل منجمًا، وعلى سبعة أحرف، ومن سبعة أبواب، وبكل لغة، عد هذه ابن النقيب.

وأعطي من كنز العرش [١] ، ولم يعط منه أحد، وخص بالبسملة والفاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة السبع المطول والمفصل، وبأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة وهي القرآن، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها، وبأن أكثر الأنبياء معجزات، فقد قيل: إنها تبلغ ألفًا، وقيل: ثلاثة آلاف، سوى القرآن، فإن فيه ستين ألف معجزة تقريبًا.

قال الحليمي: وفيها مع كثرتها معنى آخر وهو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الأجسام، وإنما ذلك في معجزات نبينا ﷺ خاصة.

وبأنه جمع كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل، ولم يجمع ذلك لغيره بل اختص بكل نوع وأوتي انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين الأصابع[٢]، ولم يثبت لأحد من الأنبياء مثل ذلك، ذكره ابن عبدالسلام.

وبأنه خاتم النبيين وآخرهم بعثًا فلا نبي بعده، وشرعه مؤيد إلى يوم القيامة، لا ينسخ، وناسخ لجميع الشرائع قبله، ولو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه [٣] ، وفي كتابه الناسخ والمنسوخ بعموم الدعوة للناس كافة، وأنه أكثر الأنبياء تابعًا، وأرسل إلى الجن والإنس بالإجماع، وإلى الملائكة في أحد القولين، ورجحه السبكي، وبعثه رحمة للعالمين حتى للكفار بتأخير العذاب، ولم يعجلوا بالعقوبة كسائر الأمم المكذبة، وبأن الله أقسم بحياته، وأقسم على رسالته، وتولى الرد على أعدائه عنه، وخاطبه بألطف مما خاطب به الأنبياء، وقرن اسمه باسمه في كتابه، وفرض على العالم طاعته والتأسي به فرضًا مطلقًا لا شرط فيه ولا استثناء،

---

(١) حديث: «أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش» ، أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٦، ٢٢٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٤٩).

(٢) حنين الجذع ونبع الماء من بين الأصابع: تقدمت تخريجات هذه الأحاديث من قبل.

(٣) حديث: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» ، أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٨)، (٥/ ١٤٧)، والقرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٥٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٨).

ووصفه في كتابه عضواً عضواً، ولم يخاطبه في القرآن باسمه بل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، وحرم على الأمة نداءه باسمه.

وفرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة(١)، ثم نسخ ذلك، ولم ير في أمته شيئًا يسوءه حتى قبضه الله بخلاف سائر الأنبياء، وأنه حبيب الرحمن، وجمع له بين المحبة والخلة، وبين الكلام والرؤية، وكلمه عند سدرة المنتهى، وكلم موسى بالجبل. عد هذا ابن عبدالسلام.

وجمع بين القبلتين والهجرتين، وجمعت له الحقيقة والشريعة، ولم يكن للأنبياء الأخذ بهما بدليل قضية موسى مع الخضر، وقوله: «**إني على علم لا ينبغي لي أن أعلمه**» ، ونصر بالرعب مسيرة شهر(٢) أمامه وشهر خلفه، وأوتي جوامع الكلم(٣)، وأوتي مفاتيح خزائن الأرض على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس، وكلم بجميع أصناف الوحي. عد هذا ابن عبد السلام. وهبط إسرافيل عليه ولم يهبط على نبي قبله، عد هذا ابن سبع.

وجمع له بين النبوة والسلطان، عد هذا الغزالي في الإحياء.

وأوتي علم كل شيء إلا الخمس التي في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وقيل: إنه أوتيها أيضًا، وأمر بكتمها، والخلاف جار في الروح أيضًا، وبين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد، ووعد بالمغفرة وهو يمشي حيًا صحيحًا، ورفع ذكره فلا يذكر الله تعالى في أذان ولا خطبة ولا متشهد إلا ذكر معه، وعرض عليه أمته حتى تقوم الساعة.

وهو سيد ولد آدم(٤)، وأكرم الخلق على الله فهو أفضل من الرسل وجميع الملائكة المقربين. وأيد بأربعة وزراء: جبريل، وميكائيل، وأبي بكر، وعمر(٥).

---

(١) لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [المجادلة: ١٢].

(٢) حديث: «أوتيت جوامع الكلم» أخرجه مسلم في صحيحه (٧، ٨)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في فاتحته، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالرعب على العدو، وأوتيت جوامع الكلم، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» .

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) حديث: «أنا سيد ولد آدم» أخرجه مسلم (٣) في الفضائل وقد تقدم تخريجه من قبل.

(٥) روى الترمذي في سننه (٣٦٨٠)، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كليهما، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر» .

وأعطي من أصحابه أربعة عشر نجيبًا، وكل نبي أعطي سبعة.

وأسلم قرينه، وكان أزواجه عونًا له، وبناته وزوجاته أفضل نساء العالمين، وثواب زوجاته وعقابهن مضاعف، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، ومسجده أفضل المساجد، وبلده أفضل البلاد بالإجماع، فيما عدا مكة، وعلى أحد القولين فيها وهو المختار.

ويسأل عنه الميت في قبره، واستأذن ملك الموت عليه، ولم يستأذن على نبي قبله.

وحرم نكاح أزواجه من بعده وأمَته وطئها.

والبقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة، ومن العرش.

ويحرم التكني بكنيته، ويجوز أن يقسم على الله به وليس ذلك لأحد. ذكره ابن عبدالسلام.

ولم تر عورته قط، ولو رآها أحد طمست عيناه، ولا يجوز عليه الخطأ، عد هذا ابن أبي هريرة والماوردي.

قال قوم: ولا النسيان، حكاه النووي في شرح مسلم.

الفصل الثاني

فيما اختص به في شرعه وأمته في الدنيا

اختص بإحلال الغنائم(١)، وجعل الأرض كلها مسجداً، ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس، والتراب طهور- وهو التيمم- وبالوضوء في أحد القولين وهو الأصح، فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمجموع الصلوات الخمس، ولم تجتمع لأحد، ولم يصلها أحد، وبالأذان والإمامة وافتتاح الصلاة وبالتكبير وبالتأمين وبالركوع فيما ذكره جماعة من المفسرين، وبقول: «ربنا لك الحمد»، وباستقبال الكعبة، وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة في الصلاة، كما يفهم من كلام ابن فرشتة في «شرح المجمع»، وبتحية السلام وبالجمعة، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وبشهر رمضان وأن الشياطين تصفد فيه، وإن الجنة تزين فيه، وإن خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويغفر لهم في آخر ليلة منه، وبالسحور، وتعجيل الفطر، وإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر، وكان محرمًا على من قبلنا بعد النوم، وكذا كان في صدر الإسلام،

---

(١) حديث: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي – نبي قبلي» ، أخرجه البخاري (١/ ١١٩)، ومسلم (٣-٥٢١)، كتاب المساجد، في فاتحته عن جابر بن عبدالله، وفيه: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورًا ومسجدًا....»، الحديث.

ثم نسخ، وبليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب، ويجعل صوم عرفة كفارة سنتين [١] لأنه سنته، وصوم عاشوراء كفارة سنة [٢] لأنه سنة موسى.

وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين، لأنه شرعه. وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاسترجاع عند المصيبة وبالحوقلة، وباللحد ولأهل الكتاب بالشق، وبالذبح والنحر فيما قاله مجاهد وعكرمة، وبالعذبة في العمامة، وهي سيماء الملائكة، وبالائتزار في الأوساط، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم، ففضحت الأمم عندهم، ولم يفضحوا، واشتق لهم اسمان من أسماء الله: المسلمون والمؤمنون.

وسمي دينهم: الإسلام، ولم يوصف بهذا الوصف الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم، وأحل لهم كثير مما شدد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ورفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وحديث النفس، وأن من همَّ منهم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة [٣] ، فإن عملها كتبت عشراً، وإن من همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، بل تكتب حسنة، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة، وشرع لهم نكاح أربع، ورخص لهم في نكاح غير ملتهم، وفي نكاح الأمة، وفي مخالطة الحائض سوى الوطء، وفي إتيان المرأة على أي شق شاءوا.

وشرع التخيير بين القصاص والدية، وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر، وعصموا من الاجتماع على ضلالة، وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذابًا.

والطاعون لهم شهادة [٤] ورحمة، وكان على الأمم عذابًا، وما دعوا به استجيب لهم، ويأكلون صدقاتهم في بطونهم ويثابون عليها ويحصل لهم الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة، ويغفر لهم الذنوب بالاستغفار، ووعدوا ألا يهلكوا بالجوع ولا بعدوٍّ من غيرهم يستأصلهم، وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة، وكان الأمم السابقة إذا شهد منهم مائة، وهم أقل

---

(١) حديث: «صوم عرفة كفارة سنتين» أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨٣)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٩٦، ٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٩، ٣٦١)، وابن حبان في صحيحه (٣١-الموارد)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٥).

(٤) حديث: «الطاعون شهادة لأمتي» ، أخرجه الدارمي في السنن (٢/ ٢٠٧، ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٤)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٨٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣٩٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٢٨).

الأمم عملاً وأكثر أجراً، وأقصر أعماراً، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليها خزائن كل شيء حتى العلم، وأتوا الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب، ولا تزال طائفة[١] منهم على الحق حتى يأتي أمر الله، وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال، ومنهم من يصلي إماماً بعيسى ابن مريم، ومنهم من يجري مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، وعلماؤهم كأنبياء بني إسرائيل، وتسمع الملائكة في السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحمادون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر: أفعله إن شاء الله، وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا، ومصاحفهم في صدورهم وسابقهم سابق ومقتصدهم ناجح، وظالمهم مغفور له، وليس منهم أحد إلا مرحومًا، ويلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، ويراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله، وتحضرهم الملائكة، وإذا قاتلوا وافترض عليهم ما افترض على الأنبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة، والحج والجهاد وأعطوا من الثواب ما أعطي الأنبياء. وقال الله في حق غيرهم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾. ونودوا في القرآن بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ونوديت الأمم في كتبها بيا أيها المساكين، وشتان ما بين الخطابين، والله أعلم.

الفصل الثالث
فيما اختص به في ذاته في الآخرة

اختص ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض[٢]، وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك، يحشر على البراق ويؤذن باسمه في الموقف، ويكسى في الموقف أعظم الحلل في الجنة.

وأنه يقوم عن يمين العرش، وبالمقام المحمود، وأن بيده لواء الحمد، وآدم فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له بالسجود[٣]، وأول من يرفع رأسه ينظر إلى الله تعالى، وأول شافع وأول مشفع بالشفاعة العظمى في فصل القضاء. وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب. وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢١٩٢)، كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٧، ٣٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٨، ٣١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة بني إسرائيل، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٢).

(٣) حديث: «أنا أول من يؤذن له بالسجود»، أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٧٢، ٢٦٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٧٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٢).

يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها ووردت الأحاديث به، وبالشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أنه يخفف عنه العذاب وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وأنه أول من يجوز على الصراط وأن له في كل شعرة من وجهه ورأسه نورًا، وليس للأنبياء إلا نوران.

ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر ابنته على الصراط، وأنه أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها وبعده أمته، وبالكوثر والوسيلة[١] وهي أعلى درجة في الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ، ويطلب من سائر الأنبياء، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه[٢].

فقيل: إن معناه: أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب.

الفصل الرابع
فيمن اختص به في أمته في الآخرة

اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم، ويأتون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء[٣]، ويكونون في الموقف على كوم عال، ولهم نوران كالأنبياء، وليس لغيرهم إلا نور واحد، ولهم سيماء في وجوههم من أثر السجود، ويسعى نورهم بين أيديهم، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وعجل عذابها في الدنيا وفي البرزخ لتوافي القيامة ممحصة، وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب، ويمحص عنها باستغفار المؤمنين لها، ولها ما سعت وما سعي لها وليس لمن قبلها إلا ما سعى، قاله عكرمة.

ويقضى لهم قبل الخلائق، ويغفر لهم المقحمات، وهم أثقل الناس ميزانًا، ونزلوا منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس أن رسلهم بلّغتهم ويدخلون الجنة قبل سائر الأمم،

---

(١) روى مسلم في صحيحه (١١-٣٨٤)، كتاب الصلاة، ٧-باب استحباب القول مثل قول الإمام، عن عبدالله بن عمرو وفيه: «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله......» الحديث، وكذا أبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٢/ ٢٥-المجتبى).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١١٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٦)، (١١/ ٢٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٢٥٨)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ١٠٤)، (١٤/ ٢٣٠).

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (٣٤-٢٤٦)، كتاب الطهارة، ١٢-باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء...» الحديث.

ويدخل منهم الجنة سبعون ألفًا بغير حساب[1]، وأطفالهم كلهم في الجنة، وليس ذلك لسائر الأمم ، في أحد احتمالين للسبكي في تفسيره، وذكر الإمام فخر الدين أن من كانت معجزته أظهر يكون ثواب أمته أقل، قال السبكي: إلا هذه الأمة، فإن معجزات نبينا أظهر، وثوابها أكثر من سائر الأمم.

الفصل الخامس

فيما اختص به من الواجبات والحكمة في زيادة الزلفى والدرجات

اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى وصلاة الوتر والتهجد، أي صلاة الليل، وركعتي الفجر لحديث في المستدرك وغيره، وغسل الجمعة [2]، ورد في حديث رواه، وأربع عند الزوال، ورد عن سعيد بن المسيب.

ومصابرة العدوان كثر عددهم وتغيير المنكر، ولا يسقط للخوف، وقضاء دين من مات من المسلمين معسّرًا على الصحيح، وتخيير نسائه في فراقه واختياره على الصحيح وإمساكهن بعد أن اخترنه في أحد الوجهين، وترك التزوج عليهن، وكان يأخذ عن الدنيا حالة الوحي، ولا يسقطه عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام. ذكر في الروضة رواية عن ابن القاص والقفال. وجزم به ابن سبع. وكان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة، ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصائص.

الفصل السادس: فيما اختص به من المحرمات

خص ﷺ بتحريم الزكاة على آله[3]. قيل: والصدقة أيضًا، وعليه المالكية، وعلى موالي آله في الأصح.

ويحرم كون آله عمالاً على الزكاة في الأصح، وصرف النذر والكفارة إليهم، وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل، ورد به لحديث في المسند، ولم أر من تعرض له، وأكل ما له رائحة كريهة، والأكل متكئًا في أحد الوجهين فيهما، والأصح في الروضة كراهيتهما، وتحريم

---

(١) حديث: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» ، أخرجه البخاري (٨/ ١٢٤)، ومسلم (٣٧١-٢١٨)، كتاب الإيمان، ٩٤-باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، عن عمران بن حصين، وأحمد في مسنده (١/ ٣٢١، ٣٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٤١)، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٤).

(٢) حديث: «من أتى الجمعة فليغتسل» أخرجه البخاري (٨٧٧)، كتاب الجمعة، ٢-باب فضل الغسل يوم الجمعة، ومسلم (١-٨٤٤) ، ٧-كتاب الجمعة، في فاتحته.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (١٤٩١)، كتاب الزكاة، ٦٢-باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، عن أبي هريرة قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ» ليطرحها ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟» .

الكتابة والشعر، قاله الماوردي، وكذا روايته والقراءة في الكتاب، ونزع لأْمَتِهِ إن ألبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه، وكذلك الأنبياء، والمن ليستكثروا مد العين إلى ما منع به الناس، وخائنة الأعين، وهي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب أو يخدع في الحرب، فيما ذكره ابن القاص، وخالفه الجمهور.

والصلاة على من عليه دين، ثم نسخ، وإمساك من كرهته، وتحرم عليه مؤبداً في أحد الوجهين، ونكاح الكتابية قبل والتسري بها، ونكاح الأمة المسلمة، ولو قدر نكاح أمة كان ولد منها حول، ولا تلزمه قيمته ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت، ولا فقد الطول، وله الزيادة على واحدة.

قال إمام الحرمين[١]: ولو قدر نكاح غرور في حقه لم يلزمه قيمة الولد. قال ابن الرفعة: وفي تصوير ذلك في حقه نظر، وكان إذا خطب فرد لم يعد كذا في حديث مرسل، فيحتمل التحريم والكراهة قياسًا على إمساك كارهته، ولم أر من تعرض له، وعد ابن سبع في خصائصه تحريم الإغارة إذا سمع التكبير.

الفصل السابع. فيما اختص به من المباحات

اختص ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنبًا، وأنه لا ينقض وضوءه بالنوم[٢] ولا باللمس في أحد الوجهين، وهو الأصح. وإباحة الصلاة بعد العصر، وحمل الصغير في الصلاة، فيما ذكره بعضهم، وبالصلاة على الغائب عند أبي حنيفة، وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه، ذكره في شرح المهذب وبالإمامة جالسًا فيما ذكره قوم، والقبلة في الصوم مع قوة شهوته، والوصال في الصوم[٣]، وإباحة دخول مكة بغير إحرام، واستمرار الطيب في الإحرام فيما ذكره المالكية، وقهر من شاغل طعامه وشرابه، ويجب على مالكهما البذل، ويفدين بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، وإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن،

---

(١) إمام الحرمين هو الجويني.

(٢) قال الشافعية: إن النوم ينقض إذا لم يكن النائم ممكنًا مقعده بمقره، بأن نام جالسًا، أو راكبًا بدون مجافاة بين مقعده وبين مقره، فلو نام على ظهره أو جنبه أو كان بين مقعده ومقره تجاف بأن كان نحيفًا انتقض وضوءه. والمالكية قالوا: النوم ينقض الوضوء إذا كان ثقيلاً قصيراً أو طويلاً سواء كان النائم مضطجعًا أو جالسًا أو ساجدًا ولا ينتقض بالنوم الخفيف. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٧٠).

(٣) قال الحنابلة: يكره أيضًا صيام الوصال وهو أن لا يفطر بين اليومين، وتزول الكراهة بأكل ثمرة ونحوها. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٤٧١).

ونكاح أكثر من أربع نسوة، وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر، وانتهاؤه بلا ولي وبلا شهود، وفي حال الإحرام، وبغير رضى المرأة، فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة، وحرم على غيره خطبتها، أو متزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها، وكان له تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها، وإذن وليها، وله إجبار الصغيرة من غير نيابة، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس فقُدم على الأقرب، وقال لأم سلمة: «**مري ابنك فليزوجك**»[١] فزوجها وهو يومئذ صغير لم يبلغ، وزوجه بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد، ومن نفسه [٢].

وعبر في الروضة عن هذه بقوله: وكانت المرأة تحل له بتحليل الله، وله نكاح المعتدة من غيره في وجه الرافعي.

وعتق أمته وجعل عتقها صداقها[٣]، ونكاح من لم تبلغ فيما ذكره ابن شبرمة[٤]، لكن الإجماع على خلافه، وترك القسم بين أزواجه في أحد الوجهين، وهو المختار، ولا يجب عليه نفقتهن في وجه كالمهر على الوجوب لا بتقدر ولا ينحصر طلاقه في الثلاث في أحد الوجهين، وعلى الحصر.

قيل: تحل له من غير محلل، وقيل: لا تحل له كالتسري في حقنا، وحرم أمته فلم تحرم عليه ولم تلزمه كفارة، وكان له أن يستثني في كلامه بعد حتى ما شاء منفصلاً.

واصطفاء ما شاء من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، وخمس الفيئة والغنيمة، وأربعة أخماس الفيء (لجنده) [٥].

وأن يحمي الموات لنفسه ولا ينقص ما حماه، والقتال بمكة، والقتل بها، والقتل بعد الأمان، ولعن من شاء بغير سبب، ويكون له رحمة، والقضاء بعلمه وفي غيره خلاف.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٣١).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥٠٨٦)، كتاب النكاح، باب من جعل عتق الأمة صداقها، ومسلم (٨٥)، في النكاح، والترمذي (١١١٥)، كتاب النكاح، باب ما جاء في الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها، عن أنس: أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها.

(٣) انظر التحقيق قبل هذا.

(٤) عبدالله بن شبرمة بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة، أبو شبرمة الضبي الكوفي القاضي، ثقة، فقيه، أخرج له: البخاري تعليقًا، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، توفي سنة (١٤٤)، وقد ولي قضاء اليمن. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٠)، التقريب (١/ ٤٢٢)، الكاشف (٢/ ٩٥)، التاريخ الكبير (٥/ ١١٧)، الجرح والتعديل (٥/ ٣٨١)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٣٨)، سير الأعلام (٦/ ٣٤٧).

(٥) غير موجودة على أساس أنها تقسم بين جنود الجيش.

ولنفسه ولولده وأن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من يشهد له ولولده، وقبول الهدية بخلاف غيره من الحكام، ولا يكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب [١]. ذكره النووي في شرح مسلم.

وكان أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة [٢] وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك، وضحى عن أمته، وليس أن يضحى عن الغير بغير إذنه، وأكل من طعام (الفجاة) [٣] مع نهيه عنه. ذكر هذه ابن القاص، وأنكرها البيهقي وقال: إنه مباح للأمة، والنهي لم يثبت.

وله قتل من سبه أو هجاه، عد هذه ابن سبع. وكان يقطع الأراضي قبل فتحها، لأن الله ملكه الأرض كلها. وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري [٤] فيما أقطعهم. وقال: إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

الفصل الثامن
فيما اختص به من الكرامات والفضائل

اختص ﷺ بمنصب الصلاة وبأنه لا يورث، وكذلك بأن ماله باق بعد موته على ملكه، ينفق منه على أهله في أحد الوجهين. وصححه إمام الحرمين وأنه لو قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذله نفسه دونه، حكاه في «زوائد الروضة» عن جماعة من الأصحاب، وتحريم رؤية أشخاص أزواجه في الأزر كما صرح به القاضي عياض وغيره، وكشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها، وسؤالهن مشافهة، وأنهن أمهات المؤمنين، ووجوب جلوسهن من بعده في البيوت، وتحريم خروجهن ولو لحج أو عمرة في أحد

---

(١) حديث: «لا يقضي القاضي وهو غضبان» ، أخرجه ابن ماجه (٢٣١٦)، والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٥٢).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٩)، ومسلم في صحيحه (١٧٦ - ١٠٧٨)، كتاب الزكاة، ٥٤-باب الدعاء لمن أتى بصدقة، عن عبدالله بن أبي أوفى، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل عليهم»، فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» . قال النووي: ومذهبنا المشهور ومذهب العلماء كافة أن الدعاء لدافع الزكاة سنة مستحبة ليس بواجب، وقال أهل الظاهر: هو واجب.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) تميم الداري هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن وداع أبو رقية الداري اللخمي، صحابي مشهور، أخرج له البخاري في التاريخ وباقي الستة، توفي سنة (٤٠). انظر ترجمته في التقريب (١/ ١١٣)، الكاشف (١/ ١٦٧)، التاريخ الكبير (١/ ١٥٠)، الجرح والتعديل (١/ ٤٤٠)، أسد الغابة (١/ ٢٥٦)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٤٩٠٨)، سير الأعلام (٢/ ٤٤٢)، الثقات (٣/ ٣٩).

الوجهين، وأباح لهن ولآله الجلوس في المسجد مع الحيض والجنابة، وأن تطوعه في الصلاة قاعداً كتطوعه قائماً، ويخاطبه المصلي بقوله: السلام عليك أيها النبي، ولا يخاطب غيره، وكان يجب على من دعاه وهو في الصلاة أن يجيبه، ولا تبطل صلاته، وكذلك الأنبياء، ومن تكلم وهو يخطب بطلت جمعته، والنكاح في حقه عبادة مطلقًا كما قال السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا من المباحات والعبادة عارضة له، والكذب عليه كبيرة [١]، ليس كالكذب على غيره.

وقال الجويني: رده من كذب عليه لم تقبل روايته أبداً وإن تاب فيما ذكره خلائق من أهل الحديث، ويحرم التقدم بين يديه، ورفع صوت فوق صوته، والجهر له بالقول، ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد وطهارة دمه وبوله وغائطه، ويستشفى بها ولا خلاف في طهارة شعره وفي غيره خلاف، والعصمة من كل ذنب، ولو صغيراً أو سهواً، وكذلك الأنبياء، وينزه عن فعل المكروه ومحبته فرض ويجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن استهان به كفر، قيل: أو زين بحضرته، ومن سبه قتل، وكذلك الأنبياء ولم تَبْغِ امرأة نبي قط.

ومن قذف أزواجه[٢] فلا توبة له ألبتة، كما قاله ابن عباس وغيره، ويقتل كما قاله القاضي عياض، وفي قوله يختص القتل بمن سب عائشة، ويحد في غيرها حدين، وكذلك في قذف أم أحد من أصحابه وأولاد بناته ينسبون إليه، ولا يتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار ولا يجتهد في محرابه ﷺ (حيل) [٣] إليه لا في يمينه ولا في يسره.

ويختص صلاة الخوف[٤] بعهده في قول أبي يوسف والمزني، ويحل منصبه عن الدعاء له بالرحمة فيما ذكره جماعة، ويحرم النقش على نقش خاتمه، ولا يقول في الغضب والرضا إلا حقًّا.

---

(١) روى البخاري (٦١٩٧)، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ومسلم (١)، في المقدمة، باب تغليظ الكذب عن رسول الله ﷺ، والترمذي (٢٦٦٠)، في العلم، ٨- باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ، وفيه: ((من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)).

(٢) انظر قصة حادثة الإفك، كما رواها البخاري في صحيحه (٤٧٥٠)، كتاب تفسير القرآن، ٥- باب قوله: ((﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ......﴾)) الآية، ٦-باب ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا..﴾ الآية، حديث رقم (٤٧٥٠)، وهو حديث طويل.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) روى مسلم في صحيحه (٣٠٥-٨٣٩)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٥٧-باب صلاة الخوف. وقال النووي: قال الخطابي: صلاة الخوف أنواع، صلاها النبي ﷺ في أيام مختلفة وأشكال متباينة، يتحرى في كلها ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة، فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى، ثم مذهب العلماء كافة أن صلاة الخوف مشروعة اليوم كما كانت إلا أبا يوسف والمزني فقالا: لا تشرع بعد النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ واحتج الجمهور بأن الصحابة لم يزالوا على فعلها بعد النبي ﷺ وليس المراد بالآية تخصيصه ﷺ. النووي في شرح مسلم (٦/ ١١٠)، ط. دار الكتب العلمية.

ورؤياه وحي، وكذلك الأنبياء، ولا يجوز على الأنبياء الجنون ولا الإغماء الطويل الزَّمِن. ذكره الشيخ أبو حامد في تعليقه، وجزم به البلقيني في حواشي الروضة، ونبه على أن إغماؤهم يخالف إغماء غيرهم كما خالف نومهم نوم غيرهم، ولا العمى فيما ذكره السبكي.

ويحصي من شاء بما شاء من الأحكام، كجعله شهادة خزيمة [1] بشهادة رجلين، وترخيصه في إرضاع سالم وهو كبير، وفي النياحة لتلك المرأة، وفي تعجيل صدقة عامين، وفي ترك الإحداد لأسماء بنت عميس، وفي الجمع بين اسمه وكنيته، وللولد الذي يولد لعلي، وفي الأضحية بالعناق لأبي بردة بن نيار، وفي نكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة. وورد به حديث مرسل.

وإفطام أطفال بيته وهم رضع، وكان يحرم على أصحابه إذا كانوا معه على أمر جامع أن يذهبوا حتى يستأذنوه، وكانوا يقولون له : بأبي أنت وأمي، ولا يقال لغيره فيما ذكره بعضهم، وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه، ويرى بالليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء، وريقه يعذب الماء المالح، ويجزي الرضيع، وإبطه أبيض غير متغير اللون ولا شعر عليه، ويبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه غيره، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وما تثاءب قط ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء في الثلاثة، وعرقه أطيب من المسك، وكان إذا مشى مع الطويل طاله، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض ولا رؤي ظله في شمس ولا في قمر، ولم يقع على ثيابه ذباب قط ولا أذاه القمل، ولم يكن لقدماه خمص، وكانت خنصر رجله متظاهرة، وكانت الأرض تطوى له إذا مشى وأوتي قوة أربعين في الجماع والبطش، ولم ير له أثر قضاء حاجة، بل كانت الأرض تبلعه، وكذلك الأنبياء، ولم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح [2]، ونكست الأصنام لمولده، وولد مختوناً ومقطوع السرة ونظيفًا ما به قذر، ووقع على الأرض ساجدًا رافعًا إصبعه كالمتضرع المبتهل، ورأت أمه عند ولادته نوراً خرج منها أضاء له قصور الشام، وكذلك أمهات المؤمنين يرين، وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة. ذكره ابن سبع.

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة، أبو عمارة الأنصاري الخطمي، المدني، ذو الشهادتين، الأوسي، صحابي جليل ، شهد بدرًا وقتل مع علي بصفين، أخرج له البخاري في الأدب، ومسلم في الصحيح. انظر ترجمته في التهذيب (٣/ ١٤٠)، التقريب (١/ ٢٢٣)، الكاشف (١/ ٢٧٩)، التاريخ الكبير (٣/ ٢٠٥)، التاريخ الصغير (١/ ٧٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٧٤٤)، الاستيعاب (٢/ ٤٤٨)، أسد الغابة (٢/ ١٣٣)، الإصابة (٢/ ٢٧٨)، سير الأعلام (٢/ ٤٨٥)، الثقات (٣/ ١٠٧).

(٢) حديث: «ولدت من نكاح لا من سفاح» اخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٧٢)، والألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٢٩)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٦٣).

وكان القمر يناغيه وهو في مهده، ويميل حيث أشار إليه، وتكلم في المهد، وتظله الغمامة في الحر، ويميل في الشجر إذا سبق إليه، وكان يبيت جائعًا ويصبح يطعمه ربه ويسقيه من الجنة، وكان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر، وردت إليه الروح بعدما قبض، ثم خير بين البقاء في الدنيا والرجوع إليه، وكذلك الأنبياء، وأرسل إليه ربه جبريل ثلاثة أيام في مرضه يسأل عن حاله، وسمع صوت ملك الموت باكيًا عليه ينادي: وا محمداه، وصلى عليه ربه وصلى عليه الناس أفواجًا بغير إمام [١] وبغير دعاء الجنازة المعروف، وترك بلا دفن ثلاثة أيام، ودفن في بيته حيث قبض وكذلك الأنبياء، ولم يسلم من الضغطة لا صالح ولا غيره سواه، وتحرم الصلاة على قبره واتخاذه مسجدًا، ولا يبلى جسده، وكذلك الأنبياء لا تأكل لحومهم الأرض [٢] ولا السباع، ولا خلاف في طهارة ميتهم، وفي غيرهم خلاف، ولا يجري في أطفالهم التوقف الذي لبعضهم في غيرهم، ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبي، وهو حي في قبره يصلي فيه بأذان وإقامة، وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل: لا عدة على أزواجه، ووكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلي عليه، وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم، والمصيبة بموته عليه لأمته إلى يوم القيامة.

ومن رآه في المنام فقد رآه حقًّا [٣]، وإن الشيطان لا يتمثل في صورته، ومن أمره بأمر في المنام وجب امتثاله في أحد الوجهين، واستحب في الأخرى، وقراءة أحاديثه عباده يثاب عليها كقراءة القرآن في أحد الروايتين، ولا تأكل النار شيئًا مس وجهه، وكذلك الأنبياء، والتسمي باسمه مأمون ونافع في الدنيا والآخرة، ويكره أن يحمل في الخلاء ما كتب عليه اسمه، ويستحب الغسل لقراءة حديثه والطيب، ولا ترفع عنده الأصوات، ويقرأ على مكان عال، ويكره لقارئه أن يقوم لأحد وحملته لا تزال وجوههم نضرة، واختصوا بالتلقيب بالحفاظ، وأمير المؤمنين من بين سائر العلماء، وتجعل كتبه على كرسي كالمصحف، وتكتب الصحبة لمن اجتمع به ﷺ لحظة بخلاف التابعي مع الصحابة فلا يثبت إلا بطول الاجتماع معه على الأصح عند أهل الأصول، والفرق عظيم منصب النبوة ونورها فمجرد ما يقع

---

(١) قال الذهبي : عن ابن عباس قال: لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد لم يؤمهم أحد. تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة، ذكر الصلاة عليه ﷺ.

(٢) حديث: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ، أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، وابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩١)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٠١).

(٣) أخرج البخاري (١/ ٣٨)، ومسلم في الرؤيا رقم (١٣، ٧)، والترمذي (٢٢٧٦)، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، وابن ماجه (٣٩٠٠، ٣٩٠١، ٣٩٠٢)، في تعبير الرؤيا باب رؤية النبي ﷺ.

بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة، وأصحابه كلهم عدول[1]، فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة.

ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن سائر القبور، بل يستحب كما قال العراقي في نكته: أنه لا يشك فيه، والمصلي بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة في سائر المساجد. انتهى والله أعلم بالصواب.

***

---

(١) قال النووي: اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض، فقالت طائفة: لا تفاضل بل نمسك عن ذلك، وقال الجمهور بالتفضيل، ثم اختلفوا، فقال أهل السنة: أفضلهم أبو بكر ثم عمر، قال جمهورهم : ثم عثمان ثم علي. ثم قال: أما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل في محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه، فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢١، ١٢٢)، ط. دار الكتب العلمية.

الباب الأربعون

في وفاة النبي ﷺ وبشارته عند موته من ربه لأمته، وذكر فضائل هذه الأمة المرحومة زادها الله شرفا، وذكر بعض ما فيها، وذكر فضائل هذه المرحومة من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم، وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس عليهم الصلاة والسلام أجمعين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ (١) الآية [آل عمران : ١٤٤].

قال القشيري في تفسيره، والسلمي في حقائقه عن الواسطي: سقمت البصائر عند وفاة محمد ﷺ إلا رجلاً واحداً وهو أبو بكر الصديق، فإن الله تعالى أيده بقوة السكينة فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد لم يمت. فصار الكل معهودون تحت سلطان مقالته لما أبسط عليه من نور حالته كالشمس بطلوعها تندرج في شعاعها أنوار الكواكب.

قال القشيري: وإنما قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾؛ لأنه ﷺ مات، وقتل أيضًا بالسم الذي أكله يوم خيبر من الشاة المسمومة.

قال الرازي: بين الله تعالى في آيات كثيرة أن محمداً ﷺ لا يقتل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، والمقصود من الآية أن أتباع الرسل المتقدمين ما تغيروا عن دينهم بعد موت أنبيائهم.

فكذلك أنتم كونوا مثلهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، أي جماعات كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ أي ما خافوا ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ أي ما ضعفت قلوبهم ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ أي ما أظهروا الجزع، والآية نزلت في غزوة أحد، وكان أمير المشركين أبا سفيان

---

(١) لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه، قال ابن أبي لجيح عن أبيه: إن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾. تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٩).

وخالد بن الوليد مع ميمنتهم، فرمى عبدالله بن (تميمة)[١] حجراً فشج وجه النبي ﷺ ورأسه وكسر رباعيته، وقصده بالسيف ومعه جمع كثير، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه واحتمله طلحة، ووقف أبو بكر في وجهه بالسيف، ثم أدركوا ابن (تميمة)[٢] فقطعوه قطعًا، وصاح إبليس: ألا وإن محمداً قد قتل، فانهزم المسلمون، فقال أنس بن النضر[٣] عم أنس بن مالك: إن قتل محمد فربه حي، فما تصنعون بالحياة بعد نبيكم؟!

وكان قد انهزم جماعة منهم عثمان بن عفان، وثبت مع رسول الله ﷺ سبعة من المهاجرين: أبو بكر وعلي وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام، وسبعة من الأنصار: الحباب بن المنذر بالحاء المهملة، وأبو دجانة بالجيم، وعاصم بن ثابت، والحارث بن المنذر، وسهل بن حنيف، وأسيد ابن حضير، وسعد بن معاذ.

ثم إن الله تعالى عفا عن المنهزمين، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لما عوتب على هزيمته: قد أخطأنا وعفا الله عنا، فلا تفزعونا بذنوبنا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٤] [آل عمران: ١٥٥].

ثم لم يفروا بغضًا من الموت ورغبة في الحياة، وإنما أذكرهم الشيطان بذنوبهم، فكرهوا لقاء الله على تلك الحال، وخطر ببالهم أن لقاء الله على التوبة أولى من لقائه مع الذنوب.

---

(١) كذا بالأصل بل هو (ابن قميئة).

(٢) كذا بالأصل بل هو (ابن قميئة).

(٣) قال الذهبي: عن أنس: غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر فقال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، لئن الله أشهدني قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، واهًا لريح الجنة. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: وجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، قد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، فكنا نقول: أنزل فيه هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، أنها فيه وفي أصحابه. انظر تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة، غزوة أحد.

(٤) أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي عما كان منهم من الفرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم، تفسير ابن كثير (١/ ٤١٨).

وقيل: لما أخطأوا بمفارقة المكان الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه أوقعهم الشيطان في ذنب آخر وهو الهزيمة، لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة.

قال القرطبي: عرف الناس موت محمد ﷺ لما قرأ أبو بكر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (١) فدلت الآية على شجاعته ﷺ، ولما مات أظلم من المدينة كل شيء، ولما دخل المدينة أضاء منها كل شيء.

قال البغوي في تفسيره عن الحسن: علم النبي ﷺ اقتراب أجله بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ قال قتادة: عاش بعدها عامين. قال في روض الأفكار: ما ضحك فيهما.

وهذه السورة تسمى سورة التوديع.

وروى ابن مسعود ﷺ: لما كان قبل موته ﷺ بشهر نعى إلينا نفسه، ثم جمعنا في بيت عائشة فبكى وقال: «مرحبًا بكم آواكم الله وجزاكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، فقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله تعالى وإلى السدرة المنتهى وجنة المأوى».

وكان مرضه ﷺ اثني عشر يومًا، أولها يوم الخميس، وآخرها يوم الإثنين.

قال القرطبي في آل عمران: مات يوم الإثنين بلا خلاف في الساعة التي دخل فيها المدينة حتى اشتد الضحى من يوم الإثنين أيضًا، وهو يوم الولادة، والرسالة أيضًا.

لكن الرسالة كانت في رمضان والولادة والوفاة كانت في ربيع الأول، ثم خرج إلى أصحابه وقد عصب رأسه وصعد المنبر، ثم قال: «من كنت جلدت له ظهرًا أو شتمت له عرضًا فهذا ظهري وعرضي فليقتص منهما، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس».

---

(١) قال الذهبي: عن عائشة: فجاء أبو بكر فقال: ما لرسول الله؟ قلت: غشي عليه، فكشف عن وجهه فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه ثم قال: وا نبياه، وا صفياه، وا خليلاه، صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾، ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾، ثم غطاه وخرج إلى الناس فقال: أيها الناس، هل مع أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا، قال: من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، الآيات، فقال عمر: أفي كتاب الله هذا يا أبا بكر؟ قال: نعم، قال عمر: هذا أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وثاني اثنين فبايعوه، فحينئذ بايعوه. وفي رواية أخرى: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى، فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر فاقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً فإنه قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، الآية، فكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر. تاريخ الإسلام للذهبي، باب وفاته ﷺ.

وأما قيام عكاشة ﷺ وطلبه القصاص بالقضيب الممشوق من رسول الله ﷺ، فصرح ابن الجوزي وغيره بأنه كذب، وإنما الذي طلب القصاص منه يوم بدر سواد بن غزية ﷺ كما سيذكر في باب العدل إن شاء الله تعالى.

وكان أول مرضه ﷺ صداع رأسه، وفي أيام صحته قال أعرابي: يا نبي الله، أخبرني عن الصداع؟ قال: «عروق تضرب في رأسه»، فقال: ما وجدت هذا؟ فلما انصرف الرجل قال النبي ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا»[1]، رواه الإمام أحمد، وروي في كتاب البركة عن كعب الأحبار ﷺ، وشكا نبي من الأنبياء الصداع إلى ربه، فأمره بأكل الدباء باللبن.

وفي كتاب الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: إن الله كلم موسى مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة، يقول مع كل كلمة: وقتلت نفسًا بغير حق مع أنه كان كافرًا يخبز عجين فرعون.

قال وهب رحمه الله: أوحى الله تعالى إليه: يا موسى، النفس التي قتلتها لو أقرت لي عين أني خالق رازق لأذقتك طعم العذاب.

وسبب قتله أنه اشترى حطبًا وأمر رجلاً من شيعة موسى أن يحمله إلى مطبخ فرعون، فامتنع من ذلك واستغاث بموسى، فوكزه وكزة كان فيها أجله.

ثم قال ابن رجب رحمه الله تعالى: أرسلت عائشة رضي الله عنها بالمصباح ليلة الإثنين إلى امرأة من الأنصار فقالت: قطري لنا فيه من عكة السمن، فإن رسول الله ﷺ أمسى في شدة الموت.

وكان يضع يده الكريمة في الماء ويمسح وجهه ويقول[2]: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، اللهم هوّن على محمد سكرات الموت»، فقالت فاطمة: وا كرباه لكربك يا رسول الله، فقال: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» [3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٣-الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٧٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٦)، (٨/ ١٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٥٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢١٢)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٩٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٢٦٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٤٨).

وعن عائشة رضي الله عنها: فدعوت له بالشفاء لما أغمي عليه، فلما أفاق قال: «لا بل أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل»[١] . ثم قال: «إنه ليهون علي الموت أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة» .

قال في روض الأفكار: هبط جبريل وملك الموت وملك يقال له: إسماعيل، معه سبعون ألف ملك. وذكر غيره: أن عزرائيل وقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، أأدخل؟ فقالت له فاطمة: إن رسول الله ﷺ مشغول عنك بنفسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا مفرق الجماعات، هذا ملك الموت»[٢] ، ثم أذن له في الدخول.

فقال: «أين تركت أخي جبريل»؟ قال في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك، وإذا بجبريل قد دخل وسلم وقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد من قبلك.

ثم قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئ من الدنيا، إنما كنت حاجتي منها.

نعم، جبريل لا ينزل بالوحي إلى الدنيا بعده، وأما بغيره فينزل إلى الدنيا كل ليلة قدر.

فقال: «يا جبريل بشرني» . قال: أبواب الجنة قد فتحت لقدوم روحك، قال: «ليس عن هذا أسألك، بشرني» قال: اصطفت الملائكة لملاقاة روحك، قال: «ليس عن هذا أسألك، بشرني: من لقراء القرآن بعدي؟ من لصوام رمضان بعدي؟» قال: أبشر، فإن الجنة قد حرمت على جميع الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك. قال: «الآن طاب الموت، ادن يا ملك الموت» ، فعالج روحه الطيبة، فولى جبريل وجهه، فقال: «يا جبريل، ولم تول وجهك عني؟» قال: ومن يستطيع النظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت.

قال في كتاب الزهر الفايح: نزل جبريل منشور الذوائب، وقال: ليتني كنت قد أقدمتك، وهذه الجنان قد تزخرفت وأبوابها قد فتحت، والحور العين قد تزينت، أين تريد أن يكون قبرك، تحت العرش، أو الكرسي، أو في الجنة؟ فاختار ﷺ الموافقة لأمته، فلما فاضت روحه الكريمة فاح الطيب. وفي المعنى شعر:

تذكرت لما فرق الدهـــر بينـنـا ... فعــزيت نفســي بالنبي محمــد
وقلت لها: إن المنايــا سبيلــنـا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

قالت عائشة رضي الله عنها: لما خرجت نفسه الطيبة ما شممت ريحًا أطيب منها، ثم وقعت الظلمة في المدينة حتى لا يرى بعضهم بعضًا.

---

(١) انظر البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢١٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٤٠).
(٢) انظر الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٤٢).

واختلف حال أصحابه في هذه المصيبة، فمنهم من أقعد، ومنهم من خرس لسانه إلى بعد الغد حتى تكلم، ومنهم من أضنى كالمريض حتى مات.

وثبت أبو بكر ﷺ كما تقدم. ثم بايعه الناس للخلافة، وذلك بتوفيق الله تعالى، وأول من بايعه عمر بن الخطاب ﷺ[١]، ثم لما بايع الناس أبا بكر ﷺ، أخذوا في تجهيز النبي ﷺ إلى قبره الشريف الذي هو أفضل من العرش والكرسي، فغسله عليّ ﷺ بالماء البارد في ثوبه، ومعه العباس وولده الفضل[٢]، وأسامة بن زيد يصب الماء، ثم كفنوه في ثلاثة أثواب تحت السقف وحوله ستر ولم يخرج منه شيء كالأموات، فقال علي ﷺ: ما أطيبك حيًا وميتًا يا رسول الله.

ثم دخلوا الناس فصلوا عليه فرادى بغير إمام، ثم بعدهم النساء، ثم الصبيان.

وقيل: أول من صلى عليه ربه ﷻ، ثم الملائكة، ثم الأنبياء، ثم ألحده أبو طلحة من ليلة الأربعاء في الموضع الذي مات فيه ﷺ، وقيل: ليلة الثلاثاء، وعمره ثلاث وستون سنة.

قال سفيان الثوري رحمه الله: من بلغ ثلاثًا وستين سنة، فليستعد للكفن.

فلما دفن ﷺ[٣] قال هذه الأبيات، وحكاها القرطبي في آل عمران عن صفية عمة النبي ﷺ ورضي الله عنها:

ألا يا رسول الله كنت رجـــانا ... وكنت بنا برًا ولم تكن جـــافيا
وكنت بنا برًا رحيمًا وهـــــاديا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقـــــده ... ولكن لهرج بعده كـــان آتـــيا
أفاطم صلى الله رب محمــــــد ... على جسد أمسى بيثرب ثـــاويا

---

(١) قال الذهبي: عن التيمي، قال: لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة فقال: ابسط يدك لأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة لعمر: ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟.
وعن ابن سيرين: قال أبو بكر لعمر: ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال:إن قوتي لك مع فضلك. تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١).

(٢) الفضل بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ، أبو عبدالله، أبو العباس المدني القرشي الهاشمي، صحابي شهير، أخرج له الستة، توفي في خلافة عمر. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١١٠)، الكاشف (٢/ ٣٨٢)، الجرح والتعديل (٧/ ٦٣)، الثقات (٣/ ٣٣٠)، أسد الغابة (٤/ ٣٦٦).

(٣) روي عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح لأهل مكة، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة، فأرسل العباس خلفهما رجلين وقال: اللهم خر لرسولك، أيهما جاء حفر له، فجاء أبو طلحة، فلحد لرسول الله ﷺ. تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة، ذكر الصلاة عليه ﷺ.

فدىً لرسول الله بأمي وإخواني ... وعمي وآبائي ونفسي وخاليا

ولو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

قال القرطبي في تفسير آل عمران: فإن قيل: فلم أخر دفن النبي ﷺ[1] وهذا قد أمر بتعجيل الميت؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أنهم اختلفوا في موته ﷺ، فمنهم من أنكره حتى قال عمر: من قال: إن محمداً مات ضربت عنقه.

الثاني: أنهم اختلفوا في دفنه ﷺ، فمنهم من قال: يدفن في البقيع، ومنهم من قال: يدفن في المسجد، فقال الصديق الأكبر ﷺ: سمعته ﷺ يقول: «ما دفن نبي إلا حيث يموت»[2].

الثالث: إن الأنصار والمهاجرين اختلفوا في الخلافة، فلما وفق الله تعالى الفريقين لتولية أبي بكر ﷺ وتابعوه قاموا إلى تجهيزه ﷺ كما تقدم، ثم بايع الناس أبا بكر بيعة أخرى من الغد، وكشف الله به الكربة من أهل الردة، وأقام به الدين والحمد لله رب العالمين.

والبيعتان قبل دفنه ﷺ، فنسأل الله العظيم، وبجاهه[3] على ربه أن يجمع بيننا وبينه في الدار الآخرة.

ثم في كتاب السبعيات للهمداني رحمة الله عليه: قال أنس ﷺ: مررت بباب عائشة رضي الله عنها تقول في بكائها:

يا من لم يلبس الحرير، يا من لم ينم على فراش وثير، يا من لم يشبع من خبز الشعير، يا من اختار الحصير على السرير، يا من لم ينم الليل خوف السعير.

---

(١) روى أبو داود في سننه، عن عائشة: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميص، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣١).

(٣) هذه الصيغة من التوسل لا تجوز، حيث إن جاه النبي ﷺ من النبي، ويراجع في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، فإنها شافية كافية، وكذلك ما كتبه العلامة الألباني رحمه الله في كتابه التوسل، فإنه قد أجاد فيه وأفاد.

ثم حكى معاذ [(١)] رضي الله عنه أنه قال: كنت ليلة نائمًا باليمن لما وجهني رسول الله ﷺ أعلم أهله الإسلام، فرأيت قائلاً يقول: يا معاذ، أتنام ورسول الله تحت أطباق التراب، فاستيقظت مرعوبًا، ثم نمت فرأيت كذلك، ثم في أول الليلة الثالثة كذلك.

فأخذت المصحف نهاراً، فأول سطر قرأته: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، فبكى معاذ، فرحل ومعه رجل من اليمن ثم أتيا إلى المدينة وهو يقول: يا محمداه ليت شعري أين أنت فوق الأرض أم تحتها؟ فلما قرب من المدينة قال : سمعت هاتفًا يقول في بعض الأودية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، فدنوت فإذا هو رجل من الأنصار، فقال: يا معاذ، إن رسول الله ﷺ فارق الدنيا، فوقع معاذ مغشيًا عليه، فلما أفاق دفع له كتاب أبي بكر وعليه ختم بخاتم رسول الله ﷺ فقبله وبكى.

فلما دخل المدينة جاء إلى عائشة وفاطمة رضي الله عنهما وقال: السلام عليكم يا أهل البيت. فقالت فاطمة: قال رسول الله ﷺ: «**يا فاطمة أقرئي معاذًا مني السلام وأخبريه أنه يأتي يوم القيامة إمام العلماء**[(٢)]»، ثم إن معاذاً زار قبر النبي ﷺ فقالت فاطمة رضي الله عنها هذه الأبيات:

ماذا عليه من شم تربة أحمـــد ... أن لا يشم من الزمان غواليـا
صبت عليّ مصائب لو أنـــها ... صبت على الأيام صرن لياليا

● فائدة:

قال ابن الجوزي رحمه الله في كتاب (لقط المنافع) في الباب الثالث عشر في ذكر الطيب: أن الغالية من مسك وعنبر وكافور يخلط جميعًا بدهن البان واللينوفر وشمه يسكن الصداع البارد، وهي نافعة للدماغ البارد، وشم المسك نافع للوخم، وشم الصندل نافع من الصداع الحار، ويقوي الكبد والمعدة الحارين إذا طلي عليهما، ودهن الحواجب قبل الرأس بأي دهن ومرور المشط عليهما قبل الرأس أيضاً أو اللحية أمان من الصداع وتبدأ باليمين.

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن الخزرج أبو عبدالرحمن الأنصاري المدني الجشمي، من أعيان الصحابة شهد بدراً وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ومات بالشام، أخرج له الستة، توفي سنة (١٨)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٥٥)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٣٥٩)، أسد الغابة (٥/ ١٩٤)، أسماء الصحابة (٢/ ٨٠)، الاستيعاب (٣/ ١٤٠٢)، سير الأعلام (١/ ٤٤٣)، الحلية (١/ ٢٢٨)، أسماء الصحابة الرواة (٢٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ١٠٧).

وخرج البخاري رحمه الله تعالى عن أبي منظور [١] قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حمار أسود فكلمه رسول الله ﷺ فتكلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» . قال: يعفور [٢] ، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، وقد كنت أتوقعك أن تركبني، فإنه لم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك , وقد كنت قبلك لرجل يهودي، وكنت أتعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري.

فقال له النبي ﷺ: «يا يعفور» ، قال: لبيك. قال: «أتشتهي الإناث؟» قال: لا. فكان رسول الله ﷺ يركبه في حاجته، فإذا نزل عنه بعثه إلى باب الرجل يأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه برأسه أن أجب رسول الله ﷺ. فلما قبض النبي ﷺ جاء الحمار إلى بئر الهيتم فتردى فيها حزنًا على رسول الله ﷺ، فصارت قبره.

وعن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته: «يا أخي يا جبريل، من لأمتي؟» ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام: أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته، وبشره أنه أسرع الناس خروجًا من الأرض إذا بعثوا، وسيدهم إذا جمعوا، وإن الجنة محرمة على جميع الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك. فقال ﷺ: «الآن قرت عيني وطاب قلبي» [٣].

ولما حضره ﷺ الموت كان عنده قدح فيه ماء، فكان يدخل يده فيه ويمسح بها وجهه ثم يقول [٤] : «اللهم أعني على سكرات الموت، اللهم يا من لا يفوته فوت اكفنا همَّ الموت وما بعد الموت برحمتك يا أرحم الراحمين» .

وروى سعيد بن المسيب رحمه الله: فقام على قبر فاطمة رضي الله عنها وقد انصرف الناس وقال:

لكل اجتماعين من خليلين فرقة ... وإن بقائي بعدكم لقليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد ... دليل على ألا يدوم خليل
أدى علل الدنيا عليّ كثيرة ... وصاحبها بعد الممات عليل

(١) أبو منظور شامي أخرج له أبو داود. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٤٧)، التقريب (٢/ ٤٧٧)، لسان الميزان (٧/ ٤٨٥)، التاريخ الكبير (٩/ ٧٥)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٤٧)، المغني (٧٧٥٥).

(٢) ذكر الذهبي في دواب النبي ﷺ: كانت له بلغة أهداها له المقوقس شهباء يقال لها: دلدل، مع حمار يقال له: عفير، وبغلة يقال لها : فضة، أهداها له فروة الجذامي مع حمار يقال له: يعفور. تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة، باب سلاح النبي ﷺ ودوابه.

(٣) انظر الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٦٤)، (٧/ ٧٧)، وابن ماجه في سننه (١٦٢٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٢٠٨)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٣)، (١٠/ ٢٦٣).

وروي أن ابنًا للإمام الشافعي مات فأنشأ يقول:

وما الدهر إلى هكذا فاصطبر ... له رزية مال أو فراق حبيب

وحكي: أن بعض العرب مات والده، فجهزه وكفنه وصلى عليه وجاء به إلى القبر، فلما أراد الملقن أن يلقنه فقال له: بالله عليك يا هذا تنح عن والدي حتى ألقنه أنا، ثم تقدم إلى القبر بانكسار قلب وقال: إلهي وسيدي ومولاي وعالم سري ونجواي نحن العرب العاربة، لا ندري ما تقول البادية، إلى ضرة إذا نزل بنا أكرمناه وأضفناه، وإن هذا والدي قد نزل بك وهو ضيفك في هذه الليلة فاجعل قراه وكرمه ضيافتك وعفوك ومغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرف عنه، فرآه في المنام فقال له: يا والدي ما فعل الله بك؟ قال: عفا عني وغفر لي ورحمني، وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

وقيل للخضر عليه السلام : ما أعجب ما رأيت في عمرك؟ فقال: أعجب ما رأيت أنني مررت في بعض الطرق على برية ليس فيها ماء بل هي أرض معطشة، ثم غبت عنها خمسمائة سنة، ثم عدت إليها فوجدتها مدينة مثمرة بالأشجار والأنهار.

فقلت لبعض ما هو بها: من كم سنة عمرت هذه المدينة؟ فقال: سبحان الله، نحن ما نعرف وأباؤنا وأجدادنا إلا هذه المدينة على هذه الحالة، فغبت عنها خمسمائة سنة ثم عدت إليها فوجدتها بحرًا عظيمًا، ووجدت صياد فقلت له: يا صياد، وأين المدينة؟ فقال: سبحان الله، وهل كان هاهنا مدينة، ما سمعت بهذا قط، ثم غبت عنها خمسمائة عام وأتيت إليها ، فإذا هي مدينة عامرة بالخلائق، كما كانت أول مرة، فاعتبروا يا أولي الأبصار. شعر:

أنوح على رسم الديـــار كأنـــني ... من النوح في الأراك قمرية ثكــــلا
وقد هتفت في جنح ليل حمـــامــة ... مطوقة ناحت فقلت لها مهــــــلا
لعمري لو كانت كمثلي حزيـــنة ... لما اكتحلت بالكحل مقلتها الشهـــلا
فأقسم بالبيت الحرام وما حـــوى ... ومن طاف حول البيت سبعًا ومن صلى
ومن صاحب المختار في الغار وحده ... وأنفق أموالاً عليه وما كـــــلا [1]
فإني على ما تعهدون من الوفـــا ... مقيم ولم أقطع بوصلكمو أجــــلا

---

(١) يقصد بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وهذه الصيغة من القسم لا تجوز، بل فيها شرك بالله تعالى، وهو من الشرك الأصغر الذي لا يخلد صاحبه في نار جهنم، ولكنه إذا تكاثر على العبد أهلكه، وهو آفة عم البلاء بها في زماننا، وقد قال ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»، وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». فوجب التنبيه على ذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

ذكر فضائل هذه الأمة المرحومة زادها الله شرفًا، وذكر بعض ما فيها من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم، وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس عليهم الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[١] [البقرة: ١٤٣]، أي خيارًا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، الآية.

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، أي خلقتم، وقيل: كان بمعنى صار، أي صرتم خير أمة؛ لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وقال ﷺ: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه»[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه: أعطى الله أمة محمد ﷺ تشريفًا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.

ثم قال: عندي أشرف من هذا، قال الله تعالى لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، وقال لإبراهيم: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقال لموسى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، وقال لعيسى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، وقال لأمته ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضًا: دخل النبي ﷺ على أم هانئ فنام عندها وضحك في نومه ثلاث مرات، فلما استيقظ سألته فقال: «قال جبريل: إن الله وهبك جميع أمتك، فضحكت،

---

(١) الوسط هنا: الخيار، والأجود كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه، أي أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب. تفسير ابن كثير (١/ ١٩٠).

(٢) أخرجه ابن عدي في الضعفاء (٦/ ٢١٠٤)، وذكره الهندي في كنز العمال (٥٥٦٤).

(٣) مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة، قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل به جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموافق الذي لم يبتل بمعصية أصلًا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلًا، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه. النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢).

وسمعت صوتًا فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: صوت الجنة تقول كل يوم خمس مرات: واشوقاه إلى أمة محمد، وعرضت علي الأمم فرأيت أمتي وجوههم كالقمر ليلة البدر» .

وعن سعد بن أبي وقاص -أحد العشرة- ﵁: خرجنا مع النبي ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبًا من «عزورا» نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجدًا، ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة، ثم خر ساجدًا، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خر ساجدًا، فسألناه عن ذلك قال: «سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلثها فسجدت شكرًا لربي، ثم سألته فأعطاني ثلثها، فسجدت لربي شكرًا، ثم سألته فأعطاني الثلث الأخير فسجدت لربي»، رواه أبو داود.

وفي الخبر: «خلق الله تعالى للعرش ثلاثمائة برج، طوله ألف عام، وبين البرج والبرج كذلك، وخلق بينهم ملائكة كالجن والإنس، يقولون: اللهم اغفر لعصاة أمة محمد ﷺ» .

● لطيفة:

قال في كتاب البركة: نزل جبريل على محمد ﷺ سبع مرات:

الأولى: يقول الله تعالى: يا محمد، من أطاعني من أمتك كما ينبغي جازيته كما ينبغي.

والثانية: انظر إلى جوارحه فإن عصاني بستة وأطاعني بواحدة وهبت الستة له.

الثالثة: من تاب منهم من المعصية أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الرابعة: من أصر منهم على ذنبه ابتليته بالأسقام حتى أطهره من ذلك.

الخامسة: من أنب ذنبًا يعلم أنه أساء غفرت له ولا أبالي.

السادسة: أفتح عليهم الهاوية أربعين يومًا، والزمهرير أربعين يومًا في الدنيا، ليكون ذلك حظهم من النار يوم القيامة.

السابعة: إذا قامت القيامة أحاسبهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف.

● حكاية:

قال وهب بن منبه رحمه الله: اشتريت جارية أعجمية فأصبحت فصيحة فسألتها عن ذلك. فقالت: رأيت في المنام كأن الدنيا صارت جمرة نار، وفيها طريق إلى الجنة، فأقبل موسى على الطريق وخلفه اليهود، فالتفت إليهم وقال: أنا أمرتكم أن تتهودوا فسقطوا يمينًا وشمالاً. ثم أقبل عيسى وخلفه النصارى، فالتفت إليهم وقال: أنا أمرتكم أن تتنصروا، فسقطوا يمينًا وشمالاً.

ثم أقبل محمد ﷺ ومعه أمته، فالتفت إليهم، وقال: أنا أمرتكم أن تؤمنوا بربكم، فآمنتم فلا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فمروا خلفه حتى دخلوا الجنة، وبقيت أنا مع امرأتين على النار.

فقال الله تعالى: انظروا هل قرأتا شيئًا من القرآن؟ فقال مالك: هل قرأتما الفاتحة؟ قالتا: نعم. فقال: ادخلا الجنة. فانتبهت فعلمني يا مولاي الفاتحة. قاله في روض الأفكار.

● موعظة:

قال النبي ﷺ: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدقها لم ينلها وقد خلق الله تعالى نهرًا من نور تحت العرش طوله خمسمائة عام، فيه ملك ترعد فرائصه إلى يوم القيامة، فقال له ملك آخر: ما لي أراك ترعد؟ قال: فرقًا أن يمكر بي كما فعل بإبليس»، وبالله المستعان.

وأما استغفار الملائكة والدعاء لهذه الأمة من الأنبياء وغيرهم فلا يخفى.

وقد قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: اللهم لا تعذب أحدًا من أمة محمد ﷺ، فقال جبريل: الله أكبر، الله أكبر، فقال إسماعيل: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: والله أكبر الله أكبر ولله الحمد [1].

قال النسفي وغيره: خلق الله العرش على ثلثمائة وستين قائمة، كل قائمة دور الدنيا، بين القائمة والقائمة خمسمائة عام.

وذكر العلائي في سورة سبحان: قال عمر بن الخطاب ليهودي: قال النبي ﷺ: «ويحك يا يهودي أما تجد في التوراة سبعين مسألة سألها موسى رب العالمين، وسأل الشفاعة في ذلك يقول: أي رب، اجعلها لي، فيقول: لا، هي لعبدي أحمد». قال: «ويحك يا يهودي، أما تجد في التوراة أن اسمي مكتوبًا على العرش ويقول الله ﷻ: وعزتي وجلالي، لا يقول عبدٌ من عبادي مخلصًا من قلبه يصدق به لسانه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا أعطيته يوم القيامة أمانًا من النار». قال: اللهم نعم. قال: «ويحك يا يهودي، أما تجد في التوراة مكتوبًا: أني أقوم يوم القيامة على التل الرفيع بيدي لواء الحمد ليس ملك مقرب ولا نبي مرسل هو أقرب إلى الرحمن مني؟» قال: اللهم نعم. قال: «ويحك يا يهودي أما تجد في التوراة أني أول من يقرع باب الرحمن؟». قال : اللهم نعم.

قال: «ويحك يا يهودي، أما تجد في التوراة أني أول ساجد يوم القيامة، وأول مسلم مرة أقوم على حوضي، ومرة أقوم عند العرش، أقول: أمتي أمتي؟» .

---

(١) تلك صفة التكبير الشرعي يوم العيد: (الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد).

فقال اليهودي: اللهم نعم، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال في عقائق الحقائق: قال جعفر الصادق: خلق الله تعالى ثلاث بسط من نور، سعة كل بساط ألف عام ، فسمى الأول: بساط القربة , والثاني: بساط الخدمة , والثالث: بساط الحبة، فأجلس نور محمد ﷺ على كل بساط ألف عام، ثم أمره أن يصلي على بساط الخدمة ركعتين، فبقي في تكبيرة الإحرام ألف عام، وفي القيام كذلك، وفي الركوع كذلك، وفي الاعتدال كذلك، وفي السجود كذلك، وفي الجلوس بين السجدتين كذلك، وفي السجدة الثانية كذلك، وهكذا في الركعة الثانية، وبقي السلام عن اليمين ألف عام، وفي السلام على الشمال كذلك.

ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم إني روح لحليم، فاجعلني في يد عزيز وابعثني إلى خلقك ليؤمنوا بوحدانيتك وأدعوهم إلى خدمتك، فإن قصروا فأنت الموصوف بالكرم والرحمة من الأزل إلى الأبد، واقبل شفاعتي فيهم ، فأجابه الحق سبحانه: أقبل شفاعتك فيهم وأجود عليهم بالرحمة.

وعن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «أي الإيمان أعجب؟» قال: إيمان الملائكة. قال: «وأي عجب، وقد شاهدوا الملكوت» قالوا: فإيمان الأنبياء، قال: «وأي عجب، يسمعون خطاب المشاهد» ، قالوا: فإيماننا، قال: «وأي عجب، وقد رأيتموني ورأيتم المعجزات» . قالوا: فأي الإيمان أعجب؟ قال: «إيمان قوم يأتون من بعدي يؤمنون بسواد علي بياض».

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رجل: يا نبي الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. قال[١]: «طوبى لمن آمن بي ورآني، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى – قالها سبع مرات – لمن آمن بي، ولم يرني» .

قال ﷺ [٢] : «إن من أشد أمتي لي حبًّا: ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله» . ذكره في الشفا.

وفي حديث آخر قالوا: يا نبي الله، من آمن بك وصدقك ولم يرك ماذا لهم؟ قال: «طوبى لهم، طوبى لهم، أولئك منا ومعنا، أولئك منا ومعنا» .

● حكاية:

اجتمع قوم من المهاجرين والأنصار وبني هاشم، فقال الأنصار: نحن أحق به لأنا قاتلنا معه وآويناه ونصرناه. وقالت المهاجرين: نحن أحق به لأننا هاجرنا معه وفارقنا أوطاننا. وقال بنو هاشم: نحن قومه وعشيرته، فنحن أحق به.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٦٤)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٥٤).

(٢) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٧٥).

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال للأنصار [(١)] : «أنا أخوكم» ، فقالوا: الله أكبر، فزنا به ورب الكعبة.

وقال للمهاجرين: «أنا منكم» ، فقالوا: الله أكبر، فزنا به ورب الكعبة.

وقال لبني هاشم: «أنتم مني» ، فقالوا: الله أكبر، فزنا ورب الكعبة.

وقيل: إنه ﷺ بكى عند الموت، فسأله جبريل عن ذلك، فقال: «أخاف على أمتي أن يعذبهم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

فغاب جبريل ثم قال: الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: نم طيب النفس على أمتك، فإن شفقتي عليهم أكثر من شفقتك، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وعن النبي ﷺ: «كتب الله كتابًا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة أس، ثم وضعها على العرش، ثم نادى: يا أمة محمد، إن رحمتي سبقت غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني» [(٢)] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أمتي أمة مرحومة، لا عذاب عليها في الآخرة، عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب، فقيل: هذا فداؤك من النار» [(٣)] .

وفي صحيح البخاري[(٤)]: قال النبي ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» . قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغهم غيرهم. فقال : «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

قال البرماوي في شرح البخاري: فإن قيل: فلا يبقى في الغرف أحد؛ لأن أهل الجنة كلهم مؤمنون مصدقون قبل المصدقين بجميع الرسل، وهم أمة محمد ﷺ، فيبقى المؤمنون من غيرهم من الأمم في الغرف.

---

(١) روى البخاري في مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنصار كرشي وعيبتي، وإن الناس سيكثرون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦)، والبيهقي في الأسماء والصفقات (٣١٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٢٩)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٧٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ١٤٣)، ومسلم في صحيحه (١١-٢٨٣١)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ٣-باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، والترمذي (٢٥٥٦)، كتاب صفة الجنة، ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٠).

وقوله: الدري، أي عظيم البرق، سمي بذلك لبياضه كالدر.

وقوله: الغابر [١] بالغين المعجمة، ويقرأ بالباء الموحدة، وبالياء المثناة تحت، وهو الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.

● لطيفة:

أضاف الله تعالى هذه الأمة إلى نفسه الكريمة، فقال: عبادي. وأضافهم إلى آدم فقال: يا بني آدم. وأضافهم إلى نوح فقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾. وإلى إبراهيم فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. وإلى محمد ﷺ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فإذا كان يوم القيامة يقول آدم: أولادي، ونوح يقول: شريعتي، وإبراهيم يقول: أهل ملتي، ومحمد ﷺ يقول: أمتي، الله تعالى يقول: عبادي، انطلقوا بهم إلى الجنة.

● فائدة:

لو قال الكافر للمسلمين: «أنا مثلكم» أو «أسلمت»، لم يحكم بإسلامه، ولو قال: «أنا من أمة محمد ﷺ». قال البغوي: حكمنا بإسلامه وأقره الرافعي والنووي رحمهما الله، وكذا لو قال: آمنت بمحمد النبي لا بمحمد الرسول؛ لأن الرسول قد يكون من غير الله تعالى. قاله في الروضة.

● فائدة:

الأمة [٢] من الناس: أربعون رجلاً إلى المائة.

والرهط: ما دون العشرة، وقيل: ما دون الأربعين، ليس فيهم امرأة.

قاله البرماوي في شرح البخاري.

وفي الكشاف: الرهط، من الثلاثة إلى العشرة.

والركب: أصحاب الإبل العشرة فما فوقها.

---

(١) قال النووي: معنى الغابر: الذاهب الماشي، أي الذي تدلى للغروب، وبعد عن العيون، وروي في غير مسلم: الغارب بتقديم الراء وهو بمعنى ما ذكرناه، وروي العازب، بالعين المهملة والزاي ومعناه البعيد في الأفق وكلها راجعة إلى معنى واحد. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٤٠).

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ قال ابن كثير: أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان له بئر يرده رعاء الشاء ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾، أي جماعة يسقون. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٧).

والنفر: من الثلاثة إلى التسعة، وقيل: إلى العشرة.

والعُصبة: بضم العين ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وبفتح العين (والباء) [١] لمن يحوز جميع المال إذا لم يكن معه صاحب فرض، كرجل مات ولا وارث له غير عمه، فالمال للعم، فهذا عصبة بنفسه، ومثله بيت المال، والمعتق وعصبة بغيره البنت، وبنت الابن، والأخت الشقيقة والأخت لأب كل واحدة بأخيها، وعصبة مع غيره الأخوات من البنات أو بنات الابن أو القوم.

قال الإسنوي رحمة الله عليه: اسم جمع للذكر خاصة، فلو أوصى لقوم زيد أو وقف عليهم لم تدخل الإناث.

والطائفة [٢] في اللغة عبارة عن : الجماعة.

وقال ابن عباس: الواحد طائفة، وعشيرة الرجل وعشرته: أهله الأقربون، وخص المتولي القبيلة والعشيرة بقرابة الأب، قاله في الروضة.

والذرية والعقب والنسل يدخل فيه أولاد البنين والبنات، وإن أخذوا وقفًا ووصية؛ لأن الله تعالى ذكر في ذرية إبراهيم: ﴿ وَدَاوُردَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، مع أنه ابن البنت.

والبضع[٣]: من الثلاثة إلى التسعة، وقيل: إلى العشرة.

والوسط -بسكون السين-: ظرف مكان، تقول: زيد وسط الدار. وبالفتح اسم، تقول: ضربت زيداً. والكوفيون لا يفرقون بينهما ويجعلونهما ظرفين، وفرق ثعلب وغيره فقالوا: ما كان أجزاؤه تنفصل بعضها عن بعض كالقوم فبالسكون وما لا كالدار فبالفتح والله تعالى أعلم.

● مسألة:

لو قال لزوجاته الأربع وهن بين يديه: وسطكن طالق، وقع الطلاق على إحدى الوسطين، ويعينها الزوج ، قاله في الروضة من زياداته. وقال الرافعي بعدم الطلاق؛ لأن الأربعة لا وسط لها.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) الطائفة: الجموعة من الشيء، وجماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، وفي علم الأحياء: وحدة تصنيفية كالحشرات من الحيوان.

(٣) البضع في العدد: من الثلاث إلى التسعة، تقول: بضعة رجال، وبضع نساء، ويركب مع العشرة، فتقول: بضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأة، وكذلك يستعمل مع العقود، فتقول: بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة، ولا يستعمل مع المائة ولا مع الألف.

فصل في ذكر إبراهيم عليه السلام

ابن آزر- وهو تارخ [(١)] - بمثناة فوق، وفتح الراء وحاء مهملة. قال العلائي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾.

قال النبي ﷺ: «أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة، أما إبراهيم فيقول: أنت دعوتي فاجعلني في أمتك»[(٢)]، ذكره في الشفا أيضًا.

● حكاية.

رأى إبراهيم ﷺ في منامه جنة عرضها السموات والأرض، أشجارها: لا إله إلا الله، وأغصانها: محمد رسول الله، وثمارها: سبحان الله والحمد لله، مكتوب على أبوابها: أعدت لمحمد وأمته، فلما أصبح قص رؤياه على قومه، فقالوا: ومن محمد؟ قال: لا أعلم.

فجاءه جبريل وقال: إن الله تعالى يقول: محمد حبيبي وخيرتي من خلقي، لولاه ما خلقت الدنيا، ولا الجنة ولا النار، هو آخر نبي في الدنيا، وأول شافع في القيامة[(٣)]، وأمته أكرم الأمم عليّ، والجنة حرام على الخلق حتى يدخلها محمد وأمته.

قال مقاتل: ذكر الله تعالى إبراهيم في القرآن في واحد وسبعين موضعًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ [(٤)] [الأنبياء : ٥١] ، أي صلاحه وهداه ﴿مِن قَبۡلُ﴾، أي من قبل بلوغه. قاله الكواشي.

وقال ابن عباس: من قبل موسى.

وسماه الله تعالى شجرة بقوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ [النور:٣٥]؛ لأن أكثر الأنبياء من ذريته، وكان مولده في زمن النمروذ، فبينما هو في داره، وإذا بطائرين أبيضين،

---

(١) قال الضحاك عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، وإنما كان اسمه تارخ، رواه ابن أبي حاتم وقال أيضًا بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ يعني بآزر الصنم وأبو إبراهيم اسمه تارخ وأمه اسمها ساني وامرأته اسمها سارة، وأم إسماعيل اسمها هاجر، وهي سرية إبراهيم، وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إن اسمه تارخ، وقال مجاهد والسدي: آزر اسم صنم، قلت: كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم، والله أعلم. تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٣).

(٢) أخرجه القاضي عياض في الشفا (١/ ٤٠١)، وفي مناهل الصفا للحمزاوي (٣٣).

(٣) حديث: «أنا أول شافع وأول مشفع» ، أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٣٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٠)، (٥/ ٩٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٨٥، ٤٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧٠).

(٤) يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ، أنه آتاه رشده من قبل ، أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى : ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾، تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٦).

فقال أحدهما: ويلك يا نمروذ، أنا طير المشرق، وهذا طير المغرب، وقد جائتنا البشارة بظهور إبراهيم، فإذا دعاك إلى الله ، فلا تكذب. فأخبر آزر[١] بذلك، فقال: لعلهما من مردة الجان.

ثم نام تلك الليلة فرأى في منامه رجلاً بين عينيه نور عظيم، فضربه فقلع عينه، فسأل المعبرين عن ذلك؟ فقالوا: لعل هذا من أخلاف الأطعمة. فإذا خرجوا من عنده قال بعضهم لبعض: هذه الرؤيا تدل على زوال ملكه.

ثم نام فرأى في منامه كأن القمر خرج من ظهر آزر، واتصل نوره من الأرض إلى السماء، وسمع قائلاً يقول: جاء الحق، فأخبر آزر بذلك، وقال: هذا من كثرة عبادتي للأصنام وخدمتي لهم.

ثم نام النمروذ في تلك الليلة الثالثة ، فرأى كأن سريره قد استدار بالأسرة. وإذا برجل على سريره وهو من أحسن الناس وجهًا في يده اليمين الشمس، وفي الأخرى القمر، فقال: اعبد إلهك. قال: وهل من إله سواي [٢] ؟ قال: نعم، إله السماء والأرض، ثم قال لسريره: تزلزل بقدرة، فتزلزل حتى سقط النمروذ عنه، فانتبه مرعوبًا، فأخبر آزر بذلك،

---

(١) كان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾، وثبت في الصحيح: «إن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر: يا بني اليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: أي رب ألم تعدني أنك لا تخزني يوم الدين، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال: يا إبراهيم انظر ما وراءك؟ فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»، تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٣).

(٢) في مجادلة النمروذ خليل الله إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أؤتى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جوابًا لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه مانع لوجود الصانع وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادًا ومكايدة ويوهم أنه فاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيى ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابدة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيى ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما تدعي تحيي وتميت، فائت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابدة في هذا المقام بهت، أي أخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة، قال الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي لا يلهمهم حجة ولا برهانًا، بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين: أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح، ومنهم من قال: قد يطلق عبارة ترديه، وليس كما قالوه، بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني، ويبين بطلان ما ادعاه نمروذ في الأول والثاني ولله الحمد والمنة، وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمروذ بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم، فجرت بينهما هذه المناظرة، وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد ابن أسلم أن النمروذ كان عنده طعام وكان الناس يفدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣).

فقال: هذا يدل على زيادة الملك.

ثم نام، فرأى نوراً ساطعًا من الأرض إلى السماء ورأى رجالاً يصعدون ويهبطون، وإذا برجل جميل، قالوا له: بك تحيا الأرض بعد موتها.

فأخبر الكهان بذلك، وقال: إن لم تخبروني بهذه الرؤيا وإلا عذبتكم، فقالوا: أمهلنا ثلاثة أيام، فلما خرجوا من عنده قالوا: لآزر، هذه الرؤيا تدل على مولود من أقرب الناس إلى النمروذ ينازعه في ملكه، فخذ لنا الأمان منه حتى نخبره، ففعل.

وقال: يا آزر، أنت أقرب الناس إليّ، وفلان فضرب عنقه، وأعماه الله عن آزر.

ووكل الذباحين بالحوامل، فذبحوا مائة ألف غلام. وفي العرائس: إنه عزل الرجال عن النساء، فإذا حاضت المرأة تركها مع زوجها [1]، فإذا طهرت عزلها، فدخل أزر على زوجته فواقعها، فحملت بإبراهيم، فلما كانت ليلة الولادة دخلت بيت الأصنام ليخففوا عنها الألم، فوقعت الأصنام عن الأسرة، فخرجت مرعوبة فرآها النمروذ فقال: من هذه؟ قالوا: امرأة وزيرك آزر – ومعناه الأعرج– وقيل: الشيخ الهرم.

---

(١) نهى الشرع عن الاقتراب من الحائض لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة :٢٢٢]. يعني الفرج، ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج. قال النووي: اعلم أن مباشرة الحائض أقسام: أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج، فهذا حرام بإجماع المسلمين، بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة. قال أصحابنا: ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض في فرجها صار كافراً مرتداً، ولو فعله إنسان غير معتقد حله فإن كان ناسيًا أو جاهلاً بوجود الحيض أو جاهلاً بتحريمه أو مكرهًا فلا إثم عليه، ولا كفارة، وإن وطئها عامداً عالمًا بالحيض والتحريم مختاراً فقد ارتكب معصية كبيرة، نص الشافعي على أنها كبيرة، وتجب عليه التوبة وفي وجوب الكفارة قولان للشافعي، أصحهما وهو الجديد، وقول مالك وأبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين وجماهير السلف: أنه لا كفارة عليه، وممن ذهب إليه من السلف: عطاء وابن أبي مليكة والشعبي والنخعي ومكحول والزهري وأبو الزناد وربيعة وحماد بن أبي سليمان وأيوب السختياني وسفيان الثوري والليث بن سعد رحمهم الله تعالى، والقول الثاني: وهو القديم الضعيف: أنه يجب عليه الكفارة، وهو مروي عن ابن عباس والحسن البصري وسعيد بن جبير وقتادة والأوزاعي وإسحاق وأحمد في الرواية الثانية عنه، واختلف هؤلاء في الكفارة فقال الحسن وسعيد: عتق رقبة، وقال الباقون: دينار أو نصف دينار على اختلاف منهم.

القسم الثاني: المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذكر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس وهو حلال باتفاق العلماء.

القسم الثالث: المباشرة فيما بين السرة والركبة في غير القبل والدبر وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا، أصحها عند جماهيرهم وأشهرها في المذهب: أنها حرام، والثاني: أنها ليست بحرام، ولكنها مكروهة كراهة تنزيه، وهذا الوجه أقوى من حيث الدليل وهو المختار. والوجه الثالث: إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من نفسه باجتنابه إما لضعف شهوته وإما لشدة ورعه، جاز وإلا فلا، وهذا الوجه حسن ، قاله أبو العباس البصري من أصحابنا، وممن ذهب إلى الوجه الأول وهو التحريم مطلقًا: مالك وأبو حنيفة، وهو قول أكثر العلماء منهم: سعيد بن المسيب وشريح وطاوس وعطاء وسليمان بن يسار وقتادة، وممن ذهب إلى الجواز: عكرمة ومجاهد والشعبي والنخعي والحكم والأوزاعي والثوري وأحمد بن حنبل. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٧٥-١٧٧).

فأراد أن يقول: اقبضوا عليها، فتحول لسانه وقال: اتركوها، فوضعته في مغارة وسدت عليه، وكانت تتعاهده، فرأته يمص من إحدى أصابعه لبنًا، ومن الأخرى عسلاً.

قيل: ولدته بين الكوفة والبصرة، وقيل: بقرية من قرى دمشق يقال لها: برزة.

قال العلائي: والأشهر من الأقوال أنه ولد بأرض العراق، ولما هاجر(١) إلى الشام تعبد في المقام ببرزة، فلما بلغ سنة، كان أول كلامه أن قال: يا أماه من ربي؟ قالت: أنا، قال: من ربك؟ قالت: أبوك، قال: من رب أبي؟، قالت: النمروذ، قال: من رب النمروذ؟، فلطمت وجهه(٢).

وفي العرائس: لم يمكث إبراهيم في السرب(٣) الذي أخفته أمه فيه إلا خمسة عشر يومًا، يوم كالشهر، والشهر كالسنة.

ثم طلب الخروج بعد غروب الشمس، فأخرجته أمه واسمها نونا، فنظر إلى الدواب فقال: ما هذه؟ قيل: إبل وبقر وخيل، فقال: لابد لها من رب وخالق.

ثم نظر إلى السماء، فقال: يا أماه، ما هذه القبة الخضراء المستديرة على الأقطار؟ وما هذه الأشجار والجبال والخلائق، فيهم الطويل والقصير، والقوي والضعيف، والغني والفقير من صنع هذا كله، قالت: النمروذ.

ثم في آخر الليل رأى كوكبًا فقال: هذا ربي، ثم طلع القمر، فقال: هذا ربي، ثم

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك. وقال قتادة: هاجرا جميعًا من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى الشام. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٤).

(٢) النمروذ هو الذي حاج إبراهيم في ربه، وهو ملك بابل، نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال: نمروذ بن فالخ بن عابد بن شالخ بن إرفخذ بن سام بن نوح، والأول قول مجاهد وغيره، قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، المؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبختنصر، والله أعلم. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣).

(٣) ما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل فما وافق منها الحق بما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصل له، مما ينتفع به في الدين ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة. انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٦، ١٨٧).

طلعت الشمس فقال: هذا ربي، فقالت أمه لأبيه: هذا المولود يقول الذي يغير ديننا. فبلغ النمروذ، فقال: يا إبراهيم من تعبد (١) ؟.

قال: الرب، قال: وأي رب ؟ ، قال : رب العالمين ، فقيل : النمروذ هو الرب، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ الآية [الشعراء: ٧٨]، قال: فصف لي ربك؟ قال: يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت. ثم دعا برجلين عليهما القصاص، فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب، فتحير النمروذ.

وكان جبريل أمام إبراهيم، فقال الله: يا جبريل، إن قال النمروذ: «أنا الذي أتيت بها من المشرق»، فاقلب الفلك، فأت بها من المغرب.

ثم قال أبوه: يا إبراهيم، لو خرجت إلى عيدنا لأعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان في أثناء الطريق نظر في النجوم أي فيما نجم له من الرأي (٢) .

قالت عائشة رضي الله عنها: كان علم النجوم من النبوة، ثم بطل ، فقال : ﴿إِنِّى سَقِيمٞ﴾، لأن كل من يموت يسقم، وقيل: إنه كان محمومًا في تلك الساعة، فرجع إلى بيت الأصنام وأخذ فأسًا فجعلهم جذاذًا، أي قطعًا، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر.

● **مسألة:**

قال القاضي أبو الطيب رحمه الله: الحيلة جائزة. واستدل بما فعله إبراهيم وبقوله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ﴾. فلو قال لزوجته: إن دخلت الدار

---

(١) في الحوار الذي دار بين خليل الله إبراهيم عليه السلام والنمروذ قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُ﴾ قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم ولا في معناه لأنه مانع لوجود الصانع وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة ويوهم أنه فاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت كما اقتدى به فرعون في قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِى﴾ ولهذا قال إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٣).

(٢) قال ابن كثير: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيد لهم فاحب ان يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلامًا هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾. قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة: أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهيهم به، فقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٞ﴾ ، أي ضعيف. تفسير ابن كثير (٤/ ١٣).

فأنت طالق ثلاثًا، فالحيلة[1] أن يخلعها على عوض، ثم تدخل الدار، ثم يتزوجها فتنحل اليمين بواحدة، وإن تزوجها بعد الخلع، وقبل دخولها الدار فلا يقع الطلاق أيضًا.

ولو قال لعبده : إن دخلت الدار فأنت حر، فالحيلة أن يبيعه أو يهبه، فإذا دخل الدار لا يقع العتق ويسترده من الذي اشتراه ببيع أو هبة.

قال الزركشي في قواعده: والحيلة العامة أسهل من هذا بأن يقول: كلما طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثًا، فإذا دخلت الدار لا تطلق، وكذا لو قال لعبده: إن دخلت الدار فأنت حر، ثم قال: كلما وقع عليك عتقي فأنت حر قبله، فإذا دخل لا يعتق.

ولو حلف أن يضربه مائة سوط أو مائة قضيب فشد مائة وضربه بها ضربة واحدة يوفي يمينه، وإن شك في إصابة الجميع والله أعلم.

ولما رجع قوم إبراهيم إلى بيت الأصنام ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾؟ ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ[2] لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بالفعل، أو يشهدون عذابه الذي يعذبه به، فلما ظهرت عليهم الحجة بعد أن أجرى الله على ألسنتهم الحق بقولهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بعبادة ما لا ينطق.

فلما أدركتهم الشقاوة رجعوا إلى كفرهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾[3]، أي انقلبوا عن تلك الحالة التي أقروا على أنفسهم بالظلم إلى المجادلة (....)[4]، وبالباطل، فقال رجل من الأكراد: حرقوه، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

---

(١) وفي ذكر بعض الحيل: أورد أبو القاسم السمرقندي في كتابه الملتقط صـ ٤٥٨، قال في كتاب المخارج: مطلب الحيلة في وقوع الطلاق: إذا جحدوا طلاقها تخرج متنكرة فيقول إنسان: إنك تزوجت هذه، فينكر وكأنه لا يعرفها فيقول له: إن تزوجت هذه المرأة فهي طالق ثلاثاً فيقول له ذلك: فتخلص منه. وإذا حلف لا يبيع هذه الجارية من فلان، فباعها منه، ومن غيره لا يحنث، وكذلك إذا وهب نصفها وباع نصفها.

(٢) أي على رءوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام، أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تملك لها نصراً، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ يعني الذي تركه لم يكسر ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾، وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد. المرجع السابق (٣/ ١٨٨).

(٣) قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، قال قتادة: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، أي في الفتنة، وقال ابن زيد: أي في الرأي، وقول قتادة أظهر في المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزاً، ولهذا قالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أي إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله؟! ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٨).

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل.

قال القزويني: قال إبليس أنا مع الأكراد في راحة؛ لأنهم لا يخالفوني، فبنوا حظيرة طولها ثمانون ذراعًا وعرضها أربعون، ونادى النمروذ: أيها الناس، اجمعوا الحطب لنار إبراهيم، فكانت المرأة تنذر إن قضيت حاجتها لتحتطب لنار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري حطبًا بغزلها تتقرب بذلك في دينها . وكان المريض يوصي أن يشتري الحطب من ماله[(١)].

فلما جمعوا الحطب أوقدوا النار من كل جانب سبعة أيام، فلما أرادوا إلقاؤه عجزوا عن ذلك، فعلمهم إبليس صنعة المنجنيق، وأول من رمى به في الإسلام النبي ﷺ، فقيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق، فضجت السموات والأرض والملائكة ضجة واحدة وقالوا: ربنا خليلك يلقى في النار، وليس في الأرض أحد يعبدك غيره، فأذن لنا في نصرته، فقال تعالى: هو خليلي، ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه وليس له إله غيري، فإن استغاث بكم فأغيثوه، فإن لم يدع غيري فأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار[(٢)] جاءه خازن المياه وقال: إن أردت أخمدت النار بالماء، وجاءه خازن الهواء، وقال: إن أردت طيرت النار في الهواء. فقال: لا حاجة لي إليكم، حسبنا الله ونعم الوكيل. قال النبي ﷺ: «لما قيدوا

---

(١) قال السدي: حتى إن كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوضت أن تحمل حطبًا لحريق إبراهيم، ثم جعلوه في حومة من الأرض وأضرموها نارًا فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار قط مثلها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد، قال شعيب الجبائي: اسمه: هيزن، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل. المرجع السابق (٣/ ١٨٩).

(٢) قال شعيب الجبائي، كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة والله أعلم، وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما من الله فلي. وقال سعيد بن جبير، ويروى عن ابن عباس أيضًا قال: لما ألقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول: متى أومر بالمطر فأرسله؟ قال: فكان أمر الله أسرع من أمره، قال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: لم يبق نار في الأرض إلا طفئت. وقال كعب الأحبار: لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه، وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: لا تضربه. وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله ﷻ قال ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لآذى إبراهيم بردها. وقال جويبر عن الضحاك: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قالوا: صنعوا له حظيرة من حطب جذل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخمدها الله، قال: ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك.

وقال السدي: كان معه فيها ملك الظل. وعن ابن أبي حاتم بسنده عن المنهال بن عمرو قال: أخبرت أن إبراهيم ألقي في النار، قال: فكان فيها إما خمسين وإما أربعين. قال: ما كنت أيامًا وليالي قط أطيب عيشًا إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها. تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٩).

إبراهيم ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك».

قال العلائي رحمة الله عليه: لما أرادوا إلقاءه جاءه عشرة رجال، فلم يقدروا على وضعه في المنجنيق، فجاءه مائة فعجزوا، فجاءه مائتان فعجزوا عن ذلك، فقال: أراكم لا تطيقون إلقائي في النار، قالوا: نعم، قال: اذكروا اسم الله، فقالوا على وجه الاستهزاء: بسم الله الرحمن الرحيم، فرموه في النار.

فعارضه جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: ألا تستعين بربك في خلاص نفسك؟ قال: النفس معيوبة، فلا تسأل من رب طاهر. قال: أسأله روحك؟ قال: الروح عارية، والعارية مردودة. قال: اسأله قلبك؟ قال: القلب له يفعل به ما يشاء. قال: ألا تخاف النار؟ قال: من أوقدها؟ قال: النمروذ. قال: من حكم بذلك؟ قال: الجليل. قال: فالخليل راض بحكم الجليل. فقال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

قال الإمام النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء واللغات: فبردت النار من المشرق إلى المغرب.

● لطيفة:

موسى عليه الصلاة والسلام خاف من العصا [1] ، وإبراهيم ما خاف من النار؛ لأن الحية من الله، والنبي يخاف من صنعه سبحانه، والنار من صنع النمرود، والنبي لا يخاف من صنع غير الله.

فإن قيل: إبراهيم لما ألقي في النار لم ينزعج، وعند ذبح الولد انزعج؟

فالجواب: لما ألقي في النار كان نور محمد ﷺ في جبينه، وعند الذبح كان النور قد انتقل إلى إسماعيل.

وذكر في كتاب أنيس الجليس: ادعي جبريل القوة حتى قال: من قوتي أقلب السموات بأنملة واحدة.

فقال الله تعالى: إبراهيم أقوى منك، وهو في كفة المنجنيق، فنزل إليه وقال: ألك حاجة؟

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك، فلما عاين ذلك: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي لم يلتفت من شدة فرقه. المرجع السابق (٣/ ٣٦٩).

قال: نعم، تكون معي في النار، قال: فقال إبراهيم: أنا أضرب نار النمروذ بنار التوحيد، فرجع جبريل عن دعواه.

فقالت النار: يا رب أعمل بالطبع أو بالشرع، أي أعمل بطبعي وهو الإحراق، أو بالشرع فلا أعمل شيئًا إلا بإذنك.

فقيل لها : اعملي بالشرع، أي فلا تحرقي منه شيئًا، فلو لم يقل مولانا جل وعـلا : ﴿وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لمات من بردها، ولو لم يقل: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لكان بردها باقيًا على الأبد.

وقال العلائي: بعث الله جبريل إلى إبراهيم بقميص من الجنة، وقال: إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي، فلما رآه النمروذ –وهو بالذال المعجمة– سالمًا قال: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، فلما خرج قال: نعم الرب ربك لأذبحن له أربعة آلاف بقرة قربانًا له، قال: لا يقبل منك حتى تؤمن به، واستمر على كفره حتى أهلكه الله بالبعوض.

وقيل: إنه سجد لإبراهيم سجدة واحدة، فقال الله تعالى: لو كانت هذه السجدة لي لغفرت له.

● **فائدة:**

من سنن إبراهيم ﷺ: الختان [1] ، وهو أول من اختتن من الرجال، وأول من اختتن من النساء: هاجر، وأول من ثقبت آذانها.

قال السهيلي: وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة من أعضائها، فأمرها إبراهيم بثقب آذانها وخفاضها، أي بختانها [2] ، وكانت هاجر لجبار بالجرس بقرب بعلبك، توفيت ولها تسعون سنة، وعمر إسماعيل عشرون.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٥٨٨٩)، كتاب اللباس، باب قص الشارب، عن أبي هريرة: «الفطرة خمس: أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب» ، وكذلك مسلم في الطهارة، باب خصال الفطرة، وأبو داود في الترجل، باب (١٦)، والترمذي (٢٧٥٦)، والنسائي (١/ ١٤)، (٧/ ١٢٩–المجتبى).

(٢) قال النووي: الختان واجب عند الشافعي وكثير من العلماء وسنة عند مالك وأكثر العلماء وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعًا ثم إن الواجب في الرجل أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج والصحيح من مذهبنا الذي عليه جمهور أصحابنا أن الختان جائز في حال الصغير، ليس بواجب، ولنا وجه أنه يجب على الولي أن يختن الصغير قبل بلوغه، ووجه أنه يحرم ختانه قبل عشر سنين وإذا قلنا بالصحيح استحب أن يختن في اليوم السابع من ولادته وهل يحسب يوم الولادة من السبع أم تكون سبعة سواه، فيه وجهان، أظهرهما : يحسب، واختلف أصحابنا في الخنثى المشكل، فقيل: يجب ختانه في فرجيه بعد البلوغ، وقيل: لا يجوز=

وماتت سارة ولها مائة وسبع وعشرون سنة.

قال الغزالي رحمه الله في الإحياء: تثقيب آذان الصغير لتعليق الحلق حرام بالغ في إنكاره، وفي الرعاية للحنابلة: يجوز ذلك، ويكره للصبي.

وفي فتاوى القاضي خان من الحنفية: لا بأس به للصغيرة؛ لأن النبي ﷺ لم ينكره على أصحابه.

وقد ولد جماعة من الأنبياء مختونين: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، ولوط، ويوسف، وموسى، وشعيب، وسليمان، ويحيى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

رأيت في البسيط للواحدي: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم: تطهر. فتمضمض، فأوحى الله إليه: تطهر. فاستنشق، فأوحى الله إليه: تطهر. فاستاك، فأوحى الله إليه: تطهر. فقص شاربه، فأوحى الله إليه: تطهر. فحلق رأسه، فأوحى الله إليه: تطهر. فاستنجى، فأوحى إليه: تطهر. فحلق عانته، فأوحى إليه: تطهر. فنتف إبطه، فأوحى إليه: تطهر. فقلم أظفاره، فأوحى إليه: تطهر. فنظر في جسده ماذا يصنع، فاختتن بعد مائة وعشرين سنة.

وقال غيره: ابن ثمانين بأمر الله تعالى، فختن نفسه بالقدوم، فتألم ألمًا شديدًا، فقال له جبريل: قد استعجلت يا إبراهيم قبل أن آتيك بآلة الختان[1]. فقال: امتثلت أمر ربي، فدفع الله عنه الألم في الحال. وختن إسماعيل وهو ابن ثلاثة عشر سنة، وإسحاق وهو ابن سبعة عشر. الختان واجب إلا على الخنثى فيحرم.

وحكمة الختان أن لكل عضو عبادة، وللفرج الختان. وقيل: سبب الختان أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقع بينه وبين العمالقة قتال، فلم يعرف أصحابه الذين قتلوا منهم من الذين قتلوا من العمالقة، فجعل الختان لأهل الإسلام، وهو أول من ضحى وأول من (شاب)[2]، وأول من قص شاربه وقلم أظفاره[3]، فصار ذلك سنة لأمة محمد ﷺ، لأن

=حتى يتبين وهو الأظهر، وأما من له ذكران، فإن كانا عاملين وجب ختانهما وإن كان أحدهما عاملاً دون الآخر ختن العامل. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٧).

(١) روى مسلم في صحيحه (٩٤-٢٥٧)، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وتقليم الاظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب».

(٢) كذا بالأصل.

(٣) من خصال الفطرة: تقليم الأظفار، وقال النووي: سنة ليس بواجب وهو تفعيل من القلم وهو القطع، ويستحب أن يبدأ باليدين قبل الرجلين، فيبدأ بمسبحة يده اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام ثم يعود إلى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها إلى آخرها ثم يعود إلى الرجلين اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٧).

إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه الله بهذه الأشياء المتقدمة، فأتمها ووفى بها جعله إمامًا يقتدى به، فأهل الأديان كلهم يعظمونه ويتشدقون به دينًا ونسبًا.

والسنة أن يُبدأ في قص الشارب[1] وتقليم الأظفار، ونتف الإبط باليمين، ويكره تأخيرها عن أربعين يومًا كراهة شديدة، قاله في الروضة.

فصل في ذكر موسى ﷺ

كان بينه وبين إبراهيم ألف عام، أبوه عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم، صلوات الله وسلامه عليهم.

قال موسى: يا رب، أجد في التوراة أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد، قال: يا رب، في التوراة أمة يحجون فلا يرجعون إلا وقد غفرت لهم خطاياهم، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد، قال: يا رب، أجد في التوراة أمة يصومون شهرًا واحدًا فيغفر لهم ذنوب أحد عشر شهرًا، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد. قال: يا رب، أجد في التوراة أمة تبدل سيئاتهم بالحسنات، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد، قال: يا رب، أجد في التوراة أمة هم آخر الأمم في الإسلام والسابقون إلى الجنة فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد، قال: يا رب، فاجعلني من أمة محمد.

قال كعب الأحبار: وجدت في التوراة: أمة محمد يمشون على الأرض، والأرض تستغفر، ووجدت مع كل واحد قضيبًا من نور، وهو الإسلام، ووجدت أحدهم يخر ساجدًا، فلا يرفع رأسه حتى يغفر الله له، ووجدت الجنة تشتاق إليهم كل يوم خمس مرات، ووجدتهم يصومون شهرًا واحدًا، وهو شهر رمضان فيعطون بكل يوم تباعد خمسمائة عام عن جهنم ووجدتهم: طوبى لهم وحسن مآب.

قال في روضة العلماء: قال موسى: يا رب اغفر لي ولبني إسرائيل، قال: غفرت لمحمد وأمته.

فقال: يا رب اغفر لي ولبني إسرائيل، قال: غفرت لمحمد وأمته، قال: يا رب اغفر لي ولبني إسرائيل؟ قال: غفرت لمحمد وأمته، ثوابهم عندي كثواب الأنبياء، غضبي عنهم بعيد،

---

(١) أما قص الشارب فسنة أيضًا ويستحب أن يبدأ بالجانب الأيمن وهو مخير بين القص بنفسه وبين أن يولي ذلك غيره لحصول المقصود من غير هتك مروءة ولا حرمة بخلاف الإبط والعانة وأما حد ما يقصه: فالمختار أنه يقص حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله . النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٧).

أقبل منهم اليسير، وأعطيهم الكثير، ولا أحجب عنهم التوبة ما داموا يقولون: لا إله إلا الله، فخر موسى ساجداً وقال: يا رب، اجعلني من أمة محمد.

فقال: أنت وجميع الأنبياء من أمة محمد.

قال الطوسي في كتابه نور النور: أمة محمد ﷺ تدعى في التوراة: صفوة الرحمن. قال وهب: حملت أم موسى (١) به ليلة عاشوراء وهي ليلة الجمعة، وذلك أنه قيل لعمران : إذا رأيت نجم كذا يبقى شفاعة على وجهك، فانطلق إلى أهلك وأودع الوديعة التي في ظهرك.

فكان عمران يراقب النجم، وكان لا يفارق فرعون ليلاً ولا نهاراً، فلما رأى النجم ألقى الله النوم على فرعون، فذهب عمران إلى زوجته «لوخاء بنت هاند بن لاوي بن يعقوب»، وقد جعل فرعون حول قصره سباعًا كثيرة، فقالت السباع: يا عمران، انطلق في حفظ الله.

قال وهب: لما حملت أم موسى به نطقت كل دابة وقالت: يا ملعون، حملت أم موسى به، فأين المهرب؟! فلما ولدته جعلته في تابوت وطرحته في اليم (٢) ، فلم تبق دابة في البحر إلا نثرت عليه الجواهر، وكان في البحر سبعون ألف جاموسة، لكل واحدة سبعون ألف قرن من زمردة بالذال المعجمة، فحملته على قرونهن. وقالوا: هذا موسى كليم الله .

وعلق حول النيل ألف قنديل من قناديل الفردوس، ومكث في البحر ثلاثة أيام، وقيل: أربعين، وكان آخر من حمله حوت يونس عليه السلام ، فرجعت أمه حين ألقته إلى بيتها فجاءها الشيطان في صورة إنسان وقال: إن موسى أخذه فرعون وأطعمه للسباع، فأخبرها جبريل بالحق، فخرج بنات فرعون يومًا إلى النيل وبهن بلاء، فسمعن صوتًا من حمله أعطاه الله العافية، فحملنه فعافهن الله تعالى، فلما نظرت إليه آسية عرفت أنه عدو فرعون، فأنطقه الله تعالى فقال: يا آسية خذيني، فإني قرة عين لك وبلاء على فرعون، وهو الوليد بنت مصعب فالفراعنة ثلاثة: فرعون موسى، وسنان فرعون إبراهيم، والريان بن الوليد فرعون يوسف.

---

(١) كان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأينها قد حملت أحصين اسمها فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن وإن ولدت غلامًا دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٣).

(٢) وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتًا ومهدت فيه مهدًا وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤).

قال العلائي في سورة يوسف: لما أخذته آسية وبلغ من العمر سنتين حمله فرعون وقبله بين عينيه، فقبض لحيته بشماله وصفعه بيمينه، فدعا بالسياف ليقتله، فتضرعت له آسية، فامتحنه بكلب وجمل، فقبض على ذنب الكلب فسكن غضبه، فلما بلغ أربع سنين صنع فرعون مائدة ونادى مناد: إن فرعون يريد أن يأكل مع ولده، فاجتمع الناس، وكان فرعون لا يأكل من الطعام إلا لقمة واحدة، فقدم له طعام، فأكل لقمة وأمر برفعه، فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه، فقبضه موسى فأكل أخرى، وأمر برفعه، فأخذه موسى وصبه على رأسه، فدعا بالسياف ليقتله، فتضرعت له آسية، فامتحنه بثمرة وجمرة، فأخذ الجمرة بإذن الله تعالى. قال: وحكي كيف أحرقت الجمرة لسانه دون يده[١].

فالإجابة من وجوه:

الأول: أن الكهنة أخبرت فرعون بزوال ملكه على يد مولود لا يضره ماء ولا نار، فلما وجدوه في البحر سالمًا، قال فرعون: هذه العلامة الأولى، فأراد أن ينظر العلامة الثانية، فامتحنه بثمرة وجمرة، فأحرقت لسانه سترًا من الله تعالى لحال موسى على فرعون.

الثاني: أحرقت لسانه لأنه قال لفرعون: يا أبه، وسلمت يده لأنها صكت وجه فرعون[٢].

الثالث: أحرقت لسانه دون يده لأنه كان ﷺ في خلقه حدة، وعنده عجلة وسرعة، فأراد الله تعالى منع لسانه من النطق حتى لا يبوح بسر الرسالة قبل وقتها.

وفي كتاب العقائق: قالت آسية لفرعون: كيف تقتله وقد صار في منزلك وبين يديك؟ فكذلك العبد إذا قام للصلاة بين يدي ربه في بيته يتجاوز عن عقوبته ويكرمه بإحسانه.

قال العلامي في سورة القصص: إن كاهنًا قال: يا فرعون، يولد مولود في بني إسرائيل يكون هلاكك على يديه، فأمر بذبح الأطفال.

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه. المرجع السابق (٣/ ١٥١).

(٢) قال ابن كثير: قالت آسية : لآتين به فرعون فلينحلته وليكرمنه، فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه. ثم قال: فقالت: اجعل بيني وبينك أمرًا يعرف به، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين. فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانتزعهما منه، مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله بالغًا فيه أمره. تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٣).

قال وهب: ذبح سبعين ألف طفل. وقال غيره: مائة ألف وأربعين ألفًا (١) ، ووكل القوابل بالحوامل، فكانت القابلة التي وكلها بأم موسى صديقة لها، فلما وضعته دخل حبه في قلب القابلة فقالت لأمه: احفظيه، فإني أظنه عدونا، فلما خرجت القابلة رآها بعض أتباع فرعون فأرادوا الدخول على أم موسى فألقته في التنور، فلما دخلوا قالوا لها: ما صنعت القابلة؟ قالت: هي صديقة لي، ثم أخرجته من النار سالمًا.

قال القرطبي في سورة القصص: ألقته في النار وهي دهشة، قد طاش عقلها، فلما خرجوا لم تعلم مكانه حتى سمعت بكاءه من التنور.

ثم أوحى الله إلى أمه في المنام، وقيل: قال لها جبريل ذلك فيكون وحي إعلام لا وحي رسالة، كما تكلمته الملائكة مع مريم وغيرها ولا يلزم من كلامهم الرسالة : أن أرضعيه، فأرضعته ثلاثة أشهر.

قال مجاهد: كان الوحي قبل الولادة، وقال السدي:بعدها، قال القرطبي: والأول أظهر، والثاني يساعده.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾(٢) [القصص : ٧]، وهو نيل مصر، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ والخوف من شيء لم يقع، والحزن من شيء وقع.

فذهبت إلى نجار فقالت: اصنع لي تابوتًا . قال: ولم؟ قالت: أخفي فيه ولدي، وكرهت الكذب، فلما وضعته في التابوت انطلق النجار ليخبر الذباحين، فأمسك الله لسانه، فأشار بيده فلم يفهموا مراده، فلما رجع انطلق لسانه فرجع إليهم، فانعقد لسانه وأخذ الله ببصره، فقال في نفسه: إن رد الله علي بصري وأطلق لساني أن أكون مع هذا الغلام ولا أدل عليه أحداً، فرد الله عليه بصره وأطلق لسانه، فخر ساجداً وقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدله الله عليه، فآمن به.

---

(١) ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يفنى بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة، فقالوا لفرعون: إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون. فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون في السنة التي يتركون فيها الولدان، وموسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان. المرجع السابق (٣/ ٣٩٣).

(٢) لما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعًا وخافت عليه خوفًا شديداً وأحبته حبًا زائداً، فلما ضاقت به ذرعًا ألهمت في سرها والقي في خلدها وأنفث في روعها كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٣).

قال الماوردي: هو مؤمن آل فرعون.

وقال القرطبي: هو أيضًا الذي قال: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ أي يتشاورون على قتلك، واسمه: حزقيل، وهو ابن عم فرعون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لفرعون -لعنه الله- بنت برصاء، وكان يحبها، فجمع الأطباء فقالوا: لا تبرأ إلا من البحر في يوم كذا، فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على النيل، ومعه آسية، وبنته تلاعب الجوار، وإذا بالتابوت تضربه الأمواج، فوضعوه بين يدي فرعون، فأرادوا فتحه، فعجزوا، فرأت آسية النور فيه، فإذا هو موسى يمص من إحدى أصبعيه لبنًا، فألقى الله محبته في قلب آسية، فأخذت بنت فرعون من ريقه وتمسحت به، فذهب برصها، فقال بعض أتباعه: لعل هذا الذي تخاف منه، فأمر بقتله.

فقالت آسية: هذا أكبر من سنه وأنت أمرت بذبح أطفال هذه السنة فدعه يكون عندي قرة عين لي ولك. فقال فرعون: قرة عين لك، أما أنا فلا حاجة لي به.

وعن نبينا ﷺ: «**لو قال: قرة عين لي ولك، لهداه الله كما هداها**» (١).

ولما علمت أمه أن فرعون أخذه طاش عقلها، وأصبح فؤادها فارغًا (٢) من غير ولدها، وقالت لأخته مريم -وقيل: كلثوم-: قصيه، أي ابتغي خبره، فلما رأته وصل إلى فرعون ولم يرضع من غيرها كما قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ أي منعناه من الارتضاع، فهو تحريم منع لا تحريم شرع، ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي من قبل مجيء أمه، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فانطلقت إلى أمه، فجاءت بها والصبي على يد فرعون يبكي، ويطلب الرضاع، فلما رآها التقم ثديها، فقال فرعون: إنه لم يرضع إلا منك؟ فقالت: لبني طيب، فدفعه إليها وأعطاها كل يوم ديناراً، فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى لها الجواهر.

قال الكواشي: فلما فطمته ردته إلى فرعون، فلما بلغ أشده أربعين سنة وآتاه الله العلم في دينه ودين آبائه، علم أن فرعون وقومه على الباطل، فدعاهم إلى الله تعالى، وطلب فرعون منه علامة النبوة، فأوحى الله إليه: يا موسى، ألق عصاك، فإذا هي حية لها صوت تجاوبه الجبال، وكانت قبل كالفرس يركبها، وإذا نام تدور حوله وتطرد الذباب عن غنمه، وإذا

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٥٤)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٠٢٢).

(٢) أي أصبح فارغًا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤).

اشتد الحر تفرعت فيكون في ظلها. وفي الظلام تنور عليه، وإذا عطش خرج منها عين شرب منها، وإذا استقى من بئر تصير شعبتاها دلواً. وإذا استوحش تؤانسه بالخطاب.

فأقبل موسى على فرعون وقال: إن الله تعالى أرسلني إليك، وهو يقول: يا عبدي خلقتك ورزقتك وأحسنت إليك وأنعمت عليك، ولك أربعمائة عام تبارزني بالعداوة، فهل لك في المصالحة بكلمة واحدة: لا إله إلا الله، أغفر لك ما قد سلف، وأعطيك غرائب التحف، وأزيدك أربعمائة أخرى.

وكان فرعون في قبة طولها ثمانون ذراعًا، وله كرسي في أعلاها، فقال: يا موسى، أمهلنا إلى يوم الزينة [١]، قيل: هو يوم السبت، وقيل: يوم عيدهم، فأمهله فجمع سبعين ألف ساحر فاختار منهم سبعة آلاف، فاجتمع الناس في ذلك اليوم وفرعون على سريره في القبة على رأسه تاج بصفائح الذهب وفيه جوهرة عظيمة إذا طلعت الشمس لا يستطيع أحد أن يملأ عينه من النظر إلى وجه فرعون، فألقوا سبعين حبلاً من الحبال والعصي المملوءة من الزئبق.

قال وهب: كانت الحبال والعصي فرسخًا في فرسخ، فلما اشتد الحر تحرك ذلك كله.

فأقبل موسى عليه الصلاة والسلام وعليه جبة صوف وبيده العصا، وقد حصل له خوف. فقال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ألق عصاك [٢]، فألقاها فصارت ثعبانًا، أنيابها كالأسنة، ففتحت فاهًا وإذا مرت على صخرة صارت رملاً، فابتلعت سحرهم ثم مالت نحو العساكر فحطم بعضهم بعضًا ونفذت فيهم سهام القضاء، ثم توجهت نحو قبة فرعون فوضعت حنكها الأسفل على أسفل القبة والأعلى على أعلاها، فنادى: يا موسى الأمان. فلما رأت السحرة ذلك علموا أنه من قدرة المالك، فخروا ساجدين، وقالوا: آمنا برب العالمين.

---

(١) قال ابن عباس: وكان يوم الزينة يوم عاشوراء، وقال السدي وقتادة وابن زيد: كان يوم عيدهم، وقال سعيد بن جبير: كان يوم سوقهم ولا منافاة. قلت: وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾، [طه: ٥٨، ٥٩].

(٢) أوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾، يعني عصاك، ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وذلك أنها صارت تنينًا عظيمًا هائلاً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانًا جهرة نهاراً ضحوة، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

● **فائدة:**

لما توجه موسى إلى فرعون دعا بهؤلاء الدعوات: لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شره، وأستعين بك عليه، فاكفينه بما شئت، فتحول خوفه أمنًا.

● **مسألة:**

لو قال لوكيله: بعه بما شئت، باعه بنقد البلد وغيره حالاً بثمن مثله. ولو قال: بعه بكم شئت، باعه بالقليل والكثير من نقد البلد حالاً. حكاه الأسنوي عن الرافعي وغيره.

● **موعظة:**

قال في البحر المحيط لأبي حيان: كلم الله تعالى موسى في ألف مقام، وعلى أثر كل مقام يرى النور على وجهه ثلاثة أيام، ولم يقرب النساء منذ كلم الله تعالى، وفي غيره: ناجاه بمائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة، في كل كلمة يقول: يا موسى، قتلت نفسًا بغير حق.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»(١).

وروى النسائي والبيهقي عن النبي ﷺ: «**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**»(٢).

وعن النبي ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافرًا، والرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»(٣)، رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقال النبي ﷺ: «**ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء، وزوج من الحور العين كما شاء: من أدى دينًا خفيًا، وعفا عن قاتله، وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**».

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، والنسائي (٧/ ٨٢-المجتبى)، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، وابن ماجه (٢٦١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨).

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ٨٣)، في تحريم الدم، باب تعظيم الدم، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٤).

(٣) أخرجه النسائي (٧/ ٨١-المجتبى) كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٥١-الموارد).

فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ فقال: «أو إحداهن»[١]، رواه الطبراني.

وقوله: «دينًا خفيًا»، أي من غير بينة عليه.

● حكاية:

لما دخل موسى عليه الصلاة والسلام مصر وقت القيلولة، وقيل: بين المغرب والعشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾، فوكزه موسى بيده في صدره فقتله، فدفنه في الرمل، فلما كان في اليوم الثاني، وإذا بالكافر الذي من شيعة موسى قد استغاث به أيضًا على كافر آخر، فلما أراد موسى أن يضربه قال الذي من شيعته، وقد ظن أن موسى يريد ضربه، لما قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[٢] : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾، فهرب الكافر إلى فرعون وقال: إن الذي قتل فلانًا بالأمس هو موسى.

وكلامه في هلاك فرعون في البحر ونجاة موسى وكلامه عند الشجرة، ونجاة الشجرة من عذاب الله بالإيمان تقدم في أماكن متفرقة.

وعن المحن التي رفع الله بها درجات موسى: قارون ابن عمه، وقيل: ابن خالته، وذلك أن الله تعالى لما أهلك فرعون أمره أن يكتب التوراة في ألواح الذهب، فقال: يا رب وأين الذهب؟ فأرسل الله جبريل (فعلمه)[٣]، فعلم موسى أخته زوجة قارون ثلاثًا، ويوشع ثلاثًا، وطالوت ثلاثًا، فتعلم قارون من زوجته، ولم يزل يتضرع إلى موسى حتى علمه الجميع، فركب في زينته في أربعين ألف فارس بالأقبية الحرير المنسوجة بالجواهر، فلقي موسى في طريقه فقال: ركبت لقتلك.

فقال موسى: وأنا دعوت الله لأجلك: يا أرض خذيه، فلما غابت قوائم فرسه، فقال: إنما دعوت لأجل مالي وداري فقال: يا أرض خذي الجميع.

وقيل: إنه قال : يا موسى خذ المال واعف عني، قال: يا أرض خذيه، فاستغاث بموسى سبعين مرة، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٤).

(٢) أي ظاهر الغواية كثير الشر ثم عزم على البطش بذلك القبطي فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾، وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده، فعلم فرعون بذلك. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٦).

(٣) كذا بالأصل.

قال القرطبي: فهو يخسف به كل يوم قامه، فإذا وصل السابعة قامت الساعة ونفخ في الصور.

وذكر أيضًا: أن يونس عليه السلام اجتمع بقارون في البحر، فقال: يا يونس، تب إلى الله تعالى تجده عند أول قدم ترجع إليه بها، فقال له يونس: يا قارون ما منعك من التوبة؟ فقال: إن توبتي جعلت إلى ابن عمي موسى فلم يقبلها.

قال في العقائق: إن الله تعالى قال: لا تجعل يونس في حساب القوت، إنما هو وديعة عندك كما كان موسى في التابوت.

وقام يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، وقيل: أربعين يومًا، فلما سمع تسبيح أهل البحر سبح معهم فسمعه قارون، فقال للزبانية: من هذا؟ فقالوا: يونس، قال: دعوني أكلمه، قالوا: لم يؤذن لنا في ذلك، فجاءهم الإذن.

فقال: أيها العبد الصالح، ما فعل موسى؟ فأوصل الله سبحانه صوته إلى يونس فقال له: من أنت ؟ قال: قارون الشقي. فقال: إن موسى قد مات، فتأسف قارون حزنًا عليه وعلى موت زوجته أخت موسى، فقال الله تعالى للزبانية: ارفعوا العذاب عنه إلى يوم القيامة حيث رحم أهله، والله أعلم.

● **حكاية:**

قال في المنتخب: إن موسى عليه السلام كان يمشي ذات يوم فناداه ربه جل جلاله: يا موسى ابن عمران، فالتفت، فلم ير أحداً، فناداه: يا موسى، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فقال: لبيك وخر ساجداً. فقال: ارفع رأسك يا موسى، إن أردت أن تسكن في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي فكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، يا موسى، ارحم ترحم، يا موسى، كما تدين تدان، يا موسى، نبئ بني إسرائيل إنه من لقيني وهو جاحد محمداً أدخلته النار. قال: ومن محمد؟ قال: وعزتي ما خلقت نبيًا أكرم من محمد، كتبت اسمه مع اسمي على العرش قبل السموات والأرض والشمس والقمر بألفي ألف سنة، وعزتي الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها محمد وأمته، قال: يا رب ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون على كل حال، يشدون أوساطهم ويطهرون الأطراف، صائمون النهار، ورهبان بالليل، أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله [1] .

(١) روى مسلم في صحيحه (٤٣-٢٦)، كتاب الإيمان، ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

قال: يا رب اجعلني نبي تلك الأمة. قال: نبيها منها. قال: يا رب فاجعلني من أمة ذلك النبي. قال: استقدمت واستأخرت، ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال.

قال العلائي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾، قال وهب: قال موسى: يا رب أرني محمداً وأمته. قال: إنك لن تصل إليهم، ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم، قال: نعم، فقال: يا أمة محمد، فقالوا من أصلاب الآباء وبطون الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فقال: إن رحمتي سبقت غضبي(١)، وعفوي عقابي، قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل أن تدعوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، من جاءني منكم يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة، وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر، فالحمد لله على نعمه التي ذكرنا بها إلهامًا وإعلامًا، وقوم موسى أعلمهم وما ألهمهم، قال تعالى لموسى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾، أي بما أنعم عليهم من هلاك فرعون وسلامتهم.

وقيل: ذكرهم بما فعل الله بالأمم الماضية.

حديث: قال النبي ﷺ(٢): «**ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا، وأدخله الجنة برحمته: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك**». رواه الطبراني وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وقال النبي ﷺ(٣): «**رجلان جثيا بين يدي رب العزة من أمتي، فقال أحدهما: يا رب هذا ظلمني، خذ مظلمتي، فقال الله تعالى: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري**»، وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال: «**إن ذلك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك، فقال: يا رب، أرى مدائن من ذهب وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا ولأي صدّيق هذا؟ فقال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوت عنه، قال: فخذ بيد أخيك وأدخله معك الجنة**».

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣١٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (٣٣).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٤)، (٩/ ١٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٩).

(٣) انظر الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٠٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٠٩).

فقال النبي ﷺ عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين»[١] رواه البيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وفي صحيح مسلم: عن النبي ﷺ: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا»[٢]. وفي رواية الطبراني: «ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزًا، فاعفوا يعزكم الله».

فصل[٣] في ذكر عيسى وأمه ﷺ

وأمه من بنات سليمان[٤]، بينها وبينه أربعة وعشرون جداً، وفي الحديث: أنها سألت ربها أن يطعمها لحمًا لا دم له، فأطعمها الجراد، ولما هبط إبليس، قال: لأتخذن من عبدك جنداً وهو النساء، فقال الله تعالى: لأتخذن من خلقي جنداً وهو الجراد، ومكتوب على صدر الجراد: جند الله الأعظم.

قال الطوسي في كتابه نور النور: إن أمة محمد ﷺ تدعى في الإنجيل: الحكماء، العلماء.

● حكاية:

قال محمد بن جرير: خرجنا جماعة في طلب العلم، فنزلنا بمدينة واشتغلنا بالعلم فنفدت نفقتنا، فأردنا الرجوع، فإذا يهودي فدفع لكل واحد ثلاثة دراهم، وهكذا أربعين مرة، فسألناه عن ذلك فقال: قرأت في التوراة فإذا فيها : أفضل نفقة في سبيلي نفقة على متعلمين العلم، فما رأيت أحداً من اليهود يطلب ما تطلبون.

فودعناه، وقصدنا الحج ، فرأيته يومًا حول الكعبة، فقلنا له: ما السبب؟

قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: إن الله تعالى قد أكرمك بالإسلام بإنفاقك على أهل العلم، فأسلمت على يديه، وكان في داري سبعة عشر نفسًا، فكل واحد منهم رأى مثل ما رأيت، فأسلموا جميعًا.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٦)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ٢٣١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٩-٢٥٨٨)، كتاب البر والصلة والآداب، والمنذري في الترغيب (٢/ ٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٥٧)، والهيثمي في المجمع (٣/ ١٠٥).

(٣) عمران هو والد مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام ، قال محمد بن إسحاق: هو عمران بن ياسم بن ميشا بن حزقيا بن إبراهيم بن عزايا بن ناوش بن آجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياز بن رخيعم بن سليمان، بن داود عليهما السلام . تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨).

(٤) كانت امرأة عمران هذه أم مريم عليها السلام، نذرت أن يكون ما في بطنها محرراً مفرغًا للعبادة لخدمة بيت المقدس، فقالت: يا رب: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

● مسألة:

اختلف في العقل والعلم أيهما أفضل؟

والجواب في ذلك والذي يظهر والله أعلم: أن العقل أفضل؛ لأن الصبي وإن صار عالمًا مأذونًا له بالإفتاء فلا يصح توليته إمامًا للمسلمين، ولا قاضيًا، ولا يصح طلاقه ولا كثير من الأحكام الشرعية.

والعاقل يصح ذلك منه بشرط التكليف، ولا يشترط العلم في غالب ما ذكرناه.

وأيضًا العلم يفتقر إلى العقل، والعقل لا يفتقر إلى العلم، وأيضًا لو أوصى لأعقل الناس صُرف للزهاد، وما قالوا: يصرف للعلماء.

قال في عوارف المعارف: العقل على قسمين:

قسم ينظر به أمر الآخرة، وهو من نور الهداية ومسكنة القلب.

وقسم ينظر به أمر الدنيا، وهو من نور الروح ومسكنة الدماغ، ولهذا صار الزاهد في الدنيا أعقل الناس.

قال الجنيد رحمه الله: أكرم الله المؤمنين بالإيمان، وأكرم الله الإيمان بالعقل، وأيضًا لو جنى شخص على شخص فأزال عقله لزمته الدية، وإن أزال علمه لزمه حكومة، وأيضًا العقل مستفاد من الله، والعلم مستفاد من عباده.

وقال في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب: عن النبي ﷺ: «**قال عيسى: يا رب، أخبرني عن هذه الأمة المرحومة؟ قال: إنها أمة محمد ﷺ، حكماء علماء** [1] **كأنهم من الحكمة والعلم أنبياء يرضون مني باليسير من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العلم، أدخل أحدهم الجنة بأن يقول: لا إله إلا الله**».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ [2]: «**قال الله تعالى: يا عيسى، إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله تعالى، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم، قال: يا رب، كيف يكون هذا؟ قال: أعطيهم من علمي وحلمي**».

قال: قال العلامي في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال النبي ﷺ في حديث: «**وإن عيسى أخي** [3] **ليس بيني وبينه نبي، وأنا أولى الناس به**».

---

(١) حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٨٣)، والسيوطي في الأسرار المرفوعة (٢٤٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٦٦).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٨).

(٣) الأنبياء كلهم إخوة، ولذا قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ.... ﴾الآية [البقرة: ٢٨٥].

وقال الثعلبي في كتاب العرائس: كانت مريم تتعبد في المسجد الحرام(١) مع رجل من قومها يقال له: يوسف، ولهما ملتان، كل واحد منهما يأتي بماء في يوم من كهف، فلما كان يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها في الكهف، فجاءها جبريل في صورة رجل وهو قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ (٢) [آل عمران: ٤٥].

فأخذ التراب الذي فصل من تراب آدم ونفخ في جيب درعها، فلما استقت الماء ولبست درعها تحرك الولد في بطنها، فلما جاءها المخاض تحولت من الجامع فأنكر عليها يوسف، وقال: يا مريم، هل ينبت الزرع من غير بذر؟ قالت: نعم، أنبت الله الزرع يوم خلقه من غير بذر.

فلما تحولت إلى أختها امرأة زكريا، وكانت حامل بيحيى، فقالت: يا مريم أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك، وكان الحمل والوضع في ساعة واحدة.

قال النيسابوري: كان الوضع بعد الزوال.

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران : ٤٢]، أي رضيها لخدمة المسجد وهي أنثى وما عدتها أمها طرفة عين، وكان رزقها يأتيها من الجنة.

قال الأكثرون: كفلها زكريا في حال طفولتها، وقيل: بعد فطمها، وأسمعها سلام الملائكة شفاهاً، ولم يتفق ذلك لغيرها من النساء.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾، أي من الحيض -فقالوا: إن مريمَ لم تحض- ومن كذب اليهود من كل معصية.

﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بأن وهب لها عيسى من غير أب.

قال ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة**» (٣).

---

(١) هكذا في أصل خط اليد الذي بين أيدينا، ولعل الصواب: «المسجد الأقصا»، أو «بيت المقدس»، والله أعلم.

(٢) هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير، قال الله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له كن فيكون، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كما ذكره الجمهور ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي يكون هذا مشهوراً في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك. تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٧٨)، كتاب المناقب، باب فضل خديجة رضي الله عنها، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٧)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٩١٩).

قال الرازي: وهذه الآية تدل على أن مريم أفضل من الجميع، ولا يجوز أن يكون الاصطفاء الثاني هو الأول؛ لأن التكرار غير لائق.

قال البرماوي في شرح البخاري: حملت مريم بعيسى ولها ثلاثة عشر سنة، وعاشت بعد وضع عيسى ستًا وستين سنة، وماتت ولها مائة واثنا عشرة سنة، وأم يحيى اسمها: أليسا، بفتح الهمزة والمعجمة، وأمها حناء بفتح الحاء المهملة وتشديد النون، فلما وضعت عيسى، وبلغ تسعة عشر شهرًا دفعته إلى المكتب.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار: (السر) [1] الصبيان أشده بغضًا للكتاب، فقال المعلم: يا عيسى، قل: بسم الله، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال له: قل: أبجد، قال: أتدري ما معناه؟ قال: لا، قال: الألف هو الله، والباء بهجة الله، والجيم جلال الله، والدال دين الله.

هوَّز: الهاء هاوية جهنم، والواو ويل لأهل النار، والزاي زفير جهنم.

حطي: حطت الخطايا عن المستغفرين.

كلمن: كلام الله غير مخلوق.

صعفص: أي صاع بصاع.

قرشت: أي تقرشهم معشرهم جميعًا.

فقال المعلم: يا مريم، إن ولدك لا يحتاج إلى معلم.

وعن النبي ﷺ قال: **«عيسى: أرسلته أمه إلى الكتاب فقال له المعلم: قل: بسم الله، فقال عيسى: وما بسم الله؟ قال: لا أدري، قال: الباء بهاء الله والسين سناء الله، والميم ملك الله»** .

قال في ربيع الأبرار: عن النبي ﷺ: **«أمتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، فتثقل حسناتهم في الميزان، فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمة محمد، فتقول الأنبياء: كان ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى، لو وضعت في كفة وسيئات الخلق في كفة لرجحت حسنات أمة محمد ﷺ»** .

● حكاية:

مر عيسى عليه السلام وهو صغير مع أمه على مدينة فوجد أهلها مجتمعين على باب ملكهم فسألهم عن ذلك فقالوا: إن زوجته تريد الولادة وقد عسر عليها، وهم يسألون الأصنام في التخفيف عنها.

---

(١) كذا بالأصل.

فقال : إن وضعت يدي على بطنها خرج الولد سريعًا.

فتعجبوا من ذلك على صغره، فأدخلوه على ملكهم فقال: إن أخبرتك بما في بطنها تؤمن بالله؟ قال: نعم.

قال : في بطنها صبي في خده شامة سوداء، وفي ظهره شامة بيضاء، ثم قال: أقسمت عليك يا ولد بالذي خلق الخلق وقسم الرزق أن تخرج، فخرج الولد سريعًا، فأراد الملك أن يؤمن بالله، فمنعه قومه وقالوا: إن مريم ساحرة وقد أخرجوها من بيت المقدس.

قال وهب: أول آيات عيسى عليه السلام أن أمه أضافت به رجلاً من الأكابر بمصر، وكان يأوي إليه المساكين فسُرق ماله ولم يتهم المساكين، فقال عيسى لأمه: دعيه يجمع المساكين في داره، فلما جمعهم أخذ مُقعدًا وجعله على عاتق أعمى وقال: قم به، فقال الأعمى: أنا ضعيف، فقال له عيسى: كيف قويت على ذلك البارحة، وكان هو الذي أخذ المال مع المقعد. ثم إن هذا الرجل اتخذ عرسًا لولده، ولم يكن عنده شراب، فاغتم لذلك، فدخل عيسى عليه السلام بيتًا له (وكلانا)[1] وضع يده عليه امتلأ شرابًا وهو يومئذ ابن اثني عشر سنة.

● حكاية:

قال الكلاباذي رحمه الله: اعترض إبليس عيسى بالطريق في عقبة أفيق بقرب بيت المقدس، فقال: من أنت؟ قال: روح الله وعبده وابن أمته.

فقال إبليس: بل أنت إله الأرض، لأنك تحيي وتميت وتبرئ الأكمه والأبرص – والأكمه هو الذي خلق أعمى– فقال: يحيي العظمة للذي خلقني، وبإذنه شفيتهم، ولو شاء أمرضني، فقال: هم حتى آمر الشياطين بالسجود لك فيراهم بنو آدم فيسجدون لك، فتكون إله الأرض.

فقال عيسى: سبحان الله وبحمده مما تقول ملء أرضه وسمائه وعدد خلقه ورضا نفسه، ومنتهى كلماته، وزنة عرشه. فنزل جبريل وميكائيل وإسرافيل، فنفخ ميكائيل عليه نحو المشرق فصدم عين الشمس فوقع محترقًا، ثم نفخ إسرافيل عليه نحو المغرب فوقع في عين حمئة، التي تضرب فيها الشمس كلما طلع إبليس منها غرقه جبريل حتى أقام فيها سبعة أيام، فكان بعد ذلك يخاف من عيسى.

---

(١) كذا بالأصل وأظنها : (وكاء).

● حكاية:

كان عيسى عليه السلام يدعو لدفع العاهات وإحياء الموتى[1]: اللهم أنت إله من في السموات والأرض، لا إله فيها غيرك، وأنت جبار من في السموات والأرض لا جبار فيها غيرك، وأنت ملك السموات والأرض لا ملك فيها غيرك، قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء، أسألك باسمك الكريم إنك على كل شيء قدير.

وروى ابن أبي الدنيا: قالت امرأة من الصالحات: قال لي رجل في المنام: قولي: يا جميل الفعال، أنت وليي، يا كريم الصنع، أنت القريب، فوالله ما قلتها في كرب إلا فرج الله عني.

وقال صالح المري رحمه الله: قال لي رجل في المنام: ألا أدلك على اسم الله الأعظم؟ قلت: نعم، قال: قل: اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطهور الطاهر القدوس.

● حكاية:

كان عيسى عليه السلام يخبر الصبيان بما يأكله آباؤهم وما يدخرونه، فيأتي الولد أبويه فيقول: أطعموني من كذا، فيقولون: من أخبرك، فيقول: عيسى، فمنعوا صبيانهم من عيسى وجعلوهم في بيت واسع، فقال عيسى: أين صبيانكم، هل هم في هذا البيت، قالوا ما فيه إلا قردة وخنازير. فقال: كذلك يكونوا، ففتحوا الباب فوجدوا أولادهم قردة وخنازير.

قال الرازي رحمه الله في آل عمران: أول من آمن بعيسى: يحيى، وكان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقيل: قبل أن يرفع عيسى، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، والكهل من الثلاثين إلى الأربعين، فلذا وصفه بالكهولة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي خلقه بغير واسطة أب بل قال له: كن، ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

فالجواب: إن اللقب الذي يدل على الشرف والرفعة لا يضر كالصديق والفاروق.

---

(١) قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرح الشريعة فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد أو على مداواة الأكمه والأبرص، تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥).

وسماه مسيحًا؛ لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن(١)، وقيل: كان يمسح رأس الأيتام ، وقيل: مسحه جبريل بجناحه عند وضعه صونًا له من الشيطان، وقيل: كان يسيح في الأرض.

وأما المسيح الدجال، فكان أمسح الوجه لا أنف له، ووصف الله تعالى عيسى بالوجيه، كما وصف به موسى في آخر سورة الأحزاب، والوجيه: صاحب الجاه.

وقال النبي ﷺ: «كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها» (٢) ، رأيته في قوت القلوب لأبي طالب المكي.

وفي حديث آخر: «ولن يخزي الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها» (٣) ، رأيته في التذكرة للقرطبي.

وفي حديث آخر: «كيف أخاف على أمة أنا في أولهم وعيسى في آخرهم» ، رأيته في روض الرياحين لليافعي.

ونقل: أن عيسى خرج من سرة أمه مريم.

وذكر في العقائق: إن أمه ماتت قبل رفعه إلى السماء، فلما ماتت بكى بكاءً كثيرًا فرآها في منامه في دار السلام على أرائك الإكرام، فقالت: قد أفطرت من الصيام على شراب الأنعام، وكانت قد ماتت وهي ساجدة صائمة، والله تعالى أعلم.

فصل في ذكر الخضر وإلياس عليهما السلام ورحمة الله وبركاته

قال أنس بن مالك ﷺ: رأيت شيخًا يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد، فقلت: من أنت؟ قال: الخضر.

وفي تفسير القرطبي في سورة الصافات: قال أنس: كنت في غزاة مع النبي ﷺ، فلما كنا عند الحجر، أي وهي مدائن صالح، سمعنا صوتًا يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها.

فقال النبي ﷺ: «انظر ما هذا الصوت؟»، فدخلت الجبل فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع، فقال: أقرئ محمد السلام وقل له: أخوك إلياس يريد

---

(١) قال بعض السلف: سمي المسيح لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى. تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٠٣)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٢/ ٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٩٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٥).

الاجتماع بك، فجاءه محمد ﷺ، فتأخرت عنهما فتحدثا طويلاً فنزل عليهما من السماء سفرة فدعوني، فأكلت معهما كماءة ورمانًا وكرفسًا، فلما أكلنا جاءت سحابة فأخذت إلياس وأنا أنظر إلى بياض ثيابه.

فقلت: يا رسول الله، هذا الطعام من السماء؟ فقال: «**ينزل به جبريل في كل أربعين يومًا مرة، وفي كل عام له شربة من زمزم، فالخضر وإلياس يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس**» .

قال ابن مسعود ﷺ: هذه الأمة تكون يوم القيامة ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث يأتون بذنوب عظام، فيقول الله تعالى وهو أعلم: من هؤلاء؟ فتقول الملائكة: هؤلاء المذنبون، فيقول الله تعالى: أدخلهم في سعة رحمتي.

قال في الزهر الفايح: كان لعمر بن الخطاب ﷺ جارية تسمى: زائدة، فخرجت يومًا تأتي بالحطب للعجين فرأت فارسًا لم تر أحسن منه، فقال: يا زائدة: إذا رأيت محمدًا فقولي له: رضوان خازن الجنة يقرئك السلام، وقولي له: إن الله تعالى قسم الجنة أثلاثًا لأمتك: ثلث يدخلونها بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث تشفع فيهم.

قال العلائي في سورة الكهف: اسم الخضر: خضرون بن عاميل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ.

قال البرماوي في شرح البخاري: أقوال أشهرها: بليا –بفتح الموحدة وسكون اللام وياء مثناة تحت، ابن ملكان – فتح الميم وسكون اللام–.

قال الثعلبي: إنه نبي معمر محجوب عن الأبصار.

● موعظة:

قال موسى عليه السلام للخضر [١] : بما أطلعك الله على الغيب؟ قال: بترك المعاصي، قال: أوصني؟ قال: يا موسى، كن بسامًا ولا تكن غضبانًا، وكن نفاعًا ولا تكن ضرارًا، وانزع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «**سمي الخضر خضرًا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خضرًا**» .

قال البرماوي: الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة.

---

(١) ورد ذكر الخضر في القرآن في سورة الكهف : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، [الكهف: ٦٥].

وقال الزجاج: هي الأرض اليابسة.

واختلفوا في حياته فقال ابن الصلاح في فتاويه: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين.

وفي لطائف المنن: قال بعض الصالحين: إن الله تعالى أطلع الخضر على أرواح الأولياء فسأل ربه أن يبقيه في دار الشهادة حتى يراهم شهادة كما رآهم غيبًا.

قال مجاهد: الخضر باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقال عمرو بن دينار: الخضر وإلياس حيان ما دام القرآن في الأرض، فإذا رفع ماتا.

قال القرطبي في سورة الصافات: أصاب إلياس [١] مرض شديد، فبكى، فأوحى الله إليه: بكاؤك حرص على الدنيا أو خوفًا من الموت أو النار؟ فقال: لا وعزتك إنما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي، ويصوم لك الصائمون بعدي، فقال: لأؤخرنك إلى وقت لا يذكرني فيه ذاكر، يعني إلى يوم القيامة.

وقال إبراهيم التيمي: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: كل ما يحكى عن الخضر هو حق، وهو عالم أهل الأرض ورأس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى.

● **حكاية:**

قال الشيخ عثمان الصريفيني: كنت في بداية أمري نائمًا على سطح داري تحت السماء، فمر بي خمس حمامات، فقالت إحداهن بلسان فصيح: سبحان من عنده خزائن كل شيء، وسمعت الأخرى تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسمعت الأخرى تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه وفضل عليهم محمداً ﷺ، وسمعت الأخرى تقول: كل ما في الدنيا باطل إلا ما كان الله ورسوله، وسمعت الأخرى تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى رب عظيم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، قال: فوقعت مغشيًا عليّ.

فلما أفقت نزع الله من قلبي حب الدنيا، فعاهدت الله أن أسلم نفسي لشيخ يدلني على الله، ثم سافرت لا أدري أين أتوجه، فرأيت شيخًا وافر الهيئة فقال: السلام عليك يا

---

(١) قال وهب بن منبه: هو إلياس بن نسي بن فنحاص بن العزير بن هارون بن عمران، بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام، وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له: بعل، فدعاهم إلى الله ونهاهم عن عبادة ما سواه. تفسير ابن كثير (٤/ ١٩).

عثمان، قلت: من أنت؟ قال: الخضر، كنت الساعة عند الشيخ عبدالقادر فقال: يا أبا العباس قد جذب البارحة رجل من أهل صريفين اسمه عثمان، قد نودي من فوق سبع سموات مرحبًا بك يا عبدي، وقد عاهد ربه أن يسلم نفسه لشيخ يدله على الله، فاذهب إليه فإنك تجده في الطريق فائتني به.

ثم قال الخضر: يا عثمان، الشيخ عبد القادر سيد العارفين في عصره، فعليك بملازمته، فما شعرت بنفسي إلا وأنا عند الشيخ عبدالقادر، فقال: مرحبًا بمن جذبه مولاه بألسنة الطير، وجمع له كثيراً من الخير، ثم ألبسني طاقية، وأجلسني في الخلوة شهراً، وأصبت من صحبته خيراً كثيراً.

قال العلائي: كان الخضر عليه السلام ابن خالة ذي القرنين ووزيره ومشيره، وذو القرنين من ذرية يونان بن نوح عليهما السلام، ويساعده ما في العرائس، فإنه جعل بين الخضر وبين سام بن نوح أربعة أجداد، وكان في زمن إبراهيم، وقد اجتمع به في مكة.

قال مقاتل: كان إبراهيم بفلسطين، فسمع صوتًا فقال: ما هذا؟ قال: ذو القرنين، فقال لرجل: اذهب إليه فأقرئه مني السلام، فلما جاءه قال الخليل: ههنا؟ قال: نعم، فنزل عن فرسه، فقيل: بينك وبينه مسافة بعيدة, فقال: ما كنت لأركب بأرض فيها خليل الله، فقام له إبراهيم وسلم عليه، وأهدى له بقراً وغنمًا وحمل له ضيافة، وكان الخضر صاحب لوائه الأعظم.

وقيل: كان بين موسى وعيسى، وهو أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا: سليمان، وبختنصر، والنمروذ، وسيملكها خامس من هذه الأمة وهو المهدي.

قال جعفر بن محمد: كان لذي القرنين صديق من الملائكة فقال له: أخبرني عن عبادة الملائكة في السماء؟ فقال: منهم قيام وسجود إلى يوم القيامة، ثم يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فقال: إني أحب أن أعيش حتى أعبد الله حق عبادته.

فقال الملك: إن أردت ذلك، فإن في الأرض عينًا يقال لها: عين الحياة من شرب منها لا يموت حتى يسأل ربه الموت، لكنها في ظلمة.

فجمع العلماء وقال: هل قرأتم في كتب الله أن في الأرض عينًا يقال لها: عين الحياة؟

فقال واحد منهم: نعم، عند مطلع الشمس في ظلمة.

فسار ذو القرنين على ألف فرسخ من الخيل الخضر البكر لقوة نظرهن، وتقدم الخضر أمامه بألف فارس.

قال الخضر [١] : كيف يصنع من ضل منا عن صاحبه ونحن في ظلمة، فقال: إذا ضللت الطريق فألق هذه الخرزة في الأرض، ودفع إليه خرزة حمراء، فإذا صاحت فليرجع إليها الضال.

فسار الخضر بين يديه، فإذا ارتحل هذا نزل هذا، فبينما الخضر يسير، إذ عارضه واد، فغلب على ظنه أن العين فيه، فرمى الخرزة فأضاءت الظلمة وصاحت الخرزة، فإذا هي على حافة العين، ماؤها أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فقال لأصحابه: امكثوا، ثم نزل فشرب منها واغتسل.

وسار ذو القرنين وقد أخطأ العين، فنزلوا بأرض حمراء فيها ضوء لا يشبه ضوء الشمس والقمر، وفيها قصر عليه حديدة طويلة، وعليه طير مزموم أنفه إلى الحديدة متعلق بين السماء والأرض. فقال الطير: يا ذا القرنين، ما جاء بك إلى ههنا، أما كفاك ما وراءك، ثم قال: يا ذا القرنين أخبرني هل كثر البناء بالجص والآجر؟ قال: نعم، فانتفض الطير وانتفخ حتى ملأ الحديدة وسد جدار القصر، فخاف ذو القرنين، ثم قال: هل ترك الناس شهادة: أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، فرجع إلى عادته، ثم رأى رجلاً فوق سطح القصر، فقال: من أنت؟ قال: صاحب الصور، وقد اقتربت الساعة وأنا أنتظر أمر ربي، ثم أعطاه حجرًا وقال: إن شبع شبعت، وإن جاع جعت، فأخذ الحجر ورجع إلى أصحابه وأخبرهم بالقصر وبما رآه، وجعل الحجر في كفة الميزان، وآخر في كفة، فرجح ذلك الحجر حتى زاد أحجاراً كثيرة، وفي كل ذلك يرجح الحجر عليهم فوضع في مقابله كف تراب، فاستوى الميزان.

فقال الخضر: هذا مثل ضربه الله لبني آدم، لا يشبع حتى يحثى عليه التراب، ورجع الإسكندر[٢] إلى بلده رضي الله عنه، وعمر منارة الإسكندرية طولها أربعمائة ذراع وخمسون ذراعًا بناها على قناطر من زجاج على سرطان من نحاس في أعلاها مرآة، يرى منها جيش الروم إذا تجهزوا للغزو، فأرسل ملك الروم يقول: فيها كبّر ذو القرنين، فهدم منها شيئًا فبطل طلسم المرآة، ولما مات ذو القرنين اجتمع الخضر بموسى وكان من أمرهما ما ذكره الله تعالى في كتابه حتى دخلا القرية التي أقام الخضر فيها الجدار، وهي أنطاكية، وقيل: الناصرة،

---

(١) جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وقال أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين.

(٢) الإسكندر الأكبر كان وثنيًا مشركًا، أما العبد الصالح ذو القرنين فكان موحدًا آتاه الله التمكين في الأرض وطاف بها من مغربها ومشرقها ينشر التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد.

وأنطاكية أيضًا هي مدينة الرجل الذي في ﴿يس﴾، ومدينة الذي في القصص: مصر، والرجل: حزقيل، والذي في يس: حبيب النجار، آمن بالنبي ﷺ على يد رسل عيسى الثلاثة وهم يحيى ويونس وشمعون، قال له قومه: آمنت. فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾(١) [يس:٢٢]، أي خلقني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أضاف الفطرة إليه، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وأضاف الرجوع إليهم لأن فيه معنى الزجر وهو بهم أليق.

قال البغوي: إنه في الجنة حي يرزق، وكان يتصدق بنصف كسبه ويطعم عياله نصفًا، ومدائن الشعراء مدائن مصر، ومدينة النمل مدينة صالح، وهي الحجر، والتسعة الرهط كانوا أشراف قوم صالح، فلما أهلكهم الله تعالى خرج صالح بالمؤمنين، وهم أربعة آلاف إلى مدينة باليمن، فلما حضر فيها صالح مات فسميت حضر موت.

قال الكلبي في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله تعالى بمعرفته وطاعته، فلما أقام الخضر الجدار، قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا، قيل: لأن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز، فالخضر وإلياس باقيان إلى يوم القيامة، فالخضر يدور في البحار يهدي من ضل فيها وإلياس يدور في الجبال، يهدي من ضل، هذا دأبهما في النهار وفي الليل، يجتمعان عند سد يأجوج ومأجوج يحرسانه.

قال قتادة: ليس في ناحية البحر المظلم طريق إلا البر، إلا من ناحية السد في ناحية الشمال في منقطع بلاد الترك، وليس ليأجوج ومأجوج طعام إلا الأفاعي من ذلك البحر، يرسل الله تعالى سحابة فتغرف منه الأفاعي ثم تمطرها عليهم فيأكلها يأجوج ومأجوج.

وسُئل النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك؟ قال: «**جزت بهم ليلة المعراج فدعوتهم فلم يجيبوا**». قال علي ﷺ: اسم ذي القرنين: عبدالله بن الضحاك، وقيل: مرزبان، وسمي بذي القرنين لأنه ملك المشرق والمغرب، وقيل: عاش قرنين، وهما مائتا عام، وقيل غير هذا.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾ قيل: حارة.

وقال الجمهور: أي ذات حمأة وطين أسود.

قال كعب الأحبار: في التوراة: الشمس تغرب في ماء وطين.

---

(١) أي وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم. تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨٦).

قال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾(١) [الكهف:٨٦]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾، أنه انتهى إلى جرمها ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، لأنها أكبر من الأرض بمائة وستين مرة.

وإنما المراد أنه انتهى إلى حد العمران من الجهتين فوجدها في رأي العين في عين حمئة، كما يشاهدها في الأرض المستوية كأنها تدخل تحتها، وكما أن راكب البحر يرى كأنها تغيب في البحر.

وفي تفسير القرطبي في سورة يس: إن الشمس إذا غربت دخلت محرابًا تحت العرش تسبح الله تعالى حتى تصبح، وهي مخلوقة من نور العرش، والقمر من نور الكرسي، وهو أسرع سيرًا منها، وهو في غلاف من ماء، وفي كل ليلة يظهر منه شيء من الغلاف، حتى يتكامل بدره، ثم يعود في الغلاف شيئًا فشيئًا حتى يتكامل(٢)، فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين يومًا، وذلك عدد المنازل المنقسمة على اثني عشر برجًا، لكل برج منزلتان وثلث، والسنة تدور على أربع فصول، ولكل فصل سبعة منازل.

أول الفصول: فصل الربيع، وأيامه: اثنان وسبعون يومًا، أولها خمسة عشر من آزار، وتقطع الشمس فيها سبعة منازل، وهي: الحمل -بالحاء المهملة- والثور والجوزاء.

ثم يدخل فصل الصيف في خمسة وعشرين يومًا من حزيران، وعدد أيامه: اثنان وتسعون يومًا، وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي: السرطان والأسد والسنبلة.

ثم يدخل فصل الخريف، من خمسة وعشرين يومًا من أيلول، وعدد أيامه: واحد وتسعون، وتقطع الشمس فيه سبعة منازل، وثلاثة بروج وهي: الميزان والعقرب والقوس.

ثم يدخل فصل الشتاء في خمسة عشر يومًا من كانون الأول، وعدد أيامه: تسعون، وربما يكون واحد وتسعون، وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج، وهي: الجدي والدلو والحوت.

---

(١) أي فسلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض أما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وأما ما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مرة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم وكذبهم، تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٤).

(٢) هذا مخالف للحقيقة ولم يرد هذا في أي مصدر من مصادر التشريع بل هو محض اختلاق لا أساس له.

قال مؤلفه: هذا باعتبار زمان القرطبي، أما باعتبار زماننا، فقد أخبرني من له قوة في علم التقويم بأن فصل الربيع يدخل في ثاني عشر آذار، وفصل الصيف في ثالث عشر من حزيران، والخريف في خامس عشر من أيلول، والشتاء في ثالث عشر من كانون الأول، وأيام كل فصل واحدى وتسعون وثمن يوم ونصف ثمن، والله أعلم.

ثم فصل الربيع معتدل بين الحرارة والبرودة، يصلح فيه إخراج الدم بالحجامة أو الفصادة، ولا يمتلئ فيه من الطعام، وفصل الصيف حار يابس يصلح فيه الاغتسال بالماء البارد، ولبس الكتان وأكل الحوامض كالحصرمية والخوخ، وفصل الخريف بارد يابس يصلح فيه ترك الجماع والاغتسال بالماء الفاتر، وللشيوخ بالحقنة وللكهول بالإسهال، وفصل الشتاء بارد رطب يصلح فيه أكل الضأن دون السمك واللبن.

وكان النبي ﷺ يحب أن يدخل بيته في الشتاء ليلة الجمعة، ويخرج منه إذا جاء الصيف ليلة الجمعة.

● **فائدة:**

تشرين الأول: ثلاثون يومًا، تتحرك الرياح الشرقية في أوله، وفي ثالث وعشرين منه يدخل الناس بيوتهم من البرد، وإذا قطع الخشب في ثالث عشر لا يسوس.

وكانون الأول: أحد وثلاثون يومًا، في رابع عشر أول (الأربعينيات) [١] ، ويزرع القطن وتتزاوج الطيور.

سباط [٢] بالسين المهملة- ثمانية وعشرون يومًا، في سابعه تسقط الجمرة الأولى، وفي رابع عشر: الثانية، وفي واحد وعشرين: الثالثة، ومعنى سقوط الجمرات: أن الناس كانوا في قديم الزمان لهم ثلاثة مساكن، بعضًا داخل بعض، الأول: للبقر والجمال. والثاني: للغنم. والثالث: لهم.

وكانوا يشعلون النار في كل بيت لأجل البرد، فإذا دخل شباط ومضى منه سبعة أيام أخرجوا الجمال والبقر إلى الصحراء، وجعلوا مكانها الغنم وسكنوا، فيتبقى لهم ناران: واحدة للغنم، وواحدة لهم، فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لزوال البرد.

أيار: أحد وثلاثون يومًا، في ثامن عشرة يعتدل الليل والنهار، ويصلح فيه أكل الجلود، والعجائز ثلاثة من شباط وأربعة من آذار.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) هي بالشين المعجمة وهو شهر فبراير وستأتي بعد أسطر بالشين المعجمة.

قال في ربيع الأبرار: أخبرت عجوز كاهنة ببرد يقع آخر الشتاء، فلم يصدقوها وجزوا صوف غنمهم، فثار برد شديد فهلكت الزروع والمواشي.

وقيل: إنها قالت لأولادها: زوجوني، فقالوا: حتى تردي الريح عنا سبعة أيام، ففعلت، فهلكت في السابع، فنسبت إليها.

نيسان: ثلاثون يومًا في الثامن والعشرين منه يهيج الدم، وينعقد الثمار، ويدرك اللوز.

أيار: أحد وثلاثون يومًا، في الرابع والعشرين منه يحصد الزرع، ويرتفع الطاعون، بإذن الله تعالى.

وحزيران : ثلاثون يومًا، في ثامن عشره يطول الليل ويقصر النهار، ويستوي التين والبطيخ.

تموز: أحد وثلاثون يومًا، يشتد فيه الحر.

آب: أحد وثلاثون يومًا، فيه يصفر الأترج، ويكبر الرمان، والله تعالى أعلم.

● **فائدة:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: رأيت رجلاً متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يقول: يا من لا يشغله شأن عن شأن، وفي رواية: سمع عن سمع، يا من لا تغلطه المسائل، يا من لا يبرمه الحاج الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك.

فقلت: يا عبدالله، أعد علي كلامك.

فقال: والذي نفس الخضر بيده -وكان هو الخضر- لا يقولهن عبد عقيب كل فريضة إلا غفرت ذنوبه، وإن كانت مثل رمل عالج، أو عدد المطر، وورق الشجر.

قال اليافعي في روض الرياحين: قال بعضهم: كنت جالسًا ببيت المقدس بعد عصر الجمعة، فرأيت رجلين أحدهما في خلقنا والآخر طويل عرض وجهه ذراع، فقلت: من أنتما؟

فقال أحدهما: أنا الخضر، وهذا إلياس، من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة وقال: يا الله، يا رحمن، حتى تغيب الشمس لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

فقلت للخضر: ما طعامك؟ قال: الكرفس والكمأة.

وعن النبي ﷺ: «**إن أخي الخضر وإلياس يحجان في كل عام، ويشربان من زمزم شربة فتكفيهما إلى قابل وطعامهما الكرفس**» .

● **فائدة:**

أكل ورق الكرفس الرطب ينفع المعدة والكبد الباردين، ويذهب الحصاد، وإذا دق وتدلك به في الحمام، قلع الحكة من الجسد وإذا شرب عصيره بعسل ينفع من وجع الظهر وأكله في الشتاء يذهب البلغم من المعدة.

● **حكاية:**

قال الرقاشي: إن سليمان بن عبدالملك [١] طلب رجلاً ليقتله، فهرب منه، فكلما دخل بلده، قيل له: قد حاك الطلب، فخرجت إلى البرية، فرأيت رجلاً فقلت: لعل هذا الطاغي أخافك؟ قال: نعم. قال: فما يمنعك من السبع. قلت: وما السبع؟ قال: قل: سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بادي له، سبحان الدائم الذي لا نفاد له، سبحان الذي يحيي ويميت، سبحان الذي علم كل شيء بغير تعلم، قال: فحفظتها، فألقى الله في قلبي الأمن، فرجعت ودخلت إلى سليمان، فلما رآني قال: ادن ادن، حتى أجلسني على فراشه، فقال: أسحرتني. قلت: لا والله، ما أنا بساحر، وأخبرته خبر الرجل، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنه الخضر، ثم قال: اكتبوا له الأمان، وأعطاني مالاً كثيراً.

قال في ربيع الأبرار: شكا رجل إلى الحسن رجلاً يظلمه، فقال: إذا صليت المغرب، فصل ركعتين واسجد وقل في سجودك: يا شديد القوى، يا شديد المحال، يا عزيز أذللت بقوتك جميع خلقك، فصل وسلم على سيدنا محمد وآله واكفني مؤنة فلان بما شئت. فلما فعل ذلك مات الظالم فجأة.

وقوله: يا شديد المحال، أي يا شديد الأخذ، وقيل: شديد الهلاك بالمحل، وهو القحط، وقيل: شديد العداوة لأعدائه، ما لهم من دونه من وال، أي ما لهم من ملجأ ولا ناصر ولأن الخضر عليه السلام يقول: اللهم إني أستغفرك لما (بنت) [٢] إليك منه، ثم عدت إليه، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي، ثم أخلفتك، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت عليّ بها، فتقويت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، من كل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها في ضياء النهار، وسواد الليل، في ملأ أو خلاء أو سر أو علانية يا حليم.

قال الأوزاعي رحمه الله: من قاله غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل ورق الشجر وقطر السماء.

---

(١) كان من خيار ملوك بني أمية، وأعظم ما فعله أن أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن عبدالعزيز الذي أعاد الإسلام إلى عصر الخلفاء الراشدين.

(٢) كذا بالأصل.

● **حكمة:**

قال: تكلم ابن الجوزي رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ عامين، فعجبت نفسه، فوثب إليه رجل في المجلس، فقال: ما يصنع ربنا في هذه الساعة يا ابن الجوزي؟ فسكت وختم المجلس، ثم في اليوم الثاني والثالث كذلك، فرأى تلك الليلة النبي ﷺ في المنام فقال له: يا ابن الجوزي، أتدري من السائل؟ قلت: لا يا نبي الله، قال: هو الخضر، فإذا سألك فقل له: شئون يبديها لا يبتديها، فلما أصبح قال له: ما يصنع ربك هذه الساعة؟ فقال: شئون يبديها لا يبتديها، فقال ﷺ : صل وسلم على الذي علمك.

● **فائدة:**

اعلم جعلني الله وإياك من صالحي الأمة أن أول هذه الأمة نبي، وآخرها نبي، وفيها رجل مختلف في نبوته، أي وهو الخضر عليه السلام ، وأوسطها الصحابة رضي الله عنهم كل واحد له شفاعة.

قال أبو زرعة: مات النبي ﷺ وقد رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف.

وقال الشافعي رحمه الله: مات النبي ﷺ والمسلمون ستون ألفًا: ثلاثون ألفًا بالمدينة وثلاثون ألفًا في غيرها، حكاه الذهبي في التجريد.

قال النووي رحمه الله في التقريب والتيسير: قال أبو زرعة: مات النبي ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي.

قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم[(١)] الخلفاء الأربعة، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر.

وفي تفسير ابن عطية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ عن النبي ﷺ أنه تضرع في أمته، فأوحى الله إليه: إن شئت جعلت حسابهم إليك، فقال: «لا يا رب أنت ارحمهم»، فقال تعالى: إذًا لا نخزيك فيهم.

---

(١) قال النووي: قال المازري: اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض، فقالت طائفة: لا نفاضل بل نمسك عن ذلك، وقال الجمهور بالتفضيل، ثم اختلفوا فقال أهل السنة: أفضلهم أبو بكر الصديق، وقال الخطابية: أفضلهم عمر بن الخطاب، وقالت الراوندية: أفضلهم العباس، وقالت الشيعة: علي، واتفق أهل السنة على أن أفضلهم: أبو بكر ، ثم عمر . قال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة: بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور: تقديم عثمان، واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا، وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢١)، ط. دار الكتب العلمية.

● حكاية:

قال سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: رأيت البارحة في المنام جميع الأنبياء مع كل نبي أربعة مصابيح، ومع كل واحد من أصحابه مصباح، ورأيت واحداً قد أضاء له المشرق والمغرب، وفي كل شعرة من رأسه مصباح، ومع كل واحد من أصحابه أربعة مصابيح. فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا محمد.

وكان كعب الأحبار خلفه يسمع فقال: عمن تروي هذا؟ قال: رؤيا رأيتها في المنام، فقال: هذا في التوراة.

وفي الحديث[١]: «**أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، ثمانون من هذه الأمة**»، فتكون هذه الأمة المرحومة ثلثي أهل الجنة.

فإن قيل: أهل الجنة أكثر أم أهل النار؟

فالجواب: أهل النار أكثر من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

الثاني: قوله ﷺ: «**لله من كل ألف واحد، والباقي لإبليس**»، ذكره الرازي في سورة النساء.

الثالث: قوله ﷺ: «**أنتم في الأمم كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»[٢].

ولا شك أن المؤمنين بالنبي ﷺ أكثر ممن آمن بالأنبياء من أممهم.

فإن قيل: إذا كان أهل جهنم أكثر من أهل الجنة، فكيف يقول مولانا ﷻ حكاية عن إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]، والنصيب لا يقتضي الكثرة؟

فالجواب: هذا باعتبار البشر، أما باعتبار الملائكة مع المؤمنين من البشر صار حزب الله أكثر.

وجواب آخر: المؤمنون وإن كانوا قليلين فهم كثيرون عند الله بالمنزلة والدرجة بخلاف حزب الشيطان.

***

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٤١٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ١٥٦، ١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٢٣)، بلفظ: «أنتم في الناس كالشعرة السوداء...» الحديث.

انتهى الجزء الأول من كتاب بستان الفقراء
ويليه الجزء الثاني وأوله الباب الحادي والأربعون
فيما يتعلق بالإيمان والإسلام وما يحتاج إلى معرفته
كل مسلم ويستغني به في كل طريق مظلم
ويقتدي به كل جاهل ويتذكر به
كل عالم وفاضل

فهرس موضوعات الجزء الأول

الموضوع | الصفحة

